



عَدَدٌ خَاصٌّ

لِذِكْرِ الْمَغْفُورِ لَهُ

أَحْمَدُ شَوْقِي بِكَ



تمثال الفقيد
للمثال الاستاذ الحويك

أَمِيرُ السُّعْرَاءِ أَحْمَدُ الشَّوْقِي

يوسف | خط م
١٤٣١ هـ

في سكونِ الليلِ نَاحَ البلبُلُ وغداةَ الليلِ طَاحَ الأُمَلُ
وهوى صرْحُ النَهي بين الأُنِينِ والشجنِ
فسرتْ لوعته مَسْرَى الحنينِ في البدنِ

ثكل الشعرُ وخبا البدرُ
وبكتْ مصرُ وجفا الصبرُ

وطوتْ (شوق) المنونُ

الوداعَ المرَّ يا رُوحَ البيانِ في أسي الذكرى وتبرجَ الحنانِ
من نفوسٍ لآعها فرطُ النجيبِ فذوتْ
وقلوبٍ راعها حرُّ الوجيبِ واتهتْ

نقذ الأُمُرُ وغفا السَّحرُ
ومضى العمرُ فنبا الفكرُ

وجرى الدمعُ الهَيَّونُ

محمد فريد عبد القادر

تقدير

ليس أشقّ على الأديب من رثاء الأديب ، فإياك بتأين شاعر العربية الأشهر المغفور له أحمد شوقي بك الذي خسر عالم الأدب العربي بوفاته خسارة منقطعة النظير في عصرنا بل في عصور كثيرة .

وإنّ من البرّ بالأدب الذي كان المغفور له شوقي بك رمزاً حيّاً له ومن البرّ برئاسته لجمعية أبولو أن تصدر هذا العدد الخاص من مجلّتنا يوم حفلة التأين الكبرى التي اشتركت الجمعية في تنظيمها برعاية وزارة المعارف المصرية ، وما نرمي بإصداره إلى أكثر من انصاف هذا الرجل العظيم متجرّدين عن كلّ محاباة ، متقدّمين بهذا الجهد الصغير إلى محراب التاريخ النزيه .

ولقد كُتب عن التقيد في حياته الكثير مما له ومما عليه فلا يعنيننا تكرار شيء من ذلك لأن سجلّاته ميسورةٌ للشقّاد ولطلبة الأدب ، ولكن يعنيننا هنا وفي مقام الذكري الطيبة أن ندوّن نماذج من تقدير الأديب وشعورهم بهذه الفجعية الأليمة تاركين لهم الحرية في حدود اللياقة لتسليط عواطفهم وآرائهم ما دما لازمي إلى غير الحقّ والانصاف ، بعيدين كلّ البعد عن مجاملة أسرة الفقيه حيث لا يجوز المجاملة . وهو مبدأ حرصنا عليه مع الفقيه ذاته عمراً مديداً ، ونعتبر الحرص عليه الآن أزم ما يكون حتى يمكن لدارس الأدب في المستقبل أن يرجع إلى هذه الصحائف مطمئناً .

ولقد تلقّينا العديد من المرائي الشعرية والمقالات فحرصنا على أن لا ننشر إلا ما يتفق والمستوى الفني لهذه المجلة أو ما يدانيه بقدر الاستطاعة سواء مما تلقيناه أو مما اطلعنا عليه ، ونحلّينا عما وجدناه بعيداً عن تصوير شخصية الفقيه أو مواهبه أو ما اشتملنا منه رائحة التعامل أكثر من روح التقدير ، ومع ذلك سمحنا بلشر ما اعتبرناه بريئاً من ضروب النقد الأدبي . ولم ننجح الكتابة المطلقة في غير تقدير ما ودون شرط إلا لأخصّ آل الفقيه ولسكرتيه الأديب ولكنهم تحاشوا استغلال هذه الحرية . ولا بدّ لنا من أن نلبّه إلى أنّ هذا العدد ليس سوى تمهيد لدراسات متوالية

عن الفقيـد العظم، كما أن هـذه المـجـلة لـن تـقـصـر فـي تـوفـية مـثـل هـذه الذكـرى لـشاعـر النـيـل المـغـفـور لـه مـحـمـد حـافـظ إـبراهـيـم بـك إـذا مـاعـونـها أـصـدقـاؤه عـلى ذـلـك .

ولا يسعنا إلاّ تقديم وافر الشكر الى اسرة الفقيـد الكـريـم والى صحافتنا وعلى الاخـص الى الصـحـافة المـصـوّرة والى الشـعـراء والـكـتـّـاب الـأـمـاجـد الـذيـن آـزـرونا فـي اخـراج هـذا العـدد ، وقـد حـلّـيـناه بـنـخـب مـن شـعـر الفـقـيـد غـيـر المتـداوـل أو الـذي لم يـسـبق نـشـره الى جـانـب نـشـر قـصـيـدته الوـصـفـية البـديـعة عـن هـيـكـل أنـس الـوـجـود مـع صـورة فـنية مـن ريشة الفنـان المـصـرى البـارع شـعـبان زكي . و غايـة رجاؤنا أن يـكـون مـن هـذا المـجـهـود بـعض العـزاء للـقـلوب الحـزينة النـاكـلة الـتي مـضّـها أن تـشـهـد مـصـرّع الفـن والـابـداع والعـبقـريـة الفـسـدة ، وتـشـتـاق الى الـاطـمـئـنان الـيـخـلـود هـذا الـروح العـجـيـب السـاحـر الـذي يـطـفـئه ويـخـرسـه المـوت ، وأن تـسـتـفـيـد مـن عـظـة المـوت البـالـغة أـقـصى ما يـسـتـفـاد مـن دـروس الحـياة والـخـلـود :

أبدًا ، وليس جلالها لفناء	فالعـبقـريـة لـاحـلّ لـكـُنْـهـا
كلّ الوجود بخفّـها بدعاء	كلّ الجـال مطـوَّعٌ لـجـالـها
سـيـانٍ فـي مـلـكـوتـها الـمتـنـان	تـحـيّا وتـفـنّى ، والحـياة وضـدّها

أحمد زكي أبو شادي



حياة شوقي بقلبه

كتب المغفور له شوقي بك حياته بقلبه الى أن قطع العقد الثالث من عمره
وقد نُشرت في الطبعة الاولى من « الشوقيات »



سمعتُ أبى رحمه الله يرد أصلنا الى الاكراد فالعرب ويقول إن والده قدم ههنا
الديار يافعاً يحمل وصاة من احمد باشا الجزائر إلى والى مصر محمد على باشا ، وكان جدى
وأنا حامل اسمه ولقبه يحسن كتابة العربية والتركية خطأ وإنشاء فادخله الوالى في معيته
ثم تداولت الأيام وتعاقب الولاء القنظام وهو يتقلد المراتب العالية ويتقلب فى
المناصب السامية إلى أن أقامه سعيد باشا أميناً للجوارك المصرية . فكانت وفاته فى هذا
المعمل عن ثروة راضية بددها أبى فى سكرة الشباب ثم عاش بعمله غير نادم ولا محروم ،
وعشت فى ظله وأنا واحده اسمع بما كان من سعة رزقه ولا أرانى فى ضيق حتى أندب
تلك السعة فكانه رأى كما رأى لنفسه من قبل أن لا أقتات من فضلات الموتى .

ثم ذكر طرفاً من سيرة جده لوالدته ، إلى أن قال عن نفسه :

أنا إذن عربى ، تركى ، يونانى ، جركسى ، مجدى لآبى : أصول أربعة فى فرع مجتمعة
تكفله لها مصر كما كفلت أبويه من قبل . الى أن يقول :

أمّا ولادى فكانت بمصر القاهرة وأنا أحبو اليوم الى الثلاثين . حدثنى سيد ندماء
هذا العصر المرحوم الشيخ على اللبى قال : لقيت أباك وأنت حمل لم يوضع بعد فقص
على حاكمك رآه فى نومى فقلت له وأنا أمازحه : « ليولدن لك ولد يخرجوك كما تقول العامة
خرقاً فى الاسلام » .

ثم اتفق أنى عدت الشيخ فى مرض الموت وكانت فى يده نسخة من جريدة
الاهرام فابتدر خطابى يقول : هذا تأويل رؤيا أبىك يا شوقي ، فوالله ما قالها قبل فى
الاسلام أحد ! قلت : وما تلك يا مولاي ؟ قال : قصيدتك فى وصف « البال » التى تقول
فى مطلعها :

حَفَّ كَأَسْهَا الْحَبِيبُ فَمِى فَضْةٌ ذَهَبُ

وها هي في يدي أقرأها ! فاستعذت بالله وقلت : الحمد لله الذي جعل هذه هي « الحرق » ولم يضرني الاسلام قليلاً .

أخذتني جدتي لأُمِّي من المهد وهي التي أُرثيها في هذه المجموعة وكانت منعمة مومسة فكفلتني لوالدي وكانت تحنو عليّ فوق حنوها وترى لي مخايل في البر سرجوة . حدثتني أنها دخلت بي على الخديو اسماعيل وأنا في الثالثة من عمري وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه ، فطلب الخديو بدرة من الذهب ثم نثرها على البساط عند قدميه فوقعتُ على الذهب اشتغل بجمعه واللعب به فقال لجدتي : اصنعي معه مثل هذا فإنه لا يلبث أن يمتد النظر إلى الأرض ! قالت : هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي ! قال : جيئني إلى به متى شئت . إني آخر من ينثر الذهب في مصر ! ولا يزال هذا الارتجاج العصبي في الإبصار يعاودني ، وكان المرحوم الشيخ علي الليثي كلما التقت عينه بعيني يلهث هذا المصراع للمتنبي :

(محاجرُ مسكٍ ركبَّتْ فوق زُبَيْرِ)

ثم عرض لنشأته الدراسية فذكر أنه دخل مكتب الشيخ صالح في الرابعة من عمره ، وأخيراً التحق بمدرسة الحقوق فوجد ممانعة من ناظرها بسبب صغر سنه ، ومكث بها سنتين ثم دخل قسم الترجمة وتخرج منه بعد سنتين .

قال : وبينما أنا أتردد على المغفور له علي باشا مبارك في شأن ورد عليه مرسوم من المعية يطلبني إليها فكان سروره بذلك أضعاف سروري بالنعمة المفاجئة . فذهبت إلى السراي وهناك استؤذن لي على المرحوم الخديو توفيق باشا . فلما مثلت بين يديه ولم أكن رأيته من قبل ولكن مدحته مراراً وأنا في المدرسة خاطبني بهذا اللفظ الشريف : « قرأت يا شوقي في الجريدة الرسمية أنك أعطيت الشهادة النهائية وكنت أنتظر ذلك لأتحقق بمعيتي ، لكن ليس بها الآن محل خال ، فهل لك في الانتظار ريثما يهيء الله لك الخير » . فاستلعت أذيال العزيز وقبلتها ثم قلت : حسبي يا مولاي أنك قد ذكرتني من تلقاء نفسك الشريفة ، وأى خير يهيء الله لعبدك أفضل من هذا ؟ فأطرق هنيئة وقال : قد سمعت أن أباك عطل من الخدمة فأبلغه أنني ربما أدخلته في عمل قبلك . ثم تهلل وأذن لي في الانصراف .

لبنت في المعية بضعة شهور انتظر فرجاً يأتي به الله . وكان المرحوم علي باشا مبارك لم يقطع عني الراتب إلى أن كان يوم كثر غيمه وتناقل مطره فخرجت قبيل الأصيل



شوقي بك في صباه

في حاجة لي على حمار أبيض كان لوالدي وبينما أنا عائد الى منزلي أجتاز ميدان عابدين بصرت بالعزير في بهو السراي يشرف منه ، فتزلت عن الدابة أمشي كرامة للمليك المطلق وأمرت الخادم أن يتبعها وأنا يلاقيني خلف القصر ثم مشيت على الاقدام حتى إذا انتهيت من الميدان اعترضني رسول من الأمير يدعوني اليه فوافيت حضرته وأنا لا أعرف السبب ، وكان معه ساعتئذ المرحوم عبد الرحمن باشا رشدي فتجلى الخليم بصورة الغضب وقال : أليس لي أن أطل من بيتي حتى تزلت عن حمارك وألجأتني إلى الانثناء ؟ قلت : عفواً يا مولاي اهكذا أدبنا الأوئل حيث يقول شاعرهم :

وإذا المني بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام

فتبسم ضاحكاً ثم قال : انكم معشر الشعراء تتفاهلون بالغيوم وهذا اليوم من أيامكم فاسمع للبشاشان عنده لك فالأح ، فالتفت الباشا عندئذ إلى وقال : الآن أسرني أفندينا أن أبلغك تعيين أليك مفتشاً في الخاصة الخديوية ، وأما أنت فعين بعد شهر . ثم مد العزير إلى يده فقبضتها واجماً ، قد غلب على السرور حتى أنساني الشعر وكان ذلك وقته !

ثم عرض الفقيه لأول عهده في وظيفته بالمعية السنية وكيف أراد له الخديو توفيق أن يدرس في أوروبا الآداب الفرنسية والحقوق وكان ينقد ستة عشر جنيتها نصفها من الخاصة ونصفها من المعية وأعطاه يوم سفره مائة جنيه بعث بنصفها إلى مدير الارسالية ليحمله له جميع ما يحتاج اليه ، ووصف ركوبه البحر لأول مرة إلى مارسيليا على أن يقضى عامين في مدينة « موبيلي » و« مامين » في « باريس » . ولما انقضت السنة الأولى التمس من الخديو توفيق أن يأذن له في الحضور إلى مصر فأبى عليه أمنيته وأوصاه أن يبقى أربع سنوات كاملة في أوروبا ، وأرسل اليه خمسين جنيتها لينفقها في رحلة يختارها إلى أى بلد سوى مصر ، فتقبل دعوة رفاقه الفرنسيين إلى مدنهم المتفرقة في الجنوب وقضى فيها شهرين ، ووصف ما رأى في هذه الأقاليم الفرنسية من كرم ضيافة ، إلى أن يقول وصفاً للفلاح الفرنسي :

وعرفت الفلاح الفرنسي في داره وكنت ألقاه في مزرعته وأماشيه في الاسواق فيخيل لي انه قد خلف العرب على قرى الضيف و« كرام الجار » ، وكان اعجب ما رأيت مدينة « كركسون » : وجدتها قسمين وألفت القوم عليها صنفين فمنهم الباقون الى اليوم كما كان آباؤهم عليه في القرون الوسطى ، بناؤهم ذلك البناء ولباسهم ذلك اللباس وعاداتهم وأخلاقهم تلك العادات والأخلاق .

وبعد انتهائه من السنة الثانية سافر في صحبة الطلاب المصريين ومدير الارسالية الى إنجلترا على نفقة الخديو توفيق ومكث في إنجلترا شهراً ، ولم يلبث هو واخوانه أن شتموها . وفي السنة الثالثة أصيب بمرض شديد كان فيه بين الحياة والموت وأشار عليه الاطباء أن يقضى أياماً تحت سماء أفريقية فوقع اختياره على الجزائر وكان دليله اليها أحد القضاة الفرنسيين الموظفين بها ، إلى أن يقول :

أما جوج الجزائر فلا يعدله بين الجواهر في صحوه وطيب نسمة مع توقد شمسه الا جنوب فرنسا ، ولم تأثر فيها كتأثرى من رؤية المصريين في القهاوى البلدية إذ

أكثر أصحابها وغلماها منهم ، إلى أن قال : ولا عيب في الجزائر سوى أنها قد
مُسخت مسخاً ، فقد عُدت مساح الاحذية فيها يستنكف من النطق بالعربية ، وإذا
خاطبته بها لم يجيبك إلا بالفرنسية !



شوق بك في شبابه

وبعد أن أقام التقيد في الجزائر أربعين يوماً عاد إلى باريس وحصل على الشهادة
النهائية. ورأى الخديو عباس أن يبقى ستة أشهر أخرى وعاد إلى مصر بعد ذلك . وفي
سنة ١٨٩٦م. انتدب لينوب عن مصر في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في جنيف
بسويسرا فأقام بها شهراً ثم رحل إلى بلجيكا وزار المعرض الذي أقيم في مدينة
« أنفرس » ثم أصيب برمد في عينيه فسافر إلى الاستانة ومكث بها أربعين يوماً .

ويروى كيف سمى ديوانه « الشوقيات » فيذكر صلاته وهو يطلب العلم في باريس
بالامير شكيب أرسلان وقد تمنى عليه أن يرى مجموعة شعره وأن يسميها « الشوقيات » ،
إلى أن يقول :

كانت وفاة والدى من نحو ثلاث سنوات فكان لى عجباً أن وجدت بين أوراقه شيئاً كثيراً لى من مثلت منظومى ومنثورى ما نُشر منهما وما لم يُنشر ، قد كتب بعضه بالخبر والبعض الآخر بالبرصا ، والكل بخط يد المرحوم وقد لفته فى ورقة كتبت عليها هذه العبارة : وهذا ما تيسر لى جمعه من أقوال ولدى احمد وهو يطلب العلم فى أوربا فكنت كأتى أراه وإنى أمره أن يجمعه ثم ينشره للناس لانه لا يجد بعدى من يعنى بشؤونه وربما لم يوجد بعده من يعنى بالشعر والاكاداب . فبينما أنا ذات يوم تعب بهذه الأوراق حيران لوصية الوالد كيف أجريها زارنى صديق مصطفى بك رفعت لخدمته حديثى فسألنى أن أعيره الأوراق أياماً ثم يعيدها لى ففعلت ثم لم يعش شهر حتى بعث بها لى وإذا هى قد نُسخت بقلم سليم يؤيده ذوق صحيح بحيث لم يبق إلا أن تدفع الى الطابع فاخضتها وبودى لو وفيت صديقى المشار اليه حقه من شكر الصنع وأنا أقول فى نفسى لئن صدق أبى فى الاولى لقد ظلم فى الثانية فان الظير لا يزال فى الناس .

ثم أورد كيف أسقط من شعره ما لا يجب نشره ووعد بنشر قصائده فى أجزاء متتالية .



إلى هنا انتهى ما كتبه القفيد بقلمه عن حياته وكان قد بلغ فى ذلك الوقت ، وهو ما انقضى عليه أكثر من ثلاثين عاماً ، قمة الشهرة فكان يدعى « أمير الشعراء » فى مصر وغيرها من أقطار العالم العربى ، وما زال الزمن يمضى به ومجده فى امارته يزداد تألقاً ، فان السنين التى قضاها شوقى بعد ذلك كانت حافلة بالمعظائم إذ قضى حوالى خمسة عشر عاماً يلشر عبور القصائد فى شتى الأغراض السياسية والاجتماعية وتلقى قصائده من الجمهور فى مصر وغيرها الإعجاب والتقدير . ثم وقعت الحرب العظمى وتغير وجه الحالة السياسية فى مصر وكان حظه من هذا التغيير أن نُفى الى الخارج وقضى من حياته فى المنفى نحو خمسة أعوام لم ينس فيها وطنه وأهله نخله له ولهم وللتراريخ العربى اثاره من شعره لا تمحى على ذكر الدهور . فلما وضعت الحرب أوزارها عاد شوقى فيمن عادوا الى الوطن وبما منذ هذا الحين بالشعر والأدب منجى جديداً غير ما كان ماضياً فيه بنفس الهمة والشغف الذى كان يحسه فى صباه وشبيبته ، وما زال يعمل لها حتى اللحظة الاخيرة من حياته .

شَوْبة الوالد

عزيزي الدكتور أبو شادي

طلبت إلى أن أكتب إلى مجلة «أبولو» كلمة عن والدي، ولجمعية «أبولو» دين في عني لن أنساه. لن أنسى ما حيت منظر أعضاء الجمعية يحملون نعشه، فباله من يوم! وإياها من ساعة! أذهلني فيها هذا النعش وهو يتهدى على مناكبكم، كما كان يتهدى أبي في حياته، بين خلصائه وأصدقائه! فلا يسعني حبال ذلك إلا أن ألبس دعوتك، وأبعت إلى «أبولو» بكلمة أعددتها ديناً أقضيه لوالدي أولاً، ولجمعية «أبولو» ثانياً!

ماذا تطلب مني عن أبي؟... وفي أية ناحية من نواحي حياته؟... العبقرية؟ النبوغ؟ الخلود؟... لن أؤخذك عن ذلك شيئاً. أدع ذلك للتاريخ ولمن يحسنون الكلام فيه. ولكنني أجمع لك في كلمة إحدى نواحيه الخلقية، وكانت حاطت بيتنا وعماد أسرنا... وأعفى أيها الصديق من تفصيل ذكريات تحتاج في قلبي لواعج الشجون!

كان أبي يفتي في جبننا صغاراً، ويلاعبننا ونلاعبه أطفالاً ثم... صادفنا وصادفناه شباناً - كان في ذلك يلقي علينا الدرس الذي ألقاه عليه أبوه من قبل، فكان من أثر ذلك ما قاله فيه يوم مات:

لقي الموت كلانا مرتين!	أنامن مات ومن مات أنا!
ثم صرنا مبهجة في بدين!	نحن كنا مبهجة في بدن،
ثم نلقي جنّة في كفتين!	ثم عدنا مبهجة في بدن،
وبها نبعت أولى البعثتين!..	ثم نحيا في «على» بعدنا

 ما أبي إلا أخ فارقته
 طلباً قنا إلى مائدة،
 وشربنا من إناء واحد،
 وتمفينا يدي في يده،
 وذو الصدق وودّ الناس مين!
 كانت الكسرة فيها كسرتين!
 وغسلنا بعد ذا فيه اليدين!
 من رآنا قال عنا أخوين!

على سرفي

رحم الله جدّي! رحم الله أبي!



احمد شوقي بك ونجمه

في قصر الحمراء بالاندلس

أثناء منفاه

قَبِيلُ الْمَنِيِّ

عند ما أعلنت الحرب الكبرى كنا مع والدى فى تركيا فبحرناها على الفور
عائدين الى مصر إذ أن الاشاعات وقتئذ فى الاستانة كانت تدل على أن تركيا سوف
تدخل فى الملحمة . . . ولكن الحال كان قد تبدل فى مصر كذلك نظام الحكم ،
فصار يخشى لقاء والدى أصدقاؤه الذين كانوا بالأمس - فى أيام بأسه - لا يتكون له
ساعة للراحة من كثرة طلباتهم وحاجاتهم حتى اضطر فى أواخر أيام حكم سمى الخديو
السابق الى أن يفتح لنفسه غير الباب العمومى باباً صغيراً متوارباً فى الحديقة ليفر منه !
وقد ذكر لنا أن صديقاً حميماً له شهده - بعد عودته من الاستانة - سائراً فى الطريق
فانتقل هذا الصديق الى الرصيف المقابل حتى لا يتهم بمصاحته أحد رجال النظام القديم !
لذلك كم قابل والدى بارتياح حكم السلطة العسكرية فى ذلك الوقت حينما كلفته بمغادرة
مصر لينجو من الدسائس ولا يتألم بمثل هذه المشاهد ، وهو الشاعر الشديد التأثر
والاحساس ، وقد أشار الى ذلك فى قصيدته البائية التى نظمها بعد عودته من المنفى
حيث قال :

وداعاً أرض أندلس وهذا	ثنائى إن رضيت به ثواباً
شكرت الفلك يوم حوت رحلى	فيا لمفارقه شحكر القربابا !
فأنت أرحمتى من كل أنف	كأنفى المبيت فى النزع اتصبا !
ومنظره كل خوآن يراى	بوجه كالغنى رمى النقابا !

وأرى أن هذه الظاهرة التى لفت نظرى إليها والدى فى صفوى ما تزال باقية بل
تغلغلت الى حذر مؤلم وربما كانت مصر هى البلد الوحيد الذى يقبل الناس فيه
بعضهم على بعض بنسبة المنفعة التى يستطيعون أن يحصلوا عليها ما

مبين سؤفى

س. ك. ك.



احمد شوقي بك

في كهولته

اليوم الأخير

(عن صحيفة الجهاد)

استقبل «شوق» يوم الخميس ١٣ أكتوبر سنة ١٩٣٢ كما كان يستقبل أمثاله من الأيام ، وما درى أن شمس هذا النهار لن تطلع عليه مرة أخرى إلا وهو في جواربه ، وقد رآه أصدقاؤه كما كانوا يرونه في أيامه السالفة نشيطاً حلو البادرة وإن كانت السنون والاحداث قد أعبته بإعبائها فبدأ شاحباً كثير التحوط والتخوف . وقد تناول طعام غذائه واستراح متمدداً على كرسية الى وقت الأصيل فاستقل سيارته للتزّه على سُنّته وبرفته وكيل أعماله وكتب شعره الذى يلزمه فى السنتين الاخيرتين فى غدواته وروحاته . وقد طاب له ارتياد الاماكن الخلوية ، فما زالت السيارة تسير به الى ان وصلت طريق السويس فى صحراء مصر الجديدة فرأى أن يترجل مستشفقاً للهواء الطلق .

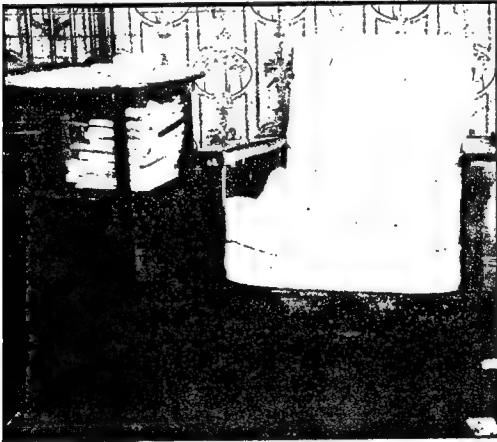
وبعد أن قضى أربه من التزهة ، عاد فأصداً منزل اسماعيل شرين بك كدأبه كل أمسية إذ يسمر مع نخبة من كرام القوم فى مجلس أنيق ، وأكثر من كان يناقشه ويحاوّر هناك العالم المهذب فؤاد سليم بك والسيد المفضل اسماعيل شرين بك ، لكن مجلس السمر لم يكن منعقداً فى تلك الليلة ، فعاد «شوق» راغباً فى تناول طعام العشاء ، وهو منشراح الصدر ، منبسط النفس .

تعمش فى مطعم (سلاستينو) على ما جرت عليه عادته أيضاً ، ثم رغب فى أن يتم بقية البرنامج الليلي الذى قلما يجيد عنه ليلة واحدة .

(فى دار «الجهاد» — ليلة الوفاة)

وبقية البرنامج الذى أخذ نفسه به زيارة دار «الجهاد» فلم ينقطع عنها ليلة واحدة ما دام مقبلاً فى القاهرة بل هو قد يكررها فى الليلة الواحدة ، وهو لا يفتأ يجد راحة نفسه ساعة يجلس فى حجرة صاحب «الجهاد» ويتحدث اليه ، ثم يتناول قهوته ويستقل سيارته فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فيأوى الى فراشه .

وصل دار « الجهاد » حوالى الساعة العاشرة من مساء الخميس، ولما رأى حجرة صاحب « الجهاد » تموج بالزائرين تلك الليلة رغب فى التحول الى حجرة سكرتيرية التحرير فجلس هناك. وفطن صاحب « الجهاد » الى جلوس « شوقى » فى الحجرة المجاورة فاستأذن من زواره وانتقل الى حيث يجلس « شوقى » وجعل يحببه ويسأله عن صحته فيحمد الله عليها، ثم بدا « لشوقى » أن يدخن سيجارة وأن يقدم أخرى لصاحب « الجهاد » وجلسا يدخانان. وحانت التفاتة من صاحب « الجهاد » فلبس « شوقى » يعالج سعلة خفيفة فاستفسر منه عن أسبابها ورجا أن تكون آثار برد أو تسرب هواء، فأجاب « شوقى » : انى أشعر بآثار برد فى قصبة الرئة وقد يكون مسببا عن تغيير الأجواء بين الفصلين. ثم شرب القهوة، ولم يبد على ملامحه ولا على قسمة شئ غير مألوف. انتهى حديث البرد ثم قال لصاحب « الجهاد » : لعلى أصيب دفئا فى بيتى الآن فلا تأهب للذهاب. فودعه صاحب « الجهاد » كما يفعل

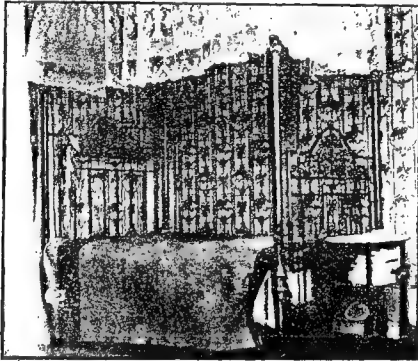


(الكرسي الذى اعتاد الفقيد الاستراحة عليه فى غرفة نومه وبجانبه منضدة كتب)



﴿ جانب من غرفة نوم الفقييد ﴾

وهي التي نظم فيها الكثير من شعره الأخير وكانت أيضاً بمثابة مكتبة له .
وقد قررت أسرة الفقييد استبقاء هذه الغرفة على حالها للذكرى التاريخية



(السرير الذى مات عليه الفئيد)

كل ليلة . ولما أشرف على اعتلاء السيارة قال للسائق : رويدك فى السير فان أمامك
أربطة من الجنود فى منطقة الجيزة ، وقد شاهدت ما يفعلون عند مغادرتنا للمنزل .
وودّعه على باب « الجهاد » فريق من أسرة دياب بسنهور ، وسارت به السيارة الى
ما ينتظره بعد ساعات .

(فى كرامة ابن هانيء — نوم وبقطة)

بلغ « شوقى » منزله الساعة الحادية عشرة ، وصعد الى مخدعه ، ووافق خادمه
الخاص يقوم بخدمته ويهيء له حوائج الليل ثم أرحى عليه سدول السكّة ، وذهب
لينام . وما كاد الخادم يدخل فى النوم حتى سمع صلصلة الجرس يستدعيه الى حجرة
سيده فقام مسرعاً ، وله عادة قد جرت على ذلك . فلما انتهى الى حجرة النوم رأى
مستيقظاً وكانت الساعة الثالثة أو تزيد فشكا بعض ضيق فى التنفس ، وطلب
ماء ساخناً وورق كافور ، فبادر الخادم وأحضرهما . غير أن « شوقى » رأى هذه
النوبة لا تعالج بعلاجه هو الذى يباشره « بنفسه » ، فطلب الى الخادم استدعاء
أحد الطبيين اللذين يعالجه دائماً - الدكتور برسكا ، والدكتور جلال -

فذهب الخادم يستدعى بالتلفون الدكتور جلال ، ثم عاد الى الحجرة ،
 فرأى سيده يطلب استدعاء أفراد الأسرة وإيقاظهم ليلاً تلك الساعة ، فصعد
 بالامر ، ثم عاد اليه يخبره ان السيدة البارة قرينته ستحضر ، غير أن « شوقي »
 رأى الفترات الباقية تتلاحق ، وأن الحين وشيك ، فأراد ليقول الكلمة الاخيرة
 ولو لم يحضر أحد من أفراد أسرته ، قال لتابعه : — انى أشعر بانتهاء أمرى فبلغ
 يا « احمد » سلامى ونجيتى الى أصدقائى ، وقل ذلك لاحد أفندى عبد الوهاب فهو
 يعرفهم . وهنا حضرت السيدة قرينته فاذا هو يسلم الروح الى بارئها . وقد حضر
 الطبيب ولكن لاتحين علاج ، فقد حُمّ القضاء ، وسكنت تلك الانفاس التى كانت
 تروّح على الناس فى فترات الحياة كلما اشتدت نكباء الدنيا



﴿ نمش القعيد محمولاً من داره ﴾



جنازة الفقيد



نعش المفقود له شوق بك
وَحَمَلَتْهُ مِنْ أَعْضَاءِ (جَمِيعَةِ أَبُولُو) ﴿

إِبْنُ عَبَّاسٍ بِرَعَايَا فِي حُجُبِ أَمِيرِ الشُّعْرَاءِ

سيدى الدكتور رئيس تحرير مجلة «أبولو»

أأشرك أم أعاتبك ؟

أبنتُ هتك الجبارة أن ترحم ضعيفاً مثلى في ظرفٍ طار فيه لبه بدداً ، وحاد
فكره فزعاً ، فطلبت الى كلة عن مولاي في وقتٍ ليس بيسير على فيه غير الجزع
الذى عطل الله اكسرة الا من أسبابه .

ومرت الايام وما كنتُ بسبب هذه الحالة لك وفياً ، لحبت ضعفى على ذنباً
وعددته جرماً ، والله يعلم أنى ما أذنبت ولا أجرت وما كنت الارحمتك
وتساعحك أهلاً .

عدتُ الى ذاكرتى استنجد بها منك واليك فاذا هى تطالعنى بنباريس ذات
هالات وأضواء ، أو هى أشعة من النور تقابل أشعة السماء ، وما كانت هذه الاشعة
والاضواء الا سجايا مولاي أمير الشعراء .

فقد وعى رحمه الله فضائل الامم في صدره وأبرزها عرائس حكمة وأخلاق ، ثم
زفها الى عصره فاذا هى ثمرة الدهور وخلاصة الحكم في كل العصور .

فاذا كنت يا سيدى الدكتور يريدنى أن أتكلم عما أعرفه من نواحى العبقريّة في
مولاي وهى كما تعلم أنت ويعلم كل المعاصرين واسعة الأرجاء متعددة النواحي
بميدة الأطراف ليس من اليسير أن يُطاف بها في كلة قصيرة وانما يكون ذلك اذا
فسخ لنا الوقت في كل ما يتطلبه الانصاف لهذه العبقريّة الفذة في التاريخ وأفسحت
لنا جانباً من كرمك في صحفك .

أما اذا كنت يا سيدى تريدنى أن أتكلم على ناحية خلقه العالى الرفيع فوالله
لقد لازمتُه ملازمة الظلّ فلم أفق منه في سرّ ولا فى جهر على ما ينفر الذوق
المسكّل ويشمّر منه الطبع السليم .



احمد الفندى عبد الوهاب

فقد كان رحمة الله عليه عفو اللسان نقي الضمير ودبيع القلب مؤدب الظاهر والباطن باراً بأهله ، كثير الحدب على الضعفاء والمساكين ، فما رأيته عبس في وجه على ندرة ذلك جداً حتى أسرع الى استرضائه واستماله قلبه ، وما رأيته الا مبتسماً يبعث النصح في غير صف فيقوى به الضعفاء ويثبت الاقوياء . أما قوله فلم يك قاصراً على ما يسطر في صفحات الكتب وما يدبج في القصائد . كلا وإنما كان له في مجالسه الخاصة ما تتشرف به الأذنان وتحلى به الأجياد وتسطره على شغافها القلوب .

ولن يفوتني أن أختم كلمتي القصيرة هذه بشكر حضرات اعضاء (جمعية أبولو) على ما قاموا به نحو فقيدنا العظيم ، وأعد حضرة رئيس تحرير مجلته بالعودة اليه بكلمات في الاعداد القادمة اذا تقبل عذري الحاضر ووعدى القابل ؟

أحمد عبد الوهاب

من مذكراتي عن الفقيد

﴿ في ميدان البرج ببيروت ﴾

كنتُ ومولاي في بيروت سنة ١٩٣٠ وفي صباح يوم من أيام شهر يولية جَبَّ إليه أن يجلس في قهوة نهار بميدان البرج . ولم نكد نأخذ مجلسنا حتى طلع علينا رجلٌ مهيب الزهو من أرداته ونكاد نلص الغرور متورماً في أوداجه ، وأبى هذا المخلوق إلا أن يأخذ مكانه على منضدة بقرب التي يجلس إليها ، ولم يستقر به الجلوس حتى أطلق يديه بالتصفيق الصاحب حتى إذا جاء الجرسون أمره في غلظة وخشونة باستحضار أرجيلة « شيشة » ! فاسترعى هذا الرجل وحركاته ونبرات صوته الجافة انتباه مولاي الذي كان يحيل إلى ساعته أنه يتأهب للنظم . فالتفت إلى وقال : يظهر أن هذا الرجل « سارق امرأة » ! قلت : وكيف ذلك ياسيدي ؟ قال : لأني رأيته يشبه الرجل الذي سرق امرأته ؟ ثم ابتسم وقال : كنت هنا من عامين وكان معي سليمان افندي فوزي صاحب الكشكول والاستاذ عبيد الوهاب فدعانا أحدهم لزيارته في قريته الواقعة فوق الجبل ووعدنا أننا إذا زرناه سيشف آذاننا بسماع صوت امرأة حسنة الصوت ، وزاد في ترغيبه لنا فقال : وهي المرأة التي سرقها زوجها الحالي من زوجها الأول وفرَّ بها من السودان عائدين إلى بلادها الأصلية وهي لبنان ، فكل هذا من أجل صوتها !

فرغبنا طبعاً في سماع هذه المرأة المسروقة وفي سماع هذا الصوت الذي يفرى على سرقه امرأة من زوجها ! وفعلنا ذهبنا إلى زيارته وسمعنا المرأة ، وكان صوتها لا بأس به وإن كان لا يبعث على سرقها ! وليس في كل هذا شيء ، ولكن الأمر العجيب هو أن المرأة كانت تغني إحدى قصائد « الشوقيات » ، فقال أحد رفاقنا : إنها لطيفة الذوق باختيارها هذه القصيدة تحيةً لصاحب « الشوقيات » . وحصل أنها أخطأت في الالتقاء خطأً أمياً فالتبس لها العذر وعزوانا إلى الملحن الذي حفظها .

وبعد انتهائهما من الغناء جاءت إلى جانبنا فسألها أحد أصحابنا : من الملحن ؟ فقالت : « ابن عمي » تريد زوجها ، فعجبنا ! فسألها آخر : ومن المؤلف يا ترى ؟ فإنا كنا أشد دهشة رفاقنا حين أجابهم : وأيضاً ابن عمي هو المؤلف !



﴿ شوقى بك فى أواخر عمره ﴾

صورة تذكارية بين صديقه الموسيقار محمد افندى عبدالوهاب
(عن يساره) وسكرتيره الخاص احمد افندى عبدالوهاب (عن يمينه)

وكان زوجها أخذاً كريماً في ناحية من الحجرة الى نسمر فيها جالسا عليه
جلسة ازهو والفضار ، فسأله أحد الصحاب قائلا : هل هذه القصيدة من تأليفك
ياسيدى ؟ فما كان منه إلا أن ألقى برأسه الى الخلف ونفت كل ما فى فيه من دخان
الرجيلة وهز برأسه اى نعم !

فالتفت إلى صاحبة لفتة المتعجب ا فقلت : إنه ليس ببعيد على سارق امرأة أن
يسرق قصيدة !

احمر عبر الوهاب

(هذه البندة الشائقة من مذكرات احمد افندى عبد الوهاب عن الرحوم شوقي
بك تتم عن قيمة هذه المذكرات من الوجهتين الأدبية والتاريخية . وتستعمل
بين محتوياتها العديدة آراء الفقيه فى بعض رجال مصر وسوريا ، ورأيه فى خطته
السياسية والوطنية ، ونظراته فى مؤهلات الزعامة ، ورأيه فى نقد خصومه ، وكيفية
نظمه الشعر وأوقات ذلك ، مع صور عديدة له وقصائد لم تنشر من قبل . وسنعلق
على هذا التأليف الشائق بعد صدوره وبعد اطلاعنا عليه — المحرر) .



﴿ شوق بك في شيخوخته ﴾

جالساً في إحدى شرفات كرمه
ابن هاني بالجيزة



تأبين الفقير يوم الوفاة

(١) مريثة محرر ابولو

(نشرت في جريدة القلم)

أهذا هو الكنز الذي عند جثمانك ؟
 أهذا هو السفر الذي ضم ديوالك ؟
 أدمت لحر العبقريه الحائلك ؟
 عميم يوما استلثت ممن أنكروا شانك
 لديك ، وكم خان الزمان الذي خانك
 ويا لوعة الفنان يشهد فقداك
 خططت لسفر آخر منك عنوانك
 إذا سأل التاريخ أذكر احسانك
 بكاءك في المنى تسأل أوطالك
 وهيبات أن أرضى كغيري نسيانك
 وأقر حتى في المنية غدوانك !
 فما تلهب النيران للحقد نيرانك
 وحسبك الدينان أن ضنت إيمانك
 كأنك في الحالين حلفت ديانك !
 إذا رفض الحساد للمجد عرفانك
 صحائف للتاريخ أشبعن ألوانك
 فكل قصيد زف كالراح أوزانك
 ويعطى لموسيقى الملاحة وجدانك
 على الكون حتى صرت تخاف كوانك !
 وأكبرت من بعد التفرد بليانك
 عظيما ، وقد أهملت في الحكم ميزانك !
 لذلك قد ضاعفت في العيش أحزانك

أهذا هو الجسم الذي كان انسانك
 أهذا هو الظل الذي كنت ساكنا ؟
 أهذا مأل العبقريه بمدا ما
 فجميعنا بهذا الخطب فيك ، وأنه
 بأن لم تكن بالأمس نبسم للمنى
 كأننا جميعنا للوداع فيا أنسى
 ختمت كتابا للحياة وإن تكن
 وإن أسرف اللوام لوما فاني
 بكيت وقد جاء النسيئ يميني
 واتى الذي ينسى الاساءة راضيا
 فواخي من برى الحقد قلبه
 وما أنت بعمد الموت الا كجته
 رحلت بايمان التقي فلم تحمل
 وما هذه استهزاء عيش ممنوع
 وفي ذم العرفان ما قد بذلت
 أحب جمال كنت تسديه للورى
 وآيات أنعام بلفظ مسلسل
 إذا لم تطلع الروح يفتقر مستعنا
 ومن ذا الذي ينسى خيالا موزعا
 مواهب شتى إن غررت بقدرها
 فهل أنت الا آدمي وإن تكن
 حكيم بشعر لا يحسن سياسته

فَمَنْ هَانَا، بَلْ طُفَّ بِدُنْيَا جَدِيدَةٍ
وَحَلَّ لَنَا فِي حِكْمَةِ الْمَوْتِ هَذِهِ
تَحَدُّ جَرِيئًا مَنِ تَحَدَّاكَ كَيْ يَفِي
فَهَذَا وَهَذَا وَحَدُّهُ صَدُقْ هَمَّةً
وَدَعِ ثُرَهَاتِ الشَّائِي السَّاحِطِ الَّذِي
وَدَعْنِي اكَرَّرُ شُكْرَ قَلْبِي وَحَسْرَتِي
مَقْتَبَتِ كَثْلِكَ بِإِذْخِرْ هُدًى أَسْلُهُ
وَحَلَّفَتِ صَبَاحًا بَيْنَ قَدَحٍ وَمِدْحَةٍ
وَكَمْ مِنْ دَعَى مُتَكْرِرٍ فَيْكَ آيَةٍ

اصمحرني ابرشادي



(٢) مرثية رئيس تحرير الجهاد

في منتصف الساعة الرابعة من صباح اليوم، (الجمعة ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٥١ هجرية الموافق ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ميلادية) أو قبل هذه الساعة بدقائق استأثر الله بأمر الشعراء.

وفي هذه الساعة عادت إلى بارئها تلك الروح العبقريّة التي أرقصت قلوب الأمم العربيّة جليلين من الزمان بفنون من الشعر أو نغّات من السحر لا تجود القطرة بمثلها على أصحاب المواهب إلا في قليل من العصور.

شوقي مات! مات كما مات أحوه حافظ ولمّا ترقأ دموع الباكين على أدبه وعلى شمالكه وصفاته، فجاء موت أمير الشعراء جرحاً دامياً على جرح لم يندمل بعد.

مات كما مات حافظ على غير مرض سابق ولا علة قديمة. وهكذا أبت الأقدار إلا أن تسلب العالم العربي أنصر زهرتين كان يتضوّع أريجيهما في كل بلد ينطق بالضاد، وهكذا أبت الأقدار إلا أن تسلبنا أعظم درتين في تاج الأدب، وأن تسلبنا إياهما بغتة وعلى غير أهبة لاحتمال المصائب.



تكلت العربية شوقي صبيحة اليوم بعد ان تكلت حافظاً . فواحر قلب العربية على الفقيدين مات شوقي فليكنه القتيان والشيخوخ ، ولتبكه الأوانس والسيدات في مصر وفي أخواتها العربيات ، فقد كان شعره قطعاً موسيقية بارعة من وحي العبقريّة يتغنى بها أبناء هذه اللغة العزيزة وبناتها في كل حين وفي كل مكان .

ذهب شوقي فانتضى بذهابه عهد الفحول من الشعراء الذين أحيوا في عصرنا الحديث مجده الاقدمين .

مات الذي أورت العربية مجدآ تالداً ، وزادها فيضاً خالداً على فيض خالد . وهذا ديوانه الفخيم في مجلدين يملآن النفوس إكباراً والقلوب بهجة بما يحتويان من بدائع القول الخالد وأشتات المعاني الرائعة وأفانين الأسلوب الممتنع الا على أمراء الصياغة المطبوعين .

وهذه رواياته المسرحية الأخيرة يكفي بعضها برهاناً مبيناً على العظمة الباقية على وجه الزمان .

مات شوقي فانتظم في سلك الخالدين . وكما يكون موت العبقرة ، نعم كم يكون فناء أشباحهم أول خطوة تخطوها أرواحهم في سبيل الخلود بما تتوارثه الاجيال المتعاقبة من آثارهم التي لا تفتى ولا تنساها سلالات المستقبل مهما استحالت الاحوال وتطاوت الدهور .

ولعل معاني العظمة في شوقي لن تزداد بعد موته الا وضوحاً وجلالة : ذلك ان وريثة آثاره من أبناء هذا الجيل والاجيال القادمة سيشتغلون بشاعريته الفذة عن شؤونهم الرضوية الاخرى ، وذلك أن الناس لن يهمهم كيف كان يأكل شوقي ويشرب ، ولا كيف كان يلبس ويظهر بين الناس ، ولا ماذا كانت رغائبه ومطامحه ، ولا ماذا كان يحب من دنياه أو ماذا كان يكره . وانما الذي سيهم الوارثين لا آثار شوقي من عشاق الأدب في الامم العربية هو نقاسة مآثره من كنوز عبقرية وذخائر أدبه . فهذه هي الباقية ، أما ما عداها مما كان لشوقي او عليه في أيام العمر الفانية فقد انتضى أمره بانتقضاء الاجل . ومن فضل الله ونعمته على الناس ان يجعل أسمى سمات المواهب البشرية ملكاً باقياً للانسانية لا تناله يد الفناء ، في حين تنقضى الامور الثانوية العارضة بانتقضاء أيام الحياة .

فليقل من يشاء في دنويات شوقي ما يشاء . ولكن للادب دولة عالية العروش
سينادي منادي الخلود من فوق منارتها العليا : لقد مات أمير الشعراء غير منازع !
لقد مات شوقي ! فليكنه المصريون ، وليكنه العرب في كل بلد عربي أويقطنه عربي ،
وليكنه المسلمون في أنحاء المعمور ، فقد كان شوقي شاعر العربية وشاعر الاسلام ،
وكان أئمن درة في تاج الادب ، وقد انتزعت هذه الدرة في منتصف الساعة الرابعة
من صباح اليوم !

الى عالم الخلود ! الى جوار حافظ ! لقد رثيته فكان مطلع مرثيتك :
قد كنتُ أوثر أن تقولَ رثائي يا مُنصفَ الموقى من الاحياء
والآن تمنع باللقاء ولم يطل الفراق !

الى عالم الخلد يا أمير البيان ، تشيعك الـ كبد الحرى والدموع الجارية والقلوب
التي مهما خفقت بعرفان أياديك على أبناء العربية في مدى جيلين من الزمان ، فلن
تؤدّي لك ما أنت أهله أيها الراحل العزيز ، أيها العظيم الخالد ، من الشكر
والحمد والثناء .

رحمة الله عليك يا شوقي ورضوانه وبركاته الطيبات

محمد توفيق دياب



(٣) مصرية رئيس تحرير البلاغ

من أيام قليلة ودّعت مصر حافظاً واليوم تودّع شوقي ، فلا عجب إن هي فت
الاسى في عضدها وتحاذلت قواها وأحست كأن الردى يحاربها في خير أبنائها وكأن
قلبها من هذه الحرب يكاد ينخلع . وقد كان شوقي بيننا الى أمس ، بل الى شطر من
الليل ، كأحسن ما يكون صحةً وأطيب ما يكون خديناً ، تريض وزار وعقد مجالس
الأدب التي يعقدها كل ليلة ، ثم عاد الى داره لا يشكو ألماً ولا يفكر إلا في ما قد
ينفج به الأدب غداً ، ثم نام هادئ النفس ونامت معه آماله في الغد ، ثم هالحن
أولاء تشقده في صباح هذا الغد فيقال لنا إن الردى عدا عليه فطواه ، فما ندرى

أنبكيه أم نبكي أنفسنا ، ونحز من دنيانا هذه الخوون أم تزدريه! وهى فى الحق خليفة بأن تزدري ، وشوق خليف بأن نزل من ورائه الدموع .

لم يكن شوقى شاعراً وكفى ، بل كان مجدداً لمصر فى عصره كله . وعصره هذا يمتد من أخريات عهد اسماعيل باشا الى اليوم ، فهو يسط جناحيه على نصف قرن كامل تقلبت فيه على الشعر والأدب أطوار ، منها اللين ومنها العنف ، فأوفى شوقى فى واحد منها ، ولا كان الا السابق فيها جميعاً ، حتى اذا عقدت له رياسة الشعر بعد ذلك لم تكن هذه الرياسة مرتبة يرفع اليها بل كانت شهادة بالمرتبة التى وصل اليها . ولم تقف هذه الرياسة عند حدود مصر بل تجاوزتها الى كل بلد ، فصارت رياسته بذلك رياسة لمصر وصار مجده مجدداً لمصر . وقد نبحت فى تاريخ الأدب العربى كله فلا نجد لوطننا من الرياسات فيه إلا القليل النادر ، وقد تكون رياسة شوقى أكثرها كلها إجماعاً وأشدّها بروزاً .

وقد كان شوقى فى أول نشأته شاعراً يمدح وينسب ، وكان قد تعلق بالخديز السابق فجعل أغلب شعره فيه . وكان الخديو يعمل لاذكاء الروح الوطنى فانطبع شعر شوقى بهذا الطابع وظهرت له حينئذ روائع سوف تبقى ما بقى فى الدنيا شيء يسمى الأدب . أمانيه فى ذلك العهد فهو مما يترج بالقلب ويجرى مجرى الأمثال . وتقلبت على مصر بعد ذلك أحداث وأبعد شوقى إلى الاندلس ثم عاد فشرع يشق بالشعر طريقاً جديداً فوضع رواياته من ناحية وأغانيه من ناحية أخرى ، ففتح فى الأدب الحديث فحين وأثبت أن الشعر العربى يستطيع أن يحاكي الشعر الأفرنجى وأن يكون على المسرح لسان العاطفة والتهديب كما هو فى القصائد لسان المدح والثناء والنسيب . وبهذا ملأ شوقى كل جوانب الأدب ، ووضع على رأسه تاجاً لم يضعه شاعر عربى قبله ، وحق لمصر أن تفخر بأن ابنها هو الذى كسب هذا التاج .

فهذا الجثمان الذى يحمله النعش اليوم هو جثمان رجل كان مجده الأدبى مدى خمسين عاماً مجدداً لبلاده ، ومجدداً للغته . وسوف يبقى هذا المجد لآزاده الأيام إلا علواً ولا تزيد معدته إلا نصوعاً ما بقى شعره وأدبه . وسوف تتدارس الأجيال المقبلة رواياته كما يتدارس أبناء أوروبا الآن روايات شكسبير وراسين وكورنيل . وسنذهب نحن وينذهب كل أصحاب الفنى والجاه فتطوينا الأيام جميعاً ويبقى شوقى علماً يذكر به العصر الذى عاش فيه .

فليمن شوق هادئاً في قبره فقد أدّى واجبه وصرّ في الدنيا كما لم ير قائداً ولا قائم،
وهذه الدمة عليه دمة آسٍ لتراقه رائحة لفيضة بلاده فيه . فرحمه الله وأسكنه
الجنة وخفف مصابنا فيه ؟

عبر القادر صمزة



(٤) مرتبة الدكتور على المعاني

ألقيت على قبر الفقيه

الدوام لله وحده ، وكل نفس ذائقة الموت ، وإن إلى ربك الرجعى ، وفي جوارده
خلود الطاهرين .

مات شوقى ولا نعلم رزه أم مثل رزئنا فيه ولا حزناً كحزنا عليه .
مات شوقى فصعدت روحه السامية إلى عالم السعادة المحضة والخلود ، ووارينا جنبانه
في باطن هذا الثرى يتجاذبنا ألم لا حدّ لقسوته بمواراة رفاقته ، وشملتنا غبطة بصعود
روحه إلى جوار ربّه في عالم الخلد السعيد .

مات شوقى فاصبح للانسانية كهوميروس وهوراس وكتايلس وديكرت ، ولكن
هؤلاء جميعاً يذكركل واحد منهم بأنه قد ابتدأ عصرآ في الادب أو الحكمة .
وشوقى ابتدأ حياته الشعرية عصرآ زاهراً في تاريخ الادب العربى وابتدأ نهايته في
هذا اليوم وفي تلك اللحظة القاسية عصرآ أدبياً آخر مشجعاً بروحه الصافية وخياله
الشعرى وهامه الحكيم سيرويه التاريخ الادبى . وانا قد تلقيناه تراثاً خالداً ثمينا من
شوقى العظيم تحافظ عليه وتنميه « جمعية أبولو » أو أسرة الشعر الحى ، وجميع الهيئات
الأدبية في العالم العربى وفي طليعتها « رابطة الادب الجديد » وفروعها في الشرق .
نعم مات شوقى فى ذمة الله أيها الراحل العظيم وفى وديعته يارب الشعر الحى
ويازعيم النهضة الأدبية العربية ورئيس « جمعية أبولو » وركن « رابطة الادب الجديد » .
اللهم اهنأ فيه الصبر ، ووفّقنا لخدمة ما تركه لنا من تراث خالد يمين فى الادب
والحكمة ، وعظم الله أجركم ، وإنا لله وإنا اليه راجعون ؟

على المعاني

(٥) مريثة الدكتور ناجي

(ألفت على قبر الفقيد)

قلْ للذين بكوا على (شوق) والمفتاة لمصر والشرق
 دنيا تقرأ اليوم في الحد ومساقر ماض الى الخلد
 هذا قرى مصر الكريم ، وكم يلقاك في عطف الحبيب فم
 كم من دفين رحت تحييه فاحلن عليه مكرما فيه
 يا نازل الصحراء موجة سالت بها العبرات محبة
 هذا طريق قد الفناء كم من حبيب قد بكيناه
 لكن يومك في نجيعه وكما تما الباكي بدمعه
 فاذهب كما ذهب الربيع مضي واهداً كما هدا النسيم قصي
 ما كنت الا امة ذهبت او شعلة اضاءت خلعت
 يارافداً قد بات في مثنوى أين النجوم اصنع كما أهوى
 لكن حزني لو علمت بو فاعدز الى يوم نبيك به

النادين مصارع الشهب ولدولة الاشعار والأدب ا
 وصحيفة طويت من المجدي سبقتة آلاء بلا عدا
 اكرمت واشدت بالذكر في الثور لا في ظلمة القبرا
 وبمشتة وكفت غزبتة يا طالما قدست ثررتة
 ريانة بالصمت والقدم وجرت بها الاحزان من قديم ا
 تمضي وراء مشيع غال لم يمنع من خلد ولا بال
 هو أول الأيام في الشجن ما ذاق قبلك لوعة الحزن ا
 قد شيعته مدامع الزهر في هداة الاضواء والشعر
 والمبقرية امة الامم ومنازة نصبت على علم
 بعتت به الدنيا وما بعدا شعراً كشمرك خالداً ابداً ا
 لم يُبق لي مبراً ولا جهدا حق النبوغ ونذكر المسجدا

ابراهيم ناجي

(٦) مريثة السيد التفتازانى

(ألقيت على قبر التقييد)

اللهم قدرنا على مقابلة القضاء بالرضا ، وارزقنا الاجر بالصبر ، وبصرنا بجلال الموت ، وأشرق علينا بنور عطفك حتى ينير ما غشيتة الظلمة من أبصارنا بهول هذا المصاب الصاعد !

مات شوقى ، فانطوى جيل من أجيال العربية ، وأغمد سيف من سيوف الاسلام ، وأُنزل علم من أعلام الشرق عن سارية العظمة والعبقريّة ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ليس شوقى بأمر الشعراء ومقدمهم فحسب ، ولا بذلك الينبوع الذى استمقت منه يوانع الجبل المزدهرة ، ولا بذلك النور الذى ملأ الدنيا ، ولصكته بلا شك المظهر الاقدس لمنة الله فى عالم الأدب ، والحسنة الخالدة لمصر فى نهضتها الادبية ، بل هو الروح التى جمعت أشتات الجسد الواحد ، فهو الرباط الوثيق بين مصر وبين جميع الناطقين بالعقاد ، بل هو فوق ذلك مجمع مفاخر أمة فى رجل .

سيوفى الشعراء صمدىم حقه من رثاء وكذلك سيصنع الكتاب اذا ما استبقت أقلامهم الواجب يؤدونه لامام من أئمتهم ، ولكن موقفى أنا من شوقى - وقد نعى ربه - موقف المبشر له بفقران الله ، فقد كان شوقى حبيباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعترته الطيبة الطاهرة ، إذ لا يخلو شعره الخالد من نفحة من نفحات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الاشادة بذكرى آله وعترته ، فقد شاطرهم فى نهج البردة مصابهم الخالد وصورهم فى مجمل شعره بالصورة الطبيعية لهم ، مباحياً بهم ، مفاخراً بأرومتهم ، مصوراً ببلغ تضحياتهم فى سبيل الاسلام والمسلمين .

من هذه الناحية يعتبر أهل البيت فى الحياء الدنيا أنهم أصيبوا فى الصميم بفقدان شوقى ، فقد كان الفرد الجامع المنافع عنهم التمسك بالعروة الوثقى فى محبتهم .

أما المسلمون فقد وجدوا فى شعر شوقى سوراً منيعاً وقام فى ظروف كثيرة عبث الهدامين وثرثرة الدسّاسين الذين لا يرقبون فى الاسلام الا لاساً ولا ذمة ، وهاكم ديوان شوقى ، بل هاكم سائر شعره ، استذكروه لتروا مبلغ ما وفى به للإسلام كدين ولللمسلمين كاخوان فى الله .

أمّا أبناء العربية جميعاً ، فستعلمون مبلغ ما نكتبهم به الدهر في هذا المصاب
الصادع ، حين تتجارب اصداؤه في الشام والعراق واليمن وسائر أنحاء المغرب من
طرابلس الى أقصى مراكش ، وسيعتبر كل من لا مَسَّ ذوق شوقي في أدبه ، وكل مقدر
لشخصيته الفذة في هذا الجيل انه أصيب بفقدان شوقي في سويداء القلب .

أنزله الله منازل رحته وحشره في عداد من أحبهم من الانبياء والمرسلين
والشهداء والصالحين والعلماء العاملين ، وحسن أولئك رفيقاً .



مِثَاقُ مُنَوَّعَةٍ

مِنْ شُعْبَةِ شَوْقٍ

(ومعظمها لم يسبق نشره)

نشيد النيل

النيلُ العَذْبُ هو الكَوْزُ والجَنَّةُ شاطئُهُ الاخضرُ
رَبَّانُ الصَّفْحَةِ والمنظرُ ما أبهى الظلَّةَ وما أنضرُ !

البحرُ الفَيَّاضُ القدُّسُ السَّاقِ النَّاسُ وما غَرَسُوا
وهو المنوالُ لما كَبِسُوا والمنعمُ بالقطرِ الأَنُورُ

جعلَ الاحسانَ له سَمرَعا لم يحلِّ الوادي مِنْ مَرعى
فترى زرعاً يتلو زرعاً وهنا يُجَنَّى ، وهنا يُبَذَّرُ

جارٍ وَيُرَى لَيْسَ بِجَارٍ لَانَاةٍ فِيهِ وَوَقَارٍ
يَنْسَبُ كَتَلٍ مُنْهَارٍ وَيَضْحَجُ فَتَحْسَبُهُ يُرَارٍ

* * *

حَبَشِيٌّ اللَّوْنُ كَجَبْرِتِهِ مِنْ مَنَبْمِهِ وَمُجَبِّرَتِهِ
صَبَغَ الشُّطَّيْنِ بِمُفْرَتِهِ لَوْنًا كَالْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ



الوطن

مُعْصُفُورَتَانِ فِي الْحِجَا نِ حَلَّتَا عَلَى قَفْنٍ
فِي غَاوِلٍ مِنْ الزَّيَا ضَ لَا نَدَى وَلَا حَسَنٍ
يَتَنَامُهُمَا تَلَسَّجِيَا نِ سَحَرًا عَلَى الْمُعْنِ
سَمَرًا عَلَى أَيْكُمَا رِيحٌ سَرَى مِنَ الْيَمِينِ
حَيٍّ وَقَالَ : ذَرَّتَا نِ فِي وَعَاةٍ مُمْتَنِينَ
لَقَدْ رَأَيْتُ حَوْلَ مَنَعَا ءِ فِي ظِلِّ عَدَنٍ
خَائِلًا كَأَنَّهَا بَقِيَّةٌ مِنْ ذِي يَزَنٍ
الْحَبُّ فِيهَا مُسَكَّرٌ وَالْمَاءُ شَهْدٌ وَلَكِنْ
لَمْ يَرَهَا الطَّيْرُ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهَا إِلَّا أَفْتِنَ
هِيَ أَرْكَبَانِي نَأْتِيهَا فِي سَاعَةٍ مِنَ الزَّمَنِ
فَالَتْ لَهَا إِحْسَادَهَا وَالطَّيْرُ مِنْهُنَّ الْقَطَنِ
يَارِيحُ أَنْتِ ابْنُ السَّيْرِ لِرَّ مَا عَرَفْتَ مَا السَّكَنِ
هَبْ جَهَةَ الْخُلْدِ الْيَمِينِ لَا شَيْءَ يَبْدِلُ الْوَطْنَ





﴿ صورة فنيّة لشوقي بك في أوج نضوجه الأدبي ﴾

البحر الابيض

اَمِنْ الْبَحْرِ صَائِغٌ عَبْقَرِيٌّ
 طَافَ تَحْتَ الضَّحَى عَلَيْهِنَ وَالْجَوْ
 جِثْنَهُ فِي مَعَاصِمٍ وَلَمْحُورٍ
 وَأَبَى أَنْ يَقْلُدَ الدُّرَّ وَالْيَا
 وَكَرَى خَائِعًا وَرَاءَ بَنَانٍ
 وَسَوَادًا يَزِينُ زَنْدَ كَعَابٍ
 وَتَرَى النِّيدَ لُؤْلُؤًا مِمَّ رَطْبًا
 وَكَانَ السَّمَاءُ وَالْمَاءُ شَفَا
 وَكَانَ السَّمَاءُ وَالْمَاءُ عُرْسًا
 أَوْ رَيْعٌ مِنْ رَيْثِ الْفَنِّ أَبْهَى
 أَوْ هَادِلٌ شَاعِرٍ عَبَقَرِيٌّ
 يَا سَوَادِي فَيُرْوَجُ وَلُجَيْنِ
 فِي شُعَاعِ الضَّحَى يَعُودَانِ مَاسًا
 وَمَسَتْ فِيهِمَا النُّجُومُ فَكَانَتْ
 لَكَ فِي الْأَرْضِ مَوْكِبٌ لَيْسَ بِالْوَا
 سِرَتِ فِيهِ عَلَى كُنُوزِ سُلَيْمًا
 وَتَرْنَمَتْ فِي الرِّكَابِ فَقُلْنَا
 هُوَ لَحْنٌ مُضْبِعٌ لِأَجْوَابَا
 لَكَ فِي طَيْعٍ حَدِيثُ غَرَامٍ
 سَيِّدَ الْمَاءِ كَمْ لَنَا مِنْ (صَلَاحِ)
 كَمْ مَلَأْنَاكَ بِالسَّيْفِنِ مَوَاقِيرَ
 شَاكِيَاتِ السَّلَاحِ يَخْرُجْنَ
 شَارِمَاتِ الْجَنَاحِ فِي تَبَسُّجِ الْمَا
 وَكَانَ الْإِهْجَاجُ حِينَ تَنْزَي
 أَجْمٌ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
 قَدَقْتَ هَهُنَا زُبْرًا وَنَابَا
 أَنْتَ تَعْلِي إِلَى الْقِيَامَةِ كَالْقِدَا

بِالرَّمَالِ النَّوَاعِمِ الْبَيْضِ مُعَرَّى
 هَرُّ فِي مُسَوِّقِهِ مِيَالُ وَيُشْرَى
 فَكَا مِعْصَمًا وَآخَرَ عَرَّى
 قَوْتَ نَحْرًا وَقَلْدَ الْمَاسِ نَحْرًا
 وَبَنَانًا مِنَ الْخَوَاتِمِ صَفْرًا
 وَسَوَادًا مِنْ زَنْدٍ حَسَنَاءَ قَرَا
 وَجُمَانًا حَوَالِي الْمَاءِ نَشْرًا
 صَدَفَ حُمَلًا دَفِينًا وَذُرًّا
 مُتَرَعِّجَ الْمُسَهْرَجَانِ لَمْعًا وَعِطْرًا
 مِنْ رَيْعِ الرُّبَى وَأَقَنَ زَهْرًا
 طَارِحَ الْبَحْرَ وَالطَّبِيعَةَ شِعْرًا
 يَهْمَا حُلَّتْ مَعَاصِمُ مِصْرًا
 وَعَلَى لَمَحَةِ الْأَسَائِلِ تَبْرًا
 فِي حَوَاشِيهَا يَوَاقِيتُ زَهْرًا
 رَيْجَ وَالطَّيْرِ وَالشَّيْطَانِ حَشْرًا
 نَ تَعْدُ الْخَطَى اخْتِيَالًا وَكَبْرًا
 دَاهِبٌ طَافَ فِي الْأَنَاجِيلِ يَقْرَا
 فَدَعَرْنَا لَهُ وَلَا مُسْتَقَرًّا
 ظَلَّ فِي خَاطِرِ الْمُتَلَحِّنِ مِصْرًا
 وَ(عَلَى) وَرَاءَ مَائِكَ ذِكْرِي
 كُثْمُ الْجِبَالِ جُنْدًا وَفَرًّا
 مِنْ مِصْرٍ تَعْلُمُومَةً وَيَذْخُلْنَ مِصْرًا
 كَلَمَسَ يَشْدُ فِي الشَّجَبِ لَمْرًا
 وَتَسْدُ الْقَجَاجَ كَرًّا وَفَرًّا
 زَحَفَتْ قَانَةُ لِمَزِيْقِ أُخْرَى
 وَرَمَتْ هَهُنَا عِوَاءَ وَطَفْرًا
 رَ، فَلَا حَظَّ يَوْمُهَا لَكَ قَدَرًا

الخلفاء الراشون

الخلفاء الراشدون أربعة
في الذِّكر لم يُعقل لهم حديث
العمران^(١) وابن^(٢) أروى وعلى
خلائف الله أئمة الهدى
كلهمو ابن أمية ويومئ
همم النجوم في سماه غالب
نعمهمو كما نماه فجر^(٣)
معادن الوفاء والاخاء
ما منعوا الله ولا نبية
وما الحواريون خلف عيسى

رُحماة شام وبحار مال
قد كفوا الاسلام في صباه
بالنفس والنفس ائدوه
وأتوا ديك الهوى فصاحا
كلهمو فيه الحبيب الأول
فاسبق إذا الحق دعاستنصرا
ما تحمل النفس على الأشق

حتى جبا الأرض اليهم من جبا
حدث عن الخليفة الخيمس^(٤)
مثل الجواد زانه الاضمار
لا يعقلون في الجباه المسجدا
ومحت أقدامهم التيجان
كسرى يبطن الأرض عطل المفرق

كأرسى في هذا وفي الكمال
فأثم ناذى دعى أباه
وبالقنا والرأى شيدوه
وأمسوا بفجره منصاحا
أعطوه غايات الرضى ونولوا
وكن إذا عد الحاة الخيمصرا
كقائل الصدق وحامى الحق

وملكوا الدنيا فكانوا أمجبا
والمالك الخرق القميص
والشمس زادت حسنبا الأظفار
بل التراب الميك سجدنا
يندبها اللؤلؤ والمرجان
وقيصر يندب تاج المشرق

(١) ابو بكر و عمر . (٢) عثمان . (٣) هو ابو غالب سيد قريش ومن اجداد الرسول .

(٤) العيس الاول ، اى هربا من الدنيا وطلباً للأخرة . (٥) الجماعة .

أخوانه الدهور

حينما قُتِلَ المغفور له بطرس غالي باشا في مصر برصاصة من يد إبراهيم ناصيف .
الورداني في سنة ١٩١٠ هاجت النفوس واستاء كثير من الاقباط لوقوع
الجريرة على زعيم ووزير قبطي ، فأوحت ربة الشعر لشوقي بك ابياتاً في ذلك ولكن
هذه الابيات بقيت مطوية لم تعلن حينئذ ولم تنشر فيما طبع من شعره وهذا نصها :

بنى القبط إخوان الدهور رؤيتكم
سحلتهم لحكم الله صلب (ابن مريم)
سديده المرامي قد رماه مسدود
ووالله لو لم يطلق النار مطلق
قضاء ومقدار وأجل أنفس
نبيد كما بادت قبائل قتلنا
تعالوا عسى نظوي الجفاء وعنده
ألم نك (مصر) مهدنا ثم لحدنا
ألم نك من قبل (المسيح بن مريم)
فهل تساقبتا على حبه الهوى
وما زال منكم أهل ود ورحمة
فلا ينسكم عن ذمة قتل (بطرس)

هبة « يسوعاً » في البرية نأبنا
وهذا قضاء الله قد غال (غالياً)
وداهية السواس لاقى الدواهي
عليه لأودى لجأة او تدأويا
إذا هي حانت لم تتوخر نوايسا
وبقي الأنام اثنين : ميتاً وناعياً
وننبذ أسباب الشقاق نواحياً
وبينهما كانت لكل مغائياً
و (موسى) و (طه) تشبداً النيل جارياً
وهلا قد ينساه ضفافاً ووادياً
وفي المسلمين الخير ما زال باقياً
فقدما عرفنا القتل في الناس فاشياً

الجدّة

لي جدّة تراني بي أحنى على من أبي
وكل شيء سرتي تذهب فيه مذهبي
إن غضيب الأهل على كلهم لم تنسب
مضى أبي يوماً إلى مشية المؤدب

غَضَبَانِ قَدْ هَدَدَ بِالضَّرْبِ وَإِنْ لَمْ يَضْرِبْ
فَلَمْ أَجِدْ لِي مِنْهُ غَيْرَ جِدَّتِي مِنْ مَهْرَبٍ
لِجَمَلَتْنِي خَلَفَهَا الْخَبْرُ بِهَا وَأُخْتِي
وَهِيَ تَقُولُ لِأَبِي بِلَهْجَةٍ لِلْمُؤْتَبِ:
وَنَجِّ لَهَا وَنَجِّ لِهَذَا الْوَالِدِ الْمُتَذَبِّ
أَلَمْ تَكُنْ تَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ إِذْ أَنْتَ صَبِي؟



الهرة والنظافة

مَرَّتِي جِدُّهُ الْيَفَّةُ وَهِيَ لِلْبَيْتِ حَلِيفَةُ
هِيَ مَا لَمْ تَتَحَرَّكَ دُمَيْةُ الْبَيْتِ الظَّرِيفَةُ
فَإِذَا جَاءَتْ وَرَاحَتْ زَيْدَةً فِي الْبَيْتِ وَصَيْفَةً
مُسْعِلُهَا الْقَارُ تُنْقَى الرَّقَّةُ مِنْهُ وَالسَّقِيفَةُ
وَتَقُومُ الظُّهْرَ وَالْمَصْرَ بِأُورَادٍ شَرِيفَةٍ
وَمِنْ الْأَنْوَابِ لَمْ تَمْلِكْ سِوَى قُرُوقِ قَطِيفَةٍ
كُلَّمَا اسْتَوْصَحَ أَوْ آوَى الْبَرَاغِيثَ الْمُطِيفَةَ
غَسَلَتْهُ وَكَوَّنَتْهُ بِأَسَالِيبَ لَطِيفَةٍ
وَحَدَّتْ مَا هُوَ كَالْحَمَا مِ الْمَاءِ وَظَلِيفَةٍ
صَبَّرَتْ رِيْقَتَهَا الصَّا بَوَقِي وَالشَّارِبَ لَيْفَةٍ
لَا تَتَمَرَّنْ عَلَى الْيَمِينِ وَلَا بِالْأَنْفِ جَيْفَةٍ
وَتَعْمُودُ أَنْ تُلَاقِيَ حَسَنَ النُّوبِ نَظِيفَةٍ
إِنَّمَا التَّوْبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مُعْنَوَانِ الصَّحِيفَةِ

أنس الوجود

قفْ بثلَك القصورِ في اليمِّ غَرَقِي
كعداري أخفينَ في الماءِ بَصًّا^(١)
مُشرقاتٍ على الزَّوالِ وكانتْ
شابةً من حولها الزمانُ وشابتْ
رُبَّ تَقشِرٍ كأنما تَقعنَ الصَّا
ودهانَ كلامِ الزَّيتِ مرَّتْ
وخطوطُ كأنها مُدْبِيةٌ رَسَمَ^(٢)
وضحايا تكاد تَمْشِي وَتَرَقِي
ومحاريبُ كالبروجِ بَنَتْهَا
شِدَّتْ بعضها الفراعينُ زُلْفَى^(٣)
ومقاصيرُ أٌبِدَتْ بفتاتِ الدِّ
حظْلِها اليومَ هَدَّةً وفديماً
سَقَتْ العالمينَ بالسعدِ والنَّجْدِ
صنعةٌ تُذهِشُ العقولَ وفنٌّ

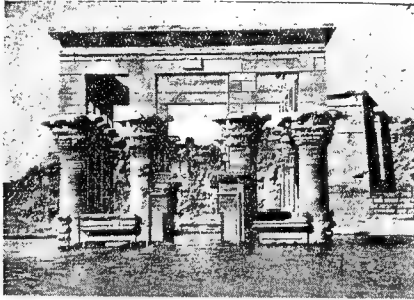
ممسكاً بعضها من الذعرِ بعضاً
ساجحاتٍ به وأبدنَ بَصًّا
مشرقاتٍ على الكواكبِ نَهَضَا
وشبابُ الفنونِ ما زال غَضًّا
نَعْمُ منه اليدينِ بالأُمسِ تَقَضَّا
أعصرُ بالسراجِ والزَّيتِ ومثا^(٤)
حَسَلَتْ صَنَعَةٌ وطولاً وعَرْضًا
لو أصابتْ من قُدرةِ الله نَبْضًا
عَزَمَتْ من عزيمةِ الجِنِّ أَمْنَى^(٥)
وبنى البعضَ أجنبُ يَتَرْضَى^(٦)
مسكٌ ثَرِيحاً وباليواقيتِ قَصًّا^(٧)
صُرِفَتْ في الحُطوطِ رَفْعاً وخَفَضًا
سِرّاً إلى أن تعاطتِ النَّحْسَ مَحْضًا^(٨)
كان إتهانُهُ على القومِ قَرَضًا ١

يا قصوراً نظرتُها وهى تَقْضَى^(٩) فسكبتُ الدموعَ والحقُّ يُقْضَى
أنتِ سطرٌ وتجدُّ مصرَ كتابٍ كيف سام البليّ كتابكِ قَصًّا
وأنا المحتفى بتاريخِ مصرٍ مَنْ يَمُنُّ تَجِدُّ قومهَ صانِ عَرْضًا
رُبَّ مِرِّ بمجانيبكِ مُرَّالٍ كان حتى على الفراعينِ غمضًا

(١) ضا، البض: الرخص الجسد. (٢) ضا: وضاد. (٣) ريم: غزال: (٤) أمضى: احد.

(٥) ذاق: تقريباً. (٦) يترضى: يطلب الرضا. (٧) قضا: جنى. (٨) حمضا: خالفاً

(٩) تنهد.



هيكل اس الوجود

قُلْ لَهَا فِي الدَّهَاءِ لَوْ كَانَ مُجْدِي :
 حَارَ فِيكَ الْمُهَنْدِسُونَ عَقُولًا
 أَيْنَ مُلْكُكُمْ حَيَالُهَا وَفَرِيدُكُمْ
 أَيْنَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَوَاكِبِ تَتَرَى
 سَاقٍ لِلْفَتَحِ فِي الْمَهَالِكِ عَرَضًا
 أَيْنَ (إِيزِسُ) تَحْتَهَا النَّيْلُ يُجْرِي
 أَسْدَلُ الطَّرْفَةِ كَاهِنٌ وَمَلِكٌ
 يُعْرِضُ الْمَالِكُونَ أَسْرَى عَلَيْهَا
 مَا لَهَا أَصْبَحَتْ بِغَيْرِ مُجِيرٍ
 رَحَى فِي الْأَسْرِ بَيْنَ صَخْرٍ وَبَحْرِ
 أَيْنَ (هُدُوسُ) بَيْنَ سَيْفٍ وَنَطْعٍ
 لَيْتَ شَعْرَى قَضَى شَهِيدًا غَرَامٍ
 رَبٌّ ضَرَبَ مِنْ سَوَاطِرِ فِرْعَوْنَ مَغْرَمٍ
 وَهَلَكَ بِسَيْفِهِ وَهُوَ قَائِمٌ
 قَتَلُوهُ ، فَهَلْ لَدَاكَ حَدِيثٌ

يَاسْمَاءُ الْجَلَالِ لَا صِرْتَ أَرْضًا
 وَتَوَلَّتْ عِزَّكُمْ الْعِلْمُ سَمَرُضَى
 مِنْ نِظَامِ النِّعَمِ أَصْبَحَ قَضَاً (١)
 يَرْكُضُ الْمَالِكِينَ كَالْجَلِيلِ رُكْنًا
 وَجَلَا لِلْفَخَارِ فِي السَّلْمِ عَرَضًا
 حَكَمْتَ فِيهِ شَاطِئِينَ وَعَرَمْنَا
 فِي رَأْيَا وَأَرْسَلَ الرَّأْسَ خَفَضًا
 فِي قِيُودِ الْهَوَانِ مَائِنِ جَرَضَى (٢)
 تَفْتَكِي مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ عَضًا
 مَلِكُكُمْ فِي السَّجُونِ فَوْقَ حَضَوَضَى (٣)
 أَهَذَا فِي شَرْعِهِمْ كَانَ يُقَضَى
 أَمْ رَمَاهُ الْوَشَاءُ حَقْدًا وَبُغْضًا
 دُونَ فِعْلِ الْفَرَاقِ بِالْأَنْفُسِ مَعْبَاً
 دُونَ سَيْفٍ مِنَ الْوَاظِحِ يَنْقَضَى (٤)
 أَيْنَ رَاوِي الْحَدِيثِ تَرَا وَقَرَضًا ؟

(١) فضا : مفضوضاً . (٢) جرضى : مغمومين . (٣) حضوضى : جبل في البحر (٤) ينضى : يبل .

رواية عنتره

المشهد التاسع

- ضرقام: سيد الحى
مالك: ألف لبيك - ضرقام
ضرقام: سيد الحى عيلة اختارها القلب
مالك: والمهر يا ضرقام
ضرقام: مهر
ضرقام: قدزه أو خل إلى
مالك: وغايا ما شئنا
ضرقام: المهر يا ضرقام غال
ضرقام: سل تاج كبرى واقترح
مالك: سل مسبعة القيصر أو
ضرقام: المهر فوق ذلك
مالك: لا تخف أن تذكركه
مالك: إسمع إذن! اصبح له
ضرقام: (لنفسه)
له الويل ماذا قال؟
مالك: قد ورجم الفتى
ضرقام: أبا عيلة اذكر هول ما أنت سائل
مالك: جيلت!
ضرقام: معاذ الله ما الجين في دمي
مالك: فلم يضقت ذرعاً؟
ضرقام: مهر عيلة هائل
ألمشى الى الفلحاء أخطف رأسه
كريم لعمري، والكرايم قد اتقنوا
إذا قال بدء القائلين ريشه
فدا الذي أمشى اليه القبائل
شجاع، وشجعان الرجال فلائله
وما بدو في أيكده السيد قائل

هزارُ البوادي طارحته بشجورها رُباهُ وغنت في صدادهِ الخائلُ
وما يبتسنا نارُ ولا بين أهلهِ وأهلِ عداواته خلت وطوائلُ
مالك : وعبلهُ يا ضرفام ؟

ضرفام : ما شأنُ عبلهُ ؟

مالك : أليس رَدّاها في الحِجازِ العفائلُ ؟

ضرفام :

أجلُ وفداها الشمسُ ما التفت الضحى عليها وما رقت عليها الأصائلُ
مالك :

أأنت تخافُ العبدَ ؟

مالك : لم لا أخافهُ وإنَّ أبينَ شدارِ وإنَّ ذائعَ بأشهُ
من العُصبةِ المسطورِ في البيتِ شرهمُ قصائدُهم استارهُ والوَصائلُ
مالك :

فإلكَ مصفراً كأنك هالكُ من الخوفِ قبلَ الطعنِ والضربِ زائلُ
تعال زهيرُ أسمعَ حَسْبناهُ حائطاً زهير :

فأمهو ؟

مالك : ركنُ في العواصفِ مائلُ
وأمْلتُهُ سيفاً فلما لبسته إذا هو مُعوذُ أنكرتُهُ الخائلُ
وقلتُ سغماً ما يُعطرُ الحى في غدٍ فكانَ سجماً ما لنا فيه طائلُ
وقلتُ كليبُ نستطيلُ بصبرهِ إذا هو كلبُ

ضرفام :

وأقسمُ لولا ظليته تحت خيمته ضلُ ما أنت قائلُ
لما رمت إلا مجنةً في الثرى لقي وعُصنُ حوته في المجالِ القلائلُ
مالك : سمجراتُ يا ضرفام غالتك من قبلِ السخبِ العوائلُ

ضرفام : ولكن كما قد ركت لي أنا كائلُ

مالك :

كفى حسبُ يا ضرفام حسبُ وقلحة كئي
تقد قلت قولاً شفاً مما وراهُ فإنت إلا مكثرتُ الزهو خائلُ
وقامت على لؤمِ الشجارِ الدلائلُ

ولا يرفعُ الأبطالُ أنكِ منهمو
وما لكِ كالأبطالِ سيفٌ تمجيلةُ
أُتذكرُ عبدُ السوءِ في كلِّ فترةٍ
أما أنتِ كالفلحاءِ صنديدُ قومهِ !
ألا حسدُ العبدِ؟

ضرغام : لا ا لستُ حاسداً
أحسدُ من يحجى العفاةُ بماله
أحسدُ من لا يعصمُ البيدُ غيرهُ
أحسدُ من يرجى لتأليفِ قومهِ
مالك :

يؤلفنا عبدٌ، أما ثمَّ سيّدُ
إذنْ فليستُنا الحسفَ كسرى وقومهِ
أبعننا عبدٌ ؟ إذنْ نحنُ عزّلُ !
ضرغام :

لقد عيّلَ صبرى للذى أنا سامعُ
مالك :

إذا الصبرُ لم ينقدهُ فما أنتِ فاعِلُ ؟
ضرغام :

عقابُ يُلْسِكُكِ الواحةَ حاجِلُ
مالك :

رويدكُ يا ضرغامُ مالكِ هاذياً
ما العبدُ إلا كالذُخَانِ وإنْ علَا
ضرغام :

تعالِ ! تأهّبِ !

(يمسكُ بكتفيه فيبهزه هزاً)

مالك : كاهل ! خل كاهل !
 ضرغام : أَكَلْبُ زُبْدٍ ذَاكَ أَمْ ذَاكَ كَاهِلُ ؟
 زهير (صائحاً) :
 هَلُمُّوا مَرَاةَ الْحَيِّ هَاتُوا رِجَالَكُمْ
 مالك : أَلَيْ فَعْبَسَ فَاجَأَتْهَا النِّوَاذِلُ !
 مالك : يَا عَبْسُ
 (ويرى عنتره قادماً فيجري نحو المي هو وابنه زهير)
 عنتره ؟

المشهد العاشر

عنتره (من وراء الستار) : لبيك ما بكم ؟
 خوف من السيل أم خوف من النار ؟
 الله ! أَمِنْ بِالْفُلْجَاءِ مِرْبُوكُو
 أُنْفَى الصَّرِيمِ وَلَيْتَ الْفَقْرَةَ الضَّارِي
 (يظهر عنتره)

المشهد الحادى عشر

من الفتى من أرى ؟ ضرغام أنت مهنا !
 أفاضة ؟ أين عهد الجار الجار ؟
 أجيئت تسي مهاني ؟
 ضرغام : جئت أخطبها
 عنتره : ما أجل الصدق لم يلبس بإنكار
 فما جرى ؟
 ضرغام : نال منا مالك وبقي
 حتى انصرفت اليه كي أودبه
 عنتره : ياليت أذبت أذيب جبار
 ضرغام
 ضرغام : عنتره

عنتره : اجمع بيننا شرك
فاجعل لنفسك أنى غيرها أربا
ضرفام :

وأنت فاعبد سواها إني رجل
تعال نذهب الى شمس النهار معا
فا ترى أنت ؟

عنتره : رأي أن نصير إلى
رأسى ورأسك فى الميزان قد وضعا
من مات مناقضى حق الهوى كرم
ضرفام :

رأيت عنتره رأيا لست أتبعه
والله لا جعنا ساحة
عنتره : لم لا ؟
ضرفام :

هبنى قتلتك

عنتره : ماذا ضر ؟

ضرفام : كيف إذن
ألست شبلا فتية من شبولتها
وكيف أفلق رأسا ملؤه شرف
وكيف أضرب عنقا فى أمانتها
وكيف أرمى لسانا طلالا سقيت
عنتره ينادى : يا عبل

عبل (من وراء الستار) : لبيك يا ابن العم



توقى الشاعر

هذا شاعر نبه الجيل باسمه ، وعقد شعره على جبين مصر تاج الزعامة في الشعوب العربية ، وكانت قصائده بالألمس القريب متطلع أدباء الشرق ومرقب كتابه وشعرائه . شاعر تهاى له من أسباب الشعر ما لم يتهى لغيره ، وحبته العنايات بما لم تحب به شاعراً عربياً قبله من مواهب فنية خصه الله بها ، وحظوظ سعيدة مقدرة سميت به الى منزلة سامقة من المجيد وذروة شاهقة من الشهرة والصيت الدائم .

ولقد عبر شاعرنا محيط الحياة بين عبرى الميلاد والموت محوطاً باعجاب الكثيرين من الخاصة والعامة ، وشهد بعينه تألق بحجه في سماء البيان ، وهو ما لم يتح لأفذاذ الأدباء والفنانين في هذا الشرق العريق في أدبه وفنه . وبلغ بيع بعض الصحف في مصر منذ سنوات قلائل أن خصت كل قصيدة يختصها بنشرها بمائة من الجنيهات ، وذلك ما لم نسمع به أيضاً من عهد ملوك العرب حتى في أوساط الغرب الأدبية وهي التي لم تضن على العلم والأدب والفن بالجليل من التقدير الأدبي أو المادى .

ولقد عجل القضاء بشوق الى نهاية كل شئ وهو لا يزال ينفع الأدب بنفحات شعره ، وحطم الموت براعه وهو بمسك بها بين قرطاسه ومجبرته في فترة مرض غير رفيق وضعف شيخوخة ما كدراً من صفاء تلك القرحة اللامعة ، ولا خدشا مرارة ذلك الدهن المشرق الوقتاد .

وفوجئنا بنميه بعد أيام قلائل جلسنا وإياه على مائدته في رفقة من صفوة أدباء مصر نتحدث في شؤون الأدب ونمدد للشعر مستقبلاً ذهبياً الاحلام ، فراعنى نعيه وجزعت لمصابنا فيه بعد أن فقد الشرق به وبمحافظ ألمع كوكبين في سماء الشعر انكسدا متعاقبين قبل أن يتم عام دورته .

ورحلت أسائل نفسي: « هل أدى شوقي رسالة الشاعر الى عصره ؟ » ذاك سؤال أحاول الآن أن أضع جوابه في حيرة رجعت بأسبابها الى قصر الزمن الذي مضى على انقطاعه عنا ونحن الناس نتأثر بحياة الحى الزائل ولو إلى حين ، وقد تلابسنا من حياته الماضية القريبة أحوال يكون لها في أحاديثنا وكتاباتنا أثر لا تقطن إليه اليوم وقد لا تقرأ أنفسنا في الغد على ما أصدرناه من أحكام واستسغناه من آراء .

رجال الأدب في مصر لا يزالون في مضطرب أفكار لا تعرف هديها الى ما تصبو اليه من المثل العليا ، ولا يزال معترك الجدل حامى الوطيس بين دعاة المدرستين الحديثة والقديمة بل بين أنصار المدرسة الواحدة في تعريف مقاييس الشعر وتكييف صوره وتحديد ألوانه .

يبد أنى أدفع برأى غير فطير بحماه شعور برىء أقرت أحكامه دراسة ترجع الى أدب لا يتعصب لتقديم ولا لجديد .



من دلائل الشاعرية في الشاعر إفصاح بيانه عن فكرته ووضوح مراميه في شعره وأداء الفاظه لمعانيه أداءً وافياً لا اضطراب فيه ولا غموض .

فاذا وفق الى ذلك كله في أسلوب رشيق وديباجة صافية وسياق مرتب فهو شاعر بطبعه وسليقته .

وكان شوقي رحمه الله أقدر شعراء عصره فما ظفر بمعنى جيد الا وأفصح عنه بالفاظ مختارة تقع في الأذن موقع النغم الساحر والصوت الرخيم . فاذا ما كان المعنى مبتكراً رائعاً فقد نفذ بأنغامه وموسيقية بيانه الى قرارات النفوس وشغاف القلوب وهذا ما لم يتوفر في شعره كثيراً .

وديباجة شوقي أشرق ما تكون حتى لكأنك تقرأ المختار لفحول شعراء الجاهلية والاسلام ، وأسلوبه جامع لحسن الاساليب الشعرية البديعة وإن لم يبلغ شأو البارودي في قوة الحبك ودقة الأحكام .

يرسل شعر شوقي في سبعة جداول شعرية: ^(١) شعر المديح والثناء و ^(٢) شعر الحب و ^(٣) الشعر الوصفى و ^(٤) الشعر الاجتماعي و ^(٥) الشعر التاريخي و ^(٦) الشعر الدينى و ^(٧) الشعر القصصى . وعمر على شعر المديح لأن الشاعر انقطع عنه من أمد بعيد

وليس فيه ما هو جدير بالدراسة أو النقد، وإن حوى ألواناً من الوصف والغزل والنسيب .

أما الرثاء فقد أجاد شوقي فيه وأبدع، بل لا أعددو الحقيقة إذا قالت إنه المنفرد فيه منذ كان شعره عربى إلى اليوم، أما شعر الحب فهو شعر تصبغ له النفس ساخطة وتشارك الوجدان في استهجانه والنفرة منه، والحق أن شوقي بعيد عن الحب بعد الباطل عن الحق وليس في بعضه إلا القليل النادر الذى يترسل مع النفس ويرضى به الوجدان، وهو لا يعد في شعره إلا بنسبة الماس إلى حجارة الأرض. أما شعر الوصف فبعضه شعر تمجيد والبعض الآخر شعر تقليد تغلب فيه الصنعة ويبدو التكلف واضحاً جلياً . ومن الغريب أن تمجد الشاعر في هذا الباب صورتين مختلفتين كل الاختلاف : إحداهما تمت ببياناتها وألفاظها إلى الشعر العربى القديم والاخرى تتجه بمعانيها إلى الشعر الغربى، وقصيدته في شكسبير جمعت الصورتين فجاءت آية من آيات الشعر العصرى الحديث . بيد أن شوقي لم يوفق مرة واحدة في وصف صورة من صور الطبيعة، وهى في رأيي ينبوع صفاء الشاعرية وروحانياتها والمعين الذى لا ينضب للجمال والمهم الخالد الفن الذى يحدد بريشته وأصباغه شباب الحياة ويملا كتابها من سحره وفتونه وعبقريته خياله، وترى في قصيدته وصف الربيع أو غيرها ما لا تهتز له نفس زاولت مهنة الحياة الشعرية وشغفت بالفن والجمال .

أما الشعر الاجتماعى والشعر التاريخى فتفوقه فيها تفوقه في شعر الرثاء، وقصيدته في صدى الحرب العثمانية ويربو عدد أبياتها على الثلاثمائة من وزن وقافية واحدة تعد من معجزات الشعر الحديث . وهى ملحمة رائعة تفيض بشقى مظاهر الحماسة والوطنية والخواجج الانسانية في بيان متين ومعان سامية وألفاظ تسيل ماء وتوج ناراً .

أما قصائده في التاريخ فلا أرى شاعراً لحق غباره فيها وقصيدته في حوادث النيل أو سينته الاندلسية أو قصيدة النيل أو غيرها تتحدثى الزمن بخلودها . أما الشعر الدينى فقد كان لشوقي فيه تفحات طيبات وآيات رائعات وكثيراً ما ضمن شعره في مناسبات جميلة إيماناً قوياً بما أنزله الله من أديان وشرائع وكفى بحمال السيد المسيح وتمجيد رسالته من حب وسلام وإخاء، وأرى أنه بز الأباصرى في قصيدته نهج البردة وله في ميلاد النبي (صلى الله عليه وسلم) قصيدة رائعة المعانى تفيض بموسيقيتها ومعانيها جلالاً وجلالاً وزهادة وتصوفاً .

ويُمدّ شوقي الشاعر الموفق في هذا النوع من الشعر مما يدلنا على صفاء قلبه وقوى
إيمانه . وأما شعره القصصى فلى فيه رأى وهو أن شوقي وإن كان من البادئين
بوضع الحجر الأول في هذا النوع من الشعر في لغة العرب إلا أنه اتجه ناحية
واحدة فجعل ينضح من أثناء التاريخ دون غيره فأخرج لنا كليوباترا وقيز وعلى بك
الكبير ومجنون ليل .

وأرى أن هذا النوع من القصص لا يفيد كثيراً في ترقية مستوى الشعر العربي
ولا يكسب الأدب مادة قوية ولا يعد من نقائص التأليف ، وأرى أن الشعر القصصى
المشود ذلك الذى يستقى خياله من نبع الحياة ويستمدّ وحيه والهامه من حوادث عصره
وأخلاق ناسه ومصور حضارته ، غير أنى لا أعمط شوقي فضل نبوغه في هذا المضمار
ولا انقص من عظيم جهده وكفى أنه فى طليعة من وضعوا القصة العربية شعراً وفى
مقدمة من أخرجوا الرواية من سفر التاريخ .

وأرى أن شوقي قد أدّى رسالة الشاعر الى عصره بقدر ما هبأه الله وأتاح له
ذكاؤه وأدبه وعلمه وشاعريته . وإن قصّر شوقي في بعض النواحي الشعرية كما أسلفنا
القول عنه فجاءت دواوينه الثلاث خلواً من شعر الوجدان فهذا لا يقوّت عليه
حسناته فيما بقى لنا بعد ذلك من شعره . وحسبه أن يكون شاعر الاجتماع أو التاريخ
فهذا رديرد كيلنج شاعر الامبراطورية البريطانية لا تحمد الانسانية في شعره ظلاً
تفقيّه أو نبعاً تبل من مائه صدى أحشائها ، شعره لا أثر للوجدان ولا للعاطفة
الانسانية فيه ومع هذا فهو شاعر الامبراطورية وحامل جائزة نوبل . فما لنا اذن
نستعدي على شوقي الأقلام وليس من شوقي كثير لدينا ؟

أجل ، كان شوقي مقلداً فى بعض شعره ولكنه كان منتجاً وقد أردناه أن يبدل
نهجه في الشعر ويبدأ من حيث بدأنا نحن ولكننا لم نذكر أننا ابتدأنا من حيث انتهى هو !
لقد أدّى شوقي رسالته الى عصره غير مقصّر ونفض راحتيه من هذه الدنيا ،
وأنتم رحلته في الحياة ، فليؤدّ كل شاعر منكم رسالته ولتكونوا مخلصين للأدب
والفن فإن في أعناقكم أمانة القادة فوجهوا الجيل إلى الكمال وأنبتوا منه لمصر نباتاً
صالحاً ناضج الجنى طيب الثمر ؟

على محمود طه

للهندس

شوقي وأنداده

إذا كان الشعر حسب تعريف ليخ هنت هو موسيقى وإقناع وخيال وصور فهل هذه الأوصاف جميعها في شعر شوقي؟ وهل هو شاعر كامل؟ وما نصيب مطران من هذه النواحي؟ ثم ما نصيب حافظ أيضاً؟

أولاً ما هي الموسيقى في الشعر؟ إن أول ما نصف به شعر شوقي أنه موسيقى وأول ما نصف به شعر الزهاوى مثلاً أنه لا موسيقية فيه. فما معنى هذا؟ ذكرت إحدى الجرائد الفرنسية مقارنة بين شوقي وبول فاليري شاعر فرنسا الأكبر في العصر الحاضر، وذكرت هذه الموسيقية، وهي على حق. إن شوقي وفاليري اتفاقاً في هاته الصفة، ولا أعرف شاعراً سبقهما في ذلك غير بودلير. هذه الموسيقية هي البراعة في اختيار اللفظ، وانسجامة ليؤدي المعنى المطلوب. قرأتُ في ما كتبت لشكسبير سطرأً تقولهُ اللادي ما كتبت ويدها ماثلة بالدم، فشعرت أن روحها تهبط وتعلو كعاصفة، شعرت من هذا السطر بنفس مجرمة تتنازعها الأهواء. وشعر حافظ موسيقية فقط، والثلاثة الباقية: الإقناع والخيال والصور غير موجودة، ومطران لا يُمْنى بالموسيقية كثيراً، ويعنى بالخيال والصور.

والموسيقية من حيث أنها تحتاج إلى اللفظ والصياغة والانسجام، فهي إذاً في حاجة إلى الألفاظ العظيمة باللغة، هذا إلى ذوق خاص لا يمكن اكتسابه بسهولة وإلى أذن محسن الاستماع وتمييز الانغام!

ولا بدع أنه ليس من موسيقية في اللفظ كموسيقية القرائن.

أما الإقناع، فهو قوة خاصة في الشعر، بحيث يضطرك الشاعر إلى متابعتها، وإلى السير وراء رأيه والإيمان به، ويملك عليك مشاعرك، بدون أن يملكك، أو يشعر أنك لا تقودك، وأنت تتبع ساحراً جباراً لا خلاص لك منه.

ولعل المثل الأعلى في ذلك هو الشاعر راسين. أما شوقي فقد كان على جانب كبير من هاته القوة، وإذا اقتنع هو نفسه، وراح يدافع عن قضية هي جزء من حياته أو حياة أمته، وراح يصف شيئاً له في نفسه مكانة، فإنه أحياناً يبلغ الذروة، ويصعدك معه، إلى حيث تقتنع بما رأى وتؤمن بما حدثك عنه.

اما الخيال ، فهو الناحية التى قصر فيها شوقي ، وأبدع فيها مطران وانعدمت من شعر حافظ ، ومن الخيال ما يسمونه باللغة الانجليزية *Fancy* وفى هذا محمود شكسبير ويمتاز أو لا يثق له غبار ، ولا أدرى مقاربا له فى الادب العربى الا فى قصيدة شوقى حيث يخاطب توت عنخ آمون شاعره بنتاً وُر ويشكو له ضجة الموسيقى حول قبره :

مصر الفتاة لم توقر جدّها دقت وراء مضجعى جازبندّها
فهذه الروح الساخرة التى يداعب بها توت عنخ « حفيدته » مصر ويشكو بها ضجره لانها تضرب جازبندّها خلف قبره - هذه الروح التى تكسو الحبيب ، او البطل الذى تتكلم عنه ، ثوباً من السخر الرقيق - هذه قليلة ، قلة متناهية فى الشعر العربى ، كثيرة فى شكسبير وكولردج وبيرون . على ان الخيال واطلاق العنان للتصورات العالية لا للاستعارات والكنايات اللفظية كثير فى شعر مطران ، يزخر به ويعمل الى آفاق هائلة . اما حافظ فلا خيال له وذلك لحرصه على الموسيقى فقط ، ولعدم الماهية بالادب الغربى .

اما الصور الشعرية فقليلة كذلك فى شعر شوقي : نعى بذلك انك تقرأ قطعة للشاعر فلا تملك الا ان ترى الشيء مرسوماً أمامك بوضوح مجسماً قوياً بارزاً . وشعر شوقي الاخير موفق فى ذلك ، فظاهر فى شعره المسرحى . أما شعره الاول فى المدح وفى الغزل الذى يبدأ به قصائده فهو بالطبع ألفاظ مرصوفة مصوغة لا تؤدى صورة ولا ترسم شيئاً . والمشهور عن شكسبير ان الفرق بينه وبين غيره من الشعراء ومؤلفى الروايات المسرحية ان كل لفظة ترسم صورة ، فما بالك بالسطر او بالقصيدة ، واننا فى اذهاننا نحترن ألفاظاً وهو يحترن ويرز صورا واضحة قوية ويقول اكبر نقاد المسارح ان المؤلف المسرحى الذى يملأ روايته بالالفاظ التى ترسم الصور بسرعة فى ذهن الجمهور هو الذى يظفر باكبر قسط من النجاح .

وهذه المرة كانت على أتمها فى شعر ابن الرومى : خذ مثلا قصيدة حريق بغداد ، وفى شعر البحرى احياناً : كقصيدة الايوان . أما مطران فى شعراء العربية فهو ممتاز فى هذا : فله قصائد منفردة مقطعة النظير فى الصور ترسمها وتنقلها الى الازهان . خذ مثلا قصيدة فتاة الجبل الاسود ، أو قصيدة الجنين الشهيد .

فانت ترى في الختام ان شوقي تميز بكثير من صفات الشاعر الكامل، ولومدته
الله في أجله واستمر في المنهج الذي انتهجه أخيراً لبلغ مدى لا يُجارى . وبارك
الله في مطران ، وفي أدبه المشرق العالى المطبوع بطابع الخلود

ابراهيم ناجي



جولة في أدب شوقي

قد تقسو الحياة على الأديب فتلفظه وتثد من نواحي عبقريته : ذلك بأن كل
ذى نعمة محسود ، والناس أعداء ما جهلوا فلا يزال ينتقل في سر من الحياة على غير
مسمع من الناس يتبرم بالحياة ويزهّد في الدنيا ويتهم الفضيلة ويتجنّى على الأدب .
فاذا أراد نفسه على الوصف لم يجد منها غير مرآة صدئة ونفس لاغية وخيال لا يتراهى
غير أشباح مبهمه . فاذا انتقل إلى المدح لم يجد خلافاً حسناً بين القلوب المدخولة المشحونة
له على حقد فباتى بالتكلف المسترذل . والجانى عليه في ذلك يبيته وجفاف الثرى بينه
وبين قومه . على هذا النحو درج الالوف من الادباء وقضوا فما نبه لهم ذكر ولا
عظم لهم خطر .

وقد يولد الأديب في بيئة رافهة ناعمة لا يتصل بذنابى الناس وأوشابهم فاذا
تناول يؤس الحياة وضغطها زل إلى الجحّة لا يهتدى إلى مناطقها ولا يسر غورها
وعزت عليه الحقيقة ونضب أمامه الخيال . وهكذا تستطيع - لو حاولت - أن تتلصص
للشاعر مهما سممت منزلته سقطات وهفوات بل نواحي مبتورة لا يعضى فيها الجيد
في غيرها حتى يكون ناعماً متشاعراً .

أما شاعرنا فقد مطيع على غرار خاص ونشأ نشأة متباينة المنازع فواته التوفيق
من يوم مدرجه ، وأتاه التوفيق لأنه كان أديب الخفاصة بل ميمر الملوك والاقبال
فنبت كما نبت ابن المعتز : بديع الوصف ، رائع التشبيه ، سامى الخيال ، شريف
العبارة ، جيد الأسلوب ، متين السبك ، تحس حين يطالعك شعره أنك في حضرة
العظيم . يظهر لك ذلك بوضوح حين يذكر السيدة مريم طريفة قومها فباتى إلا أن
يجعلها خيالاً السامى في صولة ودولة وحاشية لا يمجدها لغير الامراء والملوك إذ يقول:

» ضربت في طول الأرض وعرضها ، يوسف حاديا وجبريل هاديا ، والقدس ناديا ، والطهارة أرجاء واديا « . وتراه في نجائه لأبي الهول يتصور فيه سيمر الدهر ونديمه ومناجى المصور حيث يقول :

أبا الهول أنت نديم الزما نر نجى الأوان سيمر العصر

ولو رجعت البصر في رائيته في الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد رأيت من شوق عظيم يستعرض أعمال عبد الحميد استعراض من يحاسبه على أعماله في عتب عليه كأنه ندم له في جلاله وجبروته بعد أن قدم لعبته هذا وصفاً ليلدز قلما يتفق لشاعر مثله .

شاعرية شوقي

ومن ينكر على العظيم عبقريته ويمجد فضله وقد نفخ في الشعر من روحه وأمدّه من وحيه فيقظ الأدب العربي ويخلع عليه خلعة غريبة موشاة بثقافة جامعة فكان الابن المتحضر البار الذي أرضى القديم وأنصف الجديد فشمّر شوقي صورة ناطقة عن عبقرية مخلده . كثرة في إجادته وإبتكار المعاني المجددة مع إصابة الرأي في كثيرها . وهو في قوله مصور بارع يتابع الوصف متمهلاً مترقفاً في موضع الرق ، ولا أدل على ذلك من شعره الفنائى الذى يكاد يسيل له صلبه المعواطف وتنبأ له الجوالح مما سار وتناقله الناس وتغنوا به وهو رقيق في عتبة حزين كل الحزن في رثائه كأنما يواسيك بأفلاذ قلبه فتراه يناجى اسماعيل باشا صبرى نجاة تحسّ فيه باللوعة يضطرم نارها في قلبه يستحلفه فيها بعهوده القديمة وعوارفه إذ يقول .

قل لى إسابقة الوداد : أقاتل هو حين ينزل بالفتى أم شاف ؟

وتراه يأتى على ذكر العلة التي اتبته حين يقول :

لجّت على الصدر الحبيب وبرحت بالكالم الغيظ الصفوح المافي
ما كان أفتى قلبها من علة علقت باكرم حبة وشفاف
ذلك ما تحسّ به في وجهه على أديب رثيد له .

وتراه يشتد في موضع الشدة فيخرج لك صوراً حسية تكاد تلمسها باليد : صوراً لها قوة الأخذ ومتين التناسق والترتيب . ولا غرو فالعقل الراجح والسطيع الملمهم والنمك من القريض كل أولئك كانت عوامل مجتمعة على موافاته بالحكم الرائمة وبث الحمية واستنهاض الهمم في أسلوب راقٍ ممتع .

أذكرُ له إن شئتَ مثال التضحية وكيف أنها أساس الحرية وبها توطد العروش:
تاجُ تَرَى فيه إذا قَلْبَتَهُ جُهْدُ الشَّرِيفِ وَهَمَّةُ الصَّغُولِ
خَرَزَاتِهِ دُمُ أُمِّ مَهْضُومَةٍ وَجُهْدُ شَعْبٍ مُجْهِدٍ مَنُهِوِكٍ
وتراه يبدع في ضرب الامثال للجاهل الاحق إذ يقول:

يَاطِيرُ وَالْأَمْثَالُ تُضْرَبُ لِلْيَبِّ الْأَمْثَلِ
دُنْيَاكَ مِنْ عَادَاتِهَا إِلَّا تَكُونَ لِأَعْزَلِ

وما أحرصه على أن يكون باحثاً عن الحقيقة ولكن في مناط العقل، فتراه في
وصف نابليون يبالغ ولكن في احتراس إذ يقول:
كَدَّتْ مِنْ قَتْلِ الْمَنَايَا خُبْرَةً تَعْلَمُ الْأَجَالَ أَيَّامَ مَحِينٍ
وإذا كان لنفس الشاعر خطرات وجوح تند عن الحقيقة وتعجب بالخيال لأنه
الخيال فقد كان الرجل كأنما أعجب بقول القائل:

وَأُخِفْتُ أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّى أَنَّهُ لَتَخَافَكَ النَّطْفُ الَّتِي لَمْ تَخْلُقِ!
فكان عند هذا الخيال الشارد يجاريه بقوله:

تَعْلَمُ حِكْمَتَهُ الْحَاضِرِينَ وَتُسَيِّعُ فِي الْغَائِبِينَ النَّطْفُ!

شوقي الأول

وما كان التقيد ليجمع نعمة تقلب في اكفافها وجر مطارفها في قصر مولاه .
وما كان ليرضى بولائه له كسائر رعيته فحسب دون أن يصوغ له بُرْدُ النِّسَاءِ في كل
مناسبة ، بل رأى أن يقف شاعريته التي كفها مولاه وأحاطها بحدبه ورعايته على
البيت الكريم وآله .

وما كان لشاعر مهما سمت يبيته وزكت أرومته أن يتخذ لوناً واحداً في معظم
شعره يستطيع فيه أن يرازم ويباين في عباراته ويحدد في أساليبه حتى يأخذه الأبن
ويعبأ بما أخذ . أما شوقي فقد خضع لهذه النظرية على الجمل في دوره الأول
ولكنك تحس بروح عالية وعبقرية وفيه تطالعك في شذرات تقدّر فيها ملسكة
الشاعر وتوهم لهذا الشعر اليافع حياة أحفل وأروع . ذلك اللون من النقاء والمدح

والوصف الراقى الذى قدّمته لك قد انتظم الجزء الأول من ديوانه فى جل منظوماته
إذ كان يتلمس لها السبيل ويستطرد إليها فى كل مناسبة .

شوق الثانى

حتى اذا تطور الزمن وعصفت بالبلاد هوج الحوادث لفتت فيما لفتت هذا
الشاعر وكان ذلك بداية فتح جديد لشوق الجديد .

على أن ذلك الشيخ الشاب انما كانت تسعده الحوادث ويمده حدثان الدهر فى
أخريات أيامه . وتلك فرص إن كانت لم تواته فى مستقبل حياته فانها أملت له حتى
يستجمع قواه ليخرج لنا درر المنظومات ومنظومات الدرر موسومة بطابع جديد
يتلاءم مع نهضة فكرية علمية ، فسا كان لشوقى الموالى للبيت الكريم وآله أن يظل
قائماً مع مجتمعه والزمن يمر من حوله سراعاً دون أن ينزل منه فى المعقد والإزار .
بل آثر أن يرحل فى جناب الأدب الحبيب ، فتفتت ما شاعت له روحه الفياضة وما
عنت له شاعريته حيث كانت تدفعه بعنف إلى مطابقة الحياة فى ألوانها ، وإلى موافاة
كل حدث جَلٍّ أو صغر بمخاضات نفسه ووحى وجدانه وشعوره الحى نحو نهضة العالم
عامة وأمتة خاصة ، فترى له طاقات ومجاميع من ثغرات قلبه فى المؤتمر الشرقى الدولى ،
فى مشروع القرش ، فى تخليد ذكرى الدرويش ، فى نهج توت عنخ آمون ، فى خلع
السلطان عبد الحميد ، فى الدستور الجديد ، فى مؤتمر الائتلاف ، فى كل لون من
ألوان الحياة التى لا يستوعبها الحصر .

وما كان للشاعر المفرد أن يكثر كل هذا الاكثار فتكثر عليه المآخذ وتتخلف
بالرغم عنه سواقات فى مجلته هذه ويكون من التاريخ موضع البحث والتحصيل لولا
أن التقيد لم يشأ أن يتخذ العالم فى شاعريته وأن يحتجن دون الناس ما هم
فى مسيس الحاجة اليه نفاذ غمار الأدب مدججاً بالعزيمة مليئاً بالنقطة من نفسه
يحاول أن ينهض بالأدب وحده ويؤثر أن يتحمل أعباء طوره فكان عصره حافلاً
بالأدب وحده .

نثره أخيراً

على أن ربّ القريض أنف أن يصكون صاحب راية القريض بينما تحقق الراية
الأخرى فى المُنوّة الثابتة لغيره . كبر عليه ذلك فرأى أن يسلح بابه ولوجاً مصائباً

وارتاح إلى ثرائه وذبوع شعره وإشادة الدنيا بذكره فاستمدَّ المعونة من قريبه المنوره وآتى بشذرات صاغها اسقاطاً وفلائد، وهي وإن كانت في جهرتها قوية حفيّة بالاكبار إلا أنه كان يركب أحياناً متن الاعتساف فترى الماء الصافي السلسال الذي تتذوقه في شعره يكاد يفيض ، وترى تقاراً بين مسجوعه في قوله في الموت :

« وإذا الملك والسوقة سواء . حقيبة المنية كل يوم في ركاب ، من مناكب ورقاب ، تحمل الشيب والشباب الى رحي البلى في اليباب ، فيدور عليهم الدولاب ، فاذا حمى وتراب ا »

حفله بالحوادث التاريخية

أما اضطلاع الرجل بالتاريخ والمآمة بالعلوم فكانت جل عنايته في شعره ونثره فتراه يطالعك في مستهل قصيدة بقوله :

الله اكبر كم للفتح من حجب يا خالده الترك جدد خالده العرب
وتراه ينتقل في موضع آخر يذكرك بمحدث يوشع وشمسه بقوله :

قني يا اخت يوشع خبرنا أحاديث القرون الغابرينا

ثم هو في موقف آخر يبيع للعالم الضليع البحث والتحصيل ، يشبهه في ذلك بأهل بدر حيث يقول : « والعلم بدرى أحل لأهل ما يصنعون » .

ولم يلس أن يفترق من التاريخ الحديث ما يضمنه شعره المحدث حيث يقول في رثاء نابليون :

حول استرليز كان الملتقى واصطدام النسر بالمستنصرين

ذلك ما نعدّه مغلداً للتاريخ وما نعدّ التاريخ مغلداً له من ناحية أخرى .

إلا أنه قد تمجّس الشاعر بشوّة في نفسه وخز ضميره تناله منها اللوعة والحسرة فتميّض نفسه بالحوادث يستروح بها في كلامه ويخفف من لوائحه فتراه يسرف في ذكر سلسلة منها للشئ الذي يتناوله حتى ليداخلك الشك أنه موكل بذكر فذلك تاريخية لهذا الشئ ، وما ذلك إلا نقشة المصدور وزفرة المليء . فتراه يسرد لك في وصف قناة السويس بعد مطلع بديع شيئاً عن اسماعيل والنقاء الأحمر بالأبيض وموسى الكليم ويوسف وروح الله والعذراء والاسكندر وعمر بن العاص ونابليون . وتراه في موطن آخر يسوق هذا الحشد حين يأتي على مناجاة الأهرام يقول : « في هذا الحرم

درج عيسى صبيًا ، ومن هذا الهرم خرج موسى نبيًا ، وفي هذه الحالة طلع يوسف كالقمر وضياءً ... »

مسيرته

عرف الناس في شوق الشاعر النابه المجدد فذهبوا يلهجون بذكره وبكبرون شعره ونثره حتى ذهب بهم الغلو الى حد تقديسه وتمجيدها وكلما طالعهم بقول عذوه نسيج وحده وبهرتهم جدته فأنتهم قديماً قيلَ وراعتهم صَبَوةُ الانتصار لشوق فرانت على قول غيره من الشعراء السابقين . وما كان ذلك إلا حافظاً للرجل يهيب به إلى الدأب والاجادة ليحقق للتاريخ ما أشاد به قومه ، فأخرج الغريب من الروايات المسرحية مما عُدَّ مفخرة العصر الحديث ورأى أن قد سبقه الى فكرته سيد القريض الشاعر الضليل وقفى على نسجه شاعر الحب والغزل ابن ابى ربيعة وترسم من أتى بعدهما طريقهما . رأى ذلك ثروة حازت الإعجاب فجعلت لهم ناحية مفردة في التاريخ فعمل على أن يضيف الى هذا التراث ثروة خصبه حضريه عصرية فاستعدى على المجنون شاعريته وخياله ترمّمه في أن يخرج من شعره الخالد قصصاً تمثلياً مفرداً في بابهِ فكان قريضاً أرضى المجنون برصانته وجدته وكثرة مائه ، وما عثم أن تابع ذلك برواية قبيز التي قامت لها قيامة النقاد . فلم توهن من عزيمته فأخرج رواية عنتره وأميرة الاندلس وما كان حين أخرج مصرع كليوباتره أو على بك الكبير إلا مخرجاً للقصص الدرامية في مغزى رائع التأثير أخاذ بالنفوس .

تفاعله الأدبي

قلما ينبه العظيم فيُسعدُ الأمة بنباغته ويسعدُ هو على حساب ثروته إلا أن يكون فوق اجادته لما أخذ به نازلاً من أهل الادب عند ما يرضى الناس والادب ، وذاهباً مع الساسة والمفكرين بما يرتاح له الفكر وتصبوا اليه النفس اذا فئنت في حب الوطن . وما كان أخلق شوقى أن يكون ذلك الانسان فقد سعد لا بالثراء يحوز منه الكثير لأنه ما طمعت نفسه إلى ثراء المال وحده بل ليكون رب الدولتين ، وكأننى بروحه الجياشة بالأمال وبهمامة نفسه التى ما فئت تلج به ان يكون فوق ما يمكن ان يكون تدفعه دفعا الى العناية التى لا يقدر مناطها غيره فما وجدناه متظامنا مرثاحا لما وصل اليه من إمارة لدولة الادب فى جميع ألوانه ، وما قنع الناس منه على ثرائه وجدته بما أخرج لأتهم راوا فيه معينا لا ينضب فسعدوا وسعد ، وما أدوم سعادتهم وما أخذ سعادته

محمد رزق الرهشاني

احمد شوقي

ذكريات^(١)

لقد يكون من مفاخر حياتي الصحفية أني لقبت احمد شوقي بك في سنة ١٨٩٩ على صفحات «الاهرام» وأنا حديث العهد بتحريرها بأمر الشعراء ووصفت قصائده «بالشوقيات»، وكانت «الاهرام» يومئذ الميدان الوحيد لخياله الراق. وكان المرحوم صاحبها بشاره تقلا باشا الذي رثاه احمد شوقي بالبيت المشهور الذي ذهب أحد شطريه مذهب المثل: «رجل مات والرجال قليل» من أكبر المعجيين بشوقي وبشعره وبذكائه وحصافته.

ولا أدعى جواز اطلاق هذا اللقب على شوقي أكبر شاعر في عصرنا على ما اعتقد وقد يكون أكبر الشعراء في المصور الخواي أيضاً لأنه جمع بين الحضارتين القديمة والحديثة والأسلوبين العتيق والجديد ووفق بين الطارف والتلديد. ولكن متابعة الكتاب والادباء للاهرام في ذلك حتى اليوم أعطت للقب مكانته وأحلتها المحل الذي أريد منه وأريد له وكذلك وصف قصائده، ولما ظهر حافظ ابراهيم بشعره الرائع أطلقت عليه «الاهرام» لقب «شاعر النيل» فأقر الكتاب والصحف ذلك اللقب، ولا أدري من الذي لقب خليل مطران بعد ذلك بشاعر القطرين وامام الصناعتين ولكن أدباء تلك الأيام وشعراءها كانوا يضعون احمد محرم في هذا الصف صف الثلاثة، وكان المرحوم اسماعيل باشا صبرى الذي كانوا يلقبونه بحق وصواب باستاذ الشعراء يتغنى بشعر هؤلاء الاربعة ويطيب له التحدث عنهم، وإذا نظم أحدهم معنى مبتكراً يهتز له طرباً ومهزاً به مدحاً وترديداً. وكان يقول إن شيطان الشعر يحلق بشوقي حتى يغيب عن مداركنا وخيالنا. أما السبب الذي دعا الى تلقيب احمد شوقي بأمر الشعراء فهو أن الخديوى عباساً كان يهمل شوقي بعض الاهمال لاعتقاده، بل لأنهم أدخلوا على نفسه، أن احمد شوقي «شاعر» فقط. وانه هو بحاجة الى رجل سياسى لما كان بينه والانكليز من الكفاح والجلاد فاجتمع لازالة هذا التوهم من صدره المرحومون بطرس باشا غالى (وقد كانت به نزعة للأدب والادباء) وبشاره باشا تقلا ومصطفى باشا

(١) آمل من القراء اغتفار كلمة الابائية لان عملة (ابولر) تطلب منى ملحمة ذكريات شخصية بحتة.

كامل. وكان بطرس باشا يطلب من الخديوى أن يسمح له بتوظيفه شوقى فى الخارجية بضعفى مرتبه الذى كان يتناوله من قلم الترجمة فى السراى، وكان بإشارة تقلا باشا يعرض على سموه مثل هذا العرض ليوليه تحرير «الاهرام» فتأييداً لذلك وضع شوقى فى مكانه من الأدب وامارة الشعر الى أن قربه الخديوى وناط به كثيراً من المهام فقام بها خير قيام. فأولاه ثقته وقدمه على جميع رجاله وطرد من خدمته حسين زكى وزاصر الذى قال صاحب «مصباح الشرق» يومئذ فى وصف خروجه من السراى: «إن خروج زاصر من المنية آله من خروج البرغوث من الاذن». وبعد أن كان الكتاب يلقبون شوقى بأمر الشعراء أعطاه الخديوى بعد انعاماته الكثيرة التى غمره بها لقب «شاعر الأمير».

كان احمد شوقى بك يسكن داره فى حى الحنفى والشيخ زكى سند مؤسس «جماعة مكارم الاخلاق» يسكن فى حارة السقاين وكنت أسكن فى ذلك الحى. فكنامتجاورين وكنا فى كل صباح نلتقى فى الطريق فيذهب شوقى الى سراى طابدين والشيخ زكى الى مدرسة اليسوعيين للتدريس وأذهب أنا الى ادارة جريدة «المحروسة». فكان الكثيرون من الأزهرين الذين لا يصدقون أن خريجاً من خريجي مدارس فرنسا كاحمد شوقى يستطيع قرض ذلك الشعر الراقى كقصيدته فى الخديوى توفيق:

لك مصر يجرى تحت عرشك نبأها ولك البلاد عريضها وطولها
وكقصيدته فى مؤخر جنيف:

همم! التللك واحتواها الماء وحداها بمن تقلل الرجاء

وكلتا القصيدتين كان الطلبة يحفظونها. فكانوا يقولون أن الشيخ زكى سند صديقه هو الذى يساعد فى نظم هذه القصائد لما يرونه بين الاثنين من الصداقة ولا اجتماعهما كثيراً لانهما من حى واحد.

كان شوقى لا يتعرض للسياسة فى شعره، فلما قربه الخديوى ووكل اليه الكثير من الشؤون السياسية تمحوت قصائده من الخيال البحث والحكم والوصف الخ. الى السياسة التى كان يتأثر بها كمدحه السلطان عبدالحيد لأنه شاعر أمير مصر ولحنته على رياض باشا فى حادثة الحدود وقد زار الخديوى الجيش وانتقد نظام إحدى الأورط فعدت اللورد كرومر ذلك اهانة لكتشتر باشا طلب من أجلها الترضية، وكان رياض باشا رئيس الوزارة فغضب من عمل الخديوى وذهب الى القيوم حيث قابل سموه واستعمر منه

تلفرافاً الى كتشتر باشا يثنى فيه عليه وعلى نظام الجيش وكجملته على هذا الوزير عند افتتاح مدرسة محمد على الصناعية لأنه ألقى خطاباً قال فيه للورد كرومر أنه يعتمد عليه في انجاح الجمعية والمدرسة . وقبل أن يطلع صباح اليوم التالى طلع شوقى على الجهور بقصيدته التى يقول فيها :

كبير السابقين من الكرام برغمى أن أنا لك بالسلام
مقاتك فوق مازعموا ولكن رأيت الحق فوقك في المقام
خطبت فكنت خطباً لاخطيباً أضيف الى مصائبنا العظام ١

وكقصيدته في اللورد كرومر يوم وداعه وكانوا قد عقدوا له اجتماعاً في الاوربا ليتمكن من الخطابة . وحضر الاجتماع الامير حسين كامل فألقى اللورد كرومر خطابه الشديد اللهجة فدم عصر اسماعيل على مسمع من ابنه وحمل على المصريين لأنهم لم يقدروا عمله في تحريره أصحاب الجلايل الأزرق ، فنظم شوقى قصيدته المشهورة التى يقول في مطلعها :

أيامكم أم عهد اسماعيل أم أنت فرعون يسوس النيل ١٩

فقابلها رأى العام بالارتياح العظيم لان اللورد كرومر آلم المصريين في كرامتهم حتى أن السيد حسن موسى العقاد الذى كان يقف في وجه الخديوى مستنداً الى ذراع اللورد كرومر أرسل اليه تلفرافاً وهو يركب الباخرة من بورسعيد ضمنته أشد اللوم للورد على كلامه القارس .

ولما عاد احمد عرابي من منفاه هزت روح عودته وهو على ما كان عليه من الكبرياء شاعر السراى شوقى فقابلته بقصيدته :

صغارنى في الذهاب وفي الاياب أ هذا كل شأنك يا عرابي ٢٠

على أن تحول شوقى الى السياسة وتحول شعره اليها لم يحوله ولم يحول شعره عن بعض الصداقات العالقة بشغاف قلبه كصداقة المرحوم مصطفى كامل فانه رحمه الله قطع صلته بالسراى الخديوية بعد اتباع الخديوى سياسة الوفاق مع السيرالدن غورست ووجه مصطفى كامل يومئذ كتاباً مفتوحاً على صفحات الصحف الى الخديوى وكان هذا الكتاب شديد اللهجة، ولكن ذلك لم يقطع ما بين شوقى ومصطفى كامل حتى أن شوقى كان المواسى الوحيد لمصطفى في ابان مرض الموت وقصيدته في رثائه من أدوع الشعر . نظمها شوقى في الليل ونشرت في الصباح وذهب مذهب المثل قوله فيها :

دقات قلب المرء فائلة له إن الحياة دقائق وثوان

كانت الحادثة من الحوادث تقع صباحاً فلا يحل المساء حتى تداع بين الجمهور
وبقصة شوقي لأنه كان للحوادث تأثير شديد عليه يهز اعصابه ويستثير نفسه
ويحفز خياله . وكان أكثر ما ينظم الشعر وهو ماش أو واقف أو جالس الى أصحابه
يغيب عنهم بذهنه وفكره . فقلما يجلس الى مكتبه للتفكير وعصر الدهن ، فاذا جلس
الى المكتب فلتدوين ما يكون قد نظمته واستوعبه في ذاكرته . فبين سيكرة
وأخرى يجد فكرته وبين كلمة وأخرى يجد الطرف الموافق لهيكل الفكرة وكان شديد
الحذر يلتقي ألفاظه كما يلتقي معانيه ، لأنه كان شاعراً سياسياً في كل أشعاره وفي كل
أطواره الشعرية .

ولو أن قصائد شوقي ومنظوماته مجمت بالتتابع مع مراعاة زمن نظمها والظروف
التي دعت الشاعر الى النظم وبيان ما فيها من اشارة وتلويح وتلميح لكان من ذلك
في نظري وعقيدتي أجل ديوان ولكن هذا الديوان أصدق تاريخ لحوادث مصر منذ
عهد الخديوي توفيق الى اليوم . وأما جمع ديوانه على الطريقة التي جمع فيها بعض
شعره في العهد الأخير فعمل لا يفي شعر شوقي مقامه من الشعر والتاريخ معاً .
ولربما كان الامر سهلاً بعض السهولة اليوم ، ولكنه يصير مستحيلاً بعد بضع
سنين إلا إذا كان شوقي قد دون ذلك بيده كما كان يعد ؟

داود برلانت



صورة من شوقي

لست متعنتاً ولا مسرفاً اذا قلت : ان شوقي آخر حسنة في الشعر العربي جادت
بها الطبيعة ، وسلبنا الموت ايها . ولم أرم بذلك القول باطلا وذلك لان الدنيا أصبحت
عقياً في الرجال ، بل استطيع أن أقول إنها تستطيع ان تلد للنبوغ أعظم من
أكثر ولندنبرج وغيرها من أفذاذ المادة ، ولكن هيهات ان تطلع أفذاذاً
من ابطال الروح والخيال السامي كشوقي ، لان الفن الخالص من المادة قد تقلص
من هذه الدنيا وطفئ عليه الفن المادى ، وان رجال الجمال من هذا الفن اذا اخترم
الموت منهم واحداً فلن تعوضنا الدنيا عن مثله ، وناهيك بشوقي الذي كان في
الطليعة من هؤلاء الرجال .

ولست مسرفاً اذا قلت ان قصيدة شوقي في النبل أروع قصيدة عرفها الشعر العربي من لدن امرئ القيس بن حجر الى عصرنا هذا .
لست متعنتاً اذا حدثتك أن شوقي بَرُّ المتقدمين من أمثال أبي تمام والبحترى وأبي العلاء في عيون قصائدهم .

فقد جارى الاول في بآئته فقاته ، والثاني في سينته فسبقه ، والثالث في فائته خلفه وراءه . وانك تجد مشدوه اذا علمت ان هذا الرجل الذي تحسّ وأنت لمجاده أنه نصف أوروبى يأتى بهذا الشعر الذى يعجز عنه هؤلاء الفحول في عربيتهم .

عرفتُ أمير الشعراء بشعره وكنت في الخامسة عشرة ، وكنت وقت ذاك في اقليم من الصعيد أجلس في أوقات الاصيل مع صديق من سنى قبالة دارنا ، وكنت أحسّ بالشعر كما يحس طفل فى سنى ، وكنت أقرأ أنا وصديقى في الشوقيات فيفوتنى اكثرها واتقهم أقلها ، ولكنى كنت معجباً بشوقي كما يعجب الطفل بأبيه وكنت أروى منها أبياتاً لأثرانى بمرحة في عربيتها وروياها . ولا زال إعجابى بالرجل يكبر معى حتى طرحتنى الطوارح ولزتنى السنون ، ولا زلت أذكر يومى السعيد يوم تقدمت الى أمير الشعراء للتعرف به ، وكان ذاك عقب قوله من منفاه في سنة ١٩٢٠ . كنت في دار للخيلة رفقة أستاذ كرم ، من رجال الجامعة القديمة ، وكان الظلام قد بدأ يفسحنا ، وقد أخذ دوى الآلة في أنزله منذراً بابتداء عرض الصور ، فاذا بصاحبي ينبهنى الى رجل قصير ضاور ممسك بمروءة سترته ، يسير رافع الرأس ، وخلفه ثلاثة يميلون الى الطقولة أكثر من ميلهم الى الشباب ، ويقول : شوقي ! فتشوقت في كثير من الفضول وأدمنت النظر حتى حلّ الرجل في كرسبه يتبعه هؤلاء الثلاثة ، ثم عم الظلام مطبقاً وعرضت الصور ولكنى لم أتبين منها شيئاً فقد ظلت نفسى منصرفة الى هذا الداخل ، وأخذتُ أعمل الرأى ، كيف استطيع التعرف الى هذه الشخصية الفذة ؟ فقر رأيت على التقدّم اليه في نزهة الراحة بين عرض الصور ، وأخذنى زمعٌ شديد ، حتى أنى لم أكاشف صاحبي ببغيتى ، فما تكشف الظلام حتى بادرتُ اليه تاركاً صاحبي مدهوشاً ، وكشفت له عن نفسى ، وأعلنت أنى ممن ينظم الشعر ، وأود أن يسمع منى بعض ما قلت ، فتبسم رحمه الله ونظر الى كبير هؤلاء الثلاثة وقال : ياغنى ! ما مواعيد الغد ؟ فأجابه من ورقة صغيرة عنها . فالتفت الى وقال يسرنى ان تزورنى غداً في الرابعة بعد الظهر في المطرية . فسامتُ شاكرّاً وعدت ، وحدثت صاحبي بما حدث فهأتى .

أشرق على الغد ، وكان يوماً صائفاً ، وقد بصكر الحر في شهر مايو وحل الموعد فأدركني حيرة : هل أتخلف لمكان هذا القبط لاني رأيت انه لا يليق ازواج شاعرنا العظيم في قيلولته ، أم أبادر بمحنتي هذا الشوق الذي ينتابني للعكس لحظة مع أمير شعرائنا ؟ فاعتزمت قطار الضواحي وعرجت على كرمة ابن هاني ، وأرسلت مع الخادم بطلاقي فدعاني رحمه الله الى الطابق الثاني ، فاذا أنا بهذا الشاعر الذي قد آتى بالمعجز يكاد لا يبين في كرسيه اللين وقد انتضى عنه سترته . فرحب بي برقة ألتسنى الفارق العظيم الذي بيني وبينه ، فاسمته من نظمي قصائد استحسناها رحمه الله رقة منه وعطفاً . ثم تحدّثنا في شؤون أخرى ، ولن اكذب الله فقد أدركني شيء من خيبة الامل فقد كنت أحسب ان شوقي لا ينطق الا شعراً ، ولا يتحدث الا شعراً ، ولا يسير الا بالشعر فاذا به غير ذلك ، مثلي ومثلك ا او كان يفتكب الشعر في كلامه ولا يشير اليه في حديث . وكنت احفظ من قصائده الكثير ، فكنت أسأله في بعض معاني هذه القصائد فكان يجيبني إجابة رجل لم يقل هذه القصائد ، ولم ينظمها ا فحضرتني عند ذلك كلمة له ولتبر ، قالها عن نفسه : وهي أنه عند ما كان يكتب يخيل اليه ان آخر كان يتولى ذلك عنه ، وكان يتم نفسه عند قراءة كلامه !

ثم اتصلت بعد ذلك بشوقي اتصال ولىّ او قريب ، كنت ألقاه كل ليلة فأحسّ بروحه الشعرية تظلل المسكان .

كنت اعرج على مكتبته بين الخامسة والسادسة مساء ، حيث كنت ألقى ولدييه وهما صديقان حبيبان لي ، وكنا لا نفرق ، وكانت هذه احدى حسناته الى رحمه الله ، فكنا نجلس يؤلفنا الشباب بحرجه ، وكنا نتنادر طوراً ومجدّ طوراً آخر حتى اذا أطلتنا السابعة طرق آذاننا صوت حذاء يحتك بالارض فنحذر جميعاً أنه هو ، فلم نلبث طويلاً حتى يطل علينا ببسمة حلوة ، ما ذكرتها اليوم الا وجدت على قلبي منها غمراً ، ثم يفيض معنا في شؤوننا حتى تحسبه كأحدنا ، ثم ينقطع كل هذا غفأة ، ويرجع الى نفسه فيصبح كأنه ليس معنا ، فهناك تسمع غمغمة كأنها آتية من غور بعيد ، كما يقول أستاذنا مطران ، ثم لا يزال بين ذلك يسبح على جبينه بيده ، ونحن عند ذلك سكوت ، فاذا بلغ آخر مناجاة نفسه ، هبّ واقفاً وتركنا من غير ان يسلم أو يتشم .

وكان رحمه الله لا يذكر ما نظمه من قصيد رائع في زمنه الخالي . حدث أني كنت أمشي يوماً وكنت قد قرأت في صبيحته قصيدة في «عكاظ» نسبها صاحبها اليه وكانت القصيدة لمطران ، وهي في بعلبك ، لحدثته في ذلك وتلوت عليه مستهلها فقال : لا أعلم ربما تكون لي ، لأنني قد نظمت كثيراً . فقلت إنها لمطران وقد التبس على صاحبه «عكاظ» ، فأجابني مبتسماً : لقد ضاعت على مطران المسكين ! ولم نلبث في سيرنا طويلاً حتى طلع علينا صاحب «عكاظ» مسلماً ، فحاجه رحمه الله في هذه القصيدة ، فأصر صاحب «عكاظ» أنها له ، وأنزعتها وسلامة لفظها أخلق به ، فأصررت أنا أنها لمطران ، وقد قرأتها في ديوانه ، فاستطال على صاحب «عكاظ» عفا الله عنه ، وألح في تأييد رأيه ، فقال له : يا شيخ فهم ، ارجع إلى مصادر هذه القصيدة وتبينها فاني لا أحب أن أغضب أحداً حقاً ؟ وانصرفنا ، فاذا بكتاب من صاحب «عكاظ» يعتذر فيه إلى من الغد وقد أصاح ما تورط فيه من خطأ في العدد التالي لظهور هذه القصيدة .

ولو شئت أن أعدد من حسنات شوقي الكثيرة لمألت كتباً فقد كان رحمه الله فريداً في كل شيء ، في خلقه وفي مروءته وفي برّه ، ولن نظن بمثله بعده .
طيب الله نراه ورحمه رحمة تعادل ما أحسن به إلى اللغة والأدب والخيال ؟
أهمر محفوظ



شوقي امام التاريخ شخصيته وحكته المطبوعة

تمهيد

اتفق إلى أن كتبت فصولاً مطولة عن شعر شوقي في سنة ١٩٢٥ وهي فصول منزهة عن الغرض يجدها القارئ في كتاب «الموازنة بين الشعراء» وكانت فرصة طيبة عرفت فيها أخلاق النقاد المعاصرين . ويعز عليّ أن أصرح بأن جبهة النقاد كانت من أصحاب الصحف الأسبوعية ، وكان شوقي عودهم التطلع إلى مائدته الفاخرة وجبيه الثقيل ! وكانوا كلما احتاجوا إلى «بره ومعروفه» طافوا حول شعره يتلمسون ما فيه من نقائص وعيوب ، وكان الرجل يثار على شعره غير الكريم على عرضه ،

فكان يخرس ألسنتهم ، ويصف أفعالهم ، بالهدايا والهبات . وقد ظن أولئك أولئك المساكين أني أكتب عن شعر شوقي لنفس الغرض الذي يسوقهم ويحفزهم الى الكتابة عن شعره ، فكانوا يتقدمون الى ناصحين ، وكان نصيحتهم يتلخص على اختلاف ألوانه في هذه الكلمة الطريفة : « ان شوقي لا يحترم من ينصفه ! »

والاحترام الذي يفهمونه هو السخاء والكرم والجود ، وهذا النوع من الاحترام يبدو لعيني بغيضاً عمقاً لا يتطعم اليه إلا سفلة الناس . وليت شعري كيف يحتاج الرجل الى هبات الاغنياء ورغيف واحد يكفيه يوماً وليلة ، وليس بطن الانسان إلا واه حقيقراً لا يستحق أن تذلل في سبيل ملئه النفوس ! ولكن هذا هو الذي وقع لنقاد ذلك العصر مع الأسف المروع ، وقد استطاع أولئك المرتزقون أن يشوهوا النقد الأدبي أشجع تشويه ، وأن يقلبوا الحقائق الادبية قلباً كريهاً ، وأن يروضوا الجمهور على الاعتقاد بأن الرجل لا يقول كلمة الحق إلا مأخوذاً بغرض دفين .

وقد عرفت بالتجربة أن شوقي كان كما وصفه أولئك الواصفون لا يحترم من ينصفه ، ونجحت لي حقيقة ذلك في سنة ١٩٢٨ يوم قدم طاعور مصر وأقام له في داره حفلة استقبال . كنت يومئذ مدرساً بالجامعة المصرية وكنت صديقه وكان الدكتور طه حسين من خصومه الألداء ، فدعا الدكتور طه لاستقبال طاعور في منزله ولم يدعني ، لأن الدكتور طه كان موظفاً في الدرجة الثانية وكنت موظفاً في الدرجة السادسة ، وفرق ما بين هاتين الدرجتين كان من الأمور التي يفهمها جيداً أمير الشعراء الذي عودته الحياة الرسمية أن يحترم الرسميات ! ثم وقع يومئذ ما هو أبشع من ذلك : فقد كان دما المسيو ساروليا ثم علم أن الجمهور هاج على ذلك الاستاذ لكلمة نذت في محاضراته بالجامعة المصرية ، فكتب اليه شوقي ينبئ به بأنه « سحب الدعوة » وأنه يرجوه ان يريح نفسه من الحضور لدار الكرم والجود « كرامة ابن هاني » على أيامها وأيامه تحية وسلام !

وكانت هذه أيضاً فرصة طيبة عرفت فيها أخلاق : فان تلك الهفوة لم تنقص تقديري لشوقي ، شوقي الشاعر . أما شوقي الصديق فقد ثرت عليه ثورة عنيفة ، وعدت لا أقابله حين ألقاه مصادفة إلا بنفس الزاهد العيوف . وقد اتفق أن تلاقينا عفواً في بهو الكونتنتال في ربيع سنة ١٩٢٩ وكنت مع الدكتور منصور فهمي ، فسألني شوقي عن انصرافي عنه ، فأجبت بكلمات فيها جفاء ، فالتفت الى الدكتور منصور وقال : إن شوقي بك والد الجميع ، وأنشد :

نميل على جوانبه كأننا نميل إذا نميل على أيننا
تقلبه لنخبر حالته فنحبر منها كروماً ولينا

ثم توات الأيام ، وكانت تزيد في يقيننا بأن شوقي الشاعر شخصية منفصلة تمام
الانفصال عن شوقي الذي يعرفه الناس كإنسان اجتماعي يخطئ ويصيب بين الحق
والواجب ، وكأن أن رأته لآخر مرة في مسرح حديقة الازبكية يوم اجتماعنا
لمعاونة الأديب محمود أبو الوفا ، وأسرعتُ إليه أحبيه ، وأقبل أبو الوفا يسلم عليه .
وكدت أصرخ في وجهه : قَبِل يد الشاعر أيها المجاهد فقد شرف قدرك بشعره !
وكانت عاطفة طبيعية : فقد كان شوقي في ذلك اليوم وهو محطّم مهدودٌ يذو لمعني
في وقار الصديقين . ولما علمتُ أنه سيقم حفلة شاي في داره لأعضاء (جمعية أبولو)
خطر ببالي أن أسمى لحضور تلك الحفلة ، خشية أن تكون آخر مرة يرى الناس
فيها أمير الشعراء ، ولكنني رفضت أن أذهب بدون دعوة ، ثم كان ما سرّ بالبال
صحيحاً ، وكانت آخر مرة يستقبل فيها شوقي رجال الأدب في داره ، فياحسرتنا
على ما ضيّعتُ من تلك اللحظات الطيبات !

لم أسمع يوماً إلى شوقي الشاعر ، والحمد لله ، وإن كنتُ بعث حظي من شوقي
الصديق ، وقد مانيت في سبيل إعجالي بشعره نكبات عديدة ، فإن ناساً كانوا يودون
لو هدموه ، ومن أولئك الناس رجال احترامهم وأرى فيهم مخايل العبقرية ، ولكنهم
أولعوا بالنيل من ذلك الرجل ، وسلكوا إلى هدمه شتى الشعب ، وكان الرجل
عظيم الشاعرية حقاً وكان أصلب من أن تنال منه معاولُ الهادمين ، فعادوا
يتسمعون بأعتاب الخلق والوطنية ، وكانت لهم في ذلك جولات رسم خطواتها
الشیطان . والأخلاق والوطنية عكاز يتوكأ عليه كل مغرض حقود ، وستظل
الأخلاق والوطنية دعامة يسند إليها ضمقاء النفوس والعقول ما دام أهل الشرق
يحمسون الاستماع إلى أدعياء الوطنية والأخلاق !

الخلق لله ، والوطنية لله ، كما أن الدين لله ، فلنترك لشوقي أخلاقه ووطنية ،
ولننظر فيما أبدع من آيات الشعر البليغ ولنخص بالذكر شعر الحكمة الرائعة .

الحكمة في شعر شوقي

أول ظاهرة واضحة في شعر شوقي هي التماس الشاعر لفرائب الحكمة في جميع
القصائد والمقطوعات ، وقد آثرتُ أن أقف هذا المقال التقديري على تلك الظاهرة
البارزة في شعره وهي ليست ملحوظة في شعر الكهولة وحده ، وإنما ترجع إلى ميل

في نفس الشاعر منذ صباه . ومن الجليل أن يكون الشاعر حكيماً ، ولكن الأجل أن ترد الحكمة عفواً بلا تكلف ولا افتعال . وقد وقع لشوقي ابن علقم أسلوب القصص أحياناً كثيرة في سبيل الحكمة ، وغالب سياق القصائد رغبة في تدوين الكلام الحكيم . من ذلك قصيدته الحمزية التي أنشأها منذ نحو ثلاثين عاماً لتلقى في المؤتمر الشرقي الدولي الذي انعقد في مدينة جنيف سنة ١٨٩٤ . وهي قصيدة مطولة وصف فيها مصر وحكوماتها وأهلها منذ العهد القديم ، وجرى القصص فيها مسلسلاً لم يعقه الا التنقل الى الحكمة التي كانت تطرد أحياناً الى نحو خمسة أبيات مع أنه كان يكنى أن تقع في شطريتين لتكون لفظة لا ينقطع بها سياق الحديث . مثال هذا كلامه مما لحق مصر من الدل بعد عهد فرعون ، فقد وصل به هذه الأبيات :

إن ملكة النفوس فابغ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأمر فكيف الخلائق العقلاء ؟
يحسب الظالمون أن سيسودون وإن لن يؤيد الضعفاء
والليالي جوائر مثلما جاء روا والدهر مثلهم أهواء
ثم عاد الى القصص فنظم ثلاثة عشر بيتاً عن رمسيس وسيزوستريس الذي وصفه بالتواضع وكره الكبرياء ، ودعاه هذا الى لقاء الحكمة فقال :

يولد السيد المتوج غصناً طهرته في مهدها النعماء
لم يغيره يوم ميلاده يؤس ولا ناله وليد شقاء
فاذا ما الملقون تولوا . تولي طباعه الخيلاء
وسرى في فؤاده زخرف القو ل يراه مستعذباً وهو داء
فاذا أبغض الهديل غرابه وإذا أبلغ الصباح مساء
وقد تطرد الحكمة عند شوقي لغرض مقصود فتأتى رائعة : مثال هذا قصيدته في مشروع ملنر ، وهي قصيدة كان يجب بترها من الديوان لولا حرمة التاريخ ، ومشروع ملنر كان فتنة من أخطر الفتن ، وكان ناس دعوا له واستدرجوا شوقي الى الدعوة له ، فكتبت ألومه في جريدة « المحروسة » ، فلما تلاقينا اعتذر بأنه قال القصيدة مأخوذاً بالحاج بعض الناس . والقصيدة دعوة الى الرضا بالضعف ، ولكنها من اطرف ما ينوم به الضعفاء ، ولم أجد في حياتي كلمة باطل صيغت في مثل هذا الأسلوب الطريف :

قد صارت الحال الى جدّها
 الليث والعالم من شرقه
 قضى بأن نبى على نابه
 ونبغ المجد على عينه
 ونصل النازل فى سلمه
 ونصرف النيل الى رأيه
 يبيع أو يحمى على قدرة
 أمر عليكم أو لكم فى غدير
 لا تستقلوه فإ دهركم
 نسمع بالحق ولم نطلع
 ينال بالين القى بعض ما
 فإن أنتم فليكن أنكم
 وفى احتشام الأسد دون القذى
 قد أسقط الطفرة فى ملكه
 يا ربّ قدير لا تحبونه
 ومطلب فى الظن مستبعد
 واليأس لا يحجل من مؤمن
 أليس يرى القارىء أن هذا باطل صوّّر فى أربع اسلوب ؟ ومع هذا فالشاعر
 حكيم فى طبعه حتى حين يتأنق فى تصوير الأباطيل ، فأننا مهما رميناه بالدعوة الى
 الضعف واللين لا نستطيع ان ننكر أنه كان أحكم الناس حين قال :

يا ربّ قدير لا تحبونه زمانكم لم يتقيد به
 فإن الزمان قد يفك القيود حين يرى فيها مغالبة لطبيعة الحياة وحقوق الاحياء
 كما بدأ يفعل فى معاهدة فرساي .

وكان يطيب لشوقي أحياناً أن يبدأ قصيدة بالحكمة ثم يطيل كأنما كانت الحكمة
 غرضه للمتصوّد ، وأكثر ما كان يقع ذلك فى قصائد الرثاء . ومن اوضح الشواهد
 فى هذا ما ابتدأ به قصيدته فى كلونارغون :

في الموت ما أعيأ وفي أسبابه
أسد لعمرك من يموت بظفره
إن نام عنك فكل طب نافع
داه النفوس وكل داه قبله
النفس حرب الموت إلا أنها
تسع الحياة على طويل بلائها
هو منزل السارى وراحة رايح
وشقاء هذى الروح من آلامها
كل امرئ دهن بطي كتابه
عند اللقاء كمن يموت بنباه
أو لم ينم فاطلب من أذناه
م نسين مجيئه بذهابه
أنت الحياة وشغلها من بابه
وتضيق عنه على قصير عذابه
كثر النهار عليه في إغياه
ودواء هذا الجسم من أوصابه

تلك ثمانية أبيات في الحكمة يمجدها القارئ أحد عشر بيتاً حاول الشاعر صبغها بصيغة الكلام الحكيم ، وهذه المقدمة الطويلة تبدو لنا مستغلة ببعض الشيء لأننا نلمح فيها آثار الافتعال ، ولكننا نقف خاشعين حين نصل الى قوله في وصف ذلك العالم المجهول الذى يُسمى عالم البقاء :

يا صاحب الأخرى بلغت محلة
زُلَّ أفق بجانيبه من الهوى
نام العدو لديه عن أحقاد
الراحة الكبرى ممالك أديمه
هى من أخى الدنيا مناح ركا
من لا يثيق وجد من تلعا
وسلا الصديق به هوى أحبا
والسلاوة الطولى قوام تراه
وللقارئ أن يتأمل البيت الأخير فهو من أجود ما قيل في وصف ما بعد الموت من قرار وسكون .

ولشوق قصائد دعت إليها ظروف وقتية، ضمنا كذلك حكماً وقتية لفقصيده في العمال منظومة مفتعلة تحدث فيها عن الانتخابات البرلمانية لأن ظروفها اقتضت ذلك ، واسمع كيف يقول :

أيها الجمع لقد صر
فنكن الحر اختياراً
إن للقوم لعيناً
فتوقع أن يقولوا :
ليس بالأمر جديراً
كل من الذى خطبا
أو سخا بالمال أو قد
م جاهك وانتسابا
أو رأى أمة فاختل
ت من المجلس قابلا
وكن الحر انتخابا
ليس تألوك ارتقابا
من عن العمال نابا
من الذى خطبا
م جاهك وانتسابا
الجهل اختلابا

والقوم الذين يعينهم شوقي في الانجليز ، والعمال مدعوون ان يراقبوا الانجليز حين ينتخبون النواب ، والمطلوب ان ينتخبوا الدكتور محجوب ثابت ! ولكن هذه المنظومة لم تخل مع ذلك من أبيات حكيمة سبقت إليها فطرة الشاعر الحكيم حين أخذ يقول :

ان لي نصحا اليكم ان اذتم وعتابا
في زمان غيبي لنا صبح فيه أو تفتابا
اين اتم من جدد خلدوا هذا الترابا
فـلدوه الأثر المعجز والفن العجابا
وكسوه أبد الدهر من الفخر ثيابا
أقنوا الصنعة حتى أخذوا الخلد اغتصابا !
ان للمتقن عند الله والناس ثوابا
أقنوا بحببتكم الله ويرفعكم جنابا
أرضيتم أن ترى مصر من الفن خرابا
بعد ما كانت سما لل صناعات وغابا ؟

وبساطة هذا الشعر من سمات جماله وخصوصاً إذا لاحظنا انه يخاطب به طبقات العمال ، وخطابهم يفرض اليسر واللين في العرض والأداء .

وليس من الغلو في شيء ان نصرح بأننا معجبون أفتن الاعجاب بقوله في هذه القصيدة يوصي بالادخار اتفاقاً لحوادث الأيام :

اما العاقل من يجعل الدهر حسابا
فاذكروا يوم مشيب فيه تكون الشبابا
ان للسّن لهماً حين تغلو وعذابا
فاجعلوا من مالكم للشيبي والضمف نصابا
واذكروا في الصحة الدا اذا ما السقم نابا

وقد تبدو هذه الأبيات عادية عند من لا يتأمل فيما تشير اليه من اعتقاب الشيخوخة ذات الويل والمعذاب ، ولندكر دائماً انه يخاطب العمال الذين تغلب عليهم الغفلة عن مصائر من يهرمون وهم مُعْدِمُونَ .

ولا ينبغي ان تقوتنا هذه الفرصة فنهمل التنويه بهذه الظاهرة الغريبة في حكمة شوقي : فان الرجل فيما يظهر من شعره ومن اخلاقه الحيوية كان مأخوذاً بالحرص على طيبات العيش ، وكان مشغولاً بمعاودة التفكير في الأخلاق المعاشية ، والأخلاق المعاشية هذه كلمة نراها النسب ما يصور به حرص شوقي على اسباب الحياة . وانظر قوله في النحل :

مخلوقة ضعيفة من خلق مصورة
يا أما قل ملكها وما أجل خطره
قف سائل النحل به بأي عقل دبره
يجيبك بالأخلاق وهي كالقول جوهره
تفتي قوى الأخلاق ما تفتي القوى المفكره
ويرفع الله بها من شاء حتى الحشره

ليتأمل القارئ في قوله « من خلق مصورة » ووصفه الأخلاق بأنها جوهره كالقول ، يريد انها هبة دقيقة خفية لا يعلم أسرارها غير علام الغيوب ، وهذا معنى لا يدرك الا بدقة التأمل ، فان الخلق الصالح خلق العيش والحياة من الأسرار الخفية ، فكم ناس يؤفقتون في حياتهم المعاشية ، وليست هناك أسباب ظاهرة لما رزقوا من توفيق ، غير أن الخبير بأحوال العيش يعرف أن هناك دقائق نفسية وخلقية يتيسر بها العيش والرزق ، وإن كان أصحابها في ظاهر الأمر من العابثين الماجنين . ولينظر القارئ أيضاً قوله :

أليس في مملكة النحل لقومه تبصرة ؟
مملكته بناه أهله بهمة ومجده
لو اتهمت فيه بطا ل اليمين لم تره
تقتل أو تنفي الكسا لي فيه غير منذره

وهذه صورة صحيحة لحياة النحل ، وفيها عبرة لمن يرون اختلال الجماعات الانسانية ثم لا يعرفون أن أسباب ذلك الاختلال ترجع الى مهادة اهل البطالة والترف.

لنتقل بعد هذا الى الحكمة القطرية في شعر شوقي ، وزيد بها الحكمة التي تقع في ثنايا القصيد من غير تكلف ولا افتعال . وشواهد ذلك كثيرة ، منها قوله يخاطب الخليفة مهتاكاً بالعيد :

أمثلك بمنع الأوطان خيراً وأنت خلقت من خير طباعاً ؟
 شجاعاً كنت في يوم عصيب توقها المحبة والدفقا
 جنحت الى السلام فكان حلماً وقدما زين الحلم الشجاعا
 ومن صعب الحياة بغير عقل تورط في حوادثها اندفاعا
 فان البيت الأخير وقع موقفاً طبيعياً لم يشنه تصنع الحكمة ولا اختلاق أسباب
 القول الحكيم .

وقصيدة نهج البردة تفيض بشواهد الحكمة الفطرية ، ولنقرأ هذه الأبيات :

رمى الفضلاء بعيني جوذر أسداً ياساكن القاع أدرك ساكن الأجر
 لما رنا حدثتني النفس قائمة يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمي
 جعلتها وكنت السهم في كبدي جرح الأوبة عندي غير ذي ألم
 رزقت أسمع ما في الناس من خلق اذا رزقت التماس العذر في الشيم
 يا لاأئي في هواه والهوى قدره لو شئتك الوجود لم تعذل ولم تلم
 لقد أنلتك اذاً غير داعية ورب منتصت والقلب في صمم

والأبيات الأربعة الأخيرة مضمخة بعبير الحكمة ، وأرقها عندي وأجزها قوله :

« والهوى قدر » . وقد حدثت الدكتور طه حسين عنها مرة فابتنم وقال :

« وعده مكتوب عليّ ومقدر على الجبين ! »

ولنقرأ قوله في وصف الدنيا :

يا نفس دنياك تخفى كل مبكية وإن بدا لك منها حسن مبتسم
 فضى بشواك فلها كلما ضحكت كما يفض أذى الرقشله بالثرم
 مخطوبة منذ كانت الناس خاطبة من أول الدهر لم تزل ولم تثم
 يفتي الزمان ويبقى من أساءتها جرح آدم يبكي منه في الأدم
 لا تخفى بجناها أو جنايتها الموت بالهر مثل الموت بالفحم
 وقوله في فخار الأصل بالفرع :

قد أخطأ النجم ما نالت أبوته من سؤدد باذخ في مظهر ستم
 نحو اليه فزادوا في العلا شرفاً ورب أصل لفرع في الفخار نجي

وقوله في شمائل الرسول :

حجة رسول الله أشربها
ان الشمائل إن رقت يكاد بها
وقوله في صاحب البردة :

مديحه فيك حب خالص وهوى
الله يشهد أنى لا أعارضه
وانما انا بعض الغابطين ، ومن

وقوله في يتم النبي :

ذكرت باليتم في القرآن تكرمة
وقوله في المفاضلة بين محمد وعيسى :

أخوك عيسى دما ميتا فقام له
والموت جهل فأن أوتيت ممجزة
وانت أحييت أجيالا من الرمم
فأبعت من الجهل أو فأبعت من الرجم

وقوله في حرب من لم يغن في تقويمهم السلم :

لما أتى لك عفواً كل ذى حسب
والشر إن تلقه بالخير ضقت به
تتكفل السيف بالجهال والعمم
ذرماء وإن تلقه بالشر ينجم

وقوله في فضل الحرب :

دعوتهم الجهاد فيه سؤددهم
لولا أن لم نر للدولت في زمن
تلك الشواهد تترى كل آونة
بالأمس مالت عروش واعتلت سررهم
والحرب أس نظام الكون والأمم
ما طال من محمد أوفر من دعم
في الأعصر الفرس لا في الأعصر الدم
لولا القذائف لم تتلم ولم تُصم

والحكمة هي قوله : « والحرب أس نظام الكون والأمم » ، وما بهذا الشطر
جري مجرى الشرح والتقرير ، وقوله في فضل العدل على القوة :

وأترك دهميس : ان الملك مظهره
في نهضة العدل لا في نهضة الهرم
ويطول القول لو مضينا نستقصى ما اتفق لشوقي من روائع الحكمة النبطية ،
وانها لتقع له سائفة مستطابة كالورد النخير . وانظر قوله يخاطب من شيدوا قبر نابليون :
حصنونا ماشتمو موتا كمو هل وراء الموت من حصن حصين ؟

وقوله في ذكرى دنشواي :

شهداء حكمك في البلاد تفرقوا هيهات للشمل التفتت نظام
وقوله في صلة مصر بالسودان :

فصر الرياض ، وسودانها عيون الرياض وخلجانها
وما هو ماء ولكنه ويريد الحياة وشرايتها

وقد جرى الشاعر في هذه السبيل حين ألف رواياته المرحية ، فليصفصها
القارئ ليري حجة ما تقول .

* * *

وبعد عرض هذه النماذج في صور الحكمة ومواقفها في شعر شوقي يحسن بنا
أن نقرر أن ذلك الرجل استقى تلك الحكم من تجاربه أكثر مما استقاها من مطالعته :
فقد عاش زمناً عيشة محرجة مضجرة لا يعرفها إلا من ابتلى بمثلها أو بما يقاربها ،
وما ظن القارئ بمن يعاشر الملوك ويذوق ما في كؤوس السياسة من علقم وصاب ؟
لهذا نراه صادقاً غير متكلف حين يقول :

أحا الدنيا ، أرى دنياك أفعى	تبدل بكل آونة أهايا
وأن الرقط إقظ هاجمات	واتزع في ظلال السم نايا
ومن عجب تشيب عاشقها	وتغنيهم وما برحت كهايا
فمن يقر بالدنيا فاني	ليست بها فأبليت الثيايا
لها ضحك القيان الی غي	ولي ضحك اللبيب اذا تغاي
جنيت بروضها ورداً وشوكاً	وذقت بكاسها شهداً وصايا

نكي مبارك





﴿لوحة الرخام التذكارية﴾

وهي من عمل النحات المسيو سيان وستُعلّق في كلية الآداب بالجامعة المصرية

ذكريات

عن حياة المدرسة ومدرسة الحياة

— ١ —

أود أن أرفع جانباً يسيراً من الستار الذي أرغاه تطاول الزمان على بعض النواحي من تلك المبقرية التي تألق نورها في سماء العروبة حيناً من الدهر ، لا يقل مداه عن ١٩٠ يوماً و ١٧٠٠٠ يوم ، أي من أول أكتوبر سنة ١٨٨٥ الى اليوم الرابع عشر من مثله في طامنا الحاضر .

ولعلني أتمكن من إرسال شعاع ضئيل على ما أحرزه «شوقى» من سعود متواصلة، وتوفيقات متوالية ، منذ كان يتلقى العلم الى أن بويغ بامارة الشعر .

سأقصر كلامي على طائفة قليلة من ذكرياتي عن الخالد « شوقى » في حياة المدرسة وفي مدرسة الحياة .

— ٢ —

فلنرجع الى سنة ١٨٨٣ . وهي السنة التي تشرّفت فيها بدخولى الفرقة الرابعة (أى السنة الأولى بالاصطلاح الحديث) من مدرسة الادارة التي صححوا (في سنة ١٨٨٦) اسمها هذا المغلوط فجعلوه مدرسة الحقوق (وهو اسم مغلوط أيضاً . ولذلك يبان هنا محله) .

كانت المدرسة قد انتقلت من مقرها القديم المجهود في سراى مصطفى باشا فاضل (بدرب الجاميز) الى دار البدر اوى الباقية الى اليوم بشارع سوق الزلط (من قسم باب الشرعية) على مقربة من دارالسادة الاشراف الاماجد آل العروسى، الذين آلت الى أحدهم مشيخة الازهر .

وفي العام التالى أقبل فوج جديد من التلاميذ للحلول محلنا في الفرقة الرابعة . وفي الذى بعده جاء فريق آخر ممن أسعدتهم المقادير بالانتظام في سلك هذه المدرسة العالية .

من الطبيعي أن يتطلع أبناء الدار بشيء من الزهو والخيلاء الى الطائرئين عليهم والمنضمين اليهم .

كان في جملة الواقدين سنة ١٨٨٥ ، فتى نحيف نحيل ، هزيل ضئيل ، قصير القامة ، وسيم الطلعة (تقريباً) ، يعيون متأفة (تحقيقاً) ولكنها متنقلة (كثيراً) . فاذا نظر الى الارض دقيقة واحدة ، فليسماء منه دقائق متبادية . وإذا تلفت صوب اليمين ، فلا يلبث أن يرمى ببصره نحو الشمال . وهو ، مع هذه الحركات المتتابعة المتنافرة ، هادئ ساكن وادع كأنما يتحدث بنفسه الى نفسه أو يتلافى مع عالم من الارواح . ما كان يلبسنا فيما نأخذ فيه من اللهو والمرح ، ولا تهافت معنا على تلقف الكرة بعد الفراغ من تناول الطعام .

هذه صورة مصغرة لاحمد شوق عند أول عهدي به في حياه المدرسة .

— ٣ —

كان المرحوم الشيخ محمد البسيوني البلباني من علماء الازهر المعدودين . وقد آتاه الله بسطة في الجسم والعلم فكان بديناً فطيناً ، وكان قصيراً فوق قصير لانه كان طويلاً مكبراً ، لا تحطئه النكتة البارة اللاذعة . وكان يدرس لنا فنون البلاغة في كتاب من تصنيفه هو « حسن الصنيع في المعاني والبيان والبديع » . أما خارج المدرسة ، فكان متخصصاً بنظم القصائد في مدح الخديو توفيق ، كلما حل موسم أو أطل عيد . وكان إماماً له في الصلوات ، إلا صلاة الفجر .

ما لبث أن رأى في تلميذه شوق بواكير العبقرية ويوادر المواهب الزبانية . فأنشأ الاستاذ يعرض قصائده على تلميذه قبل أن يرسلها الى الممية السنية فالى « جريدة الوقائع المصرية » وغيرها من الصحف العربية . وكان شوق ، ببساطة التاميز الناشئ ، يشير بمحو هذه الكلمة وتصحيح تلك القافية وحذف هذا البيت وتعديل ذاك الشطر . والاستاذ يفتبط بقوله وينزل على رأيه .

وأحسن ما أذكره للاستاذ البسيوني ، رحمة الله عليه ، انه كان يتحدث بذلك إلينا والى الفرق المتقدمة علينا (وفيها أممحاب السعادة عثمان باشا مرتضى وابوبكر محي باشا وعلى ثاقب باشا وشاكر بك احمد) دون أن تأخذه العزة بالانتم أو أن تغريه الكبرياء الملزمة للمدرّس ، بانكار الفضل الذي منحه الله للدارس .

فهذه أول سعادة أحرزها شوقي .

على أن الاستاذ البسيوني تحدث بهذا النبوغ الباكر الى صاحب العرش ، وأفهمه أن بين أنواب الصغير احمد شوقي براعة نادرة وذكاء رائعا ، وأنه خليف برمائيته العالية ليكون زهرة يتضوع شذاهها في مشارق الارض ومغاربها .

وكانت هذه الشهادة من أكبر الاسباب التي حفزت الخديو توفيق في سنة ١٨٨٧ الى إرسال شوقي على ثقته الخاصة لاتمام الدراسة العلمية في باريس ولتغذية مواهبه الفريضة بما يراه في الغرب من روائع البدائع . وقد تحققت له وفيه الآمال . فكانت هذه ثانية السعادات .

— ٤ —

عاد شوقي الى مصر .

فكان في جملة المستخدمين في ديوان المعية السنية . وظهرت له في الخديو توفيق تلك الامداح التي سارت بها الامثال وتغنى بها الركبان .

لكن الله اختار الخديو توفيقاً الى جواره في أواخر سنة ١٨٩١ .

وجلس على الاريكة ولده وولى عهده صاحب السمو الخديو عباس الثاني ، (في ٨ يناير سنة ١٨٩٢) وكانت نزعتة افرنكية ، لانه تلقى العلم في « أكاديمية ترزيانوم » بعاصمة النمسا ، أدرج وأمضى زمان الصبا في ربوع أوروبا . فلم يكن لصاحبنا شوقي سوق رائجة عنده ، بل أدرج في سلة المهملات الذين يصح عليهم رأى المرحوم محمد بك عثمان جلال ، حينما كتب على باب غرفة شاعر الخديو إسماعيل : « إنما نطمعكم لوجه الله » .

هكذا ، أخذت منزلة شوقي في التبدل وأخذ نجمه في الأفول . حتى انه كان كثيراً ما يطلب متى أن أوصى به صديق للفضال حمزه بك فهمي الذي كان انتقل من نظارة الداخلية الى رئاسة « أقلام عربي ديوان خديوى » . وهو من أهل الفضل الصحيح ومن ادباب الأدب اللتين ، وصل الله في حياته .

— ٥ —

دار الزمان دورته .

وبعثت الظروف السياسية الخديو عباساً إلى أن يتذوق الادب العربي . فمصاد شوقي يتدرج في الرجوع الى مكائته حتى وصل الى الذروة العليا ، بل الى الغاية التي

ليس وراءها غاية . فاصبح من اقرب المقرين ومن اصحاب الكلمة المسموعة والراى النافذ .

وإذا بى أرى صديق المفضل حمزة بك قهقى يخاطبنى فى استرعاء شوقى إياه !
والحياة مبادلة ، والدهر أخذ وعطاء .

— ٦ —

كان شوقى يسكن فى دار أبيه ، وهى التى انتهت إليها كل الثروة الضئيلة الباقية عن اجداده . فكان فى اول أمره يرى من تمام سعادته انه لا يجيئه الجانبى اوصاحب الملك فى آخر كل شهر لمطالبتة بكرة البيت ! وهذه الدار القديمة لا تزال قائمة وراء مسجد الشيخ صالح أبى حديد فى خط الحنفى . وبأ بعد ما يبينها وبين ما أنشأه هو من كرمة ابن هانى فى المطرية ، تتلوها الكرمات الثلاث فى الجيزة ، الى عشى البلبل فى طريق الاهرام .

وكان بجوار تلك الدار القديمة رجل من اهل الثروة واليسار ومن ارباب الفضل الصحيح والوقار التام ، هو المرحوم حسين بك شاهين . رزقه الله بثلاث بنات هن عنوان الصيانة والأدب والكمال . وكان الشباب الذهبى من « أبناء الدوات » الذين ذهبت ثروتهم بفعلهم او بفعل آبائهم الاقربين ، يتهافتون عليه . فيتأبى ويتعذر . ويقول لى وللمرحوم محرم بك رستم (صهر صديقى بل أخى الابى الاكل لبيب بك البنانوفى) ان هؤلاء المتهافتين لا يخاطبون الفتيات ، ولكنهم يترفقون الثروة الطويلة العريضة التى ستؤول الى كل واحدة منهن بعد حين قريب أو بعيد .
وشاء ربك ان يفوز ذلك الماجد المفضل بمصاهرة ثلاثة من افضل الناشئة المصرية : اخدم شوقى ، والثانى احمد بك عمر المهندس البارع النزيه المستقيم ، وثالث الثلاثة السرى المرحوم يعقوب حلمى بك .

هكذا أنعم الله على شوقى بالزوجة الصالحة بكل معانى الكلمة . فاستراح من متاع الحياة البيتية ، ومن مصاعب العيشة المادية . فتفرغ لاستدداد القميص النورانى وتلقى الالهام الربانى ، حتى تفرد بالبراعة التى ليس بعدها براعة .
وانت لمصر ، والحمد لله ، نباتاً حسناً .

— ٧ —

من السعادات التى أنعم الله بها على « شوقى » سعادة لم يشركه فيها شاعر آخر . لم يهيج أحداً ، ولم يقل هجراً ، وكان من أ كابر أنصار العروبة ومن اعظم خدام

الاسلام . بذلك تنطق قصائده وتشهد موافقه . وذلك خارج عن دائرة هذه الذكريات ، فأترك الكلام عليه لغيري .

بيد اننى لا أرى بأساً بالإشارة الى القصيدة التى تقرب بها الى الله والى رسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام . فقد نظم « نهج البردة » ونزّها عن خرافات القصاص وأكاذيب المذبح .

طالما عارض الناس « بردة » البوصيرى فى القديم وفى الحديث بمئات ومئات من المنظومات . لكن الصيت بقى لهذه « البردة » وحدها الى الآن . على أن قصيدة شوق ، وإن لم ترحبها عن مكاتها ، فانها قد نالت شرفاً ليس له نظير . ذلك بأن الاستاذ الاكبر شيخ الازهر وخاتمة المحدثين فى مصر ، الشيخ سليم البشرى رحمة الله عليه ، مع جلالة قدره وسمو مركزه ورفيع مقامه ، قد تولى بنفسه وبقلمه شرح هذه القصيدة . وقد صاغها شوق وهو لا يزال فى سن الفتوة . لكن براعته فيها جعلت شيخ الشيوخ يعرف فضلها ويقدر نازلمها ثم يتوفر على شرحها . وما رأى الناس لذلك مثيلاً قبل شوق .

— ٨ —

عند ما جلس المغفور له السلطان حسين كامل على عرش مصر ، كان السواد الاعظم من ابنائها يعاديه ، بسبب الظروف السياسية التى احاطت ارتقاؤه الى الاربعة . لكنه مالبت بكياسته وحسن سياسته ان جعل كل من فى مصر مخلصاً فى ولائه ، يترنم بحماده ، ويأسف على أن ولايته للأمر جاءت عند الاقتراب من نهاية العمر .

وتلك من نعم الله التى لا يظفر بها إلا الأقل من قليل من الناس . فكان شوق اشجع انسان بمصر فى ذلك العهد المملوء بالخواف والاهوال ، والذى كانت السلطة العسكرية البريطانية قابضة فيه بيد من حديد على كل النواصى والاقدام ، بل على الافكار والاهوام . فقد صرح شوق السلطان حسيناً بما كان موضوع التماس بين كل اثنين يلتقيان ، إذ أرسل اليه قصيدته المشهورة التى أشار فيها الى الحال القائمة بقوله :

(ان الرواية لم تتم فصولاً)

والتى يقول فيها :

أخون إسماعيل فى أبنائه ولقد ولدتُ بهاب إسماعيل ؟

قامت قيامة السلطة العسكرية البريطانية لهذا النذير واضطربت كل الاضطراب ،
لأنها خشيت أن تنتشر بقعة الزيت في رقعة مصر بسبب هذه الصيحة الشوقية التي
كان لها أثرٌ بعيد في النفوس ووقع فعال في القلوب ،
فأمرت بنفيه . فتخير الاندلس مقاماً .

فكان في عمل السلطة إحسانٌ له وللشعر والعروبة من حيث قدرت الأساءة
واطفاء النور .

من هناك كاتبني شوقي يطلب كتباً يستعين بها على تعرف مجد الاسلام وفخر
العروبة في الاندلس . فبادرتُ وارسلت اليه « فتح الطيب » و « المعجب بتلخيص
أخبار المغرب » و « قلائد العقيان » وأيضاً . . . كتاب رحلتى « السفر الى المؤتمر » .
ماذا أقول عن دهشتي بعد أسبوع ؟ أعاد لي الرقيب العسكري تلك الكتب
ومعها كلمة فيها ملاحظة على أن هذا الصنيع من موظف بالحكومة قد لا يتسق
لواجبات الوظيفة !

وبعد ذلك بيومين أو ثلاثة ، جاءني الصديق عدل شوقي بك وهو احمد بك عمر
لأتوصل الى المرحوم رشدي باشا حتى يسمى عند السلطة في عدم إعادة المال الذي
كان ارسله الى شوقي ليعيش به في بلاد الغرب . فكأنها كانت تريد أن يتكفف شاعر
الشرق رغم ثروته الطائلة أو أن يموت هو وأولاده من الجوع في بلاد الغرب !
وشاء ربك تكليل مساعي رشدي باشا بالنجاح . فاخذا احمد بك عمر يبعث بشيء
من مال شوقي الى شوقي في منفاه ، ولكن في اوقات معلومة وبمقادير محدودة .

— ٩ —

لا أريد ان أتحديث هنا عما كان المرحوم السلطان حسين يواليني به من أسباب
الحفاوة والالتفات ، حتى انه اختارني بمثابة مستشار فني لكريمته النبيلة ، صاحبة
السمو سيدتي الاميرة قدرية هانم .
لكنني أتحديث الآن عن امر يخص شوقي أيام منفاه .

فقد كان السلطان حسين يدعو الذين استخلصهم لوده ، فرادى وجماعات ، لتناول
الغداء معه من حين الى حين في سراي ما بدين . وحسبى ان اقول انه بعد الفراغ من
الطعام ، تفضل فدعاني الى تناول القهوة بالبهو الكبير . فجلس في الركن الشمالى الشرقى
والمرحوم محمود شكرى باشا الكبير على يمينه ، وصاحب هذه الذكريات على يساره .

أخذ يتحدث عن النهضة العلمية وعن التطور في الحركة الأدبية. فاستعرض الرقي الذي حدث في الصحافة وفي الأغاني القومية . ودار الكلام بنوع خاص على المرحوم إسماعيل صبري باشا وعلى ما أوتي من الفتح في هذه الأبواب التي جعلته إمام الناظمين في كل فن من فنون العهد القديم ، وفي كل مطلب من مطالب العصر الحديث .

ثم سألتني — رحمه الله — عن ترجمة كلمات كثيرة ، ومنها لفظة Mentalité . فقلت له إن هذه الصيغة قد استحدثها القوم لمعنى خاص يقاربه في العربية قولنا « ذهنية » ، « عقلية » .

وحينئذ ، انتقل إلى الكلام عن طرافة التفنن عند شعراء الأفريج . ثم سألتني : أوجد بين العرب الآن من في قدرته أن يمشيهم مع هذه « العقلية » الجديدة وهذه « الذهنية » الحديثة ؟

فقلت : إن هذه المزية قد تفرقت في كثير من شعراء العصر ، ولكنها اجتمعت كلها في شوقي ...

وهنا ظهرت لي إشارة من المرحوم محمود شكري باشا ، فتشجعت بها على المضى في الكلام ، وقلت لمولانا السلطان :

إن شوقي ممن تزدان بهم الدول ، وإن مثله لو كان في زمان الخلفاء لتخاطفته دمشق وبغداد وقرطبة ...

فتكررت الغمزات من ناحية شكري باشا ... بالموافقة والمطابقة .

فاندفعت أنفي بحاسن شوقي ، وبما أفاضه على العروبة والاسلام من نقشاته ، وبما منحه للشعر والادب من تفحاته ، وإن هذه وهذه حسنات وأثار غالية . وهنا تزايدت الإشارة الرقيقة الدقيقة من المرحوم شكري باشا ...

فعاودت الهجوم على الموضوع ، سيما وقد آلت من السلطان ما يشعر بالرضى والقبول . فقد ألزم الأطراق والأصغاء في سكوت وسكون .

وهكذا تماديت حتى إلى كلمة فيها جراءة . شجعتني عليها ما رأيته من موقف السلطان . فقد قلت ما معناه بالاختصار :

أصبح أنت تبق مصر محرومة في عهدك السعيد ، بلبلها الفريد ، وإن يعرف هذا الطائر التريد الوحيد بمجناحيه على قرطبة وطليطلة وعلى اشبيلية وغرناطة ، بعد أن خرجت منها العروبة خروج الأرواح من الأبدان ؟ إن الذي ترمقه الثقافة

العربية والقومية المصرية من ابن اسماعيل ومولى النيل ان يعمل بالخطبة الكريمة التى رسمتها اريحيته النبيلة لنفسه التى صاغها الله من الخير للخير ، فيعيد الى القاهرة روثها المجتمع فى أبواب شوقى .

وهنا تكررت الاشارة وتواتت الغمزات من محمود باشا شكرى . فأدركت اننى قد أكون تجاوزت الحد . ولكن السلطان ما زال مصغياً ، كأنه يطلب المزيد من الكلام . وماذا عسيت أن أقول بعد أن قد استوعبت كل ما فى الصدر ، بل كل ما يجيش بالخاطر ؟ فبقيت ساكناً منتظراً تحول الحديث الى موضوع آخر من السلطان نفسه ، او صدور اشارته بالانصراف .

وقضى ربك بالخلاص من هذا المأزق .

فبعد برهة قصيرة ، وقف السلطان . فوقفنا . ثم تقدمت فقبلت يده الكريمة وانصرفت .

وقابلت فى الدعة الصديق المفضل احمد بك احسان . وفيما أنا أرفقه عن تسمى بمحادثته ، وأتنفس الصعداء لخروجه من ذاك الموقف ، إذا بالمرحوم شكرى باشا يهرول ورأى . ثم طلق ينهال بتعنيى على اندفاعى فى تقرير شوقى رغم الاشارات المتوالية التى كان يديها لى من حين الى حين للتخفيف من غلوائى فى الحديث فلم يكن من سبيل للاعتذار سوى ان السلطان كان مصغياً تمام الاصغاء ، وأنى فهمت من اشاراتك انك راض عن صنيعى تمام الرضاء ، بل أنك قد تكون سبقتنى الى تقرير هذه فهذا عذرى ، وما فعلت سوى نصيح السلطان بما انطوت عليه سريرى واستقر فى صدرى .

لست أدعى ان كلامى كان له أثر فى نفس السلطان . ولكن الذى أعرفه ان الله سبحانه وتعالى جعله يضيف حسنة كبيرة الى حسناته الكثيرة ، فأصدر أمره بعد ايام الى المرحوم رشدى باشا ليسعى باسمه الكريم لدى السلطة فى ارجاع شوقى الى وادى النيل . وقد كان .

— ١٠ —

اكبر سعادة نالها شوقى ، بل سعادة السعادات التى أفاضها الله عليه فى الثروة والجاه وكل مطالب الحياة ، ان الشعراء المتعادين فى كل زمان ومكان قد اتفقت كلتهم فى جميع

أقطار العروبة وفي عصرنا هذا على تمجيد شوقي ومبايعته في حياته بالامارة عليهم .
فصار باقرا دم جميعا (أمير الشعراء) حقا . وهو لقب لم ينله قبله إنسان ،
وهيات ، هيات ان يتجدد مثل هذا الحادث في مستقبل الأيام !

فالببيعة الصحيحة بشروطها المعتبرة شرعا وسياسة ، قد انعدمت في كل بلاد
الشرق . ورأينا الخلفاء في ثنايا التاريخ يتلقفون هذا اللقب وهذا المنصب بطريق
الوراثه ، يضاف اليها صيغة صوربة للبيعة ، الى ان انعدمت هذه الصيغة الشكيلة
أيضا ، باستيلاء السلطان سليم العثماني على مصر وملحقاتها واغتصابه الخلافة في اوائل
القرن العاشر للهجرة .

ثم تبادت السنين والقرون الى ان أتاح الله لنا ان نرى البيعة في أعلى مظاهرها
ومعانيها ، وعلى اكمل مشاهدتها ومجاليها في الحفلة النادرة المثال التي توارد
الشعراء اليها من سائر الاقطار ويابعوا فيها شوقي بك مبايعة رسمية جهرية باعتهاد
اميرآلهم . فقد خاطبه حافظ عن نفسه وعنهم بقوله :

أمير القوافي قد أثبت مبايعا وهدي وفود الشرق قد بايت معي
وهذا اللقب كان قد أطلقه عليه الناس قبل تلك البيعة الصحيحة بزمان طويل .
ولا غرو ، فان « السنة الخلق اقلام الحق » .

— ١١ —

في انتظار أمير الشعر الجديد ، الذي قد لا يأتي به الزمان ، يحق للجبل الحاضر
أن يفاخر الاجيال الماضية ويباهي الاجيال الآتية بأنه حاز الشرف الاكبر بظهور
امير الشعراء فيه . وفي ذلك ما فيه من معاني المجد الدائم لمصر في هذا العصر .
وسبحان الخى الباقي لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

— ١٢ —

والى الله تعالى نتوجه بقلوبنا داعين أن يديم لمصر مولانا الملك المعظم فؤاد
الأول ، فقد اصبح عصره زينة المصور بما يتواتب فيه من التهنئات وما يترادف
من وجوه الاصلاح في أسباب الحياة وفيها الأدب العربي القومي . وذلك كله
بعتايتة العالية ، وبارشاده الكريم أقر الله عينيه بسمو ولي عهده آمين .

احمد سكي باشا

الافخلاق في شعر شوقي

قالوا إن سيدة ذهبت لتوديع ولدها ، وقد اعتزم منفراً طويلاً ، فلما تحرك القطار ودعته بأبلغ قصيدة شعرية عبّرت بها عن آلامها وتباريحها القاتلة .
على أنها لم تنظم في هذه القصيدة الرائعة بيتاً واحداً ، ولم تنطق فيها بكلمة واحدة .

ولكن قصيدتها كانت — رغم ذلك — لا تقل عن أبلغ قصيدة قالها شكسبير أو المعري ، ولم تكن قصيدتها تلك إلا زفرة زفرتها ودمعة تفرقت في عينيها .
ولا زلت أجدني في موقف وداع هذا النابغة الراحل إلى دار الخلود ، لا أستطيع أن أودعه بغير هذه القصيدة الصامتة التي تتلخص في زفرة حارة ودمعة مترققة وذهول يستولى على النفس حتى ليكاد ينسها كل واجب .

ولقد هممت مراراً أن أكتب شيئاً عن الزعيم الراحل الجليل ، فلم استطع إلى ذلك سبيلاً ، فإن الكتابة عن شوقي وتحليل شعره ودرس أدبه تتطلب وقتاً وبقظة ودقة .

أما الوقت فأصدقائي الأدباء يعلمون بأنني أستطيع أن أظفر بكل شيء في هذه الأيام إلا الوقت . وأما اليقظة فقد حل محلها الدهول بهذا الخطب الجلل . وأما الدقة فلا سبيل إليها في مقام تستولى فيه الدهشة ويستبد الدهول بالعقول .
وقد هممت بكتابة كلمة عن روايات شوقي بك ثم أرجأت كتابتها إلى حين ، وهممت أن أصف آخر ليلة قضيتها مع شوقي بك فنعني الأمل والحزن عن كتابة شيء ، وأرجأت ذلك كله إلى الظروف والمناسبات التي أرجو أن تكون قريبة .

وقد حفزني إلى كتابة هذه الكلمة السريعة القصيرة عن الأخلاق في شعر شوقي بك أن كثيراً من الأدباء نكسوا عليه الاكثار من ذكر الأخلاق في شعره وعدوا ذلك عليه من المآخذ والعيوب ، وظن بعضهم أن شوقي كان يذكر الأخلاق في شعره بمناسبة وبغير مناسبة ، وقد كان جديراً — في زعمهم — أن يقتصر على ذكرها مرة أو مرتين . ولهم العذر في ذلك فإن أكثر من طابوا عليه ذلك قوم لا يفهمون الأخلاق إلا فهماً سطحياً . ولو أنك سألت أكثرهم أن يعرف لك

الاخلاق كما يفهمها لما زاد على تعريفها بأنها عجالة الناس وارضائهم والرضوخ لتقاليدهم ومصطلحاتهم الحقيرة التي يتقنها أبعد الناس عن الاخلاق .

ولو ان شوقي كان ميعنى بهذا النوع الحقيير من المواضع والمجاملات التي تعجب الناس وترضيهم لما كان لشعره أية قيمة .

بلى ان شوقي كان يشيد بذكر الاخلاق ويرى أن الأمم لا ترتقى بغيرها . ولو وقف أكثر شعره على تقرير فضل الاخلاق لما كان مبالغاً ولا مكثراً .

وليس شوقي وحده هو الذي عتّى نفسه وملاً شعره بذلك فقد شغل المعري نفسه ووقف أكثر زومياته على نعي الأخلاق ، وقلمنا نمر بك صفحة من الزوميات من غير أن نسمع فيها صرخة داوية تكاد تصم الأذان في نعي الأخلاق والتبرم بلؤم الناس وصغار نفوسهم فتراه مرة يقول :

جنوا كبائر آثام وقد زعموا أن الصغائر تمنى الخلد في النار !
أو يقول :

لو غرّبل الناس كما يعدموا سقطاً
أوقيل للنار : «خصى من جنوا» أكلت
هل ينظرون سوى الطوفان يفرم
سبحان من ألهم الاقوام كلمهم
لما تحصل شيء في الغرايل
أجسادهم ، وأبت أكل السرايل
— كما يقال — أو الطير الأبايل
أمرأ يقود الى خبل ونحليل
أو يقول :

كتاب محمد ، وكتاب موسى
هدت أمماً فما قبلت ، وبارت
والنجيل ابن مريم واليزود
نصيحتها ، فكل القوم بوراً
أو يقول :

والحق يهمس بينهم ويقام السوءات منبر
أو يقول :

إذا قلت الحال رفعت صوتي
وان قلت اليقين أظلت همسي
أو يقول :

ينغون منى معنى لست أحسنه
فان صدقت عزتهم أوجه عيسه

أو يقول :

هم أسارى منايهم ، فما لهم إذا أتاهم أسيرهم لا يفكون

أو يقول :

فأفّ لمصريهم - نهارو حنّدى - وجنسى رجال منهم ونساء

أو يقول :

ربيت شبلا ، فلما أن غدا أسداً عدا عليك ، فلولاً ربه أكلك !

ثم ماذا ؟ لو شئت لملاّت صفحات هذه المجلة وهي كثيرة بشعر المعرى وحده في التبريم بأخلاق الناس ، وقد ذكرت من ذلك شيئاً في « رسالة الغفران » ، والمعرى بعد شاعر واحد له أشباه كثيرون في العربية وغيرها من اللغات ، فهل نرى أحداً من هؤلاء قد أسرف حين ملأ أكثر شعره بالأخلاق وتغنى بها ورأى بحق أن الأمم لا بقاء لها بغير الأخلاق :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همّوها ذهبت أخلاقهم ذهبوا
الأمم الأخلاق ! صدق شوقي بك الذي خبر عصره وبلى أخلاق معاصريه وعرف نقائصهم ورذائلهم ويرم بصغار نفوسهم وتآلم من دسهم ونفاقهم وقد رأى بعض الأدباء يلتصمون بمعونته المادية والأدبية ، فإذا ظفروا بها فضلوها على كل شعراء الدنيا من قدماء ومحدثين ، ومحلوه أسمي ألقاب العبقرية والخلود ، فإذا انقطع عنهم فيض معونته تقضوا كل كلمة كتبوها ثناء عليه وملأوا الدنيا ازراء به وتحقيراً من غير أن يستشعروا أيّ خجل فلا غرو أن نسمع هذه الصرخة تدوى من فم شوقي فتعلاً الأفاق وهو يقول :

ولا المصائب إذ يرمى الرجال بها بقاتلات إذا الأخلاق لم تُصيب
وقد كان شوقي يؤمن إيماناً وثيقاً لا يتسرب إليه لحة من الشك أن الأخلاق هي كل شيء ، وأن كل مصيبة مهما جلّت هينة ميسورة يسهل المتغلب عليها إذا كانت عدة الأمة أو الفرد الخلق للتعين .

فهو يقول في رواية « أميرة الأندلس » (ص ١٠٣) : فكمن من تاجر بمنزلة أبي الحسن قد نكسب فذهب عنه كل شيء إلا الخلق ، ثم لم تمض مدة من الشهور أو الأعوام حتى جمع الناس ومحمدوا أن التاجر فلاناً قلب بالخلق على نكبته فعاد دولاب تجارته

كأئس عظيم الحركة عيم البركة ، ومثل أبي الحسن في خلقه وأمانته وشرف اسمه في الأسواق لا يبعد أن يقوم من هذه السقطة ورجلاه في العافية .
على أن شوقي لم يشغل نفسه بالاخلاق في شعره ونثره فحسب بل شغل أكثر مجالسه بالتحدث عنها .

وقد كان شوقي يرحم الله — يتحدثني في آخر ليلة قضيتها معه عن ألمه الشديد وحزنه العميق على فساد الاخلاق وصغار النفوس ، فأنت تراه قد شغل شعره ونثره ومجالسه بهذه الرسالة العالمة التي أدّاها أحسن أداء ، ولم يغفل أدائها في أية فرصة صنعت له ، وما أدوع قوله في نشيده الخالد :

على الاخلاق خطوا الملك وابنوا فليس وراءها للمز ركن
كذلك قامت نهضات الامم الحقيقية وأفلح دعائها وقادتها بالاخلاق ، وبالاخلاق وحدها نجحت دعوة الرسول ، فلم يتردد حين لامه عمه عبد المطلب على ثباته في دعوته التي ألبت القبائل عليه ، فأجابه الرسول من غير تردد ولا رهبة :

« والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أبترك هذا الامر أو أهلك دونه ما تركته » .

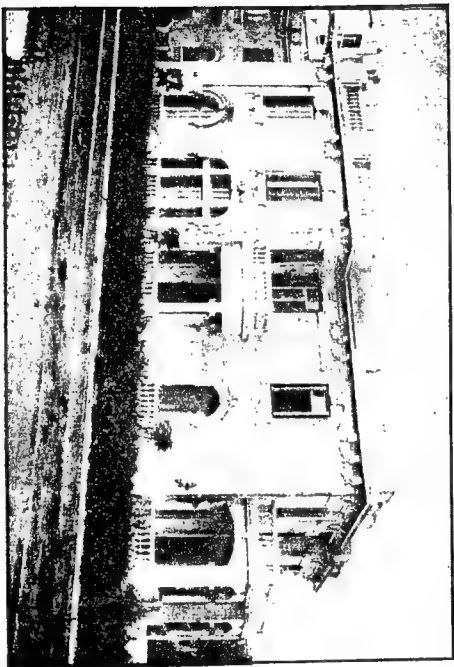
وبهذا الخلق المتين مدحه الله في كتابه الكريم فقال :
« وانك لمعلى خلق عظيم »

هذا الخلق العظيم هو الذي تغنى به شوقي في شعره ونثره وردده في نومه ومحموه ، ورأى أن نهوض الأمم لا يتحقق بدونه وأن كل شعب يفقد هذه الميزة الكبرى سائر في طريق الفناء والاضمحلال :

وليس بعاصم بتيان قوم اذا اخلاقهم كانت خرابا
رحم الله شاعر الاخلاق رحمة واسعة

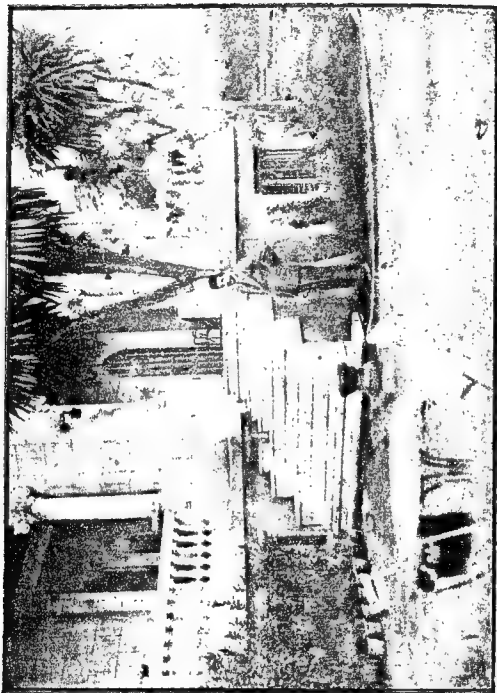
لأمم كيموري

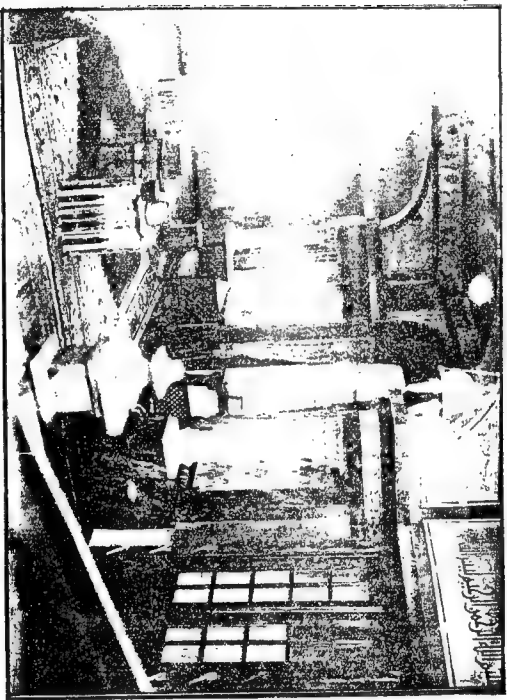
سكرتير رابطة الادب الجديد



قصر كرمة ابن هاني : منظر منزل عمومي ، وهو واقع في شارع بيرس بن شهاب بالجزيرة

﴿ في حديقة كرمة ابن هالكى على ضفة النيل ﴾





قصر البهر المروي في كرمة ابن حلق

الشعر الفني في نظم شوقي بك

— ١ —

هل يستطيع الباحث الذى يعرض لشوقي بك أن يسلّم به من كل نواحيه ؟ إننى أستبعد ذلك فإنّ الشاعر الذى ظل فيض قريحته يعلّأ الشرق نيفاً واربعين سنة لا تيسر دراسة شعره دون انقطاع طويل لهذه الدراسة لا تنهياً أسبابه الآن للمتأدّب فى مصر بل فى الشرق .

وليس من شك فى أن شوقي نظم كثيراً من ذلك الشعر فى شتى المناسبات وقد كان مقيداً فى معظمها بقيود أهونها عدم قدرته على التحلل من ظروف بيئته واتصاله ببعض الهيئات الرسمية شطراً كبيراً من حياته ، وهناك ظاهرة أخرى واضحة هى أن اتصال شوقي بك بسواد الشعب محدود وهو لذلك لم يكن مرفقاً بكل التوفيق فى التعبير عن الأماني الشعبية الخاصة ، أما الأماني القومية العامة فهو فيها شاعر مصر المجلى .

وإذا عرضتُ هنا لشعر شوقي بك فأما أعرض للجانب الفني منه ، وحسبى درس الشعر الفني بين ما نظمه شوقي فهو لبُّ الشعر وغايته ، بل هو الشعر الذى يتطلبه العصر . أما شعر الحفلات والمناسبات والمجاملات فلا جدوى فنية منه ولن يبقَ إلا بقاء ذكرى مناسباته ، حينما الشعر الفني هو شعر الخلود . وقد انتقدتُ شوقي بك مراراً فى حياته لعنايته بشعر المناسبات والحفلات كما انتقدتُ جانباً من أساليبه ، وأرأى فى ذلك معروفته ولا زالت هى هى ، فلا حاجة بى الى تكرارها خصوصاً وكل ما يعنى هنا إنما هو الاشارة بحسناته وجوانب شعره الفني .

— ٢ —

وستلاقى غير قليل من الجهد وأنت تتلمس الشعر الفني فى « الشوقيات » . ولست أدري كيف جاء ترتيب جمع القصائد فيه ، فلا هى مجمعت بالقافية والروى كما كان يفعل

الشعراء والناسرون القديامي ، ولا هي جمعت حسب تقسيم الموضوع كما يفعل بعض المحذنين . ولكن الواقع ان عدم نشر شعر شوقي بالترتيب التاريخي جناية أدبية على شعر شوقي ذاته ، فسيقف الذي لا يعرف مناسبات شعره بعد ذلك موقف الحائر لا يدرى متى قال هذا ومتى نظم ذلك ، لأن كل شعره في صياغته وقوة نسجه سواء . وإنني لأذكر - كلما ساورتني شبهة الترتيب التاريخي لقصيدة من شعر شوقي - رأياً كان يردده سعادة احمد ذكي باشا وهو :

« لا فضل لشوقي في كل هذا الشعر فانه رسول قوة ملهمة ، وليس للرسول أكثر من فضل أداء الرسالة » .

والواقع أن هذا الرأي جدير بالتأمل والتفكير ، فان شوقي كان شاعر أمة صاغته أمانيتها وشحنته آلامها فخرج معبراً عن هذه الاماني مصوراً لتلك الآلام ، ولم يحدث من ذلك غير عزلته بحكم ظروفه السياسية . خرج يؤدي رسالة العصر الذي يعيش فيه وقد لا يدرى هو لماذا اختير دون غيره لاداء تلك الرسالة ولكنه يجد في نفسه القدرة على أدائها والسلام . وهذا الرأي يؤيد ما ذهبنا اليه من أن قوة النسيج والصياغة تكاد تكون متوازنة في شعر شوقي قديمه وحديثه ، فهو شاعر عبقرى والعبقرية هبة تهب على غير مقياس تاريخي معروف ، بل لقد تنزل في جيل لا يدرى أهله جميعاً من أمرها شيئاً !

وأذكر أن صديقاً من الادباء الممتازين كان واضح الاعجاب بالمعنى الذي تضمنه البيت الآتي الذي نظمه شوقي على لسان قيس في رواية « مجنون ليلى » :

ليلى ، منادٍ دعا ليلى نغفاً له نشوانٌ في جنباتِ الصدرِ عريداً !
وكان الصديق يلقي البيت القاءً بديعاً فذكره لشوقي وسأله عن ظروف نظم هذا المعنى الرائع . فاهتزَّ شوقي للبيت لدى سماعه اهتزازنا له وقاص في لجة من التفكير أذهله عن سؤال الصديق لحظة . فلما انتبه وذكر السؤال بادر الى الجواب ولم يكن إلا كلمة واحدة هي : « لا أدري ! »

وهذا حق ، فان شوقي لم يكن يدرى كيف هبط هذا المعنى عليه ، فهو وحى العبقرية !

ويذكرني هذا بمقال جيد قرأته في مجلة المقتطف (عدد نوفمبر سنة ١٩٣٣) عن شوقي بقلم الشاعر المعروف مصطفى صادق الرافعي درس فيه شوقي على طريقته في

دراسة الشعراء . والواقع أن الرافعي وُفِّقَ في مقاله إلى حد لم يكن يُنتظر من أحد شعراء المدرسة القديمة . ولكن ثمة مسألة جديرة بالبحث : تلك هي إعجابه ببراعة شوقي في استخراج المعاني وتوليدها من معاني غيره من الشعراء المتقدمين أوأخذه على شوقي عدم توفيقه إلى ذلك . والرافعي شاعر نابِه قد يصكون بارعا في صنعته ولكن نصيبه من الروح الفنية محدود في رأيي ، وقد يكون استخراج المعنى وتوليده واللعب بذلك أو التفتن فيه (كما يسميه) من كمال الصنعة عنده ولكنه ليس من كمال الشعر في شيء ، فالشعر الفني لا يجري عليه مايجري على سائر المنظوم من أقيسة التوليد والاستخراج : فأنى مثلا لأدري تلك الصلة في الاستخراج والتوليد بين قول شوقي ما تراها تناست اسمي لما كثر في غرامها الاسماء !

وبين قول أبي تمام :

أتيت فؤادها أشكو إليه فلم أخلص إليه من الزحام !

مهما رأى الرافعي فيهما من صلة أو شبه صلة ، فليس يكفي أن يتشابه موقفان لشاعرين في الحياة ليكون الأخير منهما مولداً أو مستخرجا لمعنى الثاني !

— ٣ —

وأبرز ضروب الشعر الفني الذي نود أن ندرسه في نظم شوقي هي الشعر القصصي والشعر التاريخي التحليلي والشعر الوصفي والشعر التمثيلي .

أما الشعر القصصي فقد طالجه شوقي في شبابه وكانت له فيه بضع محاولات ثم انصرف عنه بعد ذلك أو لوته عنه ظروفه فلم يعد إليه ، وهي خسارة أدبية وفنية لا تموت من فلو أن شوقي استغل هذه العبقرية الشعرية الفياضة في الشعر القصصي لكان لنا منه الآن فنٌ خصبٌ أسرته .

وأما الشعر التاريخي التحليلي فهو لونٌ طريف في الأدب الجديد ، وليس المقصود منه مجرد سرد لحوادث التاريخ لا تعتمد على أساس ، ولكنه دراسة لتلك الحوادث وتحليل لعناصرها ومقدماتها تحليل متفهم لمراميتها مدرك لغاياتها .

وأنت ترى منها كيف يستطيع المؤرخ البارِع أن يسجل حوادث التاريخ في صدق ويستطيع مع ذلك أن يستولى على لبك وإن يشعرك بالعطف على قضيته أو على قضية بلاده ويكسب تأييدك لها ويوجه شعورك معه : تمحزن إن حزن وتفرح لفرحته . وهكذا ؛

ثم يرد الحجة في حماسة :

أين كان القضاء والعدل والحكم (م)مة والرأي والنهي والذكاء

وبنو الشمس من أعزة مصر والعلوم التي بها يُستضاء ؟

ثم يعلل تسخير الفراعنة للأسرى :

ورأوا للذين سادوا وشادوا مُسببة أن تسخر الأعداء

ثم ينافر ويفخر في قوة :

إن يكن غير ما أتوه فخاراً فأنا منك يا غارُ برأه !

وهذه الروح القوية الصامدة لا يستطيع الباحث المدقق أن يردها إلى أواخر

القرن الماضي ، فإن روح التحليل والترتيب المنطقي فيها كثيرة على ذلك العصر .

وتسير القصيدة على هذه الوتيرة من تسجيل تاريخ الفراعنة ومجيد أعمالهم في

تحليل وفخر حتى يصل الى غزوة الهكسوس أو الرماة للأراضي المصرية وهزيمتهم

للفراعنة واختلاطهم لمصر ، فانظر الى تمهيد البارع :

ليت شعري والدهرُ حربُ بنيهِ وأياديه عندهم أفضاهُ

ما الذي دخل الليالي منا في صباها واليالي دها ؟

ثم ينتقل الى سرد الوقائع في تصدير بارع كذلك :

فعلا الدهرُ فوقَ علياهُ فرعو نَ وهمتُ بملكه الأرزاءُ

أعلنت أمرها الذئابُ وكانوا في ثياب الرماة من قبلُ جاموا

وتأمل الروح التي تسود هذا القول :

وأنى كلُّ شامتٍ من عدا المــــــــــــــــسلك إليهم وانضمت الاجراء

ومضى المالكون إلا بقايا كهم في ترى الصعيد التجاء

وانظر الى التأني والحسرة البارزة التي يمد بها لوصف الهزيمة :

فعلى دولة البناء سلامٌ وعلى ما بنى البناء العفاه

واذا مصرُ شاةٌ خير راعي الســــــــــــــــوء متؤذى في نسلها وتساه

وانظر اليه بصف ظلم الفالح الغاشم :

قد أخذَ الرجالُ فهي عبيدُهم وتقوس الرجال فهي إماءُ

وانظر اليه كيف يصور سوء السياسة والتفريق في المعاملة :

وتقوم منواله ورضاه ولا أقوام القلي والجفاء

فريق ممتعون بمصر وفريق في أرضهم غراء
ثم أنظر اليه كيف ينقد هذه السياسة وينعى سوءها ويصور أثرها ويتحدث
عن قسيات الشعوب :

ان ملكة النفوس طابع رضاها فلها ثورة وفيها مفساة
يسكن الوحش للوثوب من الأسس فكيف الخلاق السعلاة ١٢
ويصف عهد مصر تحت نير هؤلاء الرعاة ويبرر خنوعها لاستبدادهم ويعمل
ذلك في دقة المؤرخ المتزن :

لبثت مصر في الظلام الى أن قيل مات الصباح والاضواء
لم يكن ذاك من عي كل عين حجب الليل ضوءها عمياء
ويتحدث عن نهضتها للتخلص من ذلك الأمر :
ما ترواها دعا الوفاة بنينا وأنام من القبور النداء
ليزجوا عنها العدا فأزاحوا وأزيمت عن حقها الأقداء
وأعيد المجد القديم وقامت في معالي آياتها الأبناء
ويتحدث بعد ذلك عن تاريخ مصر في ذلك العهد الذي عقب خلاصها من حكم
الرعاة حديثاً كله الفخر وكله الاعتداد بمفاخره الثالثة :

إيه ميزوستريس ماذا ينال الو صف يوماً أو يبلغ الاطراف ؟
كثرت ذاتك العلية أن تحصى ثناها الألقاب والاسماء
لك آمون والهلال إذ بكبر والشمس والضحى آباء
ولك الريف والصعيد وتاجا مصر والعرش عاليًا والرواء
ولك المنشآت في كل بحر ولك البر أرضه والسماء
ثم يتحسر ويتنمى لو لم تزل هذه الأيام :

ليت لم يملك الزمان ولم ييسل للملك البلاد فيك رجاء
هكذا الدهر حالة ثم ضد ما لحال مع الزمان بقاء
ويتصرف من ذلك الى الكلام على غزوة القرس لمصر بقيادة قبيز :
لا رعاك التاريخ يا يوم قبليز ولا طنطننت بك الانباء
دارت الدوائر فيك ونالت هذه الأمة اليد العسراء
ويستطرد متحدثاً في لوحة الحزين ، ويصف أسر الملك في حصرة الوطنى المتأسى :
رحمى بالمالك العزيز ذليلاً لم تزل فؤاده البأساء

يصر الآل إذ يراح بهم في موقف الذلّ عنوةً ومجأه
ويصف أسر بنت فرعون ووضعها في الاغلال وأهاتها وتمذيها على مشهد
من أبيها :

بنت فرعون في السلاسل تمشي أزعج الدهر عرُها والحفاه
فكان لم ينهض بهودجها الدهر ولا سار خلفها الأمراء !
ويصف تمذيب فرعون واثارته بالتفنن في وسائل الاهانة والاستنارة :

وأوها العظيم ينظر لما ردت مثلما تردى الاماء
أعطيت جرة وقيل اليك النهر قومي كما تقوم النساء !
فشت تظهر الالة وتحمي الدمع أن تسترقه الضراء !
والاعادى شواخص ، وأوها بيد الخطب صخرة صباء !

وأنت تحسّ ولا شك بالقدرة العظيمة على تصوير الوقائع من هذه الأبيات
الرائعة ، ومن الأبيات التي تليها :

فأرادوا لينظروا دمع فرعو ن ، وفرعون دمه المتنفذا
فأروه الصديق في ثوب فقر يسأل الجمع والسؤال بلاه
فبكي رحمة وما كان من يبكى ولكننا أراد الوفاه
هكذا المملك والملوك وإن جا ر زمان وروحت بلواه

ويكفي هذا القدر فاقصيدة طويلة وهي جديرة بالمطالعة والدرس لأنها من
أجل ما نظم شوقي من الشعر الثنى بل هي جماع مظاهر فنه ، فتستطيع لو تأملتها أن
تدرس فيها كل خصائص شعره الثنى وميزاته وإن كان قد طال عليها الوقت ، لأن
روح شوقي لم تتغير كذلك ولم تتغير سمات شعره ولا خصائصه وإن تغيرت على
مر الزمان أفكاره وآراؤه وبعض أساليبه .

وقد استطال استقراؤنا بهذه الناحية في شوقي على غير ما يتسع المقام لأننا لا
نطمع في أن نرمم للقارئ دراسة وافية للشعر الثنى عند شوقي في هذا الحيز المحدود
ولا في أضعافه ، ولكن كل ما نطمع فيه هو أن نثير في نفسه الرغبة في درس هذه
الشاعرية العظيمة . فليرجع القارئ الذي يستهويه هذا الجانب ، جانب التحليل
التاريخي من الشعر الثنى ، الى « الشوقيات » فإنه سيجد روعته بارزة في قصائد
(صدى الحرب) و (نكبة بيروت) و (أبوالهول) وغيرها .

- ٤ -

أما الشعر الوصفي فنريد أن نسجل - قبل أن نتحدث عنه في شعر شوقي - أن هذا الضرب من الشعر القني يقتصر اليه الشعر العربي كل الافتقار ، فان شعراء العرب الذين تعرضوا له - مع قلتهم - لم يتركوا لنا منه ثروة تمتع الرغبة الفنية ، وقد شغل أكثرهم عنه بشواغل السياسة أو الحياة أو العيش يسخرون لها الشعر ويصرفونه اليها دون الالتفات الى هذا الضرب القني الصرف الذي لا يرضى إلا الفن .

لا ننكر أن بين عيون الشعر العربي قصائد وصفية رائعة ولكننا نقول إن الوصف كان - ولو نسبياً - من الفنون شبه المهجورة عند شعراء العرب ، فان كنا ننحى ذلك عليهم وقد كانت حياتهم على ما نعلم من جفاف ومن تشابه مملول فكيف نحن الآن في هذه الحياة الزاخرة الصاخبة التي تستدعي شيئاً من الفن يرفه عن النفس بعض هذا التكالب المادي البهيم ؟!

وإذا كنا نعد القصيدة التي قالها شوقي في المؤتمر الشرقى الدولي جماع شعره التاريخي التحليلي فهناك قصيدة أخرى في شعره الوصفي لا تقل عنها روعة ورقة وجمالاً ونستطيع أن نقول مطمئنين إنها هي الأخرى جماع شعره الوصفي وإن فيها جل سمات وميزات هذا الضرب من شعره : هذه القصيدة هي الخاصة بحياة النحل . وإن كل من لديه ولو فكرة بسيطة عن طبائع النحل ونظام معيشتها وعاداتها ليعجب من هذه الدقة التي استطاع شوقي أن يتوخاها والتي دلت على دراسته لهذه الحشرة في سنة ١٩٢٣ (وقت نظم القصيدة) معتمداً على مطالعته في تأليف ميتزلنك الأديب البلجيكي الشهير ، فانك تدهش حين تقرأ لشوقي عن الملكة :

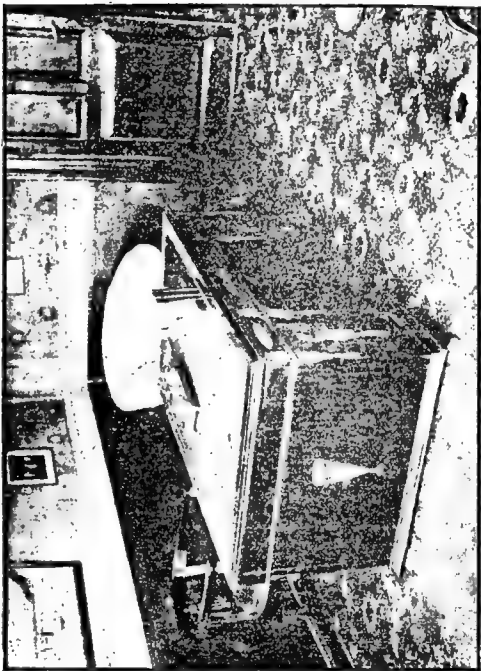
تحكمهم راهبة ذكارة مغبرة
ماقده زناها عن ساقها مشمرة

وترى دقته في وصف النحلة العاملة :

تلثت بالأرجوان وارتدته مثررة
وارتفعت كأنها شرارة مطيرة
ووقعت لم تختلج كأنها مسمرة

ثم ننظر الى هذا التصوير الدقيق لعادات النحل :

مكتب التقييد الكرم ، ولما كان يستعمله إذ كان يجلس ويؤلف في حجرة نومه



تقتل أو تنفى الكسا لى فيه غير مُنْدَرَّة
تحكم فيه قيصره فى قَرَمها موقرة
من الرجال وقبو د حكمهم محررة
لا تُورث القوم ولو كانوا البنين البررة
الملك للثلاث فى الـ دستور لا للذكرة !

وتنظر الى قوله يصف سرح العائلات لجمع الرحيق من الأزهار وعودتها الى
أقراصها لخزن ما تجمعهم :

وتذهب النحل خفا فأ ونجىء موقرة
جوابُ الشمع من الـ خماثل المنسورة
جوابُ الماذى من زهر. الرياض الشيرة

وما أوفق تسميته للسالك بين الأقراص « بالأدورة » ووصفه لعودة النحل
محملة اليها :

حتى إذا جلت به جاست خلال الأدورة
وغبته كاللا ف فى الدنان المحصرة

وفى الواقع ان هذه دقة لا تتيح إلا لباحث قضى فى درس طبائع النحل وتأمل حركته
وقتاً ليس بالقليل ، وهى تدل على مبلغ عناية شوقي بموضوعه واهتمامه باستيعاب
كل فروعه والاطلاع على ما يتعلق به ، وهذا هو الذى تعبنا فى توجيه أنظار شعراء
العربية اليه فليس يكنى أن يحفظ الشاعر طائفة من الالفاظ اللغوية وأن تطيعه أوزان
الشعر لجمال الدنيا نظماً فى غير طائل !

ولشوقي قطعة وصفية عن « روما » يصف فيها تماثيلها وهياكلها :

وتماثيل كالحقائق تزدا د وضوحاً على المسمى وإيانه
من رآها يقول : هذى ملوك الد هر ، هذا وقارهم والرزانه
وبقايا هياكلهم وقصور بين أخذ البلى ودفع المتانة
ولا يجوز أن يعرض باحث للشعر الوصفى عند شوقي ولا يذكر قصيدته الرائعة
فى (أنس الوجود) التى يقول فيها :

قفْ بتلك القصور في اليمِّ غَرَّكِي مَسْكَاً بَعْضُهَا مِنَ الذَّعْرِ بَقْضَا
كَعْدَارِي أَخْفِينِ فِي الْمَاءِ بَعْثَا سَابِحَاتٍ بِهِ وَأَبْدِينِ بَعْثَا
أو قوله في وصف جذّة نقوشها ورسومها :
رب تقشره كأنما تقض الصا نَحْ مِنْهُ الْبَيْدَيْنِ بِالْأُمْسِ نَفْضَا
ثم انظر الى دقة وصف رسوم الضحايا :

وضحايا تكاد تمشي وَرَعَى لو أصابت من قوّة الله نَبْضَا
ولا يمكن أن ننسى لشوقي قوله في وصف منظر طلوع البدر :
يادرة الغوامس أخرج ظافراً مُبْمَنَاهُ يَجْلُوها على النظّار
متهللاً في الماء أبدى نصفه يسمو بها والنصف كاس مار
أو قوله يصف ضاحية الجزيرة بالقاهرة في قصيدة (رحلة الاندلس) المعروفة :
لبست بالأمصيل حلة وشى بين صنعة في الثياب وقس
فدّها النيل فاستحت فتوارت منه بالجمر بين عُرَى وَلُبْس
ويكنى هذا القدر من الشعر الوصفي . وفي الحق ان شوقي أضنى على الشعر
العربي الوصفي خيالاً جديداً رائعاً، وقد استطاع هذا الشاعر المنجب أن يدخل معاني
واقعية سامية في الفاظ جزلة فضمة .

— ٥ —

وقد انحرف شوقي جهره المتأدّين أخيراً بهذه الروايات التمثيلية التي بدأتها رواية
(مصرع كليوباترا) وأخراها فيما نعلم هي (عنترة) التي قضى رحمه الله ولمّا تخرج
من المطبعة بعد . وقد كانت خطوة جريئة من شوقي أن يقدم في كهولته بل في
شيخوخته الشعرية على مثل هذا العمل الجليل الشأن ، ولم يكن من السهل والحركة
الذهنية لشوقي في أواخر يقظتها تقريباً ولم تتعود في نشاطها الأول إلا الفوص على
معاني التنظيم أن تحيى فتخلق الموضوع خلقاً تاماً وتخرج لنا رواية مؤلفة متأسكة
الأجزاء تصور بيئة خاصة وحياة خاصة وترسم شخصيات وعقليات وتسميات جديدة.
لم يكن هذا كله في مسود شوقي بك في ظروفه الأخيرة فاستعان هذا الشاعر
العظيم بالتاريخ ، التاريخ الذي يستطيع هو أن يهضمه وأن يتفهم دقائق مراميه
فيجعل من إحدى حوادثه أو انقلاباته نواة يرتكز عليها في وضعه فكرة روايته
الشعرية . وهكذا أخرج لنا شوقي (مصرع كليوباترا) و (مجنون ليلى) و (على

بك الكبير) و (عنتره) وكلها تمت الى التاريخ بصلة أو بشبه صلة ولكن المهم أن يتخذها الشاعر نواة يسير هو في حبك خيالها .

وأنت - لهذه الطريقة المتشابهة في روايات شوقي بك الاربع - تحسّنيها كلها بروح واحدة متشابهة الأثر ، ثم ترى أن خصائص نظمها وسماتها والروح الشعرية التي تسودها متشابهة كذلك لأنك تستطيع أن تدرك عند أول قراءة لاحدى مقطوعاتها أنها من شعر شوقي بك التمثيلي وإن لم تكن قد صرّحت عليك من قبل ، ويكفى أن تقرأ رواية من روايات شوقي لتدرس فيها روحه وخياله وخصائص شعره التمثيلي جميعاً : ففي مصرع (كليوباترا) ترى هذا الشاعر يوزّع روحه وعبقريته على عدة شخصيات تتحدث كل منها في ناحية ولكنها تتحد في قوة الأسلوب والصبغة وإن تفاوتت أغراضها ومعانيها أحياناً .

غير أن هناك أمراً جديراً بالتأمل ، وهو أن شوقي بك كان في بعض مواقف رواياته جريئاً على التيود الشعرية السخيفة التي فرضت على الشعر العربي فرضاً ثقيلاً وإن لم يجرأ عليها شوقي قبل ذلك في حياته الشعرية الحافلة . وهو بذلك سائر الحركة التجديدية الأخيرة ومشى في طليعتها ، فاستحق تقدير المجدين بعد خصومتهم . وقد بعث شوقي في نفوس المتأدين ميلاً جديداً إلى الشعر التمثيلي ووجه اليه عناية الحياة الأدبية وإن لم يكن أول من فعل ذلك فقد سبقته عدة محاولات كان لبعضها شيء من التوفيق وإن كان نصيبها من التوفيق دون ما يستحق ، لأنها لم تقتصر بنفوذ شوقي الاجتماعي . ولكن المأثرة التي لا ينساها الشعر التمثيلي الآن لشوقي بك هي أن هذا الشاعر العظيم فاسر في الواقع بشهرته الأدبية الكبيرة لما دخل هذه الحلبة ، وأنه استطاع بقوة منه أن يدخل على هذا الضرب روحاً جديدة وأن يثير حوله حركة أدبية محمودة .

على محمد المبرورى

مكتبة جامعة الادب المصرى



قم إلى الطهران دافع رافع
 وترجل أفا تشي علف
 دارق در مجار دمسندبر
 اوع قدس بن زری مراده
 قل لهم ينصحتكم أمة
 عطف الصرع على نوركم
 حضرت الميت ودايع من
 قرأى عالم يتبع في دمه
 رجب تادی ايم أمة
 وهدو نزل العز ودا
 وجميع كثر ما كثر
 وصادق بيضا دم الحمر
 رباب نتران وعلف
 وفرد امير افغانها
 زادهم سعد بن ابي حدة
 انه شيخ الى اكثير اصبا
 فند الصيد وزهر الفاكه
 صرم الدهر وادى الرواب
 لم يستر زير الدانير
 لنزل كالصباغ المشيب
 مشرب الحنة وقربا ما برت
 ولري الناس على بيض
 دم غلام دميد اخبر
 مصر تشكر وداغان دين
 وزير يتولى الشاير
 فلقم بصر معرفت
 بدم بالدمى سفيت
 آه لركا نرا السواد الفاريت
 نيم الله وطرناو البتيت
 كان اسرى روم الى الدانير
 كالشام الصب والرمع الشيت
 ارض الشيب وشم الشاير

﴿ نمودج من خط شوقى بك ﴾

شوقي في الشباب

قيس النبوغ في الصغر

كرت ثمانية وثلاثون سنة على العام الذي قيسه شوقي في سجل تاريخ الادب العربي بقصيدته التي مطلعها :

« همتُ الفلكُ واحتواها الماءُ وحداها بمن ثقل الرجاءُ »

وإنما رأيت أن تكون تلك القصيدة القديمة الجديدة موضوع هذا المقال ، لأن أمير الشعر قد نظمها وهو في السادسة والعشرين ، فهي من أجل ذلك مرآة شبابه ، وشبابه المبكر ، وما نجب في هذه الكلمة إلا أن نحلي عليك صورة الشاعر في سن الشباب . نحليها عليك من شعره ، أو قل من قصيدته التي افتتحنا بمطلعها المقال ، والشعر كما يقولون مرآة الشاعر .

وأول ما يجب أن نلاحظه في قصائد شوقي جميعاً أنها ذات طابع خاص يتميز به الشاعر عن سواه ، والطابع الخاص في نثر الناثر البارع وفي شعر الشاعر الفنان يعرف من لفظه ومعناه ، ولكن طابع شوقي لا يقتصر على هذا الذي يشترك فيه الكتاب والشعراء طراً ، وإنما يضاف إليه طابع آخر جدير بالعناية والتحميم : هذا الطابع هو الهدوء في أدق المواقف والتعقل في أذكاهم للباطفة ، وهدوء الرجل وتعقله بحملانه على التسامح مع من يضارونه ومن يحاسنونه ، وعلى الأخذ عن الأخلاق في النقد والهجاء ، وعلى حشد ما يجب أن يحشد من المعلومات في القصيدة التي يريد أن يخرج بها إلى الناس ، ثم على ترتيبها وتبويبها وبطوالع المنطق فيها للحكمة والموعظة . هذا هو الطابع أو تلك هي الطوائع التي يتفرد بها شوقي في الشعراء طراً ، وهو إلى ذلك يمتاز بفضيلة ثانية ما أحسب أن شاعراً في القرب ناقسه فيها ، فلكل امرئ في حياته أطوار وتغيرات ، وما يعقل أن تكون أخلاق المرء وماداته في شبابه هي أخلاقه وماداته في كهولته وفي شيخوخته ، ولكن شعر شوقي في الخامسة والعشرين هو شعره في الستين من نواحيه جميعاً ، فإستطيع أحد أن يفرق في سجل الشاعر الموهوب بين ما أوحته إليه حياته في الشباب وما أوحته إليه في الشيخوخة ، وذلك لفز في الرجل يخطيء من يعتذر عنه بأنه طاش طوال عمره في مجبوحة من العيش فلم تنحرف حياته أبداً .

نعم إنه لا اعتذار الخطيء ، فإذا كان شاعر العصر لم تدركه علة الفقر فالتقى يدركه الكثير من العلل : يدركه الحب وهو علة ، ويدركه طيش الشباب وهو علة تصيب الثرى أكثر مما تصيب الفقير ، لكن مستوعب شعر شوقي لا يجده فيه أثر أبرياء الحب ولا طيش الشباب .

ولقد أحببت أن أبحث عن تفسير لهذا الغز ، وبدافع من هذه الرغبة اخترت قصيدته التي قرأت مطلعها عليك ، فقد أوحى بها إلى الشاعر وهو في عهد الطيش والتزق والمغامرة من عهود الشباب ، وهي مع ذلك قطعة رصينة هادئة مرعبة يبهرك منها المعنى أولاً والعلم ثانياً ، فقد رتب أمير الشعر فيها تاريخ مصر ترتيباً لا يتأتى لغير عالم في التاريخ ، حتى الأفاصيص القديمة حشدتها فيها حسبما تازم المناسبة ، وكان ذكره للتاريخ في إيجاز غريب لا يتأتى مع الشعر إلا إذا كان صاحبه نابهاً فذاً .

وقبل أن أرتب لك التاريخ في هذه التحفة الفنية الخالدة ، أنبهك إلى أن الرجل قد تعلم في أوروبا ، وتعلم المتعلم في أوروبا لا بد أن يغير في طابعه شيئاً ، ولكن شوقي فيها يظهر من شعره لم يكن إلا مصرياً عربياً يهزه الشرق دون الغرب ، وستجلى عليك هذه القصيدة التي قالها بعد عودته من أوروبا بزمان قليل ، فتعرف كيف لم يتأثر الرجل بمدينة الغرب وطابعه وحيويته .

وأدعوك أيها القارئ إلى الترتيب قليلاً حتى أقول لك إن شوقي — عوض الله العربية عنه خيراً — لم يكن إلا مجدداً إلى أبعد حدود التجديد ، فما عرفنا شاعراً في العربية يدخل على شعره من العلم ما حرصت قصائد شوقي عليه ، فهو قد طوع العلم للشعر تطويعاً نادراً ، وتكلم عن التاريخ ومجد الاختراعات والمخترعين ، حتى ليتيقن من يقرأ شعره أنه قد ألف في القرن العشرين والقرن العشرين وحده ، وما نعرف شاعراً في العربية قد جدد الألفاظ وصقلها وأحيائها بالاستعمال كما فعل شوقي عليه رحمة الله .

والقصيدة التي اخترناها موضوعاً لهذا الحديث قد نظمت عام أربع وتسعين وثمانية وألف أي منذ ثمانية وثلاثين سنة ، فإذا لاحظت كيف كان نصيب مصر من المدنية على هذا العهد عرفت أن شوقي لم يكن إلا سيد المجددين .

وتألف (كبار الحوادث في وادي النيل) من ثلثمائة بيت إلا قليلاً ، وقد رتبته من ناحية التاريخ ترتيباً غريباً في دقته ، وكان مستهلاً في وصف البحر ، إذ قالها الشاعر النابغ في المؤتمر الشرقي الدولي المنعقد في مدينة جنيف في سبتمبر من عام ١٨٩٤ وكان مندوباً للحكومة المصرية فيه . وبعد الإبداع عن البحر كان الإبداع في

وصف صناعه وهو الله . ثم تطرق الى الاشادة بمجد مصر القديمة وعظمة ملوكها ، وكيف شادوا الأهرام وسواه من الآثار الخالدة واتخذ من هذه المناسبة فرصة الرد على ما ادعاه بعض المؤرخين من أن هؤلاء الملوك لم يكونوا إلا الظلمة المتجبرين . فلما أن تركت القصيدة هذا المهد خرجت الى الاسف على حال البلاد لما دخلها الهكسوس فهدموا آثارها وظلموا أناسها ، وألحى باللائمة على المنتصين فهجاء ألذع الهجو . ثم تكلم الشاعر عن ظهور أمّس ودحره للهكسوس وإشراق المجد القديم على مصر ، حتى إذا وصل الى رمسيس مجده وذكر ما أثره وما أثر جده سيئ وتكلم عن سيزوستريس والآلهة المصرية القديمة وروى عنها بعض الأقاصيص ، ولم يلس الأدب في ذلك العهد الغابر فتكلم عن بنتاؤور .

فلما أن تجاوز الشاعر هذا العهد من عهود التاريخ ذكر فتح فارس لمصر بملكها قبيز ، وكيف أساء الفالحون الى البلاد ، وتوغل في دقائق التاريخ فذكر كيف ظلمت الأسرة الملكية المصرية إذ ذاك :

رجىء بالمالك العزيز ذليلا لم تزلوا فؤادَه البأساء
يبصر الآل إذ يراح بهم في موقف النللّ غنوة ويحما
بنت فرعون في السلاسل تحشى أزعج الدهر عريها والخفا
وأبوها العظيم ينظر لمنا رديت مثلما تردى الاماء
أعطيت جرة وقيل اليك النهـر قومي كما تقوم النساء
فشئت تظهر الالباء وتحشى الدمع أن تسترقه الضراء
فأرادوا لينظروا دمع فرعو ن وفرعون دمه العنقا
فأروه الصديق في ثوب فقر يسأل الجمع والسؤال بلا
فبكي رحمة وما كان من يبيكي ولكننا أراد الوفا
هكذا المثلث والملوك وإن جا ر زمان ورؤعت بلوا

هذه قصة من التاريخ القديم ساقها المناسبة الى الشاعر سوقا ، وإنها ذكرناها كلها لتعلم منها كيف كان الرجل يذكر التاريخ في قصيدته ، حتى الاقاصيص لم يغفلها في سجله الرائع ، ولم يكد الرجل يحتم قصة الفرس حتى وقف أمام فتح الاسكندر لمصر وتخليصها من أيدي المجمع فالبطالسة ، وما كان من حكم كليوباترة وقصتها مع أنطونيوس وأوكتافيوس وموتها منتحرة ، ثم دلف الى روما فوجد دولتها وأشاد بما كانت عليه من عز ومنعة .

ثم فصل في تمجيد الله عجب ، وفي تعقيب شوقي بتمجيد الله على ذكر مجد مصر والرومان معنى عظيم الروعة والجلال . فلقد شاء له إيمانه أن يمجّد الله ما دام قد مجد مخلوقاته أولاً وشاء له إخلاصه أن يعتذر عن عبادة مصر القديمة لمعبوداتها المعروفة ويررّده العبودية وشاءت له عنايته بالعلم والتاريخ أن يذكر هذه المعبودات القديمة . واختار لها هذه المناسبة فاسمع :

رب شقت العباد أزمان لا كنة	سب بها يهتدى ولا أنبياء
ذهبوا في الهوى مذاهب شتى	جهتها الحقيقة الزهراء
فاذا لقبوا قوياً إلهاً	فله بالقوى . إليك انتهاء
وإذا آثروا جيلاً ببتز	يه فان الجلال منك حياء
وإذا أنشأوا التماثيل غراً	فإليك الرموز والايماء
وإذا قدروا الكواكب أرباً	بأ فنك المعنى ومنك السناء
وإذا ألخوا النبات فن آ	ثار نعماك حسنه والغناء
وإذا يعموا الجبال سجوداً	فالمراد الجلالة السماء
وإذا يُعبد الملوك فان الملك فضل تحبوه به من تشاء	
وإذا تُعبد البحار مع الأسمك والعاصفات . والأنواء	
وسناب السماء والأرض والأر	حام . والأهات والآباء
لعمالك المذكرات عبيد	خضع والمؤنثات إماء
جمع الخلق والفضيلة مر	شف عنه الحجاب فهو ضياء

وأخذ شوقي بعد ذلك يمدح آلهة مصر فتناول إيزيس وأيس وأوزيريس . فلما أن جاء موسى استقبله بالخفاوة الشديدة وذكر قصته مع فرعون ، حتى إذا ولد عيسى هلك له وكبر ، ثم نعى للقرء دولة القياصرة وتقوض صرح روما وذهاب رجبها .

فاذا وصلت القصيدة الى النبي ألم بمولده وجهاده وسيرته عليه الصلاة والسلام وامتدح صفاته امتداداً رائماً وذكر كيف اتسعت دولة الاسلام ، فاذا امتدح الاسلام أوجب الشاعر على نفسه أن يمتدحه في مصر فتكلم عن عمرو بن العاص وما كثره ، فصالح الدين الأيوبي وقصة الصليبيين معه ، فدولة المماليك ، فدخل نابليون ، فحمد على باشا ، فسعيد ، فعباس .

ولا بد من تعليق يقتضيه المقام على هذا التاريخ فهو كتاب مفصل لتاريخ مصر

ليس أبداع منه في إيجازه وإسبابه . ومن أراد أن يلم بتاريخ مصر فعليه بهذه القصيدة العصماء التي تثبت أن العلم يطاوع الشعر ولا يعصيه ، والتي تثبت أن الشاعر قد قرأ في حديثه الكثير المفصل عن مصر والعلم ، وهذا العلم هو الذي أبدع طيش الشباب عن شوقي فقد توفر عليه رحمه الله في صباه حتى صرفه تقريباً عن كل ما عاده من مرح وهو ومتاع .

وبعد ، فانا ذاكرون لك بعض الآيات العظيمة في هذه القصيدة التي ننصف إن نسما ديواناً ، بل هي ديوان شعر وسجل تاريخ وكتاب علم وسفر دين كل منها رائع عجيب .

سنذكر لك بعض الآيات وإن كان المختار يحار في أيها أشهى للنفس ، فترى كيف كان المعنى وكيف كان اللفظ وكيف كانت الموسيقى عند شوقي وهو لم يتجاوز السادسة والعشرين من العمر .

نذكر لك روعة الوصف في قوله :

ضرب البحر ذو العباب حوالها سماء قد اكبرتها السماء
ورأى المارقون من شرك الارض شباكاً تمدها الدأماء
وجبالاً مواثيقاً في جبال تتدجى كأنها الظلماء
ودويماً كما تأهبت الخيل وهاجت حملها الهيجاء !

فهل رأيت في وصف البحر أربع من هذا الذي نظمته براعة فتي في السادسة والعشرين ، وكيف ترتفع السفينه فكأنها تسير في السماء وكيف تمد الشباك في الدأماء (البحر) فاذا السفين يسير فيه كما تروح الروائح وتعدو العوادي في الارض ، ثم كيف تتماوج الجبال وتدوى الموجة كالجواد المرع وتتسلسل اللجج وتتصل كالهضاب في رمال الصحراء تتفاير كل صباح وكل ليل اذا وصف السفر قال :

نازلات في سيرها صاعدات كالهوادي يهزهن الحداة !

الله لهذا البيت الذي ينتقل بك من ضوضاء المدينة وحياتها إلى صميم الصحراء ، ويعود بك إلى ما قبل ألف سنة فاذا بمجداء العربي لناقته يملأ أذناك ويطربك ، وكأنك تسمعه وتوقمه بقدميك !

ثم اسمع تسبيح الأمواج لله :

وإذا ما علت فذاك قيام وإذا ما رغت فذاك دماء
فاذا راعها جلالك خرت هيبة في البساط سواء
والعريض الطويل منها كتاب لك فيه تحية وثناء

نعم ترتفع الموجة فيقول الشاعر إن ارتفاعها قيام للصلاة وترغى فصوت ارتفاعها دماء الله ، حتى إذا هالتها عظمة سيد الكون بعد أن أخذت تستطلعها في سيرها وارتفاعها زمناً خرت - والموجة تمر وتلاشى - فسقوطها وانبطاها اجلال للخالق واكبار ، فاذا انبسطت فهي كتاب مفتوح ليس فيه الا حمد لله وثناء ، فهل قال هذا شاعر من قبل ؟ هل قاله وفيه هذا الاتزان والتكافؤ والتشبيه والموسيقية واللفظ ؟؟ ثم هل قاله شاعر عربي وهو لم يتجاوز السادسة والعشرين ؟

وإذا جاء ينبوع الحكمة فاقرأ :

إن ملكت النفوس فابغ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأسر فكيف الخلائق للعقلاء ؟
بحسب الظالمون أن يسودوا ن وأن لن يؤيد الضعفاء
والإيالي جوائز مثلما جا روا وللدهر مثلهم أهواء

حكمة تقال في كل زمان ومكان ، تُقال في الظالم وفي الدهر فتدع من يظلم ، وترد من يظلم وتذكر من غره النسيان . حكمة قدت من التجارب قدماً واستلت من التاريخ استلالاً ، والتاريخ موعظة وعبرة لم يغفلها شوقي ابداً ، فهو لا يرويه غراماً في الفخر بالعلم ، وإنما يرويه ويبرز منه الحكمة فيذكرها بحكمة رائعة منطبقة على كل مناسبة .

والآن نعود بك إلى قطة ذكرناها عن ظلم الفرس للأمر المصرية المالكة فأعد قراءتها تتملك جسديك قسرية ، وتأخذك الضغينة على الظالم والتجعب للمظلوم ، فهل أعظم من وصف هذا الاضطهاد بما ذكره شوقي ، وإذا أسهت كتب التاريخ فهل تستطيع أن تصل إلى اعماق نفسك وتصف الحال كما وصفه هذا الشعر العتيق ؟ واليك بعد ذلك أبياتاً في المهجاء قالها شوقي عن كليوباترة والأفعى التي لدغنها فانت :

سلبتها الحياة فاعجب لرقطاً أ أراحت منها الوري رقطاء
لم تصب بالخداع بحجاً ولكن خدعوها بقولهم حسناء
قتلت نفسها وظنت فداء صغرت نفسها وقل القساء

هجاه ليس فيه على مرارته قبيح ولا فجور ، وإنما روعى فيه التجديد فما خرج فيه الشاعر عن أخلاق الرجل المهبذب ، ولو أنه وصف كليوباترة بالحلية والحلية خير ما توصف به المرأة الجميلة المغربية الخادعة ، ولو إنه قال أن قتلها لنفسها أحقر من أن يكون تكفيراً عن سيئاتها ، ثم ولو أنه أصغرها حتى عن القدرة على الخداع فقال إنها لم تخدع وإنما خدعت بالاطراء فظنت نفسها أميرة القلوب وسلطانة الهوى والغرام . ونحملك في ذكر المدح على القطعة التي مجدها الله في هذه التحفة الرائعة والتي عرضناها عليك ، فالحق أن للناس أهواء هي التي حملت بعضهم على تأليه القوى ، وبعضهم على تأليه الجليل ، وتأليه الأوثان والكواكب والنبات والجبال والملوك والبحار والأسماء ولكن مرجع هذه الآلهة كلها إلى المخلوق تلك الآلهة ، فأنعم به اعتذاراً عن شقي ألوان هذه العبودية !

وإذا قرأت في وصف شريعة عيسى عليه السلام :

لا وعيد ، لا صولة ، لا انتقام لا حسام ، لا غزوة ، لا دماء

ملك جاور التراب فلما ملّ ثابت عن التراب السماء !

أخذتكم روعة ليس لجلالها حد ، في بيت واحد أجل شوقي في شريعة عيسى فأسهب وجمع ولم يترك قولاً لقاتل . ولقد ذكرت في أول الحديث أن الرجل كان مسالماً متسامحاً وفي هذين البيتين دلائل المسالمة والتسامح : في البيت الثاني مرق الشاعر بلقاء من قصة عيسى والخلاف عليها بين المسلمين والمسيحيين .

أما مدح سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فاسمع منه :

فراى الله أن تطهر باله ينف وأن تغسل الخطايا الدماء

وكذلك النفوس وهى مراض بعض أعضائها لبعض قداء

فلقد وجب الجهاد في سبيل الله إذ ذاك .

أبى المعجم من بنى الظل والمسا عجباً أن تنجب البيداء

وتثير الخيلام أساد هيجا تراها أسادها المهيجا ؟

ثم يتدرج الحديث إلى تاريخ مضر منذ فتحها عمرو بن العاص ، فيتكلم عن عمرو وعن صلاح الدين واشتباكه مع الصليبيين وفي ذلك يقول :

ليس للذل حيلة في قفوس - يستوى الموت عندها والبقاء !

فهل في القفر والمدح أروع من هذا ؟ مذاق الذل بالمسلمين ذريعاً وهو يحاول الدخول فيهم فلا يستطيع ! وكيف يستطيع وهم قوم يستوى عندهم الموت والحياة !

ثم ذكر المالك فسجل عليهم مساوئهم حتى في جباية الضرائب ، فلما جاء نابليون
استقبله الشاعر بفصل جاء فيه :

ولو استشهد الفرنسي روما لاثنين من رومة الأنبياء
علمت كل دولة قد تولت أننا معها وأنا الولد !
ثبت لك هذان البيتان ان الرجل في سنه المبكر لم يقتصر في قراءته على كتب
العرب . فلقد ذكر روما وذكر الامم التي احتلت مصر جميعاً وأنبأ عن كل منها
في جمل قصيرة ، ولو أن نابليون سمع ما قيل فيه لعلم أن هناك من هو أخلد منه على
البحر ، فاسمع :

سكنت عنه يوم غيرها الأهرام ، لكن سكوتها استهزاء !
فمى توحى اليه : أن تلك وائر لوأ فأين الجيوش ؟ أين اللواء ؟
الأهرام تهزأ بنابليون وتعرف من أمر المستقبل ما لا يعرفه سواها . هذه المطلعة
الخالدة الثانية في مكانها والجيوش تتحرك وتقف وتنتهي حينما الأهرام تلقاها بالاستهزاء
لأنها تعرف السر الروحي في هذه البلاد وتعلم ما يبحثه الزمن في جيبته !
نعم انتصر وافعل ماشئت فستخذلك في القريب واترلو ، بل وستقبر قوتك وتطبخ
بفتوحك الى الأبد !

ولقد هزت الشاعر نكبة مصر بقناة السويس ، وألممته أبياتاً رائعة تضمنها
الحديث عن سعيد :

جمع الآخرين كرهاً فلا كا نا ، ولا كان في ذلك الالتقاء !
أجر عند أبيض البرايا حصاة القطر منها سوداء !
وأنا أترك لك استبانة الجمال في هذا الشعر ، لا أقول لك في خاتمة هذا المقال
الذي نالت العجالة منه ، أنك تلحج اعتداد شوقي بنفسه وبقدرته في أكثر قصائده ،
فهو يجتحم هذه القصيدة بالحديث عن عباس الثاني وعن نفسه معاً :

يا عزير الأنام والعصر ممعاً فلقد شاق منطق الأصغاء
إن عصرأ مولاي فيه المرجى أنا فيسه القريض والشعراء
هذه حكمتي ، وهذا ياني لي به نحو راحتك ارتقاء
كيف تشق بحب حلمي بلادنا نحن أسبافنا وحلمى المضاء !

تكلم عن عباس وعن نفسه معا لأنه قضى شبابه ببابه ونال من عطفه. فالشاعر الفذ الذى يحس نبوغه وهو فى السادسة والعشرين ، هو رجل ثابت العزيمة لا بد أن يصل الى المسكينة التى يريدتها .

هذه كلمة عجلى عن الشاعر المجيد فى شبابه المبكر ، فهل تصلح صورة للرجل فى ذلك العهد ؟ إن تكن صورة فى ملاحظها وألوانها امرأة شاعر قد تسم ذروة النبوغ شاباً ، فلو أنه مات فى السابعة والعشرين لكتب له من الخلود ما يكتب له اليوم ، وتلك ميزة الزعامة تبدو فى كل عهد وكل موطن وكل زمان ؟

محمد زهير



منزلة سوتى وأثره

تجرى حوادث الطبيعة والاجتماع على معايير مختلف قيمتها وآثارها باختلاف الوضع والزمان. ومحتكم هذه المعايير فى الحياة الانسانية فلا تقوت للانسان من حرية الاختيار الاً قدرأ بينه وبين الجبر الصرف فارق ضئيل لا يكاد يُرى !

أما هذه المعايير فلا ضابط لها فى تصريف حظوظ الناس : فهى تضرب فى ذلك عن غير قصد وتخطئ خطب عشواء ، وترمى أحد الناس بأشد الكوارث وتحبب الآخر بمباهجها وتزوده بما فى وسع الدنيا ان تزوده به الذوات الفانية من المجد والعظمة العالمية .

وأنت ترى ان فى التاريخ حوادث لا تعيد نفسها ، على الضد مما يذهب اليه البسطاء إذ يقولون أن التاريخ يعيد نفسه . فان التاريخ يتعاقب وتتشابه اجزأؤه . أما أن يعيد نفسه فهو من الأوهام وتجريد للذهن لا أثر فيه من الحقيقة . والانسان بطبعه محتاج للاوهام شديد الميل الى التجريد والى الاشياء الخفية المقنعة يجرى وراءها ويعبدها من دون كل الاشياء التى جعلته انساناً حقيقياً بصفات الانسانية !

من الامثال التى نضربها على ذلك امثال يمكن ان تتناولها من اطراف الحياة الانسانية على اختلاف وجوهها وتلاحق صورها الشتىة : فان غاليليو مثلاً قد

موجود في عالم يحتاج الى فكر مثل فكره ليكشف عن سر نظامه الفلكي وعن أن الارض هي التي تدور حول الشمس . وهذا الحادث لن يتكرر في التاريخ ، فمرة واحدة لا أكثر يمكن ان يوجد نظام كالنظام الشمسي يحتاج في كشف سره . ومرة واحدة تنهيا القرصة لانسان مثل غاليليو ليستعين بالرياضيات والبصريات ليعرف ذلك السر . كذلك كان الامر مع نيوتن فإن النظام الذي كشف عنه غاليليو كان يحتاج الى تحليل ، ومرة واحدة يوجد نظام فلكي كنظامنا الشمسي يحتاج الى تحليل ويكون من نصيب نيوتن . ومرة واحدة يحتاج نظام للنشوء المعنوي الى تحليل فيكون من نصيب داروين . وهذه الحوادث وأمثالها لن يعيدها التاريخ ، فانها انما تقع لأول وآخر مرة في تاريخ الدنيا وتكون من نصيب أفراد خصوا بأرقى الكفايات ، كما خصوا بأبعد الحظوظ . ومرة واحدة أيضاً تظهر دولة كدولة المغول لا تعرف للفن قيمة ولا للآداب وزناً ولا للمدنيات حرمة ، تمضي في سبيلها الحربي وتنوء بقواتها على الدولة العربية فتحطمها وتبيد آثارها وفنونها وتقضي على آدابها وتترك الشعر في هذه الدولة العربية - بعد أن أمت على الطارف منها والتاله - يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة . ومرة واحدة بعد ذلك يظهر شاعر كشوقي فيتلقي بقايا الشعر العربي الذي أبقت عليها دولة المغول فيحيي منه الموات ويصبح بحكم الظرف الذي وجد فيه ، وبحكم المواهب التي مكنته من احيايه الشعر العربي ، أمير الشعراء ورافع علم الأدب العربي في طليعة القرن العشرين . فبعد شوقي إذن يكونه عنصران لا ينفصلان : عبقرية غير منكورة ، وحظ باسم أبي عليه القدر طوال قرون ليجعله من نصيب مصر وشاعرها العظيم .

فنزلة شوقي إذن من الشعر العربي منزلة الحلقة تصل بين ماضى الشعر في العربية وبين العصر الحاضر ، لا ليقف امرها عند هذا الحد ، بل لتجلى بإمارة الشعر كما خرجت من أيدي القدماء ثم ليحبب في القالب الذي سوف يصنعه فيه المجددون من أبناء القرن العشرين في العالم العربي . ومرة واحدة أيضاً تنهيا القرصة لعقري موهوب يجد فيها الشعر العربي محتاجاً للتجديد ، ومحتاجاً لاقتحام أبواب الحياة الواسعة المستفيضة ، فيخرجه من الحيز الذي حبسه القدماء فيه حتى مات على يد المغول ، ثم تنفع فيه شوقي نسمة الحياة . أما ذلك العقري السعيد الموهوب فن ذا يكون ؟ القدر وحده كفيلاً بأن يخرج من الاصلاب الى البطون ثم الى الحياة ثم الى التراب ، بعد ان يبنى المجد بلبينات الفنون ، ويترك الشعر العربي آثاراً مخلدة .

بجانب هذه الناحية التي يهوى فيها أزمان قليلاً من الموهوبين السعداء لظروف
 لن يعيدها التاريخ لبني تلك الظروف اعظم صرح في هيكل مجدّم ، تجري الطبيعة
 على أقدارها فتظلمهم ، ويكون ظلمها مترناً مع ما هيأهم به في ظروف الحياة
 السعيدة ! فان الطبيعة تلتقي في قلوب الناس ان ذلك العبقري الموهوب يجب أن يكون
 مجرداً عن النقائص متحلياً بكل الكمالات الانسانية . وقد يسعد الحظ حيناً
 فيجري الناس على أنه ذلك الرجل ، فاذا دارت عجلة الزمان دورة أخرى ، ونحطت
 بالناس عصر ذلك الرجل الكبير ، وجددت الحظوظ العالمية في مراقي العلم والفن ،
 قيس قدر الرجال دائماً بمقدار الفارق بين الزمانين وبمقدار ما دارت عجلة الزمان
 على الاشياء وعلى عناصر الاشياء وعلى الفنون والآداب ، فيخرجون من جماع
 ذلك بما نعتبره الظلم الأكبر في وزن الرجال وتقييم أعمالهم ووزن آثارهم !

غير أن شاعرنا الكبير شوقي قد يخرج عن هذه القاعدة بعض الشيء وقد
 يتناوله سلطانها في أكثر الاحيان . يخرج عنها لانه أحياناً قديماً ولم يبدع جديداً ،
 ويدخل تحت سلطانها لانك لن تستطيع ان تقبّل شوقي وان تزنه الا بعيزان تضع
 في إحدى كفتيه الشعر القديم ، أو بالأحرى مبدعات الشعر القديم ، وفي الأخرى
 شعر شوقي . على أنك لا تلت ان تفعل هذا حتى تجد ان كفة شوقي قد شالت
 وشارفت على السماء ، وأن كفة الشعر القديم رجعت وقاربت الأرض ! هذا اذا
 انت مضيت تقارن المختار من المجموع القديم الذي أفلت من تخريب المغول ، بالمختار
 من شعر شوقي . وانك لو اجد بعد ذلك أن الدعوى العريضة التي يدعيها الذين
 اخذتهم صيحة المبالغة والعجز عن تقييم الآثار الادبية من أن شوقي قد جدد
 في أساليب الشعر وفي معانيه وتراكيبه ، دعوى لا يستطيعون أن يقيموا دليلاً
 واحداً عليها . فان شوقي شاعر جديد بعصره وزمانه ، قديم بأساليبه ومعانيه
 وتراكيبه ومناعه ، وقد يشارف في بعض هذه النواحي على افق الطبقة الثانية من
 القدماء ، وقد ينزل في نواح أخرى الى الطبقة التي رضيت بأمثال صردر وأبي الشعمق
 ان يكونوا شعراء ، بالمعنى الذي تفهمه من الشعر في دواوين البحترى وأبي تمام وابن
 هاني والمتنبي .

أما الفارق الوحيد الذي يفصل بين شوقي وبين شعراء العهد القديم فتجديده
 في القوالب التي صب فيها الشعر العربي . وغالب الظن أن عبقرية شوقي مسوقة الى
 هذا غير مختارة . فان لروح العصر والبيئة حكماً اضطر شوقي لأن يصب الشعر

القديم بأساليبه وتراكيبه ومعانيه في قوالب يمتزج فيها روح الأدب العربي الصميم بمجامات هذا العصر ومقتضيات البيئة . ولولا هذا لما استطعنا أن نقول إن شوقي قد أحيا الشعر العربي ، لأن احياء هذا الشعر معناه اقتباس الاساليب القديمة ، وصباها في قوالب تلائم ذوق هذا العصر . وان هذا الأثر وحده الجدير بأن يجعل شوقي أمير الشعراء في عصرنا هذا ؟

اسماعيل مظهر



شعر شوقي

مضى أربعون عاماً أو نحو ذلك وشوقي يحمل لواء الشعر العربي وجعل شعراء العرب يسرون وراءه في جميع الاقطار العربية ، ويقرؤون شعره ويغبطونه . او يحسدونه على مكانته . فكان لشوقي الفخر في الحصول على هذه الزعامة رغم ما لقي في سبيل ذلك ، وكان له الفضل في أن جعل وادي النيل منبع هذا الشعر وموطنه ، وكان لمصر أن تزهر بما أوحى اليه من أخيلة لاشك في أنها هي موردها العذب : فان ما نزل بها من حوادث وما مر بها من إحزن وما بقى بها من أثر تلك الثقافة العربية المتأصلة في نفوس أدبائها وعلمائها ومن أساليب التفكير لديهم وفي نوع الادراك والتعبير ، ثم ما يتمشى فيها من أثر الدين والاخلاق في نفوس أبنائها - كل ذلك ملك من نفس شوقي وهذب من خياله وكشف له عن دقائق الافتنان حتى أصبح كما رأينا وعرفه الناس من كبار الفنانين والشعراء واكتسب هذه القريحة النادرة التي شهد له بها جلة أدباء العرب وشعراء العربية .

ربما كان الحكم على شعر شوقي الآن عسيراً أو ناقصاً أو خاطئاً لأن المعاصرين لكبار الرجال لا يكادون يحكمون عليهم حكماً صحيحاً خالياً من الحقد أو مملوءاً بالانحياز لما يكون من أثر في النفوس بسبب الاتصال بهؤلاء الرجال بنوع من الحب أو البغض . وكثيراً ما يدفع الغرور بالناس في بعض العصور الى الجرأة في الحكم على المسائل الفنية الخالصة بدون علم سابق ولا دراسة صحيحة ولا ثقافة كافية ولا سيما في الحكم على الأدب والأدباء من شعراء وكتاب وبخاصة في أوقات الفوضى العقلية التي

تكون في عصور الانتقال كما هي الحال في بلاد الشرق الآن . ولكن على الرغم من ذلك فإن الفنون شعاعاً يخترق حجب الظلمات ويمزق ستور الضمائن : فإن الفنون سرٌّ من أسرار الكون ، والفنيون رسل الجمال تؤمن النفوس برسالاتهم أو هي كالعبير يعطر الاجواء ويتمشى في ذرات الهواء . ولا يجرؤ إنسان مهما علت منزلته في الأدب أن ينكر ما كان ويكون لشوقي من أثر في الشعر العربي الحديث ومنزلة في عالم الأدب حتى كاد يكون ذلك اجماعاً . أما ما يلصقون به من عيوب وما يرمون به خياله من نقص فذلك مما لا يخلو منه إنسان مهما تمت عقريته أو خلصت نفسه أو صفا خياله ، وكثيراً ما تكون هذه الآراء ناشئة من اختلاف الناس في تذوق المعاني وتفاوتهم في معرفة أوجه الافتنان .

لقد تخطى شوقي أدواراً في حياته الفنية فكان يرد في أول أمره موارد القديما فامتلاّت نفسه بصور من شعر فطاحل الشعراء الاقدمين كأبي تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي وأبي العلاء وغيرهم من أتى من بعدهم فتبعهم في أساليبهم وألفاظهم ومعانيهم وأخيلتهم ، وما مدحه للخدوي توفيق وبجمله عباس الا ضرب من المحاولة في محاكاة هؤلاء الشعراء وهو ظاهر في أسلوبه الغزلي . ألا ترى هذا في مدح الخديوي وهو يهتبه بقدموه من الاسكندرية :

نصبت لنا في مسرح الحديق الهديا	وجاذبنا الالباب ياخذنها غصبا !
لواهي بالسفوح المحدثن الى الضحى	شموساً وودّعن الأصيل به مربا
وغادرنا لا لسن غير أعين	تسائل عن أمر الخفي الذي دبا

الى آخر هذا الكلام الذي ترى ديباجته وقد طال عليها القدم . وقد تقيد في هذا النوع بأخيلة القديما من ذكر الوشاة والعيون وأثرها وغير ذلك مما هو معروف من أوله فقال :

ان الوشاة وإن لم أحصهم عدداً	تعلوا الكيد من عينيك والفتنة !
لا أخلف الله ظني في نواظريهم	ماذا رأيت في مما يبيع الحسدا ؟
لولا احتراسي من عينيك قلت ألا	فانظر بعينيك هل أبقيت لي جلدًا ؟

وهكذا كان أسلوبه في بدء قصائد المدح بالغزل ، وله في ذلك بدايع على نحو ما هو معروف عند القديما من المبالغة في الاوصاف ونسبتها الى الممدوح ، وقد دفعته الحوادث فتخطى هذا الدور الى أدوار أخرى لا يسعنا الآن ذكرها جميعاً .

ولكنه منذ نشأته وهو يعيل الى الابتكار والابداع في أسلوبه وخياله حتى لقد
 تقرأ في كلامه معنى غيره فيخيل اليك أنه معنى مبتكر لم يسبق اليه . ذلك لان الشاعر
 الفني كالمصور الماهر يرسم مناظر الطبيعة كما يرسمها سواه ولكنك ترى براعته تدل
 عليه وأسلوبه يعبر عن افتتانه وما في نفسه من أسرار الفن وتمكن الجمال منه كما
 تمجد المصور يرسم ما رسمه غيره ولكنه يؤلف بين اللون واللون ويبرز ما بينهما من
 التناسق والمساكلة فيخيل اليك أنه شيء جديد . وهل الفن الا هذا السر الذي به
 الله في نفوس الفنانين فيبرز كل منهم ما في نفسه وما علق بها من ادراك وما قدر
 عليه من تسليق ؟ والعجيب في شعر شوقي أنه يمدح رجلا واحداً نحو ربع قرن
 بكلام كثير وقصائد طويلة ولا يكاد يشعر القارئ بالملل من قراءة هذه المعاني
 المتشابهة ولا بابتذال او تكرار ! واذا كبا قلمه أو ضنَّ عليه خياله بشيء جديد ستر
 ذلك بافتنانه حتى لقد يدفع القارئ نفسه دفعا لتذوق كلامه على الرغم مما فيه أحيانا
 من غموض وابتذال ! وكثيراً ما يكون ذلك في غزله الصناعي الذي يبدأ به قصائد
 مدحه ومع ذلك ففي غزله الخالص صبغة خاصة به ورقة وجزالة ، فتجد وأنت تقرأه
 كأنَّ عاصفاً تقطعت به الاسباب فأخذ يشكو ويش من بلواه فيقول :

علموه كيف يحفوا لحفا ظالم لا قيت منه ما كفى
 مصرفاً في هجرة ما ينتهى ! أترام علموه السرفاً ؟
 جعلوا ذنبي لديه سهري ليت بدري إذ درى الذنب عفا

أما ابتكار شوقي فأظهر ما يكون في شعره عن أسرته وأولاده وفننه في رسم
 ما كان حوله وما يجول بنفسه من شعور وحب وحنان ، وهو حادث جديد في
 الشعر العربي الحديث واشبه ما يكون بشعر ابن عباد الاندلسي . وأصدق ما يكون
 في الدلالة على نفس شوقي من حيث صلته بأسرته وحب أهله بل هو صورة من صور
 أسلوبه الفني في رسم الحوادث المنزلية وتصوير جزء من حياته بألوانه الحقيقية
 بأسلوب اخلاص جميل (بسيط) غير متكلف يرسم عطف الوالد ودلال الاولاد ثم
 حب هؤلاء لهم ، لا بكلمات عامة جوفاء بل بسر الحوادث ورسمها ، فاذا قرأتها فكأنك
 ترى الطفل يحب أمامك ويدل على أبيه فيضحك لضحكك ويبكي لبكائه ، أرايت كيف
 يخاطب ابنته وهو في موقف الرجاء وكأنها أكبر أمينة له ؟ ألا تسمع صوته يتهدج
 وعبراته تكاد تسيل حناناً على ابنته ؟ اسمعه يقول :

وَأَسْأَلُ أَنْ تَسْلِمَ لِي السَّنِينَ
وَأَنْ تَقْسِمَ لِأَبْنِ الرَّجَالِ
وَلَكِنْ سَأَلْتُكَ بِالْوَالِدِينَ
أَتَدْرِي مَا مَرٌّ مِنْ حَادَثٍ
وَكَمْ مُبَلَّتٌ فِي حُلَلٍ مِنْ حَرِيرٍ
وَكَمْ قَدْ خَلَّتْ مِنْ أَيْكَ الْجُيُوبِ
وَكَمْ قَدْ مَرَضَتْ فَأَسْقَمَتْهُ
وَيَضْحَكُ إِنْ جِئْتَهُ تَضْحِكِينَ

وَأَنْ تَرْزُقَ الْعَقْلَ وَالْعَافِيَةَ
وَأَنْ تَلْدِيَ الْإِنْسَانَ الْعَالِيَةَ
وَأَشَدُّكَ اللَّعِبَ الْعَالِيَةَ
وَمَا كَانَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ
وَكَمْ قَدْ كَسَرْتَ مِنَ الْإِسْنَةِ
وَلَيْسَتْ جُيُوبُكَ بِالْخَالِيَةِ
وَقَدْ فَكَنْتَ لَهُ شَافِيَةَ
وَيَبْكِي إِذَا جِئْتَهُ بِأَكْبِيَةِ؟

وكل ما قاله في أولاده بديع جميل يدل على انتعائه في الشعر ناحية واحدة لم يأخذ فيها شيئاً عن غيره ، وعلى أنه يعيل إلى رسم النفوس والحوادث وينظر نظراً صادقاً فيما حوله .

ومما يمتاز به شعر شوقي مابه من ثقافة جديدة تظهر في كل نواحي كلامه ، ولكن شوقي في آخر أيامه كان أعظم ما يكون شاعراً وأبدع ما يكون مبتكراً بما أخرجه من آيات الشعر العربي في قصصه التمثيلية . فهذا النوع جديد يحسب شوقي من أئمنه ومن مبتكري أساليبه مهما قيل في ذلك ، وما كان لأحد أن ينكر قدرته واقتنائه ومحاكاته أساليب كورني ورابين رغم كل نقص فني في هذه القصص .

ألا ترجع معي أيها القارئ إلى أوائل شعره فأذكرك بنظم القصص على ألسن البهائم والطيور ، ولعل ذلك هو البذرة الأولى في ميله إلى نظم الشعر القصصي ؟ وقد ظهر في هذا النوع ضرب من السهولة في النظم ربما لا تُرضى أهل الأدب المرمين بالصناعة والرصانة .

ولقد كانت تتقاذف شوقي الحوادث التي يمر بها فتزبد من الهاماته وخياله الشعري لأن نفسه كانت حائرة مضطربة طليقة كنفوس جميع الفنانين ، يريد أن يستمد الوحي والالهام من كل شيء يحيط به . لذلك كانت حوادث مصر الأخيرة منذ الحرب العالمية إلى اليوم منبعاً من منابع شعره ، وكان هذا الاختلاف السياسي والتقلبات الاجتماعية من دواعي توليد المعاني في نفسه .

وماذة تقول في شوقي وشعره وما فيه من أمثال سائرة وحكم غالية ؟ لا يزيد أن نقد شعره الآن ، ولا أن نذكر كل ما له وعليه ، فلنا جولة أخرى إن شاء الله ؟

أحمد ضيف

سوقى منحة أجيال

إذا مُنح الإنسان موهبة الشعر ونزل عليه إلهام الخيال ونال حفظاً من الأدب وفهماً في اللغة واستعمل تلك الموهبة واستغل ذلك الخيال واستعان بحظه في الأدب وانتفع بعمارفه في اللغة وكان ذا ذوق سليم وشعور حي فياض واشتغل مع كل هذه المؤهلات العقلية الفنية بقرض الشعر وراض نفسه على المراتة فيه فإنه ينتج شعراً طلياً جذاباً يأخذ بالقلوب ويملك المشاعر بما فيه من شاعرية راقية وخيال سام وجوده في الأسلوب وملاحة في التعبير، وربما عدَّ صاحب هذا الشعر إذا بلغ فيه المنزلة السامية من الفحول ووصل به إلى الانخراط في سلك الطبقة الأولى من طبقات الشعراء .

ويوجد من نوع هذا الشاعر كثير من الشعراء، ولا يخلو عصر أوجيل من وجود العدد الوافر من هذا النوع . وما أكثر شعراء العربية الآن في جميع بلاد العرب الذين تتوافر فيهم هذه الصفات ويمتاز بعضهم على بعض في نواحي هذه النعوت . وليس من الضروري لهذا النوع من الشعراء حتى المبرزين منهم النبوغ في العلم وسعة الاطلاع في المعارف والخبرة العميقة في التاريخ والوقوف على دقائق الظواهر الاجتماعية ومسائل المجتمع الإنساني والاشراف على ألبان الطبيعة وأسرار الوجود العام، فكثيراً ما نجد من الشعراء الممتازين موهبة الشعر وطلاوة النظم من لم يزد تعليمه وتهذيبه المدرسي على الدراسة الابتدائية . ومن كان هذا شأنه فلا نتظر من شعره الطلي العبقري أكثر من الخيال المجرد من الأحكام العلمية والنظريات الفلسفية والظواهر الدقيقة الاجتماعية وإن اشتمل على نوع من الحكمة المعروفة في شعر المتنبي وتجرد عن الفلسفة الماثورة في شعر أبي العلاء، والأولى ترمى إلى المعنى السامي الاجتماعي في التركيب البديع والثانية قصد بها أبو العلاء إلى الفلسفة الفنية الاصطلاحية ومذاهب الفلاسفة، والأولى تأتي الهاماً والثانية تعليماً ولا يتعامها إلا العلماء الفلاسفة المثقفون .

إذا اجتاز الشاعر دور الدراسة الابتدائية والتربية المدرسية الأولى وانقطع عن هذا العمل إلى غيره وأرْبى على سنى التعليم فليس في وسعه ولا في طبيعته أن يستأنف بنفسه التشغف في العلوم والفنون والحكمة، وليس من السهل لأن يهتف

على روح التاريخ مهما قرأ في التاريخ ولأن يفهم سلسلة المجهود العقلي الانساني حلقة بعد حلقة مع اتصال الحلقات وإحكام الارتباط .

لهذا لا ننتظر من شعر امثال هؤلاء الشعراء سوى الشاعرية الرائعة الخلاقة في الأسلوب العذب الجذاب لنتفكه بقراءته ونطرب لسماحه غير منتظرين بعد الفن اللفظي المتعمق والابداع القوي فيه شيئاً من الفنون الجميلة ، أو نوعاً من العلوم القديمة والحديثة ، أو لوناً من الثقافة العقلية العامة ، أو لمحواً من الحكمة الاصطلاحية الفنية في مذاهبها المختلفة التي تفسر الوجود الكلي من حيث المبدأ والتغيير والمصير .

فوق هذا النوع من الشعراء وعلى هامة الأدب الراقى يوجد نوع آخر من طراز خاص ممتاز . وهذا النوع السامي الممتاز من الشعراء هو الذي تتوافر فيه — على وجه كامل — الصفات والنعوت والمؤهلات التي يكون كلها أو جلها النوع الأول الطبيعي المألوف من الشعراء ويمتاز مع ما تقدم بتربية علمية عالية وتهذيب عقلي كامل واسع يستجمع بهما في ذهنه مع موهبة الشعر وسمو الخيال ثقافة جامعة شاملة تجعل صاحبها يشرف على اسرار الوجود الكلي وألغاز الكون العام ويفقه علوم الانشاء وروح تاريخه العام وتاريخ مجهوداته العقلية من بدء العصور الأولى حتى الآن .

هذه الثقافة الواسعة العالية هي بالطبع ينبوع السامي الجدسي الذي يغترف منه الشاعر الممتاز والامام الجليل فيجتمع له في شعره بذلك وبسمو الخيال وطلاوة النظم وبموهبة الشعر الابداع اللفظي والمعنى الرائع الجذاب والحكم العلمي القوي الصحيح بما يشتمل عليه شعره من علم وفن وحكمة سامية وفلسفة فنية عالية وعبرة من التاريخ الانساني وعظمة من روحه الحاكمة فيه .

ومثل هذا النوع نادر الوجود ، وعلى الاخص في الأمم التي لم تتمتع بعد ثقافتها ولم تصل في رقيها العلمي الا الى حد محدود ليس شائعاً في الغالب في كل الافراد بل في بعضهم ، وقليل ما هم .

وإذا نحن الآن في نهضتنا العلمية لم نصل معها الا الى حالة لوقارناها بعثلها في الرقي العلمي الأوربي لوجدناها في درجة النهضة التي كانت عليها أوروبا في عهد الريناسنس ، أو احياه العلوم .

وينتجج من هذا أننا لسنا في دور ننتظر فيه من كل شعرائنا أن يكونوا — مع متمهم بمواهب الشعر وقوة الخيال إلى آخر ما أوردناه عند الكلام على النوع الاول من الشعراء — بالغين حدود الثقافة العامة الجامعة ، لأن هذا ليس في طبيعة جيلنا الحاضر بالنسبة الى الشرق بل يحدث في جملة أجيال آتية يمكن حصرها اذا قيس نهوضنا بنهوض أوروبا ، وعلمنا أننا لا نصل الى ما وصلت اليه هذه القارة الاكن الا بعد أجيال بعدد الاجيال التي بين عهد الريناسنس والعهد الحاضر .

اذا قررر ذلك فلانكون مغالين اذا قلنا بأن شوقي أمير الشعراء منحة أجيال أعنى الأجيال الغابرة منذ عهد امرئ القيس إلى الآن وأجيال آتية لا ندرى عددها وإن قدرناها بعدد الأجيال التي بين عهد الريناسنس في أوروبا والوقت الحاضر .

أجل ، شوقي أمير الشعراء منحة أجيال غابرة وآتية لأنه جمع بين اسمي موهبة الشعر وأرقى خيال فيه وبين الثقافة العامة الجامعة الحديثة التي امتاز بها من بين شعراء العربية في الماضي والحاضر . وإني لنا بئله نتمتع فيه كل هاتيك الخلال ؟ ان هذا لعنري لا يوجد ولا يتحقق إلا على غير سنن طبيعي وفي استثناء غير اعتيادي . ومتى يسمح الدهر بغير سنته ويظهر باستثناء في نواحيه ؟ ربما حدث هذا في جيلنا الحاضر أو بعد أجيال .

لست في حاجة الى ايراد أمثلة من شعر شوقي ونثره الحكيم للدلالة على أنه وهو المفرد العلم في الذروة وفوق الهامة بالنسبة الى موهبة الشعرفيه وفي أعلى مكانة من التفوق ، كما أنني لست في حاجة أيضاً إلى أن أسوق نبذاً من انتاجه الشعري والنثري مستدلاً بها على مدى تهذيبه العالي وثقافته العامة السامية ، ف شعر شوقي كله عذب وكله رائع ونثره كله بديع وكله حكيم مع امتلائهما بالعلم والفن والفلسفة والتاريخ والارشاد والهداية والأحكام الصادقة والعظة والاعتبار . ولا يفقه شوقي ويبلغ مدى مايرمى اليه شعره ونثره الا متتف ثقافة شوقي : فهو على سهولته وعذوبة أسلوبه كثر مكنون ومر محبوب سترفع حجب البحوث العلمية العميقة المتوالية لأرباب العقول الراجعة والمعارف الواسعة على توالي الأيام والدهور .

نعم لسنا في حاجة الى أن نتعرض هنا لشعر شوقي ونثره الدلالة على مكانة موهبته الشعرية وثقافته العامة السامية ، ولكنني استأنس بأثرين جليلين من آثاره العظيمة وتراثه

الاول الخالد أحدهما يرجع الى شاعريته والثاني الى ثقافته، والى القارىء البيان بالاجال:
 تفتح شوق اللغة العربية وأدبها والخيال العربي ومكانته في فن الشعر التمثيلي التي خلت
 منه الآداب العربية الى عهد قريب درأً ثمينة وغرراً وسيمة هي رواياته : كليبوترة
 ومجنون ليلى وقميز وعلى بك أودولة المهالك وعنترة ، فبرهن بهذه الروايات الأدبية
 على سمو الخيال العربي الذي رماه بعض النقاد بتخلفه عن مكانة الخيال الاكرى
 لعدم انتاجه فن الشعر التمثيلي الموجود في آداب الاكرين .

وكتاب «أسواق الذهب» في نثر شوقي الحكيم يحتوى على كلمة غالية في وصف البحر
 الأبيض المتوسط - الأرجوحة الأولى للعقل البشرى ومهد المدنية الانسانية ونقطة
 اتصالها من أول وجودها حتى الآن ومستقرها الطبيعي في المستقبل مادامت
 القارات قارات والبحار بحاراً .

هذه الكلمة الحكيمة الغالية اذا أنت قرأتها ونفذ فهمك الى أغراضها وألمت
 بما فيها من حكمة وبيان وعلم وعرفان أدركت مقدار ثقافة شوقي وعلمه الجبم
 واطلاعه الواسع وحكمت معى بأنه منحة أجيال ونعمة دهور .

قال شوقي : البحر الأبيض المتوسط سيد الماء ، وملك الدأماء ، مهد العلية
 القدماء ، درجت المحكمة من لججه ، وخرجت العبقرية من ثبجه ، ونشأت بنات
 الشعر في جزره وخلجه . بدت الحقيقة للوجود من يسه ومائه ، وجرب ناهض
 الخيال جناحيه بين أرضه وممائه !

العلوم زلت مهودها من ثراه ، والفنون ربيت في جبال رباه ، والفلسفة في ظله
 وذراه ، (بنتاؤر) وُلد على عبره ، و(هومير) مُهد بين سحره ولحره ، ولحمت
 الايلاذة من صخره ، و(هيرودوت) دون متونه على ظهره ، و(الاسكندر)
 انتهى اليه بفتحته ونصره !

ثم قال بعد وصف ساحر خلّاب على نمط ماسقناه مخاطباً ناشئ الكنانة :

لا بآئك عنده - منذ ماجت أمواجه ولجت لجاجه ، وهدر عجاجه ، وانثنى
 للرياح شراعه وساجه - جوار الاكرمين، وصحبة المحسنين ، وكف السباح الخبيرين .
 تلك اللجة - أيها الناشئ - هي من أوطانك عنوان الكتاب ، ومصرع الباب ،
 ووجه الحيلة ، وظاهر المدينة ، وعورة الحصن ، وان قوماً لهم على البحر ملك وليس

لهم منه فلك ، لقوم دولتهم واهية السلك ، وسلطانهم وإن طال المدى الى هلك .
فله أنت يامنحة الاجيال وتفتح الدهور ! ذكراك خالدة في النفوس وترائك
على الدوام غفر الادب وتواجه م

على المنايا



شوقي وحافظ

ليس لنا ونحن نكتب عن شوقي وحافظ الآن ، إلا أن نودّع الشعارين
الكبيرين بكلمة طيبة رضية ، نستخلصها من جانب القلب لتكون إكليل عطف
ورحمة على قبر الفقيدين .

فقد كانا أول من قرأت له من شعراء العربية وحفظت من شعره ، وكانا أول
من شجعني وأنا ناشيء على المضي في رحلتي الأدبية بقدّم ثابتة بما قلداني من
شعرهما الرقيق ، حقّق علىّ أن أوفيتهما حقهما عندي وقد نزحا الى دار الخلود .
شوقي وحافظ اسمان تغنت بهما الألسنة جيلا من الزمن ، وردد شعرهما كل
ناشئ في عالم الأدب في مصر وغيرها من البلاد العربية ، فهما من الشعر كمتبتى الدار .
جاء شوقي وحافظ في عهد نهضة أدبية جديدة ، فكانا نجمين متألّفين في سماءها .
ففي نظمهما كانت تتجدد لغة العرب بعد أن رمت حبالها في يد الزمن ، وكان هم الأدب
في عصرهما أن تستعيد اللغة العربية جاهلها ، ويبعث الشعر القديم من مرقده ، فرأى
فيهما ضالته الملتسودة وإن كانا لم ينفردا بهذا الفضل ، فالبارودي وصبري والبكري
لم يقصر شأوهم في ذلك عن شاعرينا الفقيدين .

لم يسمّ نظر الجيل الماضي عن هذا الحد ، ولم يتطلع شعراؤه إلى أكثر من تلك
الناحية التي ترمي الى رسم خطى المتقدمين من شعراء الدولة العباسية وصدر
الاسلام ، ولم يطالبهم أحد بأكثر من ذلك ! فجميع المشتغلين بالحركة الأدبية في
ذلك العهد كانوا يتذوقون بنوق العصور الماضية .

على أن شوقي وحافظ وإن اتفقا في هذا المذهب ، فقد كانا يختلفان من بعض
الوجوه فيما ينظنان . يرجع ذلك الى البيئة التي نشأ فيها كل من الشعارين ، فترى في

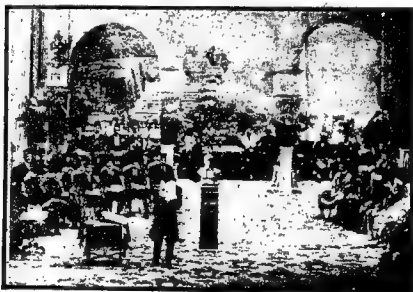


﴿ شوقي وحافظ ﴾

صورة تذكارية أخذت على مسرح الأوبرا بالقاهرة
في مهرجان تكريم شوقي بك سنة ١٩٢٧ م.



﴿ من أعيان الشعر في مهرجان شوقي بك ﴾
 يرى الى يماره خليل مطران بك فالشيخ محمد عبدالمطلب
 والى يمينه حافظ ابراهيم بك فقبل الملاط بك



﴿ في مهرجان شوقي بك سنة ١٩٢٧ ﴾
 على مسرح الاوبرا بالقاهرة

شعر شوقي أثر النشأة الأرستقراطية ، فهو ربيب الحكم وخدين الحكام ، لم يحوله الزمن عن طبيعته ، ولم يخرج تطورات الاحوال عن فطرته . أما حافظ فهو ابن الشعب وريبب المجتمع ، في كنفه نشأ وبين أحضانه عاش ، فكان يتغنى بأفراحه لأنه يشاطره إياها ، ويهتف بأشجانه لأنه ممن يكتوون بلببيها .

فظهرت في شعر الأول روعة وسطوة ، وفي شعر الثاني حرارة ولوعة ، وكلا الشاعرين غلغلن لطبعه صادق لفطرته .

وقد عاش الشاعران حتى رأيا النهضة الحديثة يندفع سيلها فيجترف في طريقه كل قديم ، وشاهدا من رجالها شعراء وثقادات جديدين ، مبشرين ومنذرين ، فتوالت عليهما حملات النقد ، واشتدت عليها اقلام الكتاب ، حتى صارا هدفاً لكل ناقد . وما الشاعران اللذان تترها في عرف الجيل الماضي عن كل نقد ، واعتصما عن كل عيب ، وتلقى ذلك الجيل رسالتيهما بصدور حبيب .

عانى شوقي وحافظ تلك الحلة العنيفة واصطليا نيرانها ، فكان حافظ يرى من السلام ان يقف عند حدوده ، وأن يطأ على رأسه للزوبعة ، حتى لا يصاب منها بصائب أو يتقرب من رجالها بما عهد فيه من البشاشة والطف فيعدهم عنه ، ولكنه مع ذلك كان يشهد بصدق تلك الحركة ويعترف بأن للتطور سبيله في كل شيء .

ولكن شوقي الذي خلعت عليه إمارة الشعر وأجلس على عرشه ، لم يكن من السهل عليه أن يتلقى تلك الحلة فكان يفضيه كل نقد وزعجه كل ناقد ، فجرد جيشاً من الكتاب للدود عن شعره ، وآخر لمحاربة خصومه والسهرة على حراسة عرشه . ولو علم رحمه الله لترك الأمور تجري في مجراها ، وترك شعره للحياة ، يأخذ حظه منها كما تمقدر له . وحسب الشاعرين أنهما تبوأ زعامة الشعر حيناً من الزمن لم يكن ينازعهما فيها منازع ، وحسب الادب انه وجد في شعرهما قنطرة بين القديم والحديث .

محمد طاهر الجيوى



شوقي في الاندلس

- ١ -

أما وقد صار شوقي في ذمة التاريخ - تاركاً آثاره الأدبية يقول فيها التاريخ كلته التزيمة التي لا تعرف الخداع ولا الجمالة ، ولا تفهم هذا الامر المشهور « اذكروا محاسن موتاكم » هذا القهم اللفظي السطحي الذي لا يلائم البحث العلمي ولا يناسب النقد الأدبي - فن الحق علينا أن نقف من هذه الآثار موقف المؤرخ الذي يحاول الانصاف ولا معنى بغير الحق والامانة لعله ينصف هذا الشاعر الجليل الذي لا يستطيع الآن دفاعاً عن نفسه إلا بتلك الآثار نفسها ، كما أن هذه الآثار مجال عزته واعتزازه ومن أجلها ذكره الناس في حياته وهم يذكرونه بعد مماته ، وبقدر ما فيها من أسباب الجلال والقوة والخلود يبقى شوقي مذكوراً .

نحن لا نعرف شوقي مثلما نعرف آثاره ، بل لانعرف شوقي إلا بآثاره الأدبية فهي تراثه الذي ينمي عن جهوده الجيوية ، ويصور أفكاره وعواطفه ، ويعرض علينا شخصيته مهما يكن لونها الأدبي والخلقي ، ولذلك نبادر فנסجل هنا أن هذه الشخصية ستبقى مجهولة أو على الأقل فامضة بعض الغموض حتى تتقدم الأيام وتسمح الأحوال بأن يطبع شعر شوقي كله ويذاع ما لم يذع منه ومعه تاريخه وملابساته التي تعين في فهم الشعر من ناحية ، وفي إنصاف شوقي من ناحية أخرى ، وأما تلك الأحكام التي تصدر على هذا الشاعر الجليل منذ الآن في فيما أرى تعريية أو ناقصة .

أقول هذا لاني أذكر وأكثر الناس يذكرون معي أن النقد الأدبي ليس نوعاً من الجمالة الانسانية يقوم على المدح والثناء والإشادة الفارغة بالآثار الأدبية وأصحابها ، كما يذكرون أيضاً أن ليس النقد فناً هجائياً أساسه التلب وتبعية الاخطاء وانتحالها والوقوف من الشعراء والكتاب موقف العدو الناقم بلبس المنظار الاسود ويصدر عن شعور حاقدة كلما حاول قراءة الأدب أو دراسته ، ولا ذنب على الأدب في ذلك ، وإنما الذنب ذنب الكاتب أو الناقد أو ذنب ما بينهما من صلة العداوة والبغضاء .

ولكن النقد الأدبي في أصح مذاهبه مسألة استعراض الآثار الأدبية وبيان ما فيها من الحسن والمساوى الفنية ، ثم رد هذه الخواص إلى أسبابها المعقولة وعلىها الواضحة . نعم ، إن كلا من التاريخ العام والخاص يعين في فهم هذه الآثار ويلقي عليها ضوءاً يبين لونها السياسى والاجتماعى ووجهة صاحبها حين قال ، ولكن شيئاً هاماً يسمو على التاريخ ويكاد ينفصل عنه ، هو نظرات الكاتب الثاقبة وطريقة تصويره ، نظرته العميقة التى تستمد الأفكار والمواقف من الطبيعة الانسانية الخالدة التى لا تكاد تغيرها الدهور وإن غيرت من صورها ، ثم هذا الاسلوب الفنى الذبى هو مثال الشخصية الممتازة التى ينفرد بها الأديب والتى هى هو وكفى .

وأول ما عني - فى الكتابة عن شوقي الشاعر بمناسبة هذه الذكرى المريمة - أن اختار قصيدة من روائعه وأتبع فيها شخصيته الأدبية ، وكنت آثرت قصيدة أبى الهول لاعتقادي أنها من آثاره الممتازة ، ولكن عدلت عن ذلك بعد حين رغبة منى فى توسيع أفق البحث وحرصاً على أن أرى هذا الشاعر حيث بدأت شاعريته الخالصة تقوى وتنمو ، وحيث وصلت إلى مستواها السامى الذى لم تكده تتجاوزته وتعلو عليه فيما بعد ذلك إلا قليلاً . وقد خيل إلى أنى أستطيع رؤيته على هذه الصورة بالأندلس فى منفاه . على أنه - فيما يظهر لى - يصعب النظر بشخصية شوقي الأدبية فى قصيدة واحدة أو فى بعض قصائد لاختلاف أطواره الحيوية والفنية كما سنرى .

- ٢ -

نشأ شوقي الشاعر فى ظل اسماعيل وولده بيباه ، وحياه هذا البيت الكريم برعايته ناشئاً حتى شب وترعيع . فمن الحق على شوقي أن تكون باكورة شعره عرفان هذا الجليل وتسجيله ، وهذا هو أساس انجاء شوقي ونزعتة ليكون شاعر القصر ولسان اسماعيل وآله . وقد كان ذلك كله ، فصار شوقي فى هذا الدور الاول من حياته يعبر بشعره عن انجاء القصر وتقاليد أكثر مما يعبر عن نفسه وشخصيته . فلبس لذلك هذا الثوب الرسمى الذى تنسجه مقتضيات الملك وزعاته ودواعى البيئة الحاكمة . هذا من الناحية الموضوعية وأما الناحية الفنية فقد كانت تقليداً ومعارضة للشعر القديم يذهب شوقي فى نظمه مذهب شعراء الملوك ، والخلفاء فى بغداد على الخصوص ، ولا بأس على شوقي من ذلك فى أوليات عهده بالشعر ، فالفنى يبدأ حياته دائماً بالتقليد وتأثر النابهين من السلف . ولكن الخطأ العظيم هو الفناء فى هؤلاء

السابقين والسير على مناهجهم دون الدلالة على مذهب فنى خاص أو ابتكار أسلوب يلائم قانون الرقى وتغير البيئات .

شوقي ، إذاً ، شاعر القصر . والقصر كان يومئذ متصلاً بالخلافة الاسلامية التى تشرف على أقطار شتى . فليس غريباً أن ترى الشاعر يذكر حكومة مصر وجمالها ومكانة الخلافة وجلال الآستانة ، ثم يذكر الاسلام والمسلمين ، ويتجه بنظره الى طبيعة الحكومات ومزاجها والى تقاليد القصور ورحابها دون النظر إلى طبيعة مصر ومزاج المصريين . فكان يستوحى الحكومات وأفرادها ، وقلما كان يستوحى هذا الشعب المصرى أو الاسلامى ، بل قلما عُنِيَ بما تعرضه عليه طبيعة بلاده إلا عرضاً أو قليلاً . وهكذابقى شوقي مطمئناً إلى هذه المكانة التى وضعت له فى صف المقربين إلى السناء وباعدت ما بين وبينه الارض حتى حالت الاحوال وذهب إلى منفاه .

ولما عاد من الاندلس صادف بمصر نهضة ثائرة تريد حياة جديدة فى كل شئ . فى السياسة والتعليم والاجتماع والاقتصاد ، وصادف مذاهب سياسية تمثل هذه النهضة تحاول مسايرة ذلك شعره ليكون السجل الخالد لهذا التاريخ الحديث . فشوق يتجه فى كثير من المناسبات إلى عرش البلاد يعرف له آثاره الجليلة ، ثم يبتنى إلى رجالات مصر فيسلكهم بين الأبطال الفاتحين . وتردد بين الأحزاب السياسية متغنياً بمناهجها دون أن يفرغ لاحداها ويقف عنده ودون أن يكون له هو مذهب الخاص يقيم عليه رسالة أو يستمدوحياً والهاماً . هكذا كان شأنه مع المعاهد العلمية والنوادى الاجتماعية ، فسوقى فى الفترة الاولى شاعر القصر وهو فى الفترة الثانية شاعر الحكومة مع شئ غير قليل من الشاعرية الاجتماعية والفنية والتاريخية .

لم يفرغ شوقي لنفسه ولقنه فى هذين المبدئين السالفين . ولم يسلم شعره من المجاهلات السياسية والاجتماعية ، بل ومن الصنعة الفنية التقليدية ، فكانت آثاره مزيجاً من ألوان شتى قلما تأتلف أو تكون شخصية محدودة واضحة المعالم ، فلأثره هنا وهناك ولا بُحْث لعلى أنظر بشوق شاعر العاطفة والعبرة وإذا ظفرت بشعر العاطفة والعبرة فقد ظفرت بما أريد .

قلنا إن شوقى كان شاعر القصر أول أمره ، وكان وثيق الصلة بسمو الخديوي عباس الثانى ، ولما قضت الأحوال أن يغادر الخديوي مصر وأن يتبوأ المرحوم صاحب العظمة السلطان حسين كامل عرش هذه الديار وقف شوقي صرثاعاً لهذه الحوادث

التي توالى عليه وأمامه خالتي بينه وبين سيده أو صديقه الأول وسلبته مكانته السامية ، وأورثته الحزن والأسى ، وعرضت عليه معجزة القضاء والقدر ، حتى ثارت في نفسه عاطفة الحزن وتلبه الى الحياة وصروفها وما فيها من دواعي العظة والعبرة ، وابتدأ شوقي يستمد شعوره من نفسه هو لا من نواح تقليدية كانت تستلزمها حياته الأولى ، وهنا ظهر شوقي الشاعر : فارق سيده أو صديقه ، وهو مضطر أن يقي له فلا ينساه سراعاً ، ولكنه يجد سلطاناً جليلاً هو عم الخديو عباس يجلس على العرش ، وهذا نوع من العزاء عنده ما دام الملك في بيت اسماعيل ويحمد الانجليز يعرفون لهذا السلطان جلاله ، ويعرفون لبيت اسماعيل مكانته ، فهو مضطر إذاً أن يتخذ ويحفظ التوازن بين هذه النواحي ولكنه توازن الحذر الحزين وكفى ، وهذا الحزن هو الطابع الواضح لشعر شوقي من ذلك الحين حتى نفي وعاد ، وبقيت آثاره عنده حتى مات رحمه الله .

هذا الحزن لم يكن ثورة عنيفة ، وإنما هو حزن تصحبه وتهدهه العبرة والحكمة ، وهو كذلك حزن مقسم بين ناحيتين أو نواح ثلاثة : فشوقي حزين على نفسه وتطور حياته إلى هذه الحال ، وهو حزين على صديقه أو سيده الذي غادر الديار ، وهو حزين آخر الأمر على مصر . ومهما يكن هذا الحزن قوياً في الانجذاب الشخصي فهو حزن جميل أوحى إلى الشاعر نفمة فنية جميلة تسممها في قصيدته (حسين كامل) التي قالها لما ولي العرش وهي قصيدة تتلخص كما قلت لك في هذا الحزن يصحبه الحذر والاعتبار :

الملك فيكم آل إسماعيل	لا زال بيتكم يظلّ النيلة
لطف القضاء فلم يمل لوليتكم	ركناً ، ولم يشف الحسود غليلا
هذه أصولكم وتلك فروعكم	جاء الصميم من الصميم بديلا
الملك بين قصوركم في داره	من ذا يريد عن الديار رحيلاً
(حابدين) شرف بابن رافع ركنه	عزّ آ على النجم الرفيع وطولا
مادام مغناكم فليس بسائل	أحوى فروعاً أم أقل أصولاً

شوقي يصور ناحية العزاء والسوى ، ويضمر في نفسه لوعة وحزناً ، ويحاول الثبات أمام القضاء والقدر صابراً راضياً ، ولكن شعره كما ترى ينم عن نفس شاعرة مرتاعة

مضطربة استطاعت أن تبدو في هذا الأسلوب الذى لم يتحلل بعد من محفوظات الشباب ومعارضة العبارات القديمة والذى نودُّ لو كان أطبع صوغاً وأُكل إنساقاً ولكنه مع ذلك مرضٍ مقبول . ثم يستمرشوق فيذكر رجال هذا البيت المجيد وما أثرهم في نشر الحضارة بوادى النيل مولياً وجهه شطر الماضى يتناسى أو يدارى ما هو فيه لعله يجد منفذاً من هذا الحرج الشديد حتى يصل الى الانجليز وعرفانهم كرامة البيت للمالك وتداركهم الأمر :

حلقاؤنا الأحرار إلا أنهم . أرقى الشعوب عواطفنا وميولا
لما خلا وجه البلاد لسيفهم ساروا سماحاً في البلاد عدولا
وأثروا بكبرها وشيخ ملوكها مَلِكاً عليها صالحاً مأمولا
ولكن الشاعر يأس معجزة القدر ويرى النحس عابئاً بالعروش والممالك ووجه
البسيطة يلبس جلد الحرياء ، فيثوب ويصطنع هذا العزاء :

سبحان مَنْ لا عزَّ إلا عزُّه . يبقى ولم يك ملكه ليزولا
لا تستطيع النفسُ في ملكوته إلا رضى بقضائه وقبولا
ومهما يقل الشراح إنه يشير إلى ما ألم بتركيا أو بمصر فليس من شك عندي أنه يستمد
من نفسه هو هذه العبرة والرضوخ للقضاء ، ثم يحاول أن ينقلب إليها مسلماً ، ثم
يستمر فيذكر وفاته ونفسه في ذكرى الحروب وآثارها المنحوسة . أليست الحروب
سبب هذا البلاء الذى أصابه وغير من شأنه ؟ ولكنه يتنبه لنفسه وموقفه فيعود إلى
إسماعيل وبنيه :

أأخوتُ إسماعيل في أبنائه . ولقد وُلدتُ بباب إسماعيل !
ولبت نعمته ونعمة بيته . فلبست جزلاً وارتديت جبلاً
ووجدتُ آبائى على صدق الهوى . وكفى بآباء الرجال دليلاً
ثم يخاطب المرحوم السلطان (حسين كامل) :

إرقاً سرير أبيك والبس تاجه . واكرّمْ على (القصر المشيد) زبلاً
مرّت أوقاتٌ عليه مؤحشاً . كالمرس لا خلواً ولا مأهولا

يا أكرم الأعمام حسبك أن ترى للمعبرتين بوجنتيك مسيلا
من عثرة ابن أخيك تبكي رحمة ومن الخشوع لمن حباك جزيلا
ولو استطعت إقالة لعنائه من صدمة الأقدار كنت مقبلا

وفي آخر هذه القصيدة خلع شوقي شيئاً من نفسه على المصريين فدعاهم إلى التوكل والصبر على هذا البلاء في أسلوب المتألم الذي ينتظر أحداً ما وخطوباً أخرى ولكن ذلك كله يتركز في هذا الشعور الذي ملك نفس الشاعر في هذه الفترة الطارئة وهو سقوط المضطرب الحزين .

— ٣ —

ولكن هذه الروح التي تسود القصيدة الالكفة ، والتي تدل على اتجاه شوقي ، من محاولة شوقي أن يمثل دور الوفي أو المحتاط ، كل ذلك استتبع فيه فغادر مصر إلى الأندلس .

وهنا يظهر الحزن قويا صريحا ، ولكنه حزن على نفسه وما اتناه ، وحزن على مصر وأحداثها ، وهنا كذلك يمد شوقي بصره وبصيرته إلى الحاضر والماضي يستمد منهما العبر والعظات ويفيض عليها من نفسه الحزينة التي تترك ملاعب الصبا ومهد الشباب ، وترى التكتبات تهجم على البلاد وتتحكم فيها النوائب ، ولا شك أن هذه تمخلق في النفس حسرة وجلالا وتحملها على التبصرة والاعتبار . تقرأ ذلك في قصيدته المنشورة « قناة السويس » :

« تلكما يا ابني القناة ، لقومكما فيها حياة ، ذكرى اسماعيل ورياء ، وغلبيا
مفاخر دنياه ، دولة الشرق المرجاة ... تعبراتها اليوم على مزجاة ، كأنها فلك النجاة
خرجت بنا بين طوفان الحوادث ، وطغيان الكوارث ، تُفارق برأ مغتصبه مضرة
الغضبة ، قد أخذ الالهة واستجمع كالأسد للوثية ... إن لثني لوعة ، وإن
للين لوعة ، وقد جرت أحكام القضاء بأن نعب هذا الماء حين الشرمضطرم ، واليأس
محتدم ، والعدو منتقم ، والخضم محتكم ، وحين الفامت جذلات مبتم ، يهزأ
بالدمع وإن لم ينسجم ، فانا حكام عجم ، أعوان العدوان والظلم ، خلقناهم يفرحون
بذهب اللجم ، ويعرحون في أرسان يسمونها الحُكم » .

فقد أباح الثني للشاعر أن يسرى عن نفسه ويصرح ببغضه حكومة مصر إذ ذاك

ويرى فيها وسيلة لأغراض الاحتلال ومظاهر لارادته وسلطانه : « ضربونا بسيف لم يطعموه ، ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه ، سامحهم في حقوق الأفراد ، وسامحوه في حقوق البلاد ، وما ذنب السيف إذا لم يستحى الجلاء » .

وهنا نجد الشاعر صرح النقمة ، فاضت نفسه بشعورها كما وجدت متنفساً ، ولكنه مع هذا بصير يشتق من الحوادث الآيات والعبر ، ويستنبط من التاريخ العظات والسور : « أنظروا تريا على العبرين عبرة الأيام ، حصون وخيام ، وجنود قعود وقيام ، جيش غيرنا فرسانه وقواده ، ونحن بعرانه وعلينا أزواده ، ذلك على غير جداره ، خلاله الجوفصاح ، وكلب في غير داره ، انقرد وراء الدار بالنباح » . ومن لا يذكر سلطان الانجليز وسيطرتهم على القناة والبرية أيام الحرب العظمى ... وبعد أن أفاض الشاعر في ذكر الحوادث التاريخية التي لا يست طورسيناء ختم كلمته بقوله : « ثم انظروا اليوم تريا القناة في يد القوم إن آمنوا ركزوها ، وإن خافوا هزوها » .

لم نحل هذه القصيدة المنثورة من عاطفة الحزن ومن التأمل والتفكير ، وهي مع ذلك تمثل حال مصر في تلك الفترة تمثيلاً قوياً واضحاً . أما هذا الأسلوب فليس فيه جديد ، ولا يروق أكثر الناس هذا السجع لأنه يحول بينهم وبين قراءته وتقيم معانيه ومافيه من تصوير وأفكار . وشوقي يعترف أنه قلد في هذا الأسلوب الزمخشري والأصهباني ، وماذا عليه لو عمد الى الارسال ؟ أظن نفعه كان يكون أعم ، وربما استطاع أن يخدم الكتابة الحديثة ، ولكن شوقي حريص على الموسيقى اللفظية ونة الأسلوب .

وهنا نلاحظ أن شوقي أعرض عن ذكر الخديوي واتجه اتجاهاً تاريخياً شخصياً وستجد ذلك واضحاً جداً في أندلسياته .

— ٤ —

وأخيراً نجد الشاعر في الأندلس ، وكما في الأندلس من آثار عربية ، وكثير الأندلس من ذكريات تاريخية مجيدة ، فتلك الآثار تحدث عن دول كانت ملء الدهر ورجالات سلبوا عروشاً وفقدوا ملكاً كبيراً ، كان للأدب في ظلهم سوق رائحة ولفن في رحابهم آيات رائعة خالدة ماتوا فخلدتهم الآثار ، ورددت أسداً هم الأحدث والاشعار ، وهناك ظفر شوقي بعين تראה تقيض عزاء وسلاوى ، وتلألأ النفس عبرة واعتباراً ، فلتخذ من ذلك معيناً لشعر هو الشعر في عاطفة ، جمع فيه بين الحاضر والغابر ، ووصل بين الشرق والغرب ، ولا م بين نفسه ونفوس غيره من الشعراء .

زل شوقي بلاد الأندلس ، وفي نفسه ذكرى مصر ماثلة وتلك الحوادث التي أقصته عنها . فإذا به يرى الحراء ، ويذكر في أرجائها موقف البحترى من موائد كسرى بعد مقتل المتوكل ، ثم يذكر ابن عباد وابن زيدون ولسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمن الداخل صقر قريش . وهكذا يقي يستخرج من الماضي صور الحاضر ويقول في ذلك الشعر معارضاً الأندلسيين وغيرهم حتى ودع الأندلس وعاد إلى مأواه .

غير هذا المكان أوسع صدرًا للموازنة بين البحترى وشوقي في هذه الوقفة على آثار الماضين ، فقد يكون بينهما في الظاهر ما يدعو إلى الموازنة ، وقد يُضعف هذه الموازنة ما بين الحالين من فروق جوهرية تجعل الموازنة نوعاً من السخرية والعبث ، ولكن الواقع أن شوقي وقف بقصر الحراء وذكر سينية البحترى :

صنتُ نفس عما يدنس نفسي وترفتُ عن جدا كل جيس
وأخذ يعارضها بقصيدته « الرحلة إلى الأندلس » :

اختلافُ النهار والليل يُنسى اذكرا لي الصبا وأيام أنسى
وصيفا لي مُلاوةً من شباب صُورت من تصورات ومَسَّ
وسلا مصر: هل سلا القلب عنها أو أسى جرحه الزمان المؤسَّى ؟
كلما مرت الليالي عليه رق ، والعهد في الليالي تُقَسَّى
مستطارة إذا البواخر رنت أول الليل أو عوت بعد جرس
راهب في الضلوع للسفن فطن كلما ثن شاعهن بنقس
يا ابنة اليم ما أبوك بخيل ما له مُولعا بمنع وحس
أحرام على بلبله الدو ح ، حلال للطير من كل جنس ؟
وطى لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي !

ثم أخذ شوقي يصف مشاهد مصر والنيل والقاهرة وضواحيها وآثارها . وهو تصوير تشترك فيه العبرة مع الحزن حتى يقول :

يا فتاوى لكل أمر قراره فيه يبدو وينجلي بعد لئس
عقلتُ لجثة الأمور مُعقولا كانت الحوت طول سجع ونفس
فرقت حيث لا يصاح بطاف أو غريق ولا يصاح لحس
فلك بكسف الشمس نهارا ويموم البُردور ليلة وكس !

ولما فرغ من الناحية المصرية انتقل إلى حيث يقيم ، فاستعرض تاريخ العرب في
الأندلس استعراض إجلال وعظمة :

أين مروان في المشارق عرشه أموى وفي المغرب كرمى ؟
سقت شمسهم فردت عليها نورها كل ثاقب الرأي نطس
ثم غابت وكل شمس سوى هاتيك تبلى وتنطوى تحت رمس !
وعظ البحرى إيوان كسرى وشفقتى القصور من عبد شمس

وإذا استعرتت في قراءة القصيدة ولا سيما هذا القسم التاريخى لمس آثار
البحرى وروحه واضحة بينة ، فانظر في قول البحرى يذكر إيوان كسرى :

ليس يُبدى أصنع إنس لجن سكنوه أم صنع جن لانس !
غير أنى أراه يشهد أن لم يك بانيه فى الملوك بنكس
وهذا قول شوقي يذكر قصور قرطبة :

فتجلت لى القصور ومن فى يها من العز فى منازل قصور
ماضت قط فى الملوك على نذ لى المعالى ولا تردت بنجس

ويتضح ذلك جداً حين يذكر الحمراء ويوازنها بالقصر الأبيض فى المدائن ثم يختم
القصيدة بهذا البيت الذى يختصرها اختصاراً :

وإذا فاتك التفات الى الما ضى فقد غاب عنك وجه التأسى !

— ٥ —

وأما معارضته ابن زيدون فى قصيدته النونية :

اضحى التنائى بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا بمجانينا !
فيظهر أن شاعرنا استطاع أن يتسلمى بعاطفته أو نظراته فى أول القصيدة لمّا تحدث
عن العرب والوفاء لهم ، وكـم فرق بين الوفاء المحبوبة هى ولادة بنت المستكفى بالله لدى
ابن زيدون وبين الوفاء لدولة ذاهبة هى — لدى شوقي — جلال الدين والأخلاق .
يسهل شوقي قصيدته بخطاب ابن عباد ويوازن بين حالهما :

يانائح الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟
ماذا تقص علينا غير أن يدا قصت جناحك جالت فى حواشينا !
رمى بنا البين أيكاً غير سامرنا أها الغريب ، وفلا غير نادينا

والحق أن شوق هنا ظاهر واضح لا يتأثر مثالا ولا يحاول صنعة لفظية لانه انفراد
بعاطفة شاكية ربما كانت أوسع أفقا وأسمى درجة من عاطفة ابن زيدون الفردية :
أهّا لنا نازحى أبك بأندلس وإن حللنا رفيكاً من رواينا
رسمُ وقفنا على رسمِ الوفاء له نحيش بالدمع ، والاجلال يثينا
لقتية لا تنال الأرض أدمعهم ولا مفارقهم إلا مُصلينا
لوم يسودوا يدين فيه منبهة للناس كانت لهم أخلاقهم دينا
ويذكر مصر ويعود الى التمسك بالصنعة اللفظية ويقرب من ابن زيدون في
أصلوبه التصويرى :

ياسارى البرق يرمى عن جوانحنا بعد الهدوء ويهيم عن مآقينا
لمّا تفرق في دمع السماء دماً هاج البكا تخضبنا الأرض باكينا
الليل يشهد لم تهتك دياجيه على نيام ولم تهتف بسلينا

* * *

ويأتم مطرة الوادى سرت سحراً فطاب كل طروح من مرامينا
هل من ذبولك مسكى لمحملة غرائب الشوق وشياً من آمالينا
الى الدين وجدنا دوداً غيرهم دنيا وودعهم الصافي هو الدينا
وبعد الشكوى وعدم غناء الصبر يعود إلى مصر ومجدها ومشاهد النيل وآثاره
ثم يرجع على حاله هو السابقة ، وكيف تلبه الدهر إليهم بعد نومه عنهم : —

ولم ندع الليالى صافياً ، فدعت (بأن نُعصّ فقال الدهر : آمينا)
لو استطنعنا تخضنا الجوّ صاعقة والبرّ ناراً وغى ، والبحر غسلينا
سعباً الى مصر ، تقضى حقّ ذاكرنا فيها إذا نسى الوافى وبأكينا
وتنتهى قصيدته بالحنين الى والدته بجلوان .

* * *

ولشوقي نظير آخر ، فى الغربية والألم ولكنه ظفر بملك عتيد كان آية الشرق فى
الغرب ، ذلك هو صقر قريش أو عبد الرحمن الداخل الفاتح الثانى للأندلس والمقيم
فيه محمد أمية بعد أن أذيل منها لبني هاشم فى الشرق ، وشوقي يعارض هنا لسان
الدين بن الخطيب فى موشحه :

جادك الغيث إذا الغيث همى
لم يكن وصلك إلا محلما
يا زمان الوصل بالأندلس
قال شوقي رحمه الله :

مَنْ لنضوء ينزى المأ
حنّ لبان وناجي العتلا
برّح الشوق به فى الفلاس
أين شرق الأرض من أندلس ؟

...

بلبل علمه البين البياض
فى سماء الليل مخلوع الحنان
بات فى حبل الشجون ارتبكاً
ضاعت الأرض عليه شبكاً
كلما استوحش فى ظل الجنان
ارتدى برؤسهُ والتسما
وخطا خطوة شيخ مرعى
فارتدّ بدا ذا قصص

وفى الحلق أن هذا التوشيح قصة حقة لبطل من أبطال التاريخ استطاع شوقي أن يصورها تصويراً خيالياً رائعاً ، وأن يستنهض بها همه الشباب لوصفا الشباب ، وأن يبعث بها عاطفة الإجلال لهذا الصقر ومحبهه والاشفاق عليه فى جهاده الأول أو بعبارة أخصر استطاع الشاعر أن يضم الناس الى جانب هذا البطل العظيم . ترى فى هذا التوشيح كيف نسلّ عبد الرحمن الداخل بين الخطوب وهو يتحرق حزناً على مجد أمية الزائل ، وطموحاً الى مجد آخر يموض عليه فى الغرب ما أفلت منه فى الشرق ولكن شوقي يسايره ، ويخلع عليه من نفس الحزن والأمل :

ناح إذ جفناى فى أسر النجوم
رسّما فى السهد ، والدمع طليق
أيها الصارخ من بحر الهموم
ماعسى يُغنى غريق عن غريق
إن هذا السهم لى منه كلوم
كلّنا نازح أيك وفريق
قلّب الدنيا نجدّها فسما
صرفت من أنعم أو أبوس
وانظر الناس نجدّ من سلّما
من سهام الدهر شجته التمسى ١

ثم أخذ يعرض قصة هذا البطل فى تصوير قوى ، ولم بما كان بين أمية والعباس وما قام به هذا البطل فى الأندلس من مجد يقوم على الخلق المتين والعزيمة الصادقة حتى مات وذهب رسمه وبقي ذكره فى ألسنة التاريخ . ولن نستطيع هنا استعراض هذا الموشح البديع وإنما نمجده يتلخص كما قلت لك فى الحزن والاعتبار .

- ٦ -

وبعد لآنى يودع شوقى منفاه إلى مصر، ويودع الأندلس هذا الوداع فى عاطفة
وإن كان قديم المنهج تقليدى الأسلوب :

أنادى الرمم لو ملك الجوابا وأجزيه بدمسى لو أثابا
وقل لحقه العبرات عبرى وإن كانت سواد القلب ذابا
سبقن مقبلات الترب عنى وأدين التحية والخطابا
نثرت الدمع فى الدمن البوالى كنظمى فى كواعبها الشبابة

وداعاً أرض أندلس وهذا ثنائى إن رضيت به ثوابا
وما أثبتت إلا بعد علم وكم من جاهل أثنى فمسابا
تخذتك موئلا خللت أندى ذراً من وائل وأعز غابا

أحق كنت للزهراء ساحاً وكنت لساكين الزاهى رحابا
ولم تك (جور) أبهى منك ووداً ولم تك (بابل) أشهى شرابا
وأنت المجد فى الدنيا رحيق إذا طال الزمان عليه طابا

وليس من شك عندى أن هذه القصيدة تتكشف عن عاطفة فرحة تخلو أو تكاد
من ذلك الحزن الذى كان يمشى شعر شوقى وهو فى صميم النفي وفى الأندلس ، فلا
نحس هنا إلا الوفاء وعرقان الجليل والسرور بالعودة إلى الوطن :

ويا وطنى لقيتك بعد يأس كأتى قد لقيت بك الشبابا
وكل مسافر سيثوب يوماً إذا مُرِّق السلامة والإيابا
ولو أنى دعيت لكنت دينى عليه أقابل الحزم المجابا

وقد عاد شوقى إلى وطنه وأخذ منذ وصوله يتصل بالحياة الاجتماعية لمصر
والمصريين ، وحسبك أن هذه القصيدة أنشدت فى اجتماع لجان القومين (بالأوبرا الملكية
سنة ١٩٣٠ م) أيام كان الغلاء آخذاً بالخنناق والحياة المادية حرجة مضطربة وقد
تناول الشاعر ذلك فى القسم الثانى من هذه القصيدة .

لست أزعم أن هذا كل ما قال شوقى فى الأندلس ، بل ربما كان الأرجح بل

الواقع أن لشوقي شعراً كثيراً قاله هناك لم يتيسر نشره للآن ، ومهما يكن الأمر فإننا نستطيع من هذا القسم الصغير الذى أشرنا إليه فى هذه السطور أن نتأمل شوقي فى هذه الفترة من حياته تمثلاً أدبياً ممتازاً :

(١) فأول ما نلاحظ أنه لم يكن لشوقي مذهب اجتماعى أو فلسفى أو فكرة خاصة عن الحياة وكيف تكون ، لأن شوقي لم يكن إلى هذا العهد من شعراء الفكرة الذين يدعون إلى مبدأ محدود معين ، فعهده الأول عهد ثناء على القصر ورجاله ثم تصوير ما يلبسه من مظاهر الملك وجلاله ، وهذا المذهب قديم شاع بين كثير من شعراء العرب فى القرون الأولى أيام كانوا يتخذون الشعر وسيلة للحياة المادية يوزعونه بين المديح والهجاء ، دون أن يكون هو نفسه غاية للجلال ولتصوير المشاعر والعواطف ، ودون أن يكون الشعر وسيلة لأداء ما يسمى الرسالة الحيوية للشاعر كالوطنية والاستقلال والاشتراكية والحرية وما إلى ذلك ، وربما كان من الغبن والإرهاق أن نطلب ذلك إلى شوقي فى تلك البيئة العامة أو الخاصة التى كانت تحيط به ، فقد كان يوجه إلى مدحة الخديو أو الخليفة لا لفكرة الوطنية أو الزعامة الشرقية. وإنما كان ذلك كله هذه الصلة بين شوقي وبين هذه النواحي العليا ، وهى صلة رسمية ليس غير عتادها الأشكال والمظاهر لا العقائد والمبادئ . فلم يكن شعره فى أوليات حياته — على أنه شعر المبتدئ — ممتازاً عن الشعر القديم فى موضوعه ومنهجه .

ولما نفى انبعثت فى نفسه معانى حب الوطن ، وعدم الاغترار بالأيام ، والاعجاب بالبطولة ، ووجوب التبصر والاعتبار ، وكل تلك معان جزئية حاسة لا تكون مذهباً اجتماعياً عاماً ، ولا تتضمن فكرة فلسفية وعقيدة ممتازة يحيا بها الشاعر ، بل ربما كانت معانى طارئة بسبب هذا التنى ذهبت حداثتها بذهابه وإن بقيت إثارة منها فى شعره آخر حياته .

والحق أنك لا تلحظ هذه الخاصة إلا فى عدد قليل جداً من شعراء العربية كالمعري والمنتهبى وأبى نواس وطرفة وجيل ، وإن كان لأكثر شعرائها شخصيات فنية واضحة ولكن شعر المبادئ والعقائد عندنا قليل إلا إذا رأينا فى النغمية مبدأ فنياً ، وإذا كان لابد لنا من ذكر فكرة كان شوقي يلجأ حولها أيام التنى فهى العودة إلى مصر وكفى .

(٢) وأما عواطفه التى سادت شعره واستأثرت به فى أول الأمر فالتغلب انهما

كانت عواطف شخصية ، وقلما كانت تتناول الناحية الاسلامية العامة أو الصالح المصرى . هي في الغالب تلك المشاعر التي تتجه الى شخصه وما يوصله بهذه الجهات العليا ، وقد رأينا فيما استعرضنا من شعره آثفاً أن عاطفة الحزن تملكته في منفاه وربما لم يكن من المبالغة اذا اعتبرناه حزناً على نفسه وبعده عن مصر وعن آله وخاصة أمه (بجلوان) :

صكز (بجلوان) عند الله نطلبه خيرَ الودائع من خير المؤذنين
لو غاب كلُّ عزيز عنه غيبتنا لم يآته الشوقُ إلا من نواحيننا
إذا حملنا مصر أو له شجنًا لم ندرِ أيَّ هوى الاملين شاجينا

وربما كان من الحق أيضاً أن ما صاحب هذا الحزن من العبرة والبصر في التاريخ واستنباط المواعظ واستعراض الآيات ، كل ذلك كان خير ما امتاز به منفاه . فقد جعله شاعرًا مديد البصر والبصيرة يشرف على الحياة ويصل بين الماضي والحاضر ، ويرثي ذلك الشعور هو ما ألمَّ به وما حدث حوله :

في بُرْهة يذر (الاسيرة) محسُها مثلَ النجوم طوالها وأنفولا

فاذا كتب لشوقي أن يقرأ شعره الأندلسي فقد يكون ذلك لما فيه من هذه الناحية التاريخية . ولا سيما (صقر قريش) و (الأندلس) . في هاتين تغلب العاطفة العامة السامية التي تجمد النفوس فيها بحال الروعة والإيناس .

(٣) لانهج لشوق خيالاً مبتكراً إلا في النادر ، وطريقة تصويره البياني ، ليست إلا تأثراً لأسانذته من الشعراء السابقين . فالرسم والوفاء له . والوقوف عليه والتشبث به . وإدراؤه بالدموع ، والمواقف المحجلة ، والرسم الخالي ، وصنعاه وقس والعقيق والعرضات وغيرها ، كل تلك يستخدمها شوقي في تصوير معانيه المتصلة بالحوادث العصرية . نعم يحاول شوق عند ما يصف الآثار المصرية ومشاهد النيل أن يتحلل من هذه الصور تحللاً لفظياً ويسدل عليها شيئاً من حزن نفسه كما كان يفعل البحترى وابن زيدون وغيرهما :

وأرى (الجيزة) الحزينة تكلى لم تُفق بعدُ من مناعة (رمسى)

والحق أنه هو الحزين :-

أكثرت ضجة السواقي عليه وسؤال البراع عنه بهمساً !

وقبام النخيل ضمّن شعراً ومجردن غير طوق وسلس
وكان الاهرام ميزان فرعو ن بيوم على الجبار محسراً

(٤) اسلوب شوقي هو اسلوب الباحثى والمنتبى وابن زيدون والشريف وغيرهم من تلك المثل التي احتذاها الشاعر ورأى فيها القوة والجمال والرصانة والموسيقى مما هو أليق بعمانيه وزعته في المحافظة على لغة القرآن كما هي بلاغة وقوة ، وكلّ كان يكره شوقي هذه الميول الى تنوع القافية في القصيدة أو النزول الى لسان الأسلوب وهلهته ، بل كان يعجب دائماً بهذا الرنين الموسيقى الذي يقرع الأسماع ويضمن له التأثير والاعجاب مهما يكن مداه طولاً وقصرأ .

وإذا كان لابد من اختصار ذلك كله في كلمة واحدة فلا شك عندي أن شوقي كان يتجه في شعره الى الماضى اكثر من الحاضر، وإذا استطعنا أن نقول بأن حافظاً كان شاعر (مصر المظلومة) فقد كان شوقي ... ماذا ؟

اهمـر السابـ



شوقي والمنتبى

في ثوب

أتيج لى منذ عشرين سنوات ان أتصفح كتاباً ألفه ابوسعيد محمد بن احمد العبيدى وسماه « الابانة عن سركات المنتبى » . وكنت وقتئذ متشعباً بالاعجاب بالقدماء واكبارهم وتقديسهم، وأرى أن كل من أوغل في القدم من الشعراء كان أجود شعراً وأعلى كعباً في اللغة والأدب . وقد تأثرت بفكرة : « ماغادر الأول للآخر شيئاً » او كما قال « عنتره » في معلقته :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل رفعت الدار بعد توهم ؟

فلما وقع بيدي هذا الكتاب قلت إن ذلك ليس بالجديد ، فالمنتبى شاعر القرن الرابع الهجرى وقد سبقه عدد غير قليل من الشعراء الاسلاميين والمخضرمين ، بل سبقه اكثر من مائة وخمسين شاعراً هم فحول شعراء الجاهلية الذين كانت القبائل

تعتبر بهم وتفخر بنبوغهم ، فليس بعيداً أن يكون المتنبي قد أخذ عن بعض هؤلاء الشعراء شيئاً ، خصوصاً في أوائل عهده وفي مطلع حياته الشعرية .

وشرعت أتصفح الكتاب متمعناً فيما يحويه ، فألفت صاحبه يتبرأ في مقدمته من الظلم ، ويتشيع للعدل والانصاف ، ثم هو ينمى على ادبائه زمانه ومتأدييه حالة تنمى نحن على متآدي زماننا وناشئته ، إذ يأخذون بالشهرة في الادب ، ولا يحكمون الفهم والادراك أو القواعد الادبية فيما يقرأون أو يسمعون . فهم يتشيعون للشاعر أو الكاتب متى كان اسمه معروفاً وفي المجالس بالشهرة محفوفاً . فاذا قرعوا الشاعر من هذا الطراز قصيداً ، أو طالعوا الكاتب مشهور مقالاً حكموا له بالسبق والتقديم . وتحمدهوا معجبين ببلاغته وفصاحته وما له من سمو الفكرة وسعة الخيال واصابة المرمى ، وما الى ذلك مما لا ينهض به كل قصيد او مقال من التصائد والمقالات التي تزدان بامضاء أديب مشهور .

وقد حدثني أديب مجهول أنه كتب مرة قطعة أدبية في رثاء والدته ، وكتب عليها أنها ترجمة لقطعة وضعها «أناطول فرانس» يرنى بها والدته . ثم قدم الأديب المجهول قطعته لأحدى المجالس العربية الكبرى فحازت إعجاباً كبيراً لدى رئيس هذه المجلة وعنى بشهرها بين المقالات الأولى في مجلته !

وما ذلك الا لأن أناطول فرانس قد حاز من الشهرة ما جعل كل شيء ينسب اليه محبوباً مقبولاً . ويظهر أن الشهرة تغنى عن العيوب ، فهي تقرب الشخص إلى الناس بحيث ينسون نقائصه ولا يرون زلاته ، ويتمثلونه دمية بريئة من كل عيب ونقص - استغفر الله - بل انهم يتمثلونه صنماً لا يبحثون في حقيقته ، ولا يميزون لا تقسم يوماً أن ينقدوه أو يذموه ، وأغلب الظن انهم كذلك يعمون عن محامدها وإذا كانت له ناحية أو نواح جدية بأن تغرد بالتقدير والاعجاب طمت الشهرة عليها ، فآغرقتها بين سائر النواحي التي يتشيع لها الجبهة والطفام . وكذلك الشهرة في زماننا وفي الزمان الذي شكاه منه صاحب كتاب «سراقات المتنبي» بل في كل زمان تضعف فيه الثقافة ويعدم فيه جبهة المتعلمين سعة الاطلاع ، وامعان النظر ، وكثرة الدرس ، وتحكيم الفهم والادراك .

وقد ظننت أن صاحب «سراقات المتنبي» سينهج لنفسه منهجاً حسناً خصوصاً بعد ما قدمه في مقدمته من التبرؤ من الظلم والتشيع للعدل والانصاف ، ولكن الرجل

— على ما يظهر — كان موغر الصدر على المتنبي ، وكان حاقداً عليه كل الحقد لشهرته التي حازها واصبحت كالقدر الذي لا يقاوم . وقد حفزه على وضع كتابه هذا كلمة سمعها من اديب متشيع للمتنبي في أحد مجالس الرؤساء ، خلاصتها : « سبحان من ختم بهذا الفاضل (يعني المتنبي) الفحول من الشعراء واكمه ، وجعل له من المحاسن ما يعثر فيه كل من تقدمه . ولو أنصف لعاق شعره كالسبع المعلقة من الكعبة » .

فردّ عليه ابو سعيد بكلام لولبي لاذع اثبتته في مقدمة كتابه . وهو من أجود ما يرد به على خصم ، وينتقم به مقدار شاعر قد امتلكت شهرته القلوب والاذهان واصبح لا حيلة لحاقده عليه الا أن أن يتمحل عند ذمه في ثنائه ، ويستعير بحامده لاظهار نقائصه ، ويستخدم دلائل قوته لاشهار مواطن ضعفه بأسلوب أدنى أظن لو عيننا بدرسه في هذه الايام لأغنانا عن الأساليب المنحطة التي يستخدمها بعض الكتاب في المهارات الأدبية والسياسية ، ولكان لنا من ذلك أسلوب فني يلد لكل أديب ومحِب للأدب أن يقرأه للفن فقط ولو لم يكن له صلة بموضوعه .

على أن أبا سعيد قد ذكر للمتنبي سرفات هي أبعد ما تكون عن وصف السرقة ، بل أن بعضها يشهد بفضله ، ويدل على أن أبا سعيد قد بالغ وتجاوز حدّ أوصاف السرقة والساخ والمسخ والنسخ التي يذكرها علماء البديع ، وأوغل في ذلك كله حتى ترى أن الرجل قد لجّ في غلوائه ، ونجّى على المتنبي في كثير من الايات التي ادعى أنها مسروقة . وما رأيك في قول أبي سعيد من أن أبا الطيب المتنبي قد أخذ هذا البيت :

والظلم من شيم النفوس فإن تعبد ذا عفة فلعلمه لا يظلم

من قول محمد اليبدي الشيباني :

الظلم طبعك والعفاف تكلف والطبع أقوى والتكلف أضعف

وما رأيك أيضاً في قول المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

هل ترى كما رأى أبو سعيد أنه مأخوذ من قول محمد البجلي الكوفي :

هذا الزمان شئومٌ كما تراه غشومٌ

الجهل فيه جميل والعقل غثٌ ملوم

والمال طيفٌ ولكن على الثام يحوم

تقول هل ترى كما رأى أبو سعيد مع أن معنى بيت المتنبي يخالف معنى البيت الثاني من هذه الأبيات الثلاثة وهو الذى يشير أبو سعيد أن المتنبي سطا عليه فسلبه معناه ؟ هذا فضلا عن اختلاف الصياغة التى هى فى الحقيقة أعم ما يعول عليه الناقد الزهري ، والتى هى الميزة التى تنفرد بها شخصيته كل شاعر وكل أديب . أما المعانى فهى شائعة على أفواه العامة أكثر من شيوعها على أفواه الأدباء ، وهى تتوارد على خواطر الكبار والصغار والعلماء والجهلاء . والفضل فى أن يكون الإنسان له ملكة يستطيع بها التعبير عن هذه المعانى . وتختلف منازل الأدباء باختلاف القدرة فى إعادة التعبير وحسن البيان وقوة التأثير . وإن الامم الجاهل ليلهج من المعانى بما لو صيغ صياغة فنية لكان آية من آيات البلاغة ومعجزة من معجزات البيان .

لذلك لا أرى أن السرقة الأدبية لا تكون سرقة حقيقية إلا إذا سطا الأدب أو الشاعر على صياغة شاعر من الشعراء وعلى خياله وانتحل شخصيته فى تعبيره الذى يميزه عن سواه مع الأخذ من معناه أولفظه . أما اخذ المعنى مجرداً وصوغه صياغة فنية أخرى يثبت فيها الشاعر روحه ، ويطيحها بطابعه ، فليس ذلك بسرقة . وإنما مثل الشعارين فى هذه الحال كمثل مصورين وقفا أمام منظر واحد من مناظر الطبيعة المشاعة بين الجميع ، فرسم كل منهما له صورة تنسق مع ذوقه ، وتنطق وأحاساسه بالجمال ، ومقدار تأثره به . فترى لكل منهما طابعاً خاصاً مع وحدة المنظر ، وتطالع فى كل صورة منهما روحاً تختلف عن الأخرى ، وذوقاً يخالف ذوق الآخر . ويمكنك فى هذه الحال أن تحكم أيهما أبرع فى التصوير ، واقدر على استخدام موهبته أحسن استخدام .

وهذا ما أريد أن أقرره بين شوقي والمتنبي . فشوقي بدأ حياته بالنسج على منوال المتنبي واستمر على هذا المنوال طول حياته ، وكأنه تشعب بروح المتنبي من الصغر فلازمته هذه الروح ، وأخذ فى كثير من الأحيان يقلد صياغة المتنبي ويحذو حذوه ويعارضه . وله فى هذا الاحتذاء وتلك المعارضة كثير من القصائد .

على أن احتذاء المتنبي ومعارضته ليستا من السهولة بحيث يقفل الناقد عندها ما وهب شاعر كشوقي من مقدرة على إحكام الاحتذاء والتقليد ، وما منح من ملكة خصبة تساعد على أن يعارض شاعراً من أكبر شعراء العربية ويحيد فى تلك المعارضة إلى حد جدير بالتقدير ، وإن كبا فى بعض الأحيان أو غلبه ضعفه أمام قوة المتنبي .

لقد تقرأ القصيدة من قصائد شوقي التي يعارض أو يحاكي فيها قصائد المتنبي فتحسّ فيها بتلك القوة التي امتاز بها المتنبي ، وتشاهد من فيض المعاني والحكم ما يقنعك بأنه شاعر فياض . فإذا رجعت إلى قصيدة المتنبي وجدتها بمناسبة الدليل الذي يرشد شوقي ، والقائد الذي يقوده ، ولكنك تجده في بعض الاحيان يسبق الدليل والقائد بخطوات كثيرة ويزيد عليه وترى مظهر هذه الزيادة في عدد الايات والغراض المتعددة التي يقتضيها الموضوع .

ولنضرب لذلك مثلاً في هذه العجالة قصيدة شوقي « صدى الحرب » في وصف الوقائع العثمانية اليونانية . فان عدد اياتها ٣٦٠ بيتاً تناول فيها مدح السلطان عبد الحميد ، وعيد جلوسه ، ومعجزات الجنود على الحدود ، والحالة في بحر الروم ، ومنعة السواحل العثمانية ، وزينب المتطوعة في الموقعة ، ومضيق ملونا ، والقائد عبد الازل باشا ، وهزيمة طرناد ، والتلاقى على سهل فرسالا ، وغضب دوموقو ، وأحلام اليونان ، وعفو السلطان ، والتماس القبول .

فهذه القصيدة هي عدة قصائد مجتمعة قد اختلفت اغراضها وصورها وان اختلفت في الوزن والقافية ، وهذا ما ساعده على اطالتها الى هذا الحد .

فاذا قارناها ببائية المتنبي التي يمدح فيها كافوراً والتي مطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب !

وجدنا أن شوقي قد اتخذ هذه القصيدة كالدليل في نظم قصيدته . ولم يكنف بذلك بل انه عمد الى سلخ تراكيبها ومعانيها وسطا على نحو عشرين بيتاً من اياتها . تقول سطا وسرق نحو عشرين بيتاً من سبعة وأربعين وهي عدد أبيات قصيدة المتنبي ، وادخلها بصياغتها في قصيدته . وقد كنا ننزهه عن السرقة لانه أخذ معنى هذه الايات دون الصياغة التي هي طابع الشاعر ومظهر شخصيته . ولكنه لم يتورع عن أن يقتضب ابياتاً شادها المتنبي بقوة سليقته ، ومتانة طبعه وقدرته على تصريف القول بما لم يستطع احد قبله أن يصرفه حتى غالبت ملكته القوية جميع انداده من الشعراء وظهرت عليهم وجعلته يقول :

ودع كل صوت غير صوتي فأنني انا الصالح المحكي والآخر الصدى

لم يتورع « شوقي » فأخذ عشرين أو أكثر من العشرين بيتاً ، وبدأ قصيدته بالصياغة التي بدأ بها المتنبي قصيدته فقال :

(بسيفك يعلو الحق والحق أغلب) وينصر دين الله إيان تضرب
كما قال المتنبي في مطلع قصيدته :

(أغلب فيك الشوق والشوق أغلب) وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب
بأبي شوق إلا أن يأخذ الشطر الآخر من بيت المتنبي ، فيقول في موضع آخر :
تبالغ بالرامي وتزهو بمرامي (وتعجب بالقواد والجند أعجب)

وهذا نفس ما فعله شوقي في مطلع قصيدة أخرى ، بل في مطلع عدة قصائد .
من ذلك قصيدته في مدح الخديو السابق الذي يقول في مطلعها :

(يود من الأرواح ما لا توده ويفتك فيها مسرفاً وهي جنده)
فقد أخذه من مطلع قصيدة المتنبي في مدح كافور وهو :

(أود من الأيام ما لا توده وأشكو إليها بيننا وهي جنده)

ولست أريد أن أتوسع في هذا الباب ، فقد أعددت له كتاباً خاصاً . وحسبي في
هذا المقال أن أتمحدث عن قصيدة « صدى الحرب » التي نحن بصدددها ، والتي كان
شوقي نفسه يفاخر بها في أيامه الأخيرة ، وقد جعلها ثالث قصيدة في الجزء الأول
من ديوانه الجديد .

قال شوقي في مطلع هذه القصيدة أيضاً :

(وينصر دين الله إيان تضرب)

وهل تحسب أنه عبر هذا التعبير لو لم يكن المتنبي قال في بعض أبياته :

(أراقب فيه الشمس إيان تغرب)

وقد يحسب بعضهم أننا تتجنى على شوقي حينما نقول أنه سرق الصياغة ، ولكن
الواقع أنه سرق أو على الأقل اهتمدى بتعبير المتنبي لكي يفصح عما في ضميره .
وهذا إذا لم يكن سرقة فهو احتذاء وتقليد .

. ويقول شوقي :

ومملكة اليونان محولة العرى (رجاؤك يعطيها ، وخوفك يسلب)
وقد أخذه من قول المتنبي :

إذا لم تنطأ بي ضبعة أو ولاية (لخودك يكسوفى ، وشغلك يسلب)

ويقول شوقي :

روح المنايا الزرق فيه وتفتدى (وما هي إلا الموج يأتى ويذهب)
فأخذه من المتنبي وسلخ خياله فجعله البحر بدل الفرس في قول المتنبي يصف فرسه :
له فضلة عن جسمه فى اهابه (تجىء على صدر رحيب وتذهب)
ويقول المتنبي فى وصف فرسه بعد البيت السابق :

(شقت به الظامه أدنى عنانه فيطغى وأرخيه مراراً فيلعب)
(وأصرع أى الوحش قفسيته به وأنزل عنه مثله حين أركب)
فيأتى شوقى ويسطو على هذا الوصف ويقول فى وصف الحاج عبد الأزل باشا وفرسه :

إذا شهداها جددًا هزة الصبا كما يتصانى ذو الثمانين يطرب
(فيهتز هذا كالحسام ويثنى وينفر هذا كالغزال ويلعب)
الى أن يقول :

(ذرونى وشأنى والوغى لا مبالياً إلى الموت أمشى أم الى الموت أركب)
وأنت إذا قارنت هذا البيت والذى سبقه يبيتى المتنبي تمجداً شوقى قد سطا على
خيالها سطواً واضحاً ، ورأى أن لا مفر من أخذ كلمتى « يلعب » و « أركب » مع
أخذه من خيال المتنبي معناه .

وانظر الى شوقى إذ يقول :

(فقبلت كفأ كان بالسيف ضارباً وقبلت سيفاً كان بالكف يضرب)
ثم أقرأ بعد ذلك قول المتنبي :

(إذا ضربت فى الحرب بالسيف كفه تبينت أن السيف بالكف يضرب)

ولا والله ، لو أن شوقى أخذ المعنى وصاغه صياغة أخرى تسمو عن صياغة المتنبي
أو لو أنه وضعه وضعاً أقوى من وضع المتنبي وثقت فيه من شاعريته لما بخلت عليه
بالتقدير والاعجاب ، لأنه يكون قد أعجب نفسه وآتى من عنده بشئ ينبغى أن
يكافأ عليه بالتقدير والاعجاب .

ولكن شوقى رحمه الله كان مغرمًا بالتقليد الى حد كبير . وهذا التقليد تلحظه
فى عدة نواح من آثاره التى خلفها حتى فى دواياته وكتابه النثرى (أسواق الذهب)

الذى وضعه على نسق (أطواق الذهب) للزخشرى ، (وأطباق الذهب) للأصفهاني،
وليس هنا مجال واسع للافاضة في هذا الموضوع .

واسمه وقد أراد أن يمارض المتنبي وهو يخاطب كافوراً ويقول له :

(سلت سيوفاً علمت كل خاطب على كل عود كيف يدعو ويخطب)
فيأتى شوقى ويقول - معارضاً أو محاكياً أو محاذياً أو غاصباً أو ماشئت فقل -
وهو يخاطب السلطان عبد الحميد :

(حسامك من سقراط في الخطب أخطب وعودك من عود المناير أصلب)
وهذا مسخ ما بعده مسخ لبيت المتنبي . وما أشبه هذا التعبير بقول القائل:
« طربوشك أحسن من طربوشه ، وعصاك أجود من عصاه » ، على أنه فضلاً عن هذا
التقليد والتعبير المسوخ قد وقع في خطأ نحوي في هذا البيت حيث قدم « من »
والمفضول : « من سقراط » و « من عود المناير » على أفعل التفضيل : « أخطب »
و « أصلب » ، والصحيح أن يقال : حسامك أخطب من سقراط ، وعودك أصلب
من عود المناير .

وقد وقع في مثل هذا الخطأ في البيت الذى يليه :
(وعزمك من هومير أمضى بديهة وأجلى بياناً في القلوب وأعذب)
وأراد أن يعطى السرقة في الشطر الثانى فقال أجلى (بالجم) بدل أحلى وفى
القلوب بدل فى الفؤاد كما قال المتنبي :
(فان لم يكن إلا أبو المسك أو هم فانك أحلى فى الفؤاد وأعذب)

وفى هذا التعبير بين أحلى وأجلى ، وفى الفؤاد وفى القلوب، ما يدل على أن السرقة
والتلاعب مقصودان .

وقد أخطأ شوقى أيضاً في قوله :

فلما دجى داجى العوان وأطبقت (تبلج والنصر اللالُ المحببُ)
و (النصر) فى هذا البيت مفعول معه و (اللالُ) مصحوبه . وقد تقدم
هنا المفعول معه على مصحوبه ، وهذا خطأ نحوي لانه من المقرر عند علماء النحو
ألا يتقدم المفعول معه على حاسله فلا تقول « والنيل سرت » ولا على مصحوبه
فلا تقول : « أقبل والجيش الأمير » . وما فى هذا البيت ينطبق على هذا المثال .
والصواب أن يقال فيه : تبلج اللالُ والنصر .

ترجع فنقول إن شوقي أبى الأناث يوغل فى الاخذ من قصيدة المتنبي غير
هيب ولا وجل ، وكأنها مباحة له ، فإذا قال المتنبي :

ولو جاز أنا يحووا علاك وهبتها (ولكن من الاشياء مالىس يوهب)
تبعه شوقي فقال :

فلولا سيوف الترك جرب غيركم (ولكن من الاشياء ما لا يجرب)
واذا قال المتنبي :

واظلم اهل الظلم من بات حاسداً (لمن بات فى نعمائه يتقلب)

اتحل شوقي الشطر الثانى من هذا البيت فقال :

سلاماً (مولانا) واحتفاظاً وعصمة (لمن بات فى عالى الرضا يتقلب)
واذا قال المتنبي :

وكل امرئ يولى الجميل محب (وكل مكان ينبت المرء طيب)
حسده شوقي فأبى ألا ان يأخذ لنفسه أو يأخذ صياغة الشطر الثانى ويصغفها
فى شعره بلا تورع ولا إياه ، فيقول :

وهل انت الا الشمس فى كل أمة (فكل لسان فى مديحك طيب)
وانك لتجد فى بيت شوقي تخلخلاً وعدم ارتباط لأن الشطر الثانى غير منسجم
مع الأول كأنسجامه فى بيت المتنبي الموضوع فيه وضعاً طبيعياً .
وكذلك اذا قال المتنبي :

(وأخلاق كافور اذا شئت مدحه وان لم أشأ شئى على وأكتب)

بأنى شوقي فيحسب انه سيلحق المتنبي فى هذا المعنى وفى هذا الوضع القوى
الحكم المملوء قوة وشموراً والذي يصل الى الغرض من اقرب طريق . نقول يأتى
فيقول مخاطباً السلطان :

(مدحتك والدنيا لسانه واهلها جميعاً لسانه يملآن وأكتب)

ويقول المتنبي مخاطباً كافور بعد البيت السابق :

(اذا ترك الانسان اهلاً وراءه ويم كافوراً فما يتغرب)

فيقول شوقي :

(يلاقى بعيد الاهل عندك اهله ويمرح فى اوطانه المتغرب)

لا أريد أن أطيل في إيراد الأمثلة من قصيدة واحدة أودع فيها شوقي كثيراً من مميزات المتنبي وتعبيراته وإخيلته ومعانيه . ولقد جرت بيني وأحد الأصدقاء مناقشة في هذا الصدد فكان اعتذار هذا الصديق عن شوقي أنه قال هذه القصيدة في مفتتح حياته مع أنه تألها في أوج نضوجه الشعرى وفي عهد كهولته . على أنه إذا كانت هذه القصيدة ليست من عيون الشوقيات التي يفاخر بها شوقي فلماذا وضعها في صدر الجزء الأول من ديوانه الجديد ، ولماذا لم يحذف الأبيات التي انتحلها من المتنبي وغيره ؟ ثم لماذا بدت هذه الروح في كثير من اشعار شوقي حتى في قصائده الأخيرة بل في آخر مراثية له ، وهي التي رثا بها حافظ إبراهيم ؟ ونذكر هنا على سبيل المثال قوله :

ووددت لو أتي فداك من الردى والكاذبون المرجفون فدائي !

فقد نسجه من قول المتنبي :

تطبيع الخاسدين وأنت مرءى جعلت فداكهم وهم فدائي !

ونستطيع أن نأتي بكثير من الشواهد على ذلك حتى من قصائده الأخيرة التي لم يعض عليها غير بضعة سنوات . أليس شوقي هو الذي حذا حذو المتنبي في مطلع قصيدته التي مدح بها علي بن منصور الحاجب ، والتي بدأها بالغزل فقال :

بأبي الشمس الجالجات غواربا	اللابسات من الجرار جلابيا
المنهيات قلوبنا وعقولنا	وجناتهن الناهيات الناهيا
الناعمات القاتلات للغييا	ت للبديات من الدلال غرائبيا
حاولن تقديتي وخفن مراقبا	فوضعن أيديهن فوق ترابيا
وبسمن عن برد خشيت أذيبه	من حر انقاسي ، فكنت الدائبيا

واستمر في هذا الغزل الى أن تخلص الى ممدوحه :

حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان الى منها عاتبا

فجاء شوقي على هذا المنوال وعلى هذه الصبغة نفسها وإن اختلفت المعاني فقال :

بأبي وروحي الناعمات العيدا	البسامات عن اليتيم نصيدا
الرائيات بكل أحور فاتر	يذر الخلى من القلوب عميدا
الراويات من السلاف محاجرأ	الناهلات سوائفأ وخدودا
اللاعبات على النسيم غدائرا	الرائعات مع النسيم قدودا

أقبلن في ذهب الأصيل ووشيه ملء الغلال للؤلؤ وفريدا
إلى آخر مقال

وأحسب أنني لو أطلت في هذا الباب لما اتسع له نطاق هذه المجلة . ولست أريد أن
أظلم شوقي أو أنجني عليه خصوصاً بعد أن خلا ميدانه وأصبح فكرة بين طبقات الزمن
بعد أن كان شخصاً مجسماً له مطامعه التي كان لا يأنو جهداً في ارضائها بما جئلت عليه
نفسه من حب الشهرة والغرام بها والسعي إليها من كل سبيل .

نعم لا أريد أن أظلمه ولا أنجني عليه ، وأنا أعلم أن له من القصائد المعصاة ما يكفي
الواحدة منها لأن تحمله ذكره ، وأن لمن الفضل في النهضة الأدبية الأخيرة ما يجب
أن يعترف به كل من يتصدى للكتابة عنه ، ولكنني أقصد فيما أكتبه في هذه المجلة
وما كتبته في مجلات أخرى ، وما سوف أكتبه في كتاب خاص ، إلى أن أنجز خدمة
الحقيقة والأدب نفسه ، لأن أنشيع للأسماء والألقاب مهما بلغت هذه الأسماء
والألقاب من شهرة وخطر ؟

ظاهر الطناعمي



معارضات شوقي في المرأة

البردتان — الداليتان — المينيتان

وجلس لآكتب عن شوقي بعد ما مضى عليه في جوار دجه اكثر من
أربعين نهراً وأصبح هو وشعره أمانة في يد التاريخ التي لا يغبى ولا يحاى .

وكان بودى أن يواتني الفراغ فأتناول ناحية من شعره بنوع من الدرس والتحليل
تطمئن اليه نفسي وتقوس القراء . ولكن الشواغل وما أكثرها والظروف وما أقصاها
أبت إلا أن يجيء بحث اليوم قاصراً على دراسة قصائد ثلاث هي في الحق عرائس
شعره . عارض فيها ثلاثة شعراء يشهد التاريخ أنهم كانوا من أعلام الشعر وحامل
لوائه في عصورهم : ونعني بهم أباء عبيد الله البوصيري في بردته — وأبا اسحاق
الحصري في دالتيه — وأبا عبادة البحرى في سينتيه . بيد أني أعلم أن قصيدة
واحدة من هذه القصائد الثلاث التي نحاول اليوم دراستها لو شئتنا تحليلها والموازنة

العادلة الدقيقة بينها وبين مقابلتها لما وسعنا هذا العدد بأكمله ولذلك سنقتصر في دراستنا لها على المقابلة السريعة بينها والاشارة الى المعانى التى اشترك فيها الشاعران والى انفرادها بكل منهما ، وهل كان الثانى مبتكراً فى معارضته أو مقلداً ، وإذا كان مقلداً فما مبلغ نجاحه وتوفيقه فى هذا التقليد .

﴿ البردثان ﴾

كان أبو عبد الله صاحب البردة تقياً صالحاً مشغوفاً بالعبادة متفانياً فى حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن هذا الحب الطافح فاضت هذه المنظومة الطويلة فى الحق صورة لنفسه الطاهرة و امرأة لاحساسه نحو الرسول وآل بيته وحسبك أن تعلم أنه كان مريضاً فشئى بفضل نظمها وإنشادها وأنه كان يرى الرسول صلى الله عليه وسلم خلال نظمه لها وأنه قد أتمّ لابی عبد الله فى نومه بحناً كان قد استعصى عليه إتمامه .

فهل كان شوقى كذلك ؟ وهل كان متعلقاً بالرسول مشغولاً به كما كان صاحبه ؟ وهل كانت له بالرسول تلك الصلة العالية التى اجتمعت لابی عبيد الله وتحدث عنها جل المؤرخين ؟ هذا ما لانتستطع تحديده ولا نريد الخوض فيه حيناً نحن لمجله عن أن يكون قد نظمها لتنازع بردة صاحبه مكاتها أمام الموتى وهو القائل :

أدى زمراً مشيمّةً وأسمع أيعاً صوّت
ولو عقّلوا لما نطقوا جلال الموت فى الموت

ولكن الذى اعتقده ولا أومن بسواه أن شوقى رحمه الله انما نظمها حباً وطمعاً فى الشهرة التى نالها صاحبه ، وهذا الغرض وحده هو الذى حدها الى إخراجها وإخراج أخواتها على ما سترى .

وكأنى به قد أراد أن يشتهر فى جميع الأوساط ويتعرف الى كل الطبقات فنظم هذه القصيدة الدينية التى قربت بحقى ما بينه وبين المتدينين والمتصوفين فى هذا البلد ولهذا لاتترامى لك فى بردة شوقى تلك العاطفة الفياضة التى تكاد تلمسها فى بردة البوصيرى ولا تلمح فيها الروعة والجلال اللذين تلمحهما فى أختها ، لا لأنها أقل منها بلاغة وانسجاماً ولكن لانه يعبر فيها عن شعور غيره ، وليست النائحة كالشكلى . ونعود الى البوصيرى فنجدته قد قسم بردته قسمة تقريبية الى عشرة أقسام بدأها بالغزل وشكوى

الزمان ، ثم التحذير من النفس ، ثم المدح ، وحاكاه شوقي في ذلك وإن كان قد زاد في بعض النواحي وأوجز في بعضها الآخر .

وقد طرّق البوصيرى لمدح الرسول وهو بيت القصيد بأكثر من خمسة وعشرين بيتاً ، وأسرف في ذلك شاعرنا حتى أوصل مقدمته الى خمسين بيتاً ، وسننظر أحسن في ذلك أم أساء .

يقول البوصيرى في مطلع برده :

أَمِنْ تَدَكَّرِ جِرَانِ بَذَى سَلَمٍ مَزَجَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مَقْلَةٍ بِدَمٍ
ويقول أمير الشعراء :

رَبِّمْ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَابِ وَالْعِلْمِ أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ
وأنا اعتقد أن شاعرنا قد وفق كثيراً في اختيار هذا المطلع الموسيق الرائع وكان أبرع من صاحبه استهلالاً وأحسن ابتداءً . ولو أنه استعمل شطر البيت الخامس من برده في بناء ذلك المطلع الذي تراه فوق ما يبدو فيه من حسن السبك وائتلاف الألفاظ يحمل بين طياته معاني جديدة سامية حيناً لم يزد صاحبه على هذا المعنى المطروق ونعني به بكاء الإنسان على فراق أحبته ولم يخرج به هذا الاستفهام الذي له مكانته من البيت عن كونه مبالغة غير مقبولة .

وقد ترى ذلك التقليد الذي حدثتك عنه واضحاً جلياً إذا قرأت للبوصيرى هذا البيت :

مَحَضَّتِي النَّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَصْغُو إِنْ الْمَهَبَّ عَنْ الْعَذَالِ فِي صَمَمٍ

وقرأت الى جانبه قول شوقي :

لَقَدْ أَلْسَنَكَ إِذْنًا غَيْرَ وَاعِيَةٍ وَرَبِّ مُنْتَصِتٍ وَالْقَلْبُ فِي صَمَمٍ

ويدرك مقدار عجزه عن مدائنه .

وتخلص البوصيرى من ذلك الى ذم النفس والتحذير من هواها بالبيت الآتي :

فَإِنْ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتْعَظْتُ مِنْ جَهْلِيهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْيَوْمِ

ولو قرأت ما قبله وما بعده رأيت أنه انتقال طبيعي لا يكاد يدرك بينما ترى شاعرنا حين لم يوفق الى بيت يتخلص به من الغزل الى ما يريد . ينتقل انتقالاً جديداً لا صلة بينه وبين ما قبله ويفصل ما بين المعنيين بحرف النداء فيقول :

لم أغش معنك إلا في غضون كرى معنك أبعد للعشاق من إرم
 يأنس دنياك تحفى كل مبكية وإن بدا لك منها حُسْنٌ مبسم
 وقد ذكر البوصيرى في هذا الصدد أكثر من خمسة عشر بيتاً صَمَّن كل بيت
 حكمة خالدة فُذِّر لها الديوع فسارت مسير الشمس في الآفاق - وكذلك فعل شوقي
 وزاد عليه في رائع الحكم وبالعظاات .
 ولقد تخلص بعد ذلك كل منهما إلى مدح الرسول وهو قوام هذه المنظومة ،
 فقال البوصيرى :

ولا زُوِّدْتُ قبل الموت نافلةً ولم أصل سوى فرضٍ ولم أضْمِرْ
 ظلمتُ سنةً من أحيا الظلام إلى أن اشتكت قدماء الضر من ورم .
 وقال شاعرنا :

وإن تقدم ذو تقوى بصالحة قدَّمْتُ بين يديه عبرةً الندم
 زُمتُ باب أمير الأنبياء ومن يمسك بفتح باب الله يعتصر
 وكلاهما قد أحسن التخلص وأجاد الانتقال ، وإن كان الانسجام في الأصل أظهر
 والاتصال أشد وأوضح . وإخالك لا تجهل أن (أمير الأنبياء) الذى ورد في هذا
 البيت تعبیر جديد لم يسبق إليه الشاعر .
 وقد تحدَّث كل من الشاعرين بعد ذلك عن مولد الرسول ، فقال الأول :
 أبان مولده عن طيب عنصره ياطيب مبتدأ منه ومختتم
 وقال الثانى :

أسرتُ بشائر بالهادى ومولده فى الشرق والغرب مَسْرَى النور فى الظلم
 وأنت ترى أن البيت الثانى وإن كان أبلغ فى التصوير وأوضح فى الانساق فإن
 الأول يتجلّى فيه حبُّ المادح للمدوح وتقانيه فى شخصه - فضلا عما يحمله الشطر
 الأول من المعانى السامية التى لا تحفى على اللبيب .
 وقد قال الأول بعد البيت السابق :

وبات إيوان كسرى وهو منصنع كشمَل أصحاب كسرى غير ملتئم
 وأراد شاعرنا أن يحاكيه فى ذلك فقال :
 ربت لها شُرفُ الإيوان فانصدت من صدمة الحق لامن صدمة العدم

وبهذا التشبيه الجليل استطاع الأول أن يصف لك حالتين : حال ايوان كسرى وحال
الفرس عند مولد الرسول ككل منهما في شطر من البيت حينما لم يستطع شاعرنا بعد
الجهاد أن يعبر بيته إلا عن المعنى الأول منهما ، مع ما بينهما من بون شاسع تستطيع
أن تلمحه في الفرق بين قول الأول : انصدع الايوان ، وقول الثاني : ريعت الشرفات .
ولقد أسهب شوقي بعد ذلك في ذكر معجزات الرسول فذكر الاسراء والمعراج
والهجرة ثم انتقل إلى الغزو والجهاد وشرف القرآن ، وذكر في ذلك أكثر من
مائة بيت ولعل السبب الذي مكّنه من ذلك انما هو اتساع نواحي القصد عند الرسول
وكثرة ما أثر عنه من حميد الصفات وجليل الأعمال . ولقد تعرض البوصيري في برده
لوصف القرآن الكريم وعجز العرب عن معارضته وذكر في ذلك فصلا كاملا يستريح
اليه الباحث وأجل ذلك شاعرنا في أبيات قلائل ليس فيها ما يستحق الإعجاب ويستأهل
الثناء سوى هذا البيت :

آياته كلها طال المدى مجد يزنيهن جلال العشق والقيد
أما الغزو والجهاد في سبيل الله فقد تحدث عنه كل منهما كما أسلفنا وإن كان
البوصيري قد اقتصر على وصف المسلمين وانتصاراتهم وبساتيمهم في الحروب وما
شابه ذلك حينما شوق لم يقف عند هذا الحد بل تراه يتحدث اليك عن سر الفتح
الاسلامي ، وحال الناس قبل الاسلام ، وفائدة الحروب والدولات التي قضى عليها
الاسلام ، ويبسط أمامك صفحة خالدة من تاريخ المسلمين في حياتهم الأولى ، وهذه
محنة لأمر الشعراء وميزة له لانستطيع اغفالها .

وبعد هذا ترى البوصيري يناجي الرسول صلى الله عليه وسلم في عدة أبيات
ضمنها الاعتراف بالذنب وطلب المغفرة والتوسل بالرسول وتعليق الآمال عليه
والتشرف بتسميته باسمه ، ويقلده شوقي في كل ذلك فيبدع ويحميد ولا سيما في المعنى
الأخير حيث يقول :

يا أجد الخير لي جاءه بتسميتي وكيف لا يقسمي بالرسول سمي
وإن كان لم يقل في ذلك أكثر من بيتين اثنين مما جعلنا نشك في اخلاصه فيما
يقول . ثم يختم الاول برده بعرض مطالبه ويسط آماله والضراعة الى الله وطلب
الرحمة والمغفرة ، وكذلك يختم شاعرنا برده بالصلاة على الرسول وآل بيته الطيبين
الطاهرين .

بعد هذه الموازنة السريعة بين البردتين نستطيع ان نقرر ما يأتي :

أولاً: أن شوقي قد طرق في برده نواحي عدة لم يطرقها صاحبه وقد أجاد فيها حتى لنكاد نعتقد أن الاول لو تحدث عنها لما بلغ مبلغه . من ذلك وصف الشريعة الاسلامية وأثرها في نفوس العرب ومبلغ حب المعجم لها وأقبالهم عليها ، واستمع اليه إذ يقول في ذلك :

شريعة لك فجرت العقول بها عن زاخر بصنوف العلم ملتطم
يلوح حول سنا التوحيد جوهرها كالخلى للسيف أو كالوشى للعلم
ومن ذلك الخلفاء الراشدون ومبلغ علمهم وإخلاصهم وغيرتهم على الاسلام
والمسلمين ويصف لك شيئاً مما حدث لمر عند موت الرسول ، واليك بعض ما قاله
في (علي وعثمان) رضى الله عنهما :

من كالامام إذا ما فضّ مزدهجاً بدمع في مآقي القوم مزدحم
الذاخر العذب في علم وفي أدب والناصر الندب في حرب وفي سلم
أو كائن غفاز والقرآن في يده يحنو عليه كما يحنو على القطم
ويجمع الآتى ترتيباً وينظمها عقداً بحمد الليالى غير منقسم
وثانياً: أن برده شوقي قد انتظمت طائفة من الحكم الخالدة ابتكر بعضها واقتبس
بعضها الآخر من الأصل الذى عارضه . وقد تصرف في هذا الذى اقتبسه تصرفاً
محموداً مبجّره وأظهر فضله فيه — هذا الى ما تمتاز به من جزالة الالفاظ وتنوع
المفردات واستقرارها مما يدل على ثراء الشاعر وإتياد العربية اليه .
أما برده البوصيرى فن الأشياء الجليلة التى تمتاز بها أنها :

أولاً صورة صادقة لنفس صاحبه كما حدثتك وترجان ناطق بما يحسه نحو ممدوحه
بخلاف برده شوقي فإنها محض رسم واقتفاء وتقليد لا صلة فيها بين المادح والممدوح
إذا قيست بالأصل المعارض ، اللهم إلا صلة العقيدة التى لا يستطيع تمحيدها غير
صاحبها . ولعل هذا الاخلاص والصلاح اللذين توفرا لصاحبها اللذان قدرا لها اللذيوع
والزواج بين آلاف من نوعها .

وما كان شوقي رحمه الله لينكر على صاحبه مكاتته من الرسول أو يناقسه حبه له
وتعلقه به وهو القائل في أدب الفضلاء وتواضع العظماء يخاطب الرسول :

مدحجه فيك حبّ خالص وهوى وصادق الحب يملئ صادق الكلم
الله يشهد انى لا أعارضه من ذا يعارض صوب المعارض العرم

وثالثاً: انك تلمح فيها المعاني مرتبة متصلاً بعضها ببعض حتى لتكاد تحسبها فصولاً مستقلة كل فصل له مطلع ومقطعه، بينما ترى برودة شوق قد اختلطت فيها المعاني بحيث ينتقل من توصل الى مديح ثم الى وصف ومناجاة ثم يعود بك الى التوصل ويستطرد فيذكر لك شيئاً من الصفات على حسب ورودها في ذهنه من غير ترتيب ولا نظام. ورابعاً حسن الانتقال حتى لتكاد تقرأ القصيدة كلها فلا تحس فيها بتخلص أو انتقال وهذا لم يتوفر لشوقي لأن أبياته التي اختارها لتكون واسطة انتقال كانت تائهة غريبة لا صلة لها بسابقتها ولا علاقة لها بتاليها ولهذا أزه في تجزئة المعاني وعدم ارتباطها وآآلقها في ذهن القارئ والسامع.

هذه موازنة اجمالية بين البردتين وسنعود اليهما في فرصة أخرى بالتحليل الجزئي والمقابلة الكاملة.

❖ الداليتان ❖

نستطيع أن نقول بعد الذي قدمناه إن شوقي بك قد عارض ميمية البوصيري في جلته ولكننا سنراه في هذه القصيدة قد أمسك بزيمته ونصب الأصل المعارض أمامه وأخذ ينقل منه ويستلميه جزءاً جزءاً كما يجلس المثال إلى صورة عهده صنعها. وهذا النوع من المعارضة على ما فيه من تكلف واعتناء لو أجاد فيه الشاعر لوجد من الإعجاب والتقدير ما يرضيه وقلما تخفى الفوارق أو تجهل الحسنيات في مثل هذا النوع وقد قدر لهذه القصيدة التي نحن بصدد الرواج والانتشار حتى أصبحت تعرف بمطلعها « يا ليل الصب » كما تعرف معلقة إمريء القيس بقفانك ولها في الأدب العربي وتاريخه مكانة سامية ولهذا تصدى لمعارضتها أكثر من اثني عشر شاعراً كان من أفضلهم أمير الشعراء الذي نعالج دراسة معارضته اليوم - وسنفرق موازنتنا بالأصل وتابعه سراعاً لننظر إلى أي حد أصاب شاعرنا في معارضته.

يقول الخصري في مطلع قصيدته.

يا ليل الصب متى غدّه ؟ أقيام الساعة موّعدّه ؟

ويقول شاعرنا:

مضناك جفاه مرقدّه وبكاه ورحمّ موّعدّه

وأنت ترى أن شوقي فضلاً عن اقتباسه هذا المطلع من مطلع نجم الدين القمرأوى إذ يقول في معارضته لهذه القصيدة.

قد مل مريريك عودُهُ ورئى لأسيرك مُحمَّدُهُ
ومن أحد أبيات الحصرى إذ يقول .

لم يبق هواك له رمقاً فليكن عليه عودُهُ
فضلاً عن ذلك فإنه لم يصل فى رأينا الى ما وصل اليه صاحبه من الدلالة على
طول الليل وما يعانى به الحب المهجور فيه . ويقول الحصرى بعد ذلك .

فبكاه النجمُ ورقاً له ممّا يراهُ ويرصدهُ
ويحاكيه شوق فيقول :

وينأى النجمَ ويبتعه ويقيم الليل ويثنيه
ولا اخالك تجهل الفرق بين مناجاة النجم ومتابعته للسَّاهد وبين رفته له وبكائه
من أجله ولا ريب أن البيت الأول يشتمل على ما تضمنه الثانى ويزيد عليه هذا
الابتكار الجليل . ويتحدث ابو اسحاق عن الحبيب وذلكه وتفوره فيقول .

أصبحت عيْناي له شركاً فى النّوم فعزّ تصيّدُهُ
فاذا ما جاءه شاعرنا ليعارضه فى ذلك قال :

كم مد لطيفك من شركٍ وتأدّب لا يتصيدُهُ

وهذه مبالغة ممقوتة عكست المعنى الذى عبر عنه صاحبه وأصبح بيته عاجزاً عن
أن يتضمن أكثر من أنه نام ليرى طيف الحبيب حتى إذا تراهى له لم يشأ أن يراه
أو تأدّب عن أن يراه اوعلى هذا المعنى يتضح لك التناقض الذى وقع فيه الشاعر إذا
قرأت الى جانب ذلك البيت الذى يليه مباشرة :

فمساك بغمض مسحفه ولعل خيالك مُسعدهُ ؟

ولست أدري بعد ذلك لم يتمنى النوم وهو الشرك الذى يريد أن يتصيد به
الحبيب إذا كان يتخرج من تصيده فيه ؟ وأنّى للخيال أن يسعده وهو يتردد
فى الاستمتاع به ؟

ويقول البوصيرى :

خدّك قد اعترفا بلعى فعلام جفونك تجرّحكُهُ
وبجىء شاعرنا ليعارضه فى ذلك فيقول :

جعدت عيناك زكى ودمى كذلك خدك بمجده
وأنت ترى أن كل ما عمله إنما هو قلب الأصل وجعل الصدر عجزاً والمعجز صدراً،
وفضلاً عن أن هذا ليس من المعارضة في شيء فإن الأول يثبت اعتراف الخلود بدمه
والثاني يشك في ذلك ويتساءل عنه !

من هذه الموازنة السريعة نستطيع أن نقول إن المعاني المشتركة بين الشاعرين
وما أكثرها كان الأول أبعد فيها منالاً وأحسن اختياراً وأسمى مأخذاً. ولم نر معنى
قد اقتبسه شاعرنا فتصرف فيه على النحو الذى رأيناه في البردة وصقله صقلاً يميزه
ويدل على ما فيه من مجهود وابتكار. ولقد أسهب كل منهما في ناحية غير التى أسهب
فيها صاحبه. وفى اعتقادي أن المعانى التى انفرد بها شوقي كانت مثلاً أعلى في سمو
الخيال ودقة التصوير وأتساق الالفاظ، ولو تعرض لها ابواسحق لما تمسنى له أن يأتي
بأبلغ منها واليك طرفاً من هذه الايات التى انفرد بها وهى تصور لك الحب في أعلا
درجاته :

ما بال العاذل يفتح لي باب السلوان وأوصده !
ويقول تكاد تحن به فأقول وأوشك أعبده !
مولاي وروحي في يده قد ضيّعها سلمت يده

﴿ السنينتان ﴾

لقد كان من السهل علينا أن نوازن بين القصيدتين السابقتين وبين نظيرتهما لأن
شوقي فيهما كما رأيت كان يسير هو وصاحب الأصل الذى يعارضه في اتجاه واحد
وكان إما أن يقلد ذلك الأصل أو ينسج على منواله. أما هاتان القصيدتان فإن الشاعرين
لم يتفقا فيهما إلا في الوزن والقافية وطلق كل بمذ ذلك يتغنى بليلاء - فعكف البحرى
على وصف الايوان وما على خوائطه من صور وقوش وقنايل : وصفه وهو كذلك
في عنفوان الدولة وشبابها، ثم وصفه بعد أن زالت الدولة واقفرت جنباتها وعبث به
الأيام ومشت عليه يد الزمن الجائر فحث طلاوته ومسحت روقته ورواه — ثم
وصف في طريقه الحمر ومجالسها وأثرها في النفوس ورأينا شوقي يحمن الى مصر
وساكنها فيذكر الجزيرة وجمال موقعها ويخلع عليها من رائع التشبيهات وجمال
الصفات ما لم يحمره لسان شاعر من قبل — ثم يتحدث عن الجزيرة وحقولها ومزارعها
وعن الاهرام وأبى الهول وغيرها من مفاخر مصر .

وبعد ذلك ينتقل بذهنه الجبار طفرة الى الاندلس فيصف لك ديار بني الأحمر
ويتحدث عن حصن غرناطة وقصر الحمراء وأبهائه وقبائه ونقوشه وتهاويله ، ثم ينتقل
بك بعد ذلك الى وصف شبه الجزيرة وجوها الصافي وهوائها العليل ويتحدث عن
رياضها وحراجها وحقولها وجنائها ويذكر بعد كل ذلك فضلها عليه وعلى بنيه .
هذه نظرة عامة في القصيدتين وسنخرج عليهما مسرعين لنتبين مبلغ توفيق كل
منهما وإصابته .

لقد ذكر البحترى اكثر من عشرة أبيات في شكوى الزمان وبث ما يعاينه
من يؤس وعناء ثم تخلص إلى غرضه وهو وصف الإيوان بهذا البيت الجليل :
حضرت رحليّ الهوم فوجّهتُ إلى أبيض المدائن عسى
وتخلص شاعرنا الى الحنين الى وطنه بهذا البيت الرائع :
وطني لو شغلتُ بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي
وهذا البيت فضلا عن أنّه وصلة مناسبة بين ما قبله وما بعده فانه بيت خالد جمع
الى جزالة اللفظ شرف المعنى واصبح مثلاً سائراً في حب الوطن والحنين اليه .
ولقد نسمع مطلع البحترى :

صُنْتُ نفسي عَمّا يدنس نفسي وترفعت عن جدى كل جيس
ونسلم الى جانبه مطلع شوقي :

اختلافُ النهار والليل ينسى اذكرا لى الصبا وأيام أنسى

فتحس في الأخير بروعة وجلال وترى فوق ذلك المناسبة القوية بينه وبين المعاني
التي يريد أن يتحدث عنها وهى الحنين والذكرى - وقد زاده هذا الالتفات البديع
رونقاً وجمالاً .

وبعد ، فان الحق يقضى علينا أن نعترف لشوقي في هذه القصيدة بالاجادة
والابداع ، وقد لانكون مغالين إذا قلنا انه قد فاق صاحبه وفضله في نواح كثيرة
لأنه هنا إنما يعبر بحق عن إحساس فياض ويترجم عن عاطفة متقدة ويصور لنا
شعوراً صادقاً نحو وطنه ومستقر أهله وعشيرته إن لم يسم على شعور أبى عبادة نحو
كسرى وإيرانه فانه لا يقل عنه قوة وأسراً ولا يتردد شوقي في أن يصرح لنا بذلك فيقول :
وعظ البحترى إيوان كسرى وشفتى القصور من عهد شمس

وقد تمتاز سينية شوقي إلى جانب ما تقدم بحسن السبك ومجانبة الإغراب وانسجام
الإنفاظ وسهولتها ويندر أن تعثر فيها بأكلها على مثل قول البحترى يصف الأيوان:

مغلق بابُه على جبل القيق إلى دارتي خلاطٍ ومكس

حلل لم تكن كاطلال معدى في قفار من البساس ملس

وقد حملت هذه القصيدة بين طياتها كثيراً من المعاني الخالدة التي لم يسبق إليها الشاعر
وضمنها غير قليل من الحكم البالغة والأمثال الرائعة والأجزاء التي تصدى لوصفها
من وادى النيل قد أزدى فيها بأيوان كسرى وواصفيه - وتأمل حسن التعليل
وروعة التصوير في قوله يصف الجزيرة :

وأرى الجزيرة الحزينة تُكلى لم تق بعد من مناحة رمسى

أكثرت ضجة السواقي عليه وسؤال البراع عنه بهمس

وقيام النخيل ضفرون شعراً ونجودن غير طوق وسلس

ثم انظر إلى هذا الثوب الجميل الذي خلعه على الجزيرة وموقعها من النيل حيث يقول

هى بلفيس في الخائل صرح من عباب وصاحب غير تكس

حسبها أن تكون للنيل عرساً قلبها لم يجن يوماً بعرس

لبست بالأصيل حلة وشي بين صنعه في الثياب وقس

قدّها النيل فاستحت فتوات منه بالجسر بين عزمي ولبس

وهذا البيت الأخير له من نفسى مكانة خاصة، وما مررت به إلا استرأى ما فيه
من جلال وجمال .

وما أشد إعجابي بشوقي وعبقريته إذا رأيته يزفر زفرة الألم على فرقة ذلك الوطن
العزير ويترجم عن حزنه السكامن وحنينه الطافح بتلك الأبيات الخالدة :

يا ابنة اليم ما أبوك بخيل ما له مولعاً بمنى وحنى ؟

أحرام على بلبله الدو ح ، حلال للطير من كل جنس ؟

كل دار أحق بالأهل إلا في خيث من المذاهب رجس

نقى مرجل وقلبي شراع بهما في الدموع سيري وأرمى

وإذا انتقلت معه إلى حيث يصف قصر الحمراء بعد أن لعبت به يد الليل ومحت
جذبه حادثات الزمان ، رأيت صفاء الفكر ودقة الملاحظة وعرفت كيف كانت منزلة

هذه الاطلال المتداعية والرسوم الدراسة من نفس الشاعر تملئ عليه فيكتب وتوحى اليه فيقول :

مشت الحادثات في غرف الخد راء مشى النعى في دار عرس
هتكت عزة الحجاب وفشت سدة الباب من ممير وأنس
عرصاته تخلت الخيل عنها واستراحت من احتراس وعس

ثم زاه بعد ذلك يشرف بخياله الفسيح على شبه الجزيرة ويلقى عليها نظرة جامعة تصور لك صفاء سائتها واخضرار أرضها وجمال رباه، ويقف منها في النهاية موقف المتواضع المعترف بالجميل ويناجيها قائلاً :

يا دياراً زلت كالخلد ظلاً وحنى دائياً وسلسال أنس
محسنت الفصول لا ناجرته في بها بقيطر ولا جادى بقرس
لا تحس العيون فوق رباه غير حور حور المرشف أنس
كسيت أفرخى بظلك ريشاً ونما في ربك واشتد غرسى
ثم يختم قصيدته بتلك الحكمة الخالدة :

وإذا فانتك التفات إلى الما ضى فقد غاب عنك وجه الناسى
حينما يختم البحترى قصيدته بهذا البيت الغريب الذى لا يشعر بالانتهاء فيقول :

وأرأى من بعد أكلف بالأشرا ف طراً من كل سنخر وأنس
تلك الإمامة وجيزة عن هذه الفرائد الثلاث التى هي فيما نعتقد من أروع ما جادت به قريحة شوقي : تلمح فيها التحبير والتأنيق في تخير الالفاظ واصطفاء المعانى — ولا نستطيع أن نقول أننا بهذه النظرة المتعاطفة قد استوعبناها دراسة وتحليلاً ، فذلك ما لا يسمح به فراغنا وفراغ هذه الصفحات كما أسلفنا ، ولا يزال كل بيت من أبياتها كنزاً مملوءاً بالنفائس من أية ناحية أتت عثرت فيه على جديد وسنفرود في المستقبل لكل واحدة من هذه القصائد فصلاً خاصاً نتناولها فيه بالتحليل والتحجيس ونقف القارئ على ما لا نستطيع وقوفه عليه في هذه المقالة .

ونعتقد أن شعر شوقي في مجموعه ثروة عقلية لا يستطيع النشء الانتفاع بها إلا إذا درسها الادباء والمحققون دراسة تجل فامضها وترشد الى مواضع الجلال منها ، ولا عجب فقد تهيا لأصحابها من الثقافة العالمية والتهذيب الفكرى والنبوغ الشخصى ما يندر اجتماعه لغيره وسيظل هذا الميراث الذى قدر لمصر أن تحتويه خالداً

ملحوظ المكانة لا يقل روعة وجلالا عما حملته الناصحات التاريخ من تراث الشعراء في مختلف العصور .

ولئن كان مصاب الشرق فيه عظيما وخطب مصر فيه ألما فلهما في هذا التراث الخالد عزاء وسلوان

طلب محمد عبده



استعداد شوقي

لعلنا لا نغلو اذا قلنا إنه لم يتهيأ لشاعر أى شاعر من البيئات المكونة والعوامل المواتية ما تهيأ لشوقي في اخراج شاعريته وانضاج عبقريته : فقد نشأ في بحبوحة من العيش الوارف الظلال ، البعيد ما بين جنبات النعيم ، فشب وترعرع نحوطة النعمة السابغة ومحدوه السعادة الكاملة وتلحظه عناية بيت اسماعيل ، وما أدراك ما بيت اسماعيل . فكان من هذه الناحية على ما كان عليه ابن المعتز الشاعر الخليفة من بنى العباس ، ولهذا من الأثر في توسيع ميدان الشعر وتمديد متناول الوصف ما يجعل الشاعر طائر الخيال ساحر البيان . وهذا ما كان عليه فقيدها العزيز فقد تفجر فيه الشعر عن ينبع فياض مكث يفيض على الشعب العربي نصف قرن كامل نيمراً صافياً وسلسبيلاً جارياً ، وكلما نهل منه وعلّ اشتد ظمؤه والتهب أواره ، فله أنت يا شوقي ذلك الله أيها الشعب الحزين !

من عادة الشعراء أن يكون لكلّ هوى يحسن أن يقول فيه . فإذا ما قصد إلى غيره بأن تقصه وضعفت شاعريته ، ولكن شاء الله جلت قدرته أن يركب شوقي على غير ما ركب الشعراء فلم يجعل له نفساً واحدة كما جعل لكل شاعر ، وإنما أودع بين جنبه نفوساً لكل غرض من الشعر نفس إذا أراد حملها فبلغ بها ما يريد وفوق الذي يريد ، أو هو جعل له نفساً واحدة ولكنها ذات أصباغ وألوان وذات قدرة معجزة على التشكل بما يطلب من أشكال : فهي كالماء الصافي يتلون بتلون الالاء ، أو هي كالعجينة المرنة تطيع المصور لما أتى شاء . ولست أرى لذلك في شوقي من مضد بعد الذي ذكرت من سعة الخيال إلا وقامه لكل ذي صلة به وقامه ليس يبدله وقامه .

نعم وفي شوق لكل ذي صلة به ، وكلما كانت الصلة عامة اشتد تأثيرها فيه على عكس المعروف في طبيعة الانسان ، حتى أصبح كالملك الكهربائي يتوج لأذني اهتزاز فترى لتوجاته من الاثر البالغ ما يحرك سواكن الاشياء ويبدد غياهب الظلماء فاذا الناس في دهشة منه مأخوذون ! وفي شوق للطبيعة في جميع مظاهرها فوصفها في جميع أنوارها . وفي نفسه فأعطاها حقها وحفظ لها حريتها وقدرها . وفي لاسرته فكان الحاكم بغير صولجان المطاع المحب الى كل جنان . وفي لاصدقائه فكان لأصغرهم الأب الشفيق ولوسطهم الأخ الشقيق ولأكبرهم الابن الحقيق . وفي لببت اسماعيل فصاغ له من حبات قلبه ماصاغ وأبدع في ذلك ما شاء له الابداع . وفي لمصر أم الجميع فكان قينارها المرتلة لبشائر افراحها في غير بطر ولا أثر المرددة لألحان أتراحها في غير رأس ولا ضجر منذ كانت مصر والتاريخ لم يكن الى ان اختاره الله لجواره كان الله له وأحسن عزاءنا فيه .

ولقد أبى وفاؤه رحمه الله أن يقف به عند هذا الوطن الخاص فتعداه الى غيره من أوطان ذات ضروب وانسان . تعداه الى الوطن العربي لحمل لواء لغته وآخى شعبه فكان السباق الى حيث لم تقف به غاية ولم تحد منه نهاية ، الى الوطن الاسلامي فأرسل في روحية الاسلام وفي صاحب دعوته من رصين الشعر ما علا به الى السماء حتى جاوز الجوزاء . ثم الى الوطن التركي العثماني معقد الخلافة ومشرق التاج فربط بينه وبين كل ما تقدم من أوطان رباطاً وثيقاً ليس في مقدور غيره من انسان . بل الى العالم جميعه فيما تدعو اليه الأديان وتريده قضية السلام والوثام فكانت رسول الانسانية الصادق التعبير وداعية الأخلاق الشديدة التأثير ، وبهذا الاستعداد وهذه المواهب وهذا الاتجاه خلق شوقاً لذكره مكانة الخلود ؟

السباعى السباعى



أين سوقي من الوطنية

إن الفجبة في أمير الشعراء حملتى المساهمة في تكريم تلك العبقريّة الفذة وتخليد ذكر صاحبها العظيم بالكشف عن ناحية من نواحيها المتفرقة .

وبعد لأنى أخذت الناحية الوطنية في تلك الروح العالية . وقبل الخوض فيها هل لك يا عزيزى القارئ أن تصاحبنى في الطواف بها لا على أن تكون كفتى موسى بل تبادل رأى وتعاون على الفهم ونقل وراءنا كل باب تلجه إلى أن نصل إلى قرار أقره وتقرى عليه ؟ أظنك لا تمنع . وقبل كل شيء رأيت التحقق من ماهية الوطنية ، وإنى أدى وترى معى أن الرأى الذى يصنفها بعمور خنى يحمل الفرد دائماً على خدمة وطنه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً هو أقرب الأقوال لتفهم ماهيتها . إذن فلنمسك بتلابيبه ونطبقه على الراحل الكريم لنعرف إلى أى مدى وصل فى ذلك المنحى . ولما كانت الوطنية وليدة للوطن أخذت أبحث عن التحديد العلمى له فوجدت أن صاحبنا شدّ عن ذلك التحديد وكون شخصيته الجبارة وطنين أحدهما خاص به وهو مصر وثانيهما عام وهو البقاع التى يقطنها الناطقون بالصاد .

من أجل ذلك وجهت دفة القلم ناحية وطنيته المنبعثة من وطنه الخاص تاركاً قسمها الآخر لأعلام الأدب لأخراجها بما يلائمها من روعة وجلال إذ هم أجدر الخلق بتصويرها . ولا أخالك أيها القارئ تخالفنى فى ذلك .

فى أمير الشعر فأحس بروعة الننى وفشت فى بلاد نائية عن الآس والصحب وللولة فلس لوعة النأى . أتدرى لماذا ننى ولأنى أمر شرد ؟ لأن له وطنية ضابقت المستعمرين وتحققوا خطرهما على مركزهم فى مصر . من أجل ذلك كتب عليه الننى وسجل عليه التشريد فقام ما فيها من روعة ولوعة برباطة جأش وصبر جميل بالرغم من انتقام العدو وتحكم الخصم وابتسام الشامت . يا لله ما سبب هذا البلاء ؟ وطنية صادقة وعاطفة نبيلة تحت تأثيرها قام بما تشاهده معى فى هذه الآيات من غرسه حب الوطن فى تقوس الشعب واقتدائه بالغالى والنفس بل ذهب إلى جعله ديناً للأحرار :

لنا وطنٌ بأقسننا قهيو وبالدينا العريضة فتتديروا

لا تلوموها ! أليست حرة وهوى الأوطان للأحرار دين؟
ثم اسمع اليه نحن إلى وطنه حينئذ ليس له مثل فيما سبقه :
وطنى لو مشغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد تسمى !
وهنا بالفتواد في سلسبيل ظمأ للسواد من عين شمس
شهد الله لم يغب عن جفوني شخصه ساعة ولم يخل حسى
ثم لاحظ معي تحميم هذا الحب في قوله :

ويا وطنى لتبتك بعد يأس كأتى قد لتيت بك الشبابا
ولو أتى دعيت لكنت دينى عليه أقابل الحتم الحبابا
أدير اليك قبل البيت وجهى اذا فبت الشهادة والمقابا
انى أحب وإن شقيت به وطنى وأوتره على الخلد

لعلك تقرنى أيها السيد على أن هذا أولى خدماته لوطنه . ثم تعال نلتحق ناحية
غير هذه نجد أن شوق رأى أن حياة الجماعات لا تكون قومية الا اذا كان أساسها
العلم فدعا اليه ومطالب به بقوله :

ربوا على الانصاف فتبان الحمى تجدوه هو كهف الحقوق كهولا
فرباً صغير قوم علموه سما وحي المسومة العربا
وكان لقومه تقياً ونفراً ولو تركوه كان اذاً ومابا
فعلم ما استطعت لعل جيلا سيأتى يحدث العجب المعجبا

ثم أصغ اليه في خطاب المتطلعين إلى المعالي :

يا طالباً لمعالي الملك مجتهداً خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال بينى الناس ملكهم لم يمين ملك على جهل واقلال
ولم يغمط المرأة التى يصفها بحجر الأساس فى الأسرة وقواعد المجتمع وأركانها
منذ قام الى يوم ينقض - حقها من التعليم بل أوجب تعليمها ضارباً أحسن الأمثال
برسول الله عليه السلام ونسائه الشريقات :

هذا رسول الله لم ينقص حقوق الأمهات

العلم كان شريعة للنساء المتفقيات
رضن التجارة والسياسة والشؤون الأخريات
ولم يسكت على ذلك بل وخم عاقبة جهلها :

وإذا النساء نشأن في أمة رضع الرجال جهالة وخمولا
ثم اتجه ناحية الشباب مخاطباً دماءهم الحارة عن أهميه العلم لمطامعهم ومركزه
من أمتهن :

هل علمت أمة في جهلها ظهرت في المجد حسنة الرداء
باطن الأمة من ظاهرها إنما السائل من لون الاناء
تخذوا العلم على أعلامه واطلبوا الحكمة عند الحكماء
واقراءوا تاريخكم واحتفظوا بفصيح جاءكم من فصحاء
واحكموا الدنيا بسلطان فما خلقت نصرتها للضعفاء
واطلبوا المجد على الأرض فان هي ضاقت فاطلبوه في السماء ا

ثم ختم بنتائج الجبل وشؤمه على الامم :

الجهل لا تحيا عليه جماعة كيف الحياة على يدي عزريلا
بذلك تخرج من هذا الباب بسلام مقربين تلك الخدمة أيضاً ثم لنبعث عن باب
آخر نلج : نرى أن شوقي لاحظ أن لا أمة بلا خلق :
وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هو ذهبت أخلاقهم ذهبوا
وبدونها لا مدنية ولا حضارة .

وليس بعامر بنيان قوم اذا أخلاقهم كانت خرابا
وإذا ما أصاب بنيان قوم وهي خلقه فانه دهي اس
ثم اتجه ناحية العمال مخاطباً بلغة المعلم الحكيم :

أيها العمال افتنوا العمر كذا واكتسبوا
واعمروا الأرض فلولا سعيكم أمت يباباً
اتقنوا محبيكم الله ورفعكم جناباً
واهجروا الحر تطيعوا الله او ترضوا الكتابا
انها رجس فطوبى لارمى كف وتابا
ترعش الايدي ، ومن ير عش من الصناعات خابا

ثم قال مشيداً بالطموح :

شباب قُنعٌ لا خير فيهم وبورك في الشباب الطامحين
ثم تعجب مظهر بساطة الحياة ووجوب العمل :
دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان
بعد ذلك الوعيد حبيب اليهم الحياة لأنها سلم الخلود :

ومن سره ألا يموت فيالعلا خلد الرجال وبالفعل النابه
مات من حاز الثرى آثاره واستولت الدنيا على آذانه
ثم يزيد في الترغيب :

وروموا التبوغ فن ناله تلقى من الحظ أسنى التحف
إسرة الناس همه لا تأتي لجبان . ولا تسى لجبس

الأثرى معي أن شوقى قام بقسطه في حل لواء النهضة المصرية كشاعر قومي ؟
لقد استنهض الأمة وأرشدتها إلى صلاحها وشجع شبابها وبث فيهم روح النشاط
وقوى من قواهم وحشهم على الرقي ورفعة الوطن . أظنك أسبق منى في الإيمان بما
آمنت . إذن لنجعل خاتمة المطاف ما قام به شخصياً لاعلاء شأن وطنه لأننى أشعر
بسحابة من النصب كادت تقاربك أيها صاحب العزير .

إن تلك العاطفة المتأججة في نفس شوقى خلقت منه بطلاً شجاعاً جالد أترابه
الشعراء ونازل لداته إخوان القوافى إلى أن حملهم على مبايعته بالامارة في ملا من
الناس قال فيه منافسه « شاعر النيل » :

أمير القوافى قد أثبت مبايعاً وهذى جموع الشعراء بايعت معي

وبذلك وضع تاج إمارة الشعر على هامة وطنه الذى يحبه ويتعشقه كما عرفت
مستولياً عليه وسالبا إياه من موطنه الذى ظهر ونبغ وعاش فيه . وإلى هنا ياسيدى
القارئ الكريم لا أستطيع حبس عبرة تفرق في ما قد فاسمحت لى بذرفها على رجل
هذا شأنه وعز عليه أن يترك ذلك التاج دون هيل وهيلمان فأتجه إلى المسرح وأنشأ له
الروايات المعروفة ولم ينس فن الغناء فقام بترقيقه بما تسمعه من الموسيقار الفنان
محمد عبد الوهاب . بذلك تم له ما أراد وترك وراءه تاجاً مرصعاً بأنفس اللائى
الفنية . فرحمتك اللهم بهذا الراقد فى مهد الأبد ؟

محمد على فرج الله

البراني الشعرية

نماذج مختارة

(وسنتبها في العدد القادم بغيرها مما اتحفنا به حضرات الشعراء)
وضاق عنه نطاق هذا العدد

الصبح الدامي

سبق الصباحُ إلى المغيّب مبكراً منْ ذا رأى شمساً تغيبُ صباحاً؟
يا يومَ (شوق) قد عصفتْ بروضته وسلبتْ مصرَ الهاتفِ الصداًما
غادرتْ أقلامَ البيانِ هوامداً وتزكتُ السنةُ الدُموعَ فصاحا
وحجبتْ روحاً كان مشرق نورها بسنا الممالي يبعثُ الأرواما
من كان لا يَنسى بفقْدِكَ صبره نسيَ الشُرودَ وودّعَ الأفراما

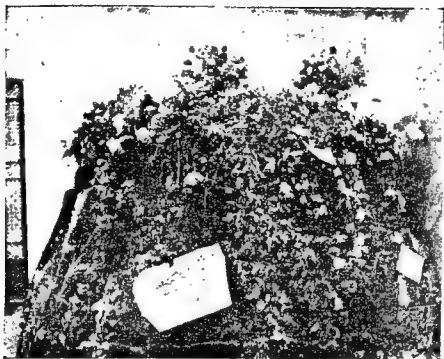
الصارى على شعوره

قبر العبقريّة

(أُلقيت عند ضريح الفقيه في الجمعة الأولى لوفاته)

طوفوا بقبر العبقريّة وانشقوا أَرَجَ الخلودِ الماطعِ الفواح
طوفوا به وتسلّموا مِن رُوحِهِ ما كلفَ مِن نُجَلٍ به وسماح
يَتَوى هنا (شوق) الذي لو يُفْتَدَى لفسده خَيْرُ الناسِ بالأرواح
يَتَوى هنا (شوق) العظيمُ فياله قَبْرُهُ حَوَى جِلاَ من الإصلاح
(شوق) يَزالُكَ الخلودُ بنوره والذِكْرُ كلَّ عَنيّةٍ وصباح
نَمَ في جوارِ اللهِ، يَحْمَدُكَ السَّرى وازلَ من الجَسَنَاتِ خَيْرَ جناح
سيظلُّ اسمُكَ للبيانِ كأنه في جِبهَةِ الأيامِ نَجْمٌ ضاح

محمود البر الوفا



﴿ قبر شوقي ﴾

يامؤنسَ القبر حين القبر موحشاً ومن يُرامُ برغم الموتِ ايناسه
سكنا نباله الاحساس في طرب واليوم احسست في الموت احساسة
ابوشادي



(الشعراء والادباء عند قبر شوقي في الجمعية الاولى لوفاته)

وقفه على قبر سوقي

(التقيت في اجتماع الأدباء والشعراء يوم الجمعة الأولى لوفاته)

أسرُّ الشعر وحرَّاسُ الأدبِ قدموا اليوم ليفضوا مايجب
كلُّوا الشعر بریحان الرُّبى وسقوه بدموعٍ وحَدَبِ
فانقضَّ التَّربَ وأنشيدهم كما عهدوا لحنًا على السمع عَدَبِ
أوصِفَ الخلدَ لهم وصفَ امرئ لم يخالطُ قوله يوماً كذِبِ
قد صمرت الدهرَ حيناً ، أفهل أن أن تممرَ ذا الربيع الخَرَبِ ؟
كنت للأحياء غفراً ، أفهل أن أن يفخر سكانُ التُّربِ ؟
غلب الموتُ شجاعاً طالما صارحَ الدهرَ وحيداً فقلبِ
ليس في الموت عجبٌ ، إنما غفلةُ الناس عن الموت العجبِ !
غربةُ نحن في الدنيا ، ولا بدَّ يوماً أن يژوب المُتَرَبِ
أيها القبر اتعلم أن في لك رفقاءً هو ميراثُ العربِ
فيك يا قبرُ أمانٌ طالما سهر الجليلُ عليها وتعبِ
فيك يا قبرُ دفينٌ خالد كان بالأمس إلى المجد يثبِ
فيك يا قبرُ أنيسٌ ساحرٌ فيكهُ المحضرُ بِسَامِ طربِ
فيك غفرُ النِّيلِ يا قبرُ فته وانقرَ اليومَ على الدنيا وطيبِ !

مستنيرُ الشهبِ في الاتفاقِ خبياً ومعينُ الضادِ في التَّربِ نضِبِ
طالما رُؤيَ منه ظالمى طاف في الأرض وأعياء النصبِ

إيه يا شوقٍ وقد كنت لنا خيرَ عونٍ في لُجِيعاتِ التُّوبِ
ترسل القولَ وفي طياته سلوةُ الباكي وأنسَ المكتئِبِ
جلُّ فيك الزمُّ حتى مانحى أى قولٍ كان في الرزءِ يَجِبِ !

شغل الشاعرَ عن نظم الرثاء وثنى الكاتب عن نسج الخطب
لبت ناعيك تخطأك إلى عشرات من جرائم الأذنب
زبدت الناس على الدهر ثوى وأرى ما ينفع الناس ذهب
هكذا الدهر وهذا شأنه كل ما فيه منير للمعجب
طلبه محمد عبده



هبة السماء

راحوا بأرواح ظلمة يتهاوتون على الفناء
جفت حلوته بدم لم تلق دونهم وواء
واها لكأس كالخلود ومنهل فيه الشفاء
كنا اذا ضجّ الفؤاد وضاق بالدينا ونا
نمضى إليه فلستى ونعب منه كما نشاء
فاليوم إذ شطّ الزار بكم وقد عزّ اللقاء
وبخلم بُخل الضنين غنينا قطرات ماء



أين الأمين على الامارة والحرص على اللواء
قبس أضاء العالمين كما نُضي لهم ذمك
ثم اختفى خلف الغيوب خلفاً ظلم النساء
فكأنما هبّ السام قد استردتها السماء



جزع الرياض لطائر غنى فأبدع في الفناء
حتى اذا خلب العقول وقيل سحر لمرء
ولّى عن الايك الفخور به الى عرض الفناء
فكانه والخبّ تطوي فيممن في الخفاء
دنيا من الأمل الجميل قد استبد بها الفناء
ووراءها شفق من الذكرى كجرح ذى دماء

وتسائلُ الدنيا التي ناطتْ به كلُّ الرِّجاءِ
 عن أيِّ سرٍّ طارَ عَنْ
 قُمْ يا فقيدَ الشَّعرِ وإنَّ
 أُمِّمٌ مُبِصِّرٌ بمعضيها
 هذى الجموعَ الباكياتُ
 فاسمِها أشجاءُها
 أولمَ تَجِدْكِ لسانها الـ
 أولمَ تَكُنْ رَغْرِيدها
 لمَ لا تُوفِّيكِ الجبلُ
 ناطتْ به كلُّ الرِّجاءِ
 هذى الرُّبِّيَّ وعلامَ جاءَ ؟
 نَظَرَ أَيَّ حَفَلٍ للرَّقاءِ ؟
 بعضاً ، وهيباتُ العزاءِ ؟
 الساخطاتُ على القضاةِ
 ووفيتَ ما شاء الوفاءِ ؟
 شاكي إذا احتدمَ السَّلاءِ ؟
 ونديمها عند الصَّغاءِ ؟
 وتستقلُّ لك القِداءِ ؟

وَمَنْعَمٌ بينَ القصورِ قد استمَّ له النِّزاةُ
 ما بالهُ تحملُ الهمومَ وجشَمَ القلبَ العناءَ ؟
 وينوءُ بالعبءِ الذي هو عن أذاه في غناهُ ؟
 ويحجُّ الذِّكَاةَ وما يكَلِّهُ من الثمرِ الذِّكَاةُ ؟
 أضنى قواه ولم يدعِ من جسمهِ الا ذمَّاهُ ؟
 والمجدُّ يُوغِلُ في حنا يا روحهِ ، والمجدُّ دَاهُ ؟

صرَّحَ من الأدبِ الصَّميمِ له على الدنيا البقاءُ
 الدَّهرُ يحى ركنه والنُّفُ في روحِ البناءِ

(شوقي) ! على رغمِ التفرِّدِ والتفوقِ والمُسلَّاهِ
 ذاك الرِّقَادُ بساحةِ كلِّ الرجالِ بها سواءِ
 ورغمِ ذهنِ كالقراصةِ حولَ مصباحِ أضواءِ
 منواك لا تشكو السكونَ ولا تملُّ من التَّواءِ

إبراهيم ناهي

رتاء الموسيقين

في أربعين شوقي

(بمسرح حديقة الازبكية)

رُفِع الستار عن منظومة كبيرة من الموسيقيين والمغنين يتوسطهم الموسيقار الفنان محمد عبد الوهاب ، واهتزت الأوتار جميعاً بنغم حنون من (العبا) الشجيّ الحزين الراسي الى قراه ، واذا بصوت عبد الوهاب ينشج ويتهدج بقوله :

حطّموا الافداح مثل ما حطّمتُ حُزناً قد حى ا
ودّعوا الافراح طوى اليوم بساط الفرح ا

« »

مات خير الشعراء طابك يا قلبي اذا وقت البكاء ا

« »

خلدوا ذكراه في كل القلوب — خلّدوها ا
مجّدوا ذكراه شباناً وشيب — مجّدوها ا

« »

عاش كازهرق عطراً ونّداً وكسا الفنّ جلالاً خالداً
لن تردوا بعض ما أسداكم أبداً ، مهما فعلتم أبداً
انّ دمي ينكلم ا فاسمعوني ا انّ قلبي يتحطم ا فاعذروني ا

« »

مات خير الشعراء طابك يا قلبي اذا وقت البكاء ا

وسمع الحاضرون ما يقول عبد الوهاب والقلوب تنافس الاسماع وعياً وتأثراً . وأسدل الست وانصرف الحضور يحدّد بعضهم لبعض الغناء إن استطيع ، وتمت حفلة الفنانين بذكري من غذّى الفنّ وأرضاه .

﴿ تعليقات سعادة احمد زكى باشا ﴾

لقد اختص الله أمير الشعراء بسعادات وتوفيقات قد شرحنا بعضها في مقام آخر (ص ٣٨١) ولكن اجلالاً لهذه المجلة جعلنى استجيب طلب ولدى النجيب وسميت الأبرع في كتابة هذا الفصل لمجلته المحبوبة . وكلامى هنا مقصور على الناحية الفنية بالمعنى الحديث ، على اننى لا أريد التبسط فيما شغبه الأغانى القومية والموسيقى الشرقية ثم المسرح العربى . كل اولئك قد أفاض عليه روحاً يماشى عصرنا الذى نعيش فيه ، ولكن مع ربط التطور الحديث بما كان اللغة من نغز قديم وللعروبة من مجد تليد . فعلى غيرى أن يتحدث عن هذا الروح السارى في هالة من الانوار .

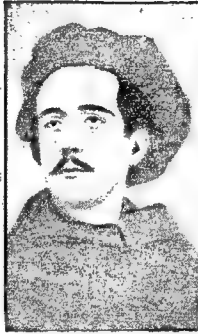
أما الآية التى جاء بها شوق للشرق والحنن في حالة وجوده ، والتى ما يزال ينفخ فيها الحياة بعد وفاته ، فهى الناطقة ببرهان الألحان ، الماثلة للعيان بألوان الأنغام في شخص محمد عبد الوهاب .

نظر شوق بنور الله الى النبوغ الكامن في حنجرة هذا المراهق الناشئ ، فاستخلصه لنفسه ، وقربه من صحبه ، ثم أفاض عليه سجال الثروة حساً ومعنى ، ونثت في فيه سحر الشعر ، وصاغ لفنه جواهر القول ، حتى طلع علينا بذلك الصوت الباهر الساحر ، وأصبح وله ذياك الصيت النادر الطائر . فكان عبد الوهاب وتبارك الله ! وكان له يد في تهذيب الرنين الموسيقى في تلك النفحات الشوقية . فكان شأنهما معاً في هذا المجال - وفي هذا المجال وحده - كالبحر يمحطه السحاب . وبهذه المناسبة أرى التنويه بمحادثه منذ بضعة أيام وفيه البرهان على أن عرفان الجيل من مكارم الأخلاق .

نال شوق وهو يذب على ظهر الارض كل ما يمتنى من سعادات مادية وأدبية وكان من احسان الله اليه أن الشرق كله قام وقعد عند مانعه الناعى . وما زالت الجرائد والمجلات - حتى الاعجمية - تعرب عن فضائله الى اليوم ، وستتحدث الى ما بعد اليوم بزمان طويل عن أمير الشعراء .

وتلك سعادة لم يظفر بها أسعد السعداء . هذه امصار الشرق قد تسابقت الى تكريم ذكره في سلسلة من حفلات التأئين ، بل اننا في مصر الواحد وفي القاهرة بنوع التخصيص رأينا القوم يتناقسون في إقامة حفلات متوازية ومتوالية . وما أكرم

◆◆◆
 باقر الى اوروبا لتتمة الدراسة
 سنة ١٨٨٧
 عاد الى مصر من اوروبا
 سنة ١٨٩١
 نى الى اسبانيا سنة ١٩١٥
 عاد الى مصر من منفاه
 فى خريف سنة ١٩١٩
 ◆◆◆



◆◆◆
 ولد سنة ١٨٦٨
 دخل مكتب الشيخ صالح
 سنة ١٨٧٣
 خرج من المدرسة الخديوية
 ودخل مدرسة الحقوق
 سنة ١٨٨٥
 ◆◆◆

﴿ شوقى فى صباه ﴾

الشخصية الشعرية المحبوبة التى كان يتهاافت عليها الاقران حينئذ
 وقد كان التقيد مشغولاً بالموسيقى والشعر منذ نعومة أظفاره



﴿ شوقى وصفيه الموسيقار الفنان محمد عبد الوهاب ﴾
 ورائنا ان شوقى وُلد ليكون موسيقاراً فصار شاعراً ألحانه نظمه

الحق فان أكثرها يرمى الى نوع من طلب الشهرة والتبرج، أو الى لون من ألوان الاستغلال والترويج، والاقبل من القليل من هذه الحفلات خالص لله والفن والعبقرية. ومن طراز هذا النزر اليسير، تلك الحفلة التي اقامها عبد الوهاب، بل عبد الاحسان، بل سيد العارفين بالجليل.

ففيها تمثل الوفاء بما ترضاه محامد الأخلاق، وفيها رأيت العجب العجيب !

هل أتاكم حديث آلات الطرب: ان الأوتار المشدودة والمعادن المطروقة والمسبوكة والمصبوبة والعيدان المنشورة والمربوطة والمشقوقة، كانت كلها في اتساق واتزان، وفي تناسب ونجاس، وهندام تترجم... ثم تتكلم... ثم تترجم! ذين الألهات والنبرات زفير يترجم عن الأثنين، الى شقيق يعبر عن البكاء الذي يبعث البكاء، ولكن... كانت الابصار شاخصة، والقلوب واجفة، والألسن منعقدة، والرؤوس مطرقة. كل ذلك السكون التام وكل ذلك السكوت العميق لثلاث تنفر الملائكة التي تنزلت من سماوات العلا واستقرت كأنها الطير على تلك الرؤوس! فلم تكن تسمع للقوم رجزاً ولا همساً، ولا تكاد تصدق ان فيهم حركة أو حساً... الى ان انتهى التلحين الحزين، ومن العجب العجيب ان انساناً واحداً لم يسمع لنفسه بالتصديدية والتصفيق! فقد تمادى الناس على حبس الايدي والانقباس خوفاً من التشويش على ما بقي من اثر ذلك الترتيل في التسبيح الذي انزله الله على قلوب من جنات الفردوس.

هذه الظاهرة الفريدة في بابها جعلتني استغرق في الذكري وارجع الى التاريخ الاسلامي فראيت فيه حادثتين يشبهانهما وإن كانت هي اكثر روعة منهما: احدهما في عهد الامويين والثانية في عهد العباسيين، وهكذا نرى التاريخ يعيد نفسه.

وقعت الاولى في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك والثانية في أيام هارون الرشيد.

كان الخليفة الاموي قد عهد الى معبد امام المؤمنين في عصره بأن يلقن الاحنان والانغام الى جاريته المشهورة وهي سلامة القس. وكان الاستاذ وتلميذته في عسكر الوليد (أخي الخليفة)، وهناك وافاه الحام فتكفل الوليد بمحملة الجنازة حتى اذا حمل القوم سرير الجنازة على الأعناق، خرجت الجارية من خدرها وقبضت على السرير بيدها وأخذت تبكي وهي تنشد آخر شعر علمه لها باللحن الذي تلقته عنه وهو قول الأحموس:

قد لعمري بتّ ليلي كأخى الداء الوجيع
ولجئى الهمّ من بات أدنى من ضجيع
كلما أبصرت ربعا خاليا غاضت دموعي
قد خلا من سيد كا ن لنا غير مطيع
لا تلتسنا إن خضعنا . أوهمننا بالشروع

فأنصرف الناس عن النظر إليها واضربوا عن الاهتمام بأخى الخليفة وهو قائد
المسكر الأعلى - (عن الأفاقي) .

أما الحادثة التي وقعت في أيام الرشيد تخلصتها ابن الشاعر ابن منذر مات له
صديق هو عبد المجيد بن عبد الوهاب . وكان عبد الوهاب هذا محدثا جليلا ، فقال
الشاعر يرثية بقوله :

لأقمنّ مأتما كنجوم الليل زهرا يطمئن حرّ الخلدود
موجعات يبكين للسبد الحى رى عليه للثؤاد العميد

فلما بلغ هذا الشعر أمّ المتوفى قالت وائى لا برنّ بقسمه ! فأقامت مع اخوانه
وجواريه مأتما وقامت تصيح فيه : « وائى ويه ، وائى ويه » ! فكانت على ما قيل أول
من أحدث ذلك « الصوات » في دولة الآلام . ولكن الشاعر ابن منذر رأى ان
ذلك النواح غير مستقيم في الوزن واللعن فقال لصاحب له : لا أرى لمياء ثقيف
ينحن على عبد المجيد على استواءه (أى فى النغم) . قال له صاحبه : وما تحب ؟ قال أنخرج
معي اطارحك ؟

وفى الخلاء تطارحا القصيدة ، التي نظمها فى رثاء عبد المجيد حتى حفظها صاحبه
ثم وضعها لها لحنا .

فلما جاء ميعاد المناجاة خرجا الى المسجد وبعد تأدية القرىضة وقفا تحت دار المأتم
وكان النساء على سطحها يندبن ، حتى اذا جاء ميعاد الراحة زمن السكوت لحينئذ
اندفع ابن منذر وصاحبه فى تلحين القصيدة ومنها :

كلّ حى لاقى الحسام خمود ما لحيّ مؤمل من خلود
لا تهاب المنون شيئا ولا تبسنى على والد ولا مولود
ان عبد المجيد يوم تولى هدّ ركنا ما كان بالمهود
هدّ عبد المجيد ركنى وقد كنت بركن انوء منه شديد
مادرى نعشه ولا حاملوه ما على النعش من غفاف وجود

الى شاعر الخلود

ناحت عليك أبولؤلؤ...

شمس من الشرق فوق السبعة الشهب
ما زال من قُطْبٍ يمشى إلى قُطْبٍ
مرصع العرش في تاج من الذهب
وعرش (شوق) على الأقلام والكتب
في موكب كشماع الفجر ملتهب
والوحى يخفق بين الشهب والشهب
والعبقريّة في محرابه الأشهب
وجند آياته في كل معترب
فيانيل حبال (النيل) منسكب
كم بيننا في خلود الذكر من نسب
من سيدة المنتهى من أرفع القُتب
جری ففسر حتى غار بالقصب
ونال عن (شكسیر) راية القلب
بقلب (قيس الهوى) مشدود القلب
كأن عهدهما عن مصر لم يغب
وفي أواخر ما جاء من عجب
ملك عريض وجهه واسع الحسب
والفتح بالكتيب مثل الفتح بالقصب

ما أطلعت مثل (شوق) أمّة العرب
من جهة الفلك الوهاج شع هدی
ضاحي السبيل على (سيناء) سدنة
هي العروش على الأسياف قائمة
رفقت على هامة (الجوزاء) رايت
كرسيه السحب مثل الشهب نيرة
سبل البلاغة كم ألت مقالدها
رؤاة أبحاثه في كل حاضرة
فاضت على ضفة (الوادي) جدولة
قالت قوافيه للأهرام هامة :
شعر تنزل عن وحى وعاطفة
بنى فكّن حتى صاب دولته
مشى مع (المتنبي) في روائعه
أعاد خيمة (ليلى) فبهي خافقة
وهز قلب (كلوبترا) وصاحبها
عصره لشوق : تساوى في أوائله
قال : « انتهت ! » وأنى ينتهى؟ وله
فتح مبين وإتمام محجلة

لما نمت وعين الشرق في صعب
على ترابك دمع آبن لقصد أب
أغصانها الخضرة من سلك السكب
ترويع صعب على القية^(١) منجب

له يومك والأشجار في صعد
ناحت عليك (أبولؤلؤ) .. قهي ذارفة
وصوتت « كرمه الإلهام » إذ نضت
أرى « الخليل » وهول الخطيب روعة

(١) شوق وسلف.

تلفت نحوه الفصحى معزية
كانوا ثلاثة أطلسار على قسن
فسد الدهر سهماً من كنانته
هيات أن يعزى قلب مكتئب
نصر الأزهار حول المرتع الخصب
على (الكثانة) أصمى مهجة العرب ١

أبا على ١ . . سفاك الغيث عن بلد
بنت البقاع شجاء موت نابغة
كسوتها مودة كالارز زاهية
سقى لهدك والإيام باسمه
والدهر يكتب والأجيال منصته
واها لها ذكريات كيف أنشراها
أتيت عن (جادة الوادي) وبى ظلم
سقيتها من كؤوس الخلد مترعة
أغنية رجيع الحادى شواردها

طببت بشذاً من ذلك الأدب
رنت قصائده في السهل والهضب
لا تستريح حواشيها يد النوب
والقوم حولك مثل الجحفل اللجب
والناس في مرح والنهر^(١) في صخب
وقد طواها قضاء الله بالجحِب
ولو إلى نهلة من وردك العذير
هيات تفرغ في الوادي على الحقب
شوقية الروح والانساس والطرب

يا شاعر الخلد ١ . . والدنيا تشيعه
أذكر لنا ما وراه القبر من عبر
أسمع أنت خلف الغيب أنتنا
أسلم أسم من واشر ومنقد
وהל رأيت الالى خلدت ذكرهم
وהל شهدت (ندى الشعر) محتشداً
تسقى وتسقى على ظلي وحاشيق
قل ما تشاف وصف واشرح حقائقها

أنشد قصيدتك الكبرى على الشحِب
وابعث ضياء الهدى من ظلمة التركب
أم أنت في ركب من نوذي ولم يجب
أعلم ما ستلقى (الضاد) من نصيب
من مالك قلح أو سيد أرب
وהל جلست إلى أترابك الشجب
من خرق الشعر لا من خمرة العنب
واكشف لنا عن خفايا الشك والريب

حنت اليك عذارى الخلد واستبقت
والناج لاح على فوديك مؤتلقاً
كان (مبصر)^(٢) وحادى الوجدلج بو

عرأس المجذ في أموابها القشيب
كالشمس في موكب الأنوار والتهب
فهب يسى الى لقياك عن كسب

(١) البردوني: نهر رحمة المشهور . (٢) شيخ شعراء مصر المرحوم اسماعيل باشا صيرى .

يصيح بللأ الأعلى : ألا أستمعوا
إن الامارة لم تنس ، أعنتها
ما قاله (حافظ) في خالد الخطب :
في الشرق الا لئلك الشاعر العربي ا
علمهم رموسى



النيل الخالد

عبأ ! اتوحشنى وأنت إزأنى
لكن جرى قَدْرُ وإنْ أبْتِ المسى
جرحوا صميم القلب حين تحمّلوا
الطيب الممود من عمرى مضى
لا بل هما مئى جَسَاحَا طائر
الصاحبان الاكرمان تَوَلَّيا
لم يتركا رَدَّاهما غيرَ الآسى
وحيلالى الخلطة إلا أنى
أبرأذلى من فضل ما معجدا به
إنْ تَحْمَى بالذكرى فلا تبدل فى
يا صاحبي غدوت منذُ نأيتما
لا ليل مافية هَجَعْتُ به ، ولا
انا واحد فى الجازعين عليكما
فاذا بدا لكما قصورى فاعذرا

وضياء وجهك مالى سَوْدَانى ؟
بنوى أُحِبَّنا لغير لقاء
الله فى جُرح عزيز شفاه
والفتدى بالروح من خلصائى
رُيمَا ولم يك نافعى إخطائى
فَعَلَّام بعد الصالحين بقائى ؟
لاخيهما ما دام فى الاحياء
متعربم بالسهد فى خلطائى
إرث ؟ اذن جهل الزمان وظائى ا
صِفَة ، ولا تغير فى الاسماء
أحد الحياة ثقيلة الأعباء
يوم نشطت به من الاعياء
وكأنا ذاك البلاء بلائى
او شقعاى مُتَلَفَاتٍ ولائى

مَهْلًا أمير الشعر غير مدافع
كم أمت كانت على قَدْرِ الهوى
متنكنا من نفسها إيمانها
فاذا المنابا لم تزل حرب المسى

ومعز دولته بغير مراره
تزوجك ما شئت لطول بقائه
أن لم تكن يمن حيوا لنفاه
وإذا الرزئة فوق كل عزاه

في مصر بل في الشرق منها لوعة
أترى مؤبجات الأنبياء كأنها
بقت الشرار بها نقلاً لو بدا
جزع الكنانة كاد لا يمدو أمي
وبحرموت على تنافي دارها
بالامس كان هوائك يجمع شملها
واليوم فت ردك في أعضادها

سدت على السلوان كل قضاها
حسرى بما تزجي من الأنباء
ما حكت لبدت نطاف دماها
أم القرى ومناحة القبحا
شكوى كشكوى تونس الخضراء
في فرقة التزعات والاهواء
ما أجلب البأساء للبأساء

أفدح بما يلقاه آثك إن يكن
حرموا أباً برأ تموا وترعروا
وكفقد فقت الفرائق الملى
وكرزتهم رزى الرجال مرجباً
ينقلون من الصعائف وحية
ما عشت فيهم طلت بلبل أيكم
لك جوك الرحب الذي تخلو به
عدلوك في ذاك التعزل ضلة
ما كان شغلك لو دروا الآبهم
ولعل اعطتهم عليهم من دنا
أزلت فسك عند فسك منزلاً
فرعيت نعمتك التي أثلتها
تقنى حياءك عالم عن خبرق
وترى الزكاة لدى الترا مبرة
كم من يد أسديتها وكسوتها

حزن الأبعد جل عن تأساه
من جاهه في أسمع الأفياء
علم الهدى للفتية الشجاء
عق اللسان مهذب الأيما
فتكون كل صحيفة كلولها
في الأمن، والرتبال في اللأواء
متفرداً والناس في أجواء
إن التعزل شيعه التزاه
لكن كرهت مشاغل الشفاء
بالنفع منهم وهو عنهم ناه
يأبى عليها الخسف كل إياه
ودعيت فيها جانب الفقراء
أن الخاصة آفة الأدياء
منه به ووسيلة زكاه
متأثقا لطف اليد البيضاء

عصر تقضى كنت مله عيونه
يجلو نبوغك كل يوم آية
كالشمس ما آت أنت بمجدد
هبة بها صن الزمان فلم تتح

في اربعين بما أفدت ملاء
عذراء من آيات النراء
متنوع من زينة وضياء
الآ لا فذاذ من التبعاء

يأتون في الفترات بُوعِدَ بينها
كالأنبياء ومن تأتَرَ إثرهم
رفعتك بالذكى الى أعلى الذرى
من مُعِدَى في وصفها او مُعِدَى
ومطوّع لي من يبايى ماعصى
لي فيك من غرر المديح شوارِدُه
ووفت قوافيها بما أملى على
ما ذا دهاني اليوم حتى لا أرى

لَهَيْتُ الاسباب في الأثناء
من عِلْيَةِ العلماء والحكام
في الخلد بين اولئك العظام
درجات تلك العزة القشاه
فاقول فيك كما تحب رثائي
أدت حقوق علاك كل أدام
قلنى خلوم تميلتى وإخائي
إلا مكان تجمى وبكالى ١٧

(شوقه) لا تبعد وإن تك رِيَّة
تالله شمك لن تغيب، وإنها
هى فى الخطاير والسرائر تنجل
والدُّخْرُ أغلى الدُّخْرِ ما خلفته
هو حاجة الاوطان ما دالت بها
سيّما ثم يعاد ما طال المدى
يكفى بيانك أن بلغت مؤقفاً
بَوَات مصر به مكاناً نافست
وردت موقفها الاخير مقدماً
لك فى قريبتك حُطَّة آثرتها
من أى بحر دُرّه متصبّئ
ظهرت شمائل مصر فيه بما بها
ترخيبها فى لحن متسامع
شعر مَرَى مَرَى النجم بطقه
رَدُّ العيون عيونه مشبّهة
وبكاد يلمس فيه مشهود الرؤى
فى الجو يؤنس من يخلق طائر
عجباً لما صرفت فيه فنونه

ستطول وخشيتها على الرقباه
لَشْنِيْء فى الاصباح والامساء
ابداً ، وتغرهم بالالاه
من فاجر الاكلد للانباء
دُول من السراء والضراء
ويظل خير ماثر الآباء
فيه أعز مبالغ القدماء
فيه مكان دمشق والزوداء
فى المجد بين مواقف النظراء
عزّت على الفصحاء والبُلغاه
وسناه من تزيل أى سماء
من رِقّة ونعومة وتقاه
وتميمها فى وشيه مثره
وصفا بروعته صفاء الماء
ويصب فيه السمع رى ظماء
ويحس همس الظن فى الحواريه
والدو يؤنس راصب الوجاه
من فطنه خلاية وذكاه

فلكل لفظ رونق متجدد
يُجلى الجلال به كأن يدع ما انحلت
ولربما راع الحقيقة رصمها
ولكل قافية جديد رؤاه
صورت حسان في حسان مرأه
فيه فما اعتصمت من الغيلاها

حيالك ربك في الدين سموا إلى
من مثلهم أدى أمانة وحيه
متجشم بالصبر دون أدائها
للعسكرة قوة علوية
كم أخرجت لأولى البصائر حكمة
حتى إذا اشتعل المشيب برأسه
فإذا لم يُنجل جسمه ونشاطها
جسم يقوضه السقام ، ومثها
عجبا لعائيه الذين قضاهما
أما زاع لم تُهادن فيها
حفلا بما لم يتسع محرمه له
فتج إلى فتعا ، وصرح بأذخ
هذا إلى فطن يقصر دونها
من تحفة منظومية لفكاهة
أو مبرزة سبقت مساق رواية
مجرى وقائمه فتجلو للنسي
فاذا الحياة عهديها وعتيدها
تطفو حقائقها على أوهامها

أمل فأبلا في خير بلاه
بعزلة غلابة ومضاه
مايسم من صنت وفرط عناه
في تتجوق من نفسه عصاه
ما ألم به من الأرزاه
مازاد جودها سوى إذكاه
يُخفى بروعه نشاط الداه
متعلق بالخلق والإنساه
في الكد قبل الضجة النكراه
تذكر الردي وشواغل البراه
من باهر الإبداع والإبداه
في إره صرح وطيد بناءه
مجهود طائفة من المظناه
أو طرفة منظومة لغناه
لمواقف التمثيل واللقاه
منها متنازى كن على خفاه
مرج كرج الماء والصباه
وتسوغ خالصة من الأقداه

يا من صجبت الممر أشهد ما حيا
إني ليحضرني بصادق حاله
من بدت وحيالك يفتح فتحه
حتى الختام ومن مفاخر مجده

في الشعر من متباين الأمحاء
ماضيك فيه كأنه تلقاني
لحقيقة الأديبة الزهراء
ما لم يُتبع لسواك في الشعراء

فأرى مثلاً رائماً في صورة
النبل يُجْزَى في عقيق دافق
يَسْقَى سهولَ الرِّيفِ بعد حُزونه
ما يعترضه من الحواجز بعده
حتى إذا رَدَّ الفَيَافَى جَنَّةً
أوفى على السَّدِّ الأخير ودُونَهُ
فطغى وشارفَ من خلافٍ زائراً
ثم ارتدى بفبوضه من حائق
فتحدرت وكأن منهنم رائها
مسموعة الإيقاع في أقصى مدى
إن أخطأت فطرأ موافق غيرُها

لله ذكرٌ فريضة كانت لها
رفعتك من علياء فانيق الى
هذي السَّهَابِ من سَيِّ وسناه
ما ليس بالقسائي من العلياء

خليل مطران



السمر

بعد كبيره وأميره

الشعر بعد مُصَابِهِ بِكَبِيرِهِ
بيناهُ يَسْكِي حَافِطاً بِشَيْقِهِ
لم يَقْضِ بعض حِدادِهِ لِنَصِيرِهِ
ما إنْ خَبَتْ في الأفق شُعْلَةُ نَارِهِ
إذ قام يَسْكِي أَحْمَدُ بِزَفِيرِهِ
بالأَمْسِ ظِلٌّ مُرَرَّآ بِمُيْنِهِ
حتى انطوت في الجوّ لَمْعَةُ نَوِيرِهِ
أخذت فِرْزِدَقَهُ لِلنَّوْنِ وَضَاعَتْ
وَرَدَّانَ مُلْتَبِهَانِ قَدْ نَفَّخَتْهُمَا
وَالْيَوْمَ بَاتَ مُنْجِعاً بِمُنِيرِهِ
عَيْنُ الْعُلَى من دُمْعَاهُ بِزَفِيرِهِ

فالشعر بعدهما استطالَ بكَاؤُهُ
وهزارُهُ تركَ الصداحَ ولَيْثُهُ
وتحوَّجَّتْ بالحزن كلُّ بحورِهِ
أَحْنَتْ أعاديهِ مَمَّاعَ زَيْبِهِ

يَا نَيْدِرًا لَجَعَ القريضُ بمسوته
وَحَلَّتْ سماءُ الشعرِ بعدَ أفولِهِ
ومُؤَمَّرًا لَمْ تَنْتَقِضْ بوفاته
لَكَ فِي الخلودِ مكانُهُ ما نالها
إِنَّ الدفينَ مضجعًا مَحْضُولُهُ
إِنَّ المَتَوَجَّعَ فوقَ عرشِ ذِكَاثِهِ
ما ماتَ من زَكَتْ لَنَا أَقْلَامُهُ
صَوْرًا تَحْمِلُ ذَاتَهُ وصفاته
فَكَأَنَّهُ وَهُوَ الدفينُ بِقَبْرِهِ
وَكأَنَّهُ فِي القومِ سَاعَةً حَقْلُهُ
فَبَكَتْهُ عَيْنُ وَرَيْنِهِ وكَسِيرِهِ
من مشرقاتِ شَمْسِهِ وبدورِهِ
فِي الشعرِ يَبْعَثُهُ عَلَى تَأْمِيرِهِ
فِرْعَوْنُ فِي دِيْعَاسِهِ وخَفِيرِهِ
دُونَ الدفينِ مَحْضُوطًا بِشُورِهِ
يَعْلُو المَتَوَجَّعَ فوقَ عرشِ سُرِيرِهِ
صَوْرًا خَوَالِدًا مِنْ بَنَاتِ ضَمِيرِهِ
حَتَّى يَقْمَنَ لَنَا مَقَامَ نَفْسِهِ
حَيًّا يَعِيشُ بِمَحْزَنِهِ وسُرُورِهِ
مَتَكَلِّمًا بِنَظْمِهِ ونَثِيرِهِ

لَا يَ عَلَىَّ مِنْ قَرِيحَةِ شَعْرِهِ
كَمْ قَدِ رَمَى الغَيْبَ الخُفَى فَوَادُهُ
وَتَصَوَّرَ المعنى الدقيقَ فَرْدَهُ
يَأْتِيكَ بِالْمَعْنَى الجَمِيلِ قَدْ اكْتَسَى
فَالشعرُ قَدْ ذُكِرَتْ جِبَالُ فَنُونِهِ
بِأَ رَاحِلًا تَرَكَ القَوَافِي بَعْدَهُ
لَخْنَى عَلَى ذِيَالِكَ القَتْلِ الذي
الشعرُ كُنْتَ أَمِيرَهُ وسَمِيرَهُ
حَزْرَتُهُ مِنْ رِقِّ كُلِّ تَشْعِيرِ
سَخَّرَتَ مِنْ أَوْتَادِهِ مَا لَمْ يَكُنْ
وَلَكُمُ سَدَّوَاتُ بَنْفَمَةٍ مِنْ بَنَمَةٍ
تَمِيلُ الأَبْدَانُ فِي إِنْشَادِهِ
وَحَيَّ آتَى مِنْ جِبْرِئِيلِ شَعُورِهِ
بِذِكَاثِهِ فَأَصَابَ كَشْفَ سَتُورِهِ
كَالصَّبْحِ مُنْفَلِقًا أَوَابَ ظُهُورِهِ
مِنْ وَشَى سِنْدُسٍ لَفْظُهُ وَحَرِيرِهِ
إِذْ مَوْتُ شَوْقِي كَانَ نَفْخَةً صُورِهِ
مُحْتَاجَةً الحَيَا إِلَى تَعْكِيرِهِ
يَتَطَرَّبُ الأَرْوَاحَ لَحْنُ صُرِيرِهِ
كَفَنِ المَسَامِرِ بَعْدَ قَفْدِ سَمِيرِهِ
فَبَدَّتْ فَنُونُ الحُسْنِ فِي تَحْرِيرِهِ
لِيَطْبِعَ غَيْرَكَ قُطْعًا فِي تَسْخِيرِهِ
وَلَكُمُ صَدَحَتْ بَنْفَمَةٌ مِنْ نَبَمَةٍ
طَرَبًا وَلَيْسَ مُجَلِّدًا مِنْ تَكْرِيرِهِ

يا أهل مصر عزاءكم ، فصا بكم
الشعر قد مُلئت بمصر عروشه
علما من أعلامه كانا به
لكليهما الهرمان قد خشعا أمي
أمره قضاء الله في تقديره
بوفاة سيد وموت أميره
يقنازان السبق في تحيريه
والنيل مد أنينه بخبريه

معروف الرصافي



أروع مربية لشوقي

رثاؤه لوالدته

لازى أنسب في ختام شعر المرائي من نشر المربية الفريدة التي فاضت بها شاعرية شوقي في نذب والدته التي كان يحبها الى درجة العبادة ، وكأنه في كثير من أبياتها يرى نفسه ويبيكي مآل الانسانية . وقد نظم الفقيد الكريم هذه المربية الرائعة في ظروف مشجبة حقاً : وذلك على أثر اعلان الهدنة بينما كان يعمل النفس بالعودة الى الوطن العزيز ولقاء آله وصحبه وفي مقدمتهم والدته الحبيبة . فما كاد يداعب هذا الأمل حتى وافاه البرق بنعى أحب الناس اليه ، فأثر هذا المصاب الجلل في نفسه تأثيراً بليغاً ، وبعد ساعة كتب هذه المربية الرائعة التي تحاشى مراجعتها ونشرها من فرط تأثره ، فبقيت مستورة بين أوراقه الخاصة .

الى الله أشكو من عوادي النوى سَهْمًا
من الماتكات القلب أول. وهلق
توارد والناعى فأوجست رنة
فا هتفا حتى زنا الجنب وايزوى
طوى الشرق نحو الغرب والماء للثرى
أصاب سويداء الفؤاد وما أصبى
وما دخلت لحماً ولا لامست عظام
كلاماً على سمعى وفي كبدي كلما
فيا ويح جنبي كم يسيل وكم يدمى
الى ولم يركب بساطاً ولا يمس

أَبَانٌ وَلَمْ يَنْبَسْ ، وَأَدَّى وَلَمْ يَنْفُ
 إِذَا مَطُوتٌ بِالشَّهْبِ وَالْدِّمِ شَقَّةٌ
 وَلَمْ أَرَ كَلَّا حَدَثَ سَهْمًا إِذَا جَرَتْ
 وَلَمْ أَرَ حَكْمًا كَالْمَقَادِيرِ نَاقِذًا
 إِلَى حَيْثُ أَبَاهُ الْفَتَى يَنْهَبُ الْفَتَى
 وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا الْجَسَمُ فِي ظِلِّ رُوحِهِ
 وَلَا خَلَدٌ حَتَّى تَمْلَأَ الدَّهْرُ حِكْمَةً
 زَجَرْتُ تَصَارِيفَ الزَّمَانِ فَا يَقْعُ
 وَقَدَرْتُ (النَّهْمَانِ) يَوْمًا وَضَدَّهُ
 شَرِبْتُ الْأَسَى مَصْرُوفَةً لَوْ تَعَرَّضْتُ
 فَارْعُ وَنَاوُلْ يَا زَمَانُ ! فَأَمَّا
 قَتَلْتُكَ حَتَّى مَا أَبَالِي أَدْرَتْ لِي
 لَكَ اللَّهُ مِنْ مَطْمُونَةٍ بَقْنَا النُّوَى
 مَدْلُجَةً أَرْكَبُ مِنَ النَّارِ ظِلْفَةً
 سَقَاهَا بِشِيرِي وَهِيَ تَبْكِي صَبَابَةً
 أَسْتُ جُرْحَهَا الْإِنْبَاءُ غَيْرَ رَفِيقَةٍ
 تَفَارُغُ عَلَى الْحَيِّ الْفَضَائِلُ وَالْعَلَا
 أَكَانَتْ تَمْتَلَأُ وَتَهْوِي لِقَائِهَا
 أَلَمْتُ عَلَيْهَا وَأَنْقَتُ ثَمَرَتَهَا
 فَيَا حَسْرَتَا إِلَّا تَرَامُ أَهْلَةً
 رِيحِينَ فِي أَنْفِ الْوَلَّى وَمَا لَهَا
 وَالْأَاطِفُونَ خَشَعًا حَوْلَ نَعْمِهَا
 حَلَفْتُ بِمَا أَسْلَفْتُ فِي الْمَهْدِ مِنْ يَدِ
 وَقَبْرِ مَنْوُطٍ بِالْجَلَالِ مَقْلَدِ
 وَبِالنَّادِيَاتِ السَّاقِيَاتِ زَيْلَهُ
 لَمَّا كَانَ لِي فِي الْحَرْبِ رَأْيٌ وَلَا هَوَى
 وَلَمْ يَكُنْ ظِلُّ الطَّيْرِ بِالرَّقِّ لِي رَضًا
 وَلَمْ أَلْ شَبَابَ الْبَرِيَّةِ رَقَّةً

وَأُدْمِي وَمَا دَاوَى ، وَأَوْحَى وَمَا رَمَى
 طَوَى الشَّهْبِ أَوْ جَابَ الْغَدَافَةِ الدَّهْمَا
 وَلَا كَالْبَالِي رَامِيًا يُبْعَدُ الْمَرْتَمَى
 وَلَا كَلْقَاهُ الْمَوْتَ مِنْ بَيْنِهَا حَتْمًا
 سَبِيلُ يَدِينِ الْعَالَمُونَ بِهَا قَدَمًا
 وَلَا الْمَوْتَ إِلَّا الرُّوحُ فَارَقَتْ الْجَسْمَا
 عَلَى نِزَالِهِ الدَّهْرُ بِعَدِّكَ أَوْ عَلَمًا
 لِي الْيَوْمُ مِنْهَا كَانَ بِالْأَمْسِ لِي وَهَمًا
 فَمَا اغْتَرَّتْ الْيَوْمَى وَلَا غَرَّتْ النِّعْمَى
 بِأَنْفَاسِهَا بِالنِّعَمِ لَمْ يَسْتَفِقْ غَمًّا
 نَدِيمُكَ (سُقْرَاطُ) الَّذِي ابْتَدَعَ النَّهْمَا
 بِكَاسِكَ نَجْمًا أَمْ أَدْرَتْ بِهَا رَجَمًا
 شَهِيدَةٌ حَرْبٍ لَمْ تَقَارِفْ لَهَا إِحْمَا
 وَأَنْزَهَ مِنْ دَمْعِ الْحَيَاةِ عِبْرَةً سَحْبًا
 فَلَمْ يَقُمْ مَغْنَاهَا عَلَى صَوْبِهِ رُمَحًا
 وَكَمْ تَنَزَّعَ سَهْمًا فَكَانَ هُوَ السَّهْمَا
 لَمَّا قَبِلْتُ مِنْهَا وَمَا ضَمَّتْ الْحَيَاةُ
 إِذَا هِيَ مِمَّا هَا بِذِي الْأَرْضِ مِنْ مَعَى
 فَلَسَا وَتَوَا الْأَسْوَاءُ لَمْ تَرَهَا دَمًا
 إِذَا أَقْصَرَ الْبَدْرُ التَّهَامَ مَضَوْا قَدَمًا
 عَدُوُّ تَرَامٍ فِي مَفَاطِسِهِ رَغَمًا
 وَلَا يُشْبِعُوا الرُّكْنَ اسْتِغْلَامًا وَلَا تُنْتَمَا
 وَأُولِيَتْ جَنَائِي مِنَ الْمُنَّةِ الْعَظْمَى
 تَلِيدَ الْخِلَالِ الْكَثْرَ وَالطَّارِفَ الْجَنَّا
 مِنَ الصَّلَوَاتِ الْحُسْنِ وَالْآتَى وَالْإِسْمَا
 وَلَا رَمْتُ هَذَا الشَّكْلَ لِلنَّاسِ وَالْيَتَمَا
 فَكَيْفَ رَضَائِي أَنْ يَرَى الْبَشَرَ الظَّلَمَا
 كَانَ تَمَارَ الْقَلْبِ مِنْ وَلَدِي تَمْنَا

وكنْتُ على نهجٍ من الرأى واضح
وما الحكم إلا فى أولى البأس دولة
أرى الناس صنفين : الدُّعَابُ أو البُهْنُما
ولا العدل إلا حائط يعصم الحكم

زَلْتُ رُبِّي الدُّنْيَا وَجَنَاتِ عَدْنِهَا
أَرْجِي أَرْجِي الْمَسْكَ فِي عَرَصَاتِهَا
إِذَا ضَمَعْتُ زَهْوًا إِلَى سَمَاوِهَا
أَطِيفُ بِرَمِيمٍ أَوْ أَلَمُ بِدَمْنِهَا
فَمَا بَرِحْتُ مِنْ خَاطِرِي « مَصْرُ » سَاعَةٍ
إِذَا جَنَنِي اللَّيْلُ اهْتَزَّتْ إِلَيْكَ
فَلَمَّا بَدَأَ لِلنَّاسِ صُبْحٌ مِنَ الْمُنَى
وَقَرَّتْ سَيُوفُ الْهِنْدِ وَارْتَكَزَ الْقَنَا
وَحَنَّتْ نَوَاقِيسُ وَرَنَتْ مَا ذُنُ
أَتَى الدَّهْرُ مِنْ دُونِ الْهِنَاءِ وَلَمْ يَزَلْ
إِذَا جَالَ فِي الْأَعْيَادِ حُلَّ نِظَامِهَا
لَئِنْ فَاتَ مَا أَمَلْتَهُ مِنْ مَوَاصِبِ
رَبِّتُ بِهِ ذَاتَ التَّمَنَّى وَنَظَّمْتُهُ
نَمْتُكَ مَنَاجِبُ الْعُلَى وَنَمِيتُهَا
وَكُنْتُ إِذَا هَذَى السَّمَاءِ تُخَايَلْتُ
أُنِيتُ بِهِ لَمْ يَنْظَمْ الشَّعْرُ مِثْلَهُ
وَلَوْ نَهَضْتُ عَنْهُ السَّمَاءُ وَخَضْتُ

فَمَا وَجَدْتُ نَفْسِي لِأَنْهَارِهَا طَعْمًا
وَأَنْ لَمْ أَرْحَ « مَرَوَانِ » فِيهَا وَلَا « لَحَا »
بَكَيْتُ النَّدَى فِي الْأَرْضِ وَالْبَاسُ وَالْحَزَنُ مَا
أَخَالَ الْقَصُورَ الزَّهْرَ وَالْفَرْفَ الشُّكَا
وَلَا أَنْتَ فِي ذِي الدَّارِ زَايِلْتُ لِي وَهَمًا
لَجَنَحًا إِلَى سَعْدِي وَجَنَحًا إِلَى سَلَمِي
وَأَبْصَرَ فِيهِ ذُو الْبَصِيرَةِ وَالْأَعْمَى
وَأَفْلَعْتُ الْبَلَوَى وَأَقْشَعْتُ الْعُمَى
وَرَفَّتْ وَجُوهُ الْأَرْضِ تَسْتَقْبِلُ السَّلَامَا
وَلَوْعًا بَيْنِيَابِ الرَّجَاءِ إِذَا تَمَّأَا
أَوْ الْمُرْسَرَّاءِ فِي مَعَالِهِ هَدَّأَا
فَدُونُكَ هَذَا الْحَفْدُ وَالْمَوْكَبُ الضَّخْمَا
لَمَنْصَرِهِ الْأَزْكَى وَجَوْهَرِهِ الْأَسْمَى
فَلَمْ تُنَلِّحْنِي بَلْتَا وَلَمْ تَسْبِقْنِي أَمَّا
تَوَاضَعْتُ لَكُنْ بَعْدَ مَا فَتْنَا نَجْمَا
وَجِئْتُ لِأَخْلَاقِ الْعُكْرَامِ بِهِ نَظْمَا
بِهِ الْأَرْضُ كَانَ الْمَزْنُ وَالتَّبَرُّ وَالْكَرْمَا



كَلِمَةُ خَتَامِيَّة

والآن نتأهب لشلقى القلم بعد اشرافه على هذه الذكرى لفقيدنا العظيم - نلقية بشعور من الألم الدفين والتردد الحزين ، والخطوط المكلومة يردد :

لَيْتَنِي مَا خَلَقْتُ فِي النَّاسِ حَتَّى لَا أَرَى غَايَةَ الْعِظَامِ مَوْتَنَا
وَالْجَنَافَ الَّذِي تَأَلَّقَ وَحْيًا بَيْنَ مَعْمَرٍ مُقْسِدٍ لَيْسَ بِمَحْيَا
وَالْحَكِيمَ الَّذِي يُبَاذِلُ جِيلًا نَاصِرَ الْعَقْلِ قَدْ تَرَدَّى قَتِيلًا
قَتَلْنَاهُ الْإِيثَامُ رَغْمَ انْتِبَاهٍ رَغْمَ طَبِّ وَرَغْمَ مَالٍ وَجَاهٍ
وَمُتْرَكْنَا زَى (الْحَيَاة) السَّخَافَةَ وَنَرَى (الْمَوْتَ) بَعْدَهَا كَالْخُرَافَةِ !

ونشفق على وجداننا من ثورة اليأس فنعود نتلمس العزاء في صور من التفاؤل بمآل الإنسانية ، وبقاء الجوهر دون العرض ، وبالذخيرة النفيسة من الأدب العالي التي تركتها لنا تلك المواهب المفضلة المفقودة . وتنتهي أخيراً في عجز وتعبير إلى الإيمان بأن الأثر هو ظل الأصل بل توأمة ، وأن خلوده خلود لمصدره ! وهكذا نصنع العزاء ، ونعكف على دراسة هذا الأثر ، ونعتبر في ذلك رمزاً الأكابر للفقيه الكريم ومعنى الاعتبار للأحياء .

وقد رأى مجلس (جمعية أبولو) أن في هذه الدراسة تقديراً أجدي مراراً من حفلات التأبين المألوفة ، وإن كان قد لبى دعوة وزارة المعارف لأقامة حفلة تأبين شاملة باسم جميع الهيئات الأدبية ، واشترك في تنظيم الحفلة وفي القيام بالتأبين ذاته بواسطة مندوبيه وفي مقدمتهم رئيس الجمعية ووكيلاها وسكرتيرها ، كما أخذت الجمعية تحت رعايتها حفلة طلبة الجامعة المصرية ، وبعثت بأعضائها من الشعراء لتعزير غيرها من الحفلات التأبينية ، وهكذا قام الشعراء بواجبهم نحو الراحل العظيم منذ اللحظة الأولى لهذه الفجعة المروعة . ولكن اهتمام الجمعية الأكبر دام موجهاً إلى واجب الذكرى الدراسية ، ولا نعد هذا العدد انطاساً من (أبولو) إلا تمهيداً له ما بعده من بحوث جليلة الشأن تؤثرها على المراتى الشعرية .

وقد رأى القراء أننا جعلنا مبدأنا الشامل لتحقيق هذه الغاية روح الانصاف فاحجرونا على شيء اعتقدنا أن الاخلاص عليه ، ومحمنا بنشر النقد الأدبي التزيه

حتى لا يعتبر هذا الأثر من قبيل المجاملات الواهية التي لها مناسبتها ثم تنقضى .
وعندنا أن رمزية رئيس تحرير « الجهاد » التي نُشرت يوم الوفاة من خير ما قيل
في تمجيد واجب الناقد الأدبي . فقد كان مباحاً في حياة التقيد تساؤل شئى
العوامل المحيطة به حتى بعض ما يعتبر من العناصر الشخصية الخاصة ، ولكن جلّه
هذا إن لم يكن كله مما يُتنامى بعد وفاته لأن الغرض الاصلاحي قد انتهى بوفاته
الشاعر ، ولا يعبأ الناقد المنصف في أغلب الأحوال بعد ذلك إلا بالأثر الأدبي
وحده وبالملازمات التي تفاعلت معه حقيقة وبينها طبع الشاعر وظروف بيئته التي
كيفت شاعريته .

ومن الانصاف لمن يريد أن يضع شوق بك موضعه من العبقريّة أن يذكر حالة
الشعر العربي حينما نبعت شاعرية التقيد على حداثة سنه ، وحينئذ يقدر جراحته في
مناحيه التجديدية . وتلك دراسة يجب أن تقترن بآثار مطران في ذلك العهد وهي
آثار رائعة أشاد بقيمتها شوق بك نفسه وقد كانا من أصنى الاصدقاء .

ونرى أن حياة التقيد الرسمية لم تتخلّ في ذاتها دون قرضه الشعر العالي ، وإنما
البيئة في ذلك العهد لم تكن منهية للشعر الفني الذي تجلّى أخيراً وحفز اليه الشعراء
الشبان المتفقون تنقيفاً أوروبياً ، فسار التقيد في معظم الأحوال في طليعة الحركة
التجديدية إذ لم يكن يرضى أبداً أن يتخلّف عن أي نهضة حديثة ولتورّد أولاً .
ونعدّ أن التخلّي عن مركزه الرسمي وبأسه القديم لم يجرّده تحريراً فنياً فقد كان حرّاً
دائماً من هذه الوجهة ، بل جعله يسعى لتعويض صولة الماضي عن طريق العظمة
الفنية باتتاجه الوافر الممتاز فكان له في ذلك عزاً خاصاً إلى جانب استمتاعه الفني ،
وهو تطور لا بدّ أن يؤمّن عليه خاصة الأديباء النقاد وكل باحث نقساني دقيق .

ولعلّ أظهر ميزة لشعر شوقي حلاوته الساحرة ، وعندنا أنه لو لم يكن شاعراً
لكان موسيقياً ، فهو بقطرته طروب النفس موسيقى الروح ، فلا عجب إن محرّ
بأنغامه العالم العربي بأسره حتى في المواقف التي قد لا تبلغ فيها جودة شعره
الدرجة المعهودة منه وحتى في نماذج شعره التقليدي الذي تراهي فيه معاني
المتقدمين وأخيلتهم أو المعاني السائرة في عصره .

هذا هو مفتاح الإعجاز في شعر شوقي — هو موسيقيته الفريدة النابعة من
حسن رقيق وطبع مصقول . وهي التي خلّبت الألباب وكان من رد فعلها أن

نشأت مدرسة محافظة كادت تكفر بالمعاني الشعرية الرائعة وبأسمى الشعر الفنى وتجربى وراه الرنين الموسيقى وحده ، وهذا من العجب بمكان !

كان شوق بك فى العهد الخديوى ذا نفوذ عظيم وكانت البواغث للشعر الفنى محدودة جداً كما ذكرنا ، فلما دال ذلك العهد وذاق شوق بك مرارة النفى — وإن كان قد رَحَّب به أولاً فراراً من الجوِّ السامى الموبوء — وهى مرارة حدثنا عنها شخصياً فيما بعد وألمع اليها فى شعره الأندلسى ، لم يكن له عزاء إلا فى الانهماك الأدبى ، وهذا سر انتاجه الأخير الذى نما وتضاعف بحافز المنافسة الأدبية التى قويت فى العهد الحديث وانزوى أمامها غير واحد من مشهورى شعرائنا المحافظين الذين نهبوا فى الجيل السابق . وكما أن الأمير مؤمَّر على رعاياه جميعاً فكذلك كانت نفسية شوق بك تنزع الى أن يضرب فى كل باب من أبواب الشعر بسهم ، فكان شاعر النهضة العربية وشاعر الاسلام وشاعر الوطنية وشاعر الفنون الوصفية وشاعر الحب والافتاقى الخ . حتى يشمل انتاجه جميع ميادين الشعر أو ما يُطَنَّن أنها ميادين الشعر ، وهو مدين بهذه الروح لنشأته الرسمية وفى سبيلها لبث يكافح الى آخر لحظة من حياته . وقد حدثنا رئيس تحريره «أهرام» عن شوق بك فقال أسفاً إنه ما كان ينبغي له أن يعمل فى أواخر عمره ، ونسب الى هذا المجهود العنيف تدهور صحته أخيراً . ولكن بغض النظر عن الأسباب الطبيعية التى آلت الى إعيائه — وفى مقدمتها انهماكه فى التدخين حتى وهو فى مرض الموت — فأننا لاندرك كيف كان من المستطاع لهنَّ وقاد كذهن شوق أن يقنع بالهمود اذا كان فى طاقته أن يشتغل ويضئ .

ومما لا جدال فيه أن شاعرنا العظيم أجاد إجادةً فذةً فى أكثر من ضرب من ضروب الشعر ولا سيما فى الشعر الوصفى والشعر التاريخى الذى ينقلك الى قرون خلت فتعيش بين أهلها الأحياء ، وما نلتك لحظة أنجاهه ونفوذه ساعده كثير على أحياء اسمه وصيته ، ولولا هذا الجاه والنفوذ لما ظهرت له رواية تمثيلية واحدة على خشبة المسرح نظراً لوجود مسارحنا المصرية . وقد عيب عليه أن رواياته لا يتجلى فيها فن التمثيل ، ولكن العائين أو معظمهم لا ينكرون أن شعره فى نفس هذه الروايات من أرق الشعر العربى الحديث . وآية العجب أن شوق فى شيخوخته أبى إلا أن يسبقه الشبان الى أى انجاب جديد لا يُسأم فيه ، فخفزه هذا الى وضع رواياته الشعرية التمثيلية ولهم مطالعته ومشاهداته ومن ذا كرتة القوية كثر زاجر المرائى والتجارب وأمرار اللغة يستمد منه العون . وكان فى أول الأمر يتزع الى الاوبرا ثم آثر

عليها الدرامات الشعرية ففتح الباب الذي أغلق بوفاة المرحومين لمحجب الحداد وإسماعيل حاصم . ومهما يكن من شأن رواياته التمثيلية فلا نزاع في أنها أتاحت له فرصاً بديعة لتصوير ألوان الحياة والموت أيضاً ، ذلك التصوير الخلاب الذي لم تفارقه سلاسته الممهودة ودفته الآمرة . ومن ذا الذي لا يتأثر بقول كليوباترة الناعمة اليائسة وهي تهباً للانتحار :

يَا مَوْتَ طُفْ بِالرُّوحِ وَاسْرِفْهَا كَمَا سَرَقَ الْكَرَى عَيْنَ الْخَلِيّ السَّالِي
حَتَّى أَمُوتَ كَمَا حَيَيْتُ كَأَنِّي بَيْتُ الْخِيَالِ وَذُمِيهِ الْمُسَالِي
وَكُنْ إِغْمَاضَ الْجَفُونِ تَنَاعُشُ وَكَأَنَّ رَقْدَتِي اضْطِجَاعُ دَلَالِي

وهذه الايات يقولها شيخ في الستين من عمره ! هنا دقة التصوير وجراءة الخيال وحلاوة اللغة اللطيفة . وفي الحق أن شوقي كان فناناً في لغته ، ولو لم يحايل المحافظين ويسترضيهم بأساليب لغوية عتيقة أحياناً لما ارتفع صوتٌ بمؤاخذته . ومع هذا فقد طوَّع اللغة تطويعاً ببراعته في مواقف شتى ، وكان طبعه الموسيقى يتغلب على التنافر الذي يعترضه في معظم الأحوال . ولكنه حاول أن يرضى جميع المدارس الأدبية بمثل محاولته أن يكتسح جميع ميادين الشعر الجليل والصغير منها على السواء ، ولا نعتقد أنه أصاب بهذا التصرف الذي لم يكن ليتفق مع طبيعته فكانت له من ورائه عثرات وسقطات . كذلك لا زاه على صواب في مجازاة العامة بنظم الأغاني العامية وإن سمحت معانيها ، فقد كانت هناك ندحة له عن ذلك وهو حارس لغة القرآن والشاعر الذي تذوب عريته السليمة رقة ويقبل عليها الجميع ، ولا تؤمن بأية دعوى عن ترفيته للأغاني فانه — طيب الله ثراه — لم يحاول أن ينهض بالجواهر بل آثر أن ينزل إلى مستواهم اللغوي ، ولو أنه حاول أن يسمو بهم لجأت محاولته هذه قدوة الجيل ولا نساق خلفه كثيرون من مؤلفي الأغاني . أما الحال الآن فنعكس ذلك تماماً ، وقد تجرأ تبعاً لذلك غير واحد من شعرائنا النابهين على وضع الأغاني العامية والمباهاة بها مادام شوقي قد سبقهم الى مثل ذلك ، وكأنما لا شخصية لهم ! وهذه مؤاخذه ردّدها على مسمع القعيد في حياته وكان كلُّ دفاعه أنه أراد أن تكون الاغاني شعبية وأنه لم ينس نصيب العربية السليمة من شعر الغناء ، وقد نظم بناء على هذا النقد قصيدتيه الاخيرتين للأئمة ملك ، وكان في وسعه أن ينظم شتى المواويل والأدوار العربية السليمة التي تصلح على مدى الزمن للعالم العربي بأسره

لا لعلامة مصر وحدهم ، كما هو شأن رواياته الشعرية التمثيلية وما تضمنته من شعر بدیع رائع جدير بأن يُستشهد به في شتى المواقف .

فَين شوق بك بالتاريخ كما فتن بالوصف التصويري فكانت له بدافع هذا الميل روائع شعرية خالدة ، كما تجلت شواهد التاريخ وعظائمه في الكثير من شعره وبينها ثلاث ملاحم في وقت نسي الشعر العربي الملحمة وتكيفها ، وهذه مفخرة له لا يجوز أن ينساها أي مؤرخ . وفُتِنَ بالمتنبى عن طبع مشغوف بالحكمة وعن صفات مشتركة بينهما فكان متنبى عصره ، وإن ساقه القلو التقرى أحياناً الى نماذج من النظم لا هي في الشعر الفنى الخالص ولا هي من شواهد الحكمة العميقة . مثال ذلك مطلع آخر قصيدة له :

المُلكُ بالمالِ والرجالُ لم يُبْنَ مُلكٌ بغير مالٍ

وحق بيتته المشهور :

وانما الأسمُ الاخلاقُ ما بقيتْ فانْ همو ذهبَتْ أخلاقُهمْ ذهبوا
ليس من الشعر في شيء ، وإن كانت آية من الحكمة الساذجة . ولكن الشعر والحكمة مجتبعان في مثل قول شوقي :

دقاتُ قلبِ المرءِ قائمةٌ له إن الحياةَ دقائقٌ وثواني
وقوله :

فا العبدُ إلا كاللحان وإنْ علا الى النجم منحطٌ الى الأرض سافل
وقوله :

ومنْ تسمُ الدنيا اليه فيفترقُ يمت كقتيلٍ الفيدِ بالسماتِ ا

وتوجد نماذج للحكم الشعرية أخرى نفيسة في «شوقياته» كما يوجد بجانبها غير قليل من النظم الجبرى التقرى الذى لا نعدده من الفلسفة الشعرية في شيء .

وما كان شوقي بك بطبيعته وبظروف بيئته الأولى الشاعر الاجتماعى ، ولكن بيئته الثانية بعد الحرب وتعلقه الجديد بالجمهور خلق منه الشاعر الاجتماعى المؤثر في ظروف جمة ، وإن كان كثيراً ما تردد وتحول بحكم اعتباراته السياسية الخاصة مما دأ الى مؤاخذته الشعرية . وعندنا أنه انتزع هذه المكانة انتزاعاً من حافظ إبراهيم بك ، لأن حافظ كانت تنقصه الوثبات القوية الأخاذة والخيال الرائع المحبوب وقدرة التصوير الفنى المتجلية في شعر شوقي مهما يكن من استجابة حافظ لعواطف الشعب

استجابة فطرية ، وهكذا تَمَّتْ لشوقي بك الفتوح في ميادين متعددة حتى في الميدان الذي كان من اختصاص منافسه الكبير الذي كاد يعتزل الشعر اعتزالاً قبل وفاته بزمان خلافاً لشوقي بك الذي أخذ يناضل عن صولجانه الى آخر رمق من حياته وكان يستفيد من النقد وإن امتعض منه دائماً .

وقد كان الفقيد العزيز مثلاً لوداعة النفس بين أصدقائه ومريديه — وداعة الأديب المهذب ، وكان وفيّاً جداً لآله ، ولولا انه اعتاد ان يجعل شعره أساساً للصدقة والخصومة لشم وفاقه الجميع ولما كان هناك تناقض غريب في طباعه وفي أوصاف المؤرخين له . وكان بطبيعته يميل الى الإصغاء أكثر من ميله الى الكلام ولكننا ننكر أنه كان اعتيادى الحديث ، اللهم إلا بين من لا تربطهم به وشائج الصداقة القوية فكان يفضن ضناً بحديثه وبعامه وأسراره . وقد كان حاضر الفكاهة سريع الخاطر حينما لم يوجد مجالاً للكلفة . زرناه قبيل وفاته بأربعة أيام وذكّرنا له ان العدد الثانى من (أبولو) كان عاطلاً لأنه حرّمه شعرة فابتسم وقال على الفور : وأنا كذلك كنت عاطلاً ! (يشير الى مرضه) . وعلاقتنا الودية به التى ترجع الى أكثر من ربع قرن كانت فى ذاتها شفيعاً دائماً فى رفع أية كلفة بيننا ، وفى أخذ آرائه الصريحة الحكيمة فى شتى المسائل بغير تردد منه ، وفى مجابته بنقدنا وإن ساءه . تقول ذلك دفعاً لما سمعناه وقرأناه عن نزول حديثه دون المستوى المعتاد ، بعكس الحال لشعره الخالد . والحقيقة ان حديثه على صورتين : منه ما يخص به صفوة خلصائه ، ومنه ما يقتصد فيه كثيراً بين زائريه ، وقد علمته تجارب الأيام أن يكون على حرص وحذر ، وهو بهذا الدافع أبى أن يدون مذكراته الشخصية كما اقترحنا عليه وكان بين أعذاره أن الناس ينفرون من الحق المؤلم وهو لا يريد أن يقول غير معتقده .

وفى هذا السجل التاريخى الأديب المهذب الى ذكره لم يسع غير واحد من مريديه الأفاضل إلا أن يشير الى طبيعة الفقيد الكريم فى الحرص الشديد على مكانته الأدبية وكيف أن التجربين بالأدب استغلوا هذه الطبيعة اسوأ استغلال ، وما زال نقر منهم الى الآن يريد ان يعلن عن نفسه على حساب الفقيد ويريد أن يتظاهر بأنه ملكى أكثر من الملك ، ومن هذين الطرفين نشأت خصومات ومنافسات متعددة ما كان يجوز مطلقاً أن تنشأ لو أن الفقيد الكريم لم يحفل بشئ من ذلك ، فان

التاريخ خيرُ متصفٍ على مدى الزمن ، ولا يجوز للرجل العظيم أن يأبه لتحامل المتحاملين أو أن يستدرجه أى اعتبار لمنافسات غير مقبولة ، فلكل فنّان طبيعته وآثاره وحسناته ، ومن خير الادب وكرامته أن يطلق لكل متفنن الحرية والتشجيع لانحباب أروع حسناته ، ومن غم الادب ان نظفر بمجموع الحسنات لشتى الرجال . وعلى هذا المبدأ السامى قامت (جمعية أبولو) التى تؤجج الفقيه العزيز مآثره برأسته لها ومده يد التعاون الاخوى لاعضاءها الشعراء ونقاد الشعر بعد أن كان مشهوراً بفرديته ، وكان هذا مبدأ تطور جديد عظيم الاثر فى الحياة الأدبية بمصر . ولذلك صدق سكرتير « جماعة الادب المصرى » حيناً ذكر فى مقاله (ص ٢٧٨) إن لجمعية « أبولو » بفقهه عظيمة فوق مصاب العالم العربى بأسره ، وقد سبقنا حضرته الى ملاحظات سديدة نوافقه على معظمها وربما عدنا الى بعضها فى المستقبل . وكانت الصراحة سائدة فى هذه البيئة الشعرية العائلية حتى ان الفقيه الكريم لم يسؤه أخيراً أن يشدد عليه فى التخلّى عن شعر الحفلات والاكتفاء بالشعر الفنى وحده . وهذه صورة جدِّ مختلفة عما شاع وذاع عنه فى سالف السنين .

وقد نوه أستاذنا سعادة احمد زكى باشا وحضرة خليل مطران بك بوداعة المرحوم شوقى بك وظرفه ونجودُه عن الهجو فى شعره ، ولم يُنسكرا فى الوقت ذاته أن حاشية الفقيه كانت مسؤولة عن أفسى الحلات المفرضة على الكثرين من الأدباء وعن اثاره حرب طاحنة ما كان يجب أن تثار مطلقاً فى بيئة تريد ان تخدم الأدب لوجه الأدب . فما علة ذلك وما تفسيره ؟ هذه نقطة لن يفلت منها أى مؤرخ زيه . وعندنا ان الفقيه العزيز دمّت الخلق بطبيعته ولكنه يتأثر ببيئته الى حد كبير (subjective) ، حتى أنك لتجد دائماً شعره متأثراً بأسخراطه ومجالسه ونظراته ، وإن اصطبغ بموسيقيته أو بزعة لغوية خاصة أو نحو ذلك ، فكأنه مرآه متعددة . وهذا لا ينافى فى الوقت ذاته أن عبقريته منبعثة من نفسه خلافاً لحافظ ابراهيم بك الذى كان مرآة نغمة لمشاعرائه وكان نبوغه من وحى امته لا من ذاتيته هو ، وهو رأى أستاذنا مطران أيضاً . ويتصدى للتاريخ الأدبى فى هذه الآونة مستمرين فى حملتهم الفاشحة على المدارس الأدبية فى مصر وناشدين الشهرة الفانية على حساب الفقيه تقسّ المتملقين الذين أساءوا الى كرامة زملائه من الشعراء والأدباء بما اختطوه من خطّة الملق له والاتقاص من زملائه وأنداده فى حياته . ولكن البقعة الأدبية الاخيرة فى الجمهور أخذت تستنكر تصرفهم هذا أشد الاستنكار

وأضعاف استنكارها ذلك في حياة القعيد العزيز الذي يجب أن يتألف الجميع حول ذكره في محبة وتعاون كما تجلّى ويتجلّى ذلك في (جمعية أبولو) .

وإذا كان لإنسان أن يودّع الحياة قرياً على أكل وأهناً صورة ، فهكذا ودّعها شوقي بك بعد أن أدّى رسالته في شتى النواحي وترك من الذخائر الأدبية ما لا ينال منه القناة مهما طعنها النقد وغربتها الأحداث وتلقفتها العوادي . وقد كان كفيلاً لذلك النادر وعبقريته الفذة باستبقاء مذهبه الشعري وجهوده حية بجوانه ولكن من المستبعد جداً أن ينشأ نداء له يستطيع أن يقيم له علماء خفاً مثل علمه بعد أن تطوّرت المناحي والأذواق والأساليب الشعرية في العهد الأخير تطوّراً عظيماً هزّ شوقي بك نفسه فلم يثبت قدمه إلا اتّجاهه العظيم وكفاحه ومواهبه الساحرة . ففي ذمة التاريخ ما ألحّب وما أبدع لخدمة الشعر والعالم العربي حتى رفع اسم مصر في شتى الممالك إلى جانب ما بلغه من الصيت الرفيع والشهرة الذائعة لنفسه . وإذا كان لشعراء الشباب أن يستفيدوا من حيلاته العظيمة — وهو الواجب عليهم — فهذه الصعائف المتقدمة بمثابة تمهيد لذلك : فلمهم أن يستفيدوا من عوامل التفوق ، وعليهم أن يتجنبوا دواعي المؤاخذة ، وما كان التفوق إلا في خدمة الشعر الشعر وفي التعاون الفنى الباهر السكّيل باظهار أجمل المواهب وتساندها رفعة هذا الفن الجليل .



جمعيات الادبية

سألنا غير واحد من القراء عن صلاتنا بالجمعيات الأدبية ومبلغ ارتباط (جمعية أبولو) بها ، لمناسبة ورود ذكر بعضها في تأييد المقفور له شوقي بك . وجوابنا على ذلك أنها صلات حية تعاونية ، وفيما عدا ذلك لجمعية أبولو مستقلة تمام الاستقلال ولها مهمتها الخاصة ألا وهي خدمة الشعر والشعراء . وأشهر هذه الجمعيات هي : —

(١) « رابطة الأدب الجديد » ومركزها العام ميدان حلیم رقمه بالقاهرة ، ولها فروع في العواصم المصرية وفي عواصم العالم العربي . والغاية منها تنهّي الغرضين أساسيين : التعاون الفكرى الأدبى والتأخى الاجتماعى ، فهي جمعية أئمية لها فوائدها الأدبية كما لها فوائدها الاجتماعية ، وهي في دائرة اختصاصها تشبه من بعض الوجوه حركة جمعيات الشبان المسيحيين .

(٢) « جماعة الأدب المصرى » ومركزها شارع المسافر خانة رقم ١٥ برأس التين بإسكندرية توهي متخصصة لدراسة الأدب المصرى قديمه وحديثه بشتى وسائل الدراسة ،

وتسدّ بوجودها فراغاً من وجهة منزعها الخاص الذي كان مهبطاً الى حدٍّ كبير .
(٣) « جماعة نشر الثقافة » ومركزها نقابة الموظفين بالاسكندرية . وهي هيئة تعمل للحركة التهديبية العامة ولها معهد خاص باسم « معهد الثقافة » وتتناول بحوثها شتى المعارف العامة والدراسات الأدبية . وغايتها تنقيف الجمهور ورفع مستوى التفكير الادبي .

(٤) « جماعة الإيسيست » (Les Essayistes) ومركزها شارع المناخ رقم ١٥ بالقاهرة . وهي ترمي الى نشر روائع الأدب العالمي وتبادل الثقافتين العربية والغربية ولا سيما الثقافة الفرنسية ، ولها مجلة ممتازة تصدر باللغة الفرنسية .
وجميع هذه الهيئات قامت وتقوم بواجبها خير قيام لمحوققيدي العربية والشعر العربي المغفور لها محمد حافظ ابراهيم بك و أحمد شوقي بك ، فحق علينا التنويه في هذا المقام بغيره أعضائها الأفاضل وحرصهم على التأكيد مع (جمعية أبولو) في خدمة الشعر وتقدير أعلامه .

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٠٩	٧	الأوئل	الأوائل
٣٢٣	١	اثني عشر	اثنا عشر
٣٢٣	٢٣	المكال	الكامل
٣٢٩	٨	أن	كان
٣٣٧	١٢	ديان	ديان
٣٤٠	٢٧	زئبراً	زئيراً
٣٤١	٢٢	لمليك	للمليك
٣٨٣	٢٠	مقى	مضى
٣٩٢	٢	يفكون	يفكونه
٤١٠	١٨	وبطوالع	وبتطويع
٤١٥	١٠	جاء	جاد
٤٣٣	٢٥	البغضاء	البغضاء
٤٣٦	٢	معجزت	معجزات

وربما فانتنا أخطاء أخرى ومعظمها مما يسهل تقديره وإدراكه ، ولكننا على أي حال نرحب دائماً بمعاونة الادباء وحرصهم على الدقة في صفحات هذه المجلة .



تنبيهات الادارة

الاشتراكات

الرسائل

توريد المجلة

(٢) تُضاف عند المحاسبة الى الأسعار السابقة أجرة البريد (كيفها كانت) الى البلاد الخارجية، وهذه تختلف بين قطر وآخر كما تختلف بالنسبة لوزن الحزمة فلا يمكن تعينها هنا، وإنما نذكرها في الحساب الشهري بمعدل رسالة.

(٣) ثمن المجلة في مصر والسوان هو ٣٠ ملياً، وفي الخارج يختلف الثمن بين قطر وآخر حسب رسوم البريد.

(٤) ليس للمجلة وكلاء للتخصيص، وحيناً وُجِدَ متعهدون لبيع المجلة وتوريدها فعمالتهم للجمهور ماصرة على ذلك ونحت مسؤوليتهم. وسنشر في العدد الآتي أسماء المسكاتب والمتعهدين والمجلات التجارية التي تتولى بيع المجلة.

(٥) مُتَشَقِّقٌ مَعَ الْإِدَارَةِ عَلَى التَّأْمِينِ إِذَا كَانَ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْحِجَلَةِ شَهْرِيًّا عَدَدًا كَبِيرًا وَهُوَ فِي الْمَعْتَادِ مَا يُوَازِي مَطْلُوبَ شَهْرَيْنِ مَعَ اشْتِرَاطِ الْحَسَابِ شَهْرِيًّا .

فهرس

٣٠٤	نظم محمد فريد عبد القادر	نشيد
٣٠٥	بقلم المحرر	تصدير
٣٠٧	تلخيص واقتباس	حياة شوقي بقلمه
٣١٣	بقلم مجله على شوقي	شوقي الوالد
٣١٥	» » حسين شوقي	قبيل المنفى
٣١٧	عن صحيفة « الجهاد » المصرية	اليوم الأخير
٣٢٣	بقلم أحمد عبد الوهاب	اثنا عشر عاماً في صحبة أمير الشعراء
		تأبين التقيد يوم الوفاة
٣٢٩	نظم احمد زكي ابو شادي	مرثية محرد « أبو لو »
٣٣٠	بقلم محمد توفيق دياب	» رئيس تحرير « الجهاد »
٣٣٢	» عبد القادر حمزة	» » » « البلاغ »
٣٣٤	للدكتور على المناني	» المناني
٣٣٥	» ابراهيم ناجي	» ناجي
٣٣٦	السيد محمد الغنيمي التفتازاني	» التفتازاني
		نماذج متنوعة من شعر شوقي
٣٣٧		نشيد النيل
٣٣٨		الوطن
٣٤٠		البحر الأبيض
٣٤١		الخطباء الراشدون
٣٤٢		أخوان الدهور
٣٤٢		الجدة

٣٤٣	المرة والنظافة
٣٤٤	أنس الوجود
٣٤٦	رواية عنتره — المشهد التاسع
	<u>تراجم ودراسات</u>
٣٥١	بقلم علي محمود طه شوقي الشاعر
٣٥٥	« الدكتور ابراهيم ناجي شوقي وأنداده
٣٥٧	« محمد رزق الدهشان جولة في أدب شوقي
٣٦٣	« داوود بركات أحمد شوقي — ذكريات
٣٦٦	« أحمد محفوظ صورة من شوقي
٣٦٩	« الدكتور زكي مبارك شوقي أمام التاريخ
٣٨١	« أحمد زكي باشا ذكريات عن حياة المفكرة ومدرسة الحياة
٣٩٠	« كامل كيلاني الاخلاق في شعر شوقي
٤٠٨	« علي محمد البعراوى الشعر القسّى في نظم شوقي بك
٤١٠	« محمد نزيه شوقي في الشباب
٤١٨	« اسماعيل مظهر منزلة شوقي وأثره
٤٢١	« الدكتور أحمد ضيف شعر شوقي
٤٢٥	« علي العناني شوقي منحة أجيال
٤٢٩	« محمد طاهر الجبلاوى شوقي وحافظ
٤٣٣	« أحمد الشايب شوقي في الاندلس
٤٤٧	« طاهر الطنحى شوقي والمتنبى في ثوب
٤٥٧	« طلبه محمد عبده معارضات شوقي في المرأة
٤٦٩	« السباعي السباعي استعداد شوقي
٤٧١	« محمد علي فرج الله أين شوقي من الوطنية ؟
	<u>المراىى الشعرية</u>
٤٧٥	نظم الصاوى على شعلان الصبح الداجى
٤٧٥	« محمود ابو الوفا قبر المبقرية
٤٧٧	« طلبه محمد عبده وقفة على قبر شوقي
٤٧٨	« الدكتور ابراهيم ناجى هبة السماء

٤٨٠	{ تلحين محمد عبد الوهاب مع تعليقات لاجند زكي باشا }	رثاء الموسيقين
٤٨٥	نظم حلیم دموس	الى شاعر الخلود
٤٨٧	» خليل مطران	النيل الخالد
٤٩١	» معروف الرصافي	الشعر بعد كبيره وأميره
		<u>أروع مرثية لشوقي</u>
٤٩٣		رثاء شوقي بك لوالدته
٤٩٦	بقلم المهرود	<u>كلمة ختامية</u>





المجلد
الأول

العدد
الخامس

الأسبوع

لجان حال جية ابولو

تصدر مرة في كل شهر

يناير سنة ١٩٣٣

أحمد زكي أبوشادي
رئيس التحرير

بشارع الملك المعز رقم ٩
بضاحية المطرية بمصر

١١٦٦ دتون
١٠٤٠٦ و

التليفون



لقد كان ردة العربية بنقد زعيمى شعرها الكلاسيكى محمد حافظ ابراهيم بك وأحد شوقى بك من أفسى الأحداث فى تاريخها الأدبى . وقد تفجرت عيون الشعر بالثناء الحار فى الافطار العربية المختلفة كما تجمعت طائفة من الدراسات القيمة الموهوبة الى روحى الشاعرين العظيمين .

ولم يفت (جمعية أبولو) أن تقوم بالواجب الأدبى لمحو ذكرهما المزيمة ووقفت العدد الماضى من هذه المجلة على ذكرى المغفور له شوقى بك وهى تتمنى أن يساعدها أصدقاء المرحوم حافظ ابراهيم بك على إصدار نظير هذا العدد خاصاً بذكرهم كذلك . بيد أن ما أخرجته أفلام المؤرخين والنقاد وما أوحى به خواطر الشعراء المتنازين - غير ما نُشر فى مجلات وصحف خاصة كالملتطف والهلل والملحق الأدبى لجريدة السياسة - يجمع صفوة رائعة من نماذج الأدب العصرى لا يجوز إغفالها .

ولما كانت هذه المجلة متخصصة للشعر وقده فى أولى المجالات بتسجيل مختارات من هذه النماذج التى سوف تصبح تاريخية بعد حين . ولهذا رأينا أن نخصص جانباً من (أبولو) لنشر نخب منها فى هذا العدد وفى الأعداد التالية . وهى نخب متنوعة الألوان لا نقول إن فيها الفث والسمين بل نقول إنها تمثل شتى الاذواق الفنية والصور . ونحن نتره هذه المجلة دائماً عن نشر أى شئ غث رفيف فيها كان مصدره ويطلب لنا أن نرد على أى نقد معين يوجه الى ما ننشره ، ولكننا نأبى أن نقصر المجلة على لون واحد من الأدب الشعرى خصوصاً فى دور الانتقال الحالى من النزعة الكلاسيكية الى النزعة الرومانطيقية ، إذ يساعد نشر النماذج المختلفة على

المقارنة المفيدة وعلى التعرف الى المدارس الشعرية المتنوعة القائمة في العالم العربي ، وهو تمهيد لا بد منه وعلى الاخص في العام الأول من حياة هذه المجلة قبل أن يجتذب المجددون من أنصارها أعيان الشعر الى الوجهة الخاصة التي تنطق بها مبادئها وروحها الفنية .

بقى علينا أن نذكر أننا تلقينا الكثير من الشعر والدراسات وأن ما اخترناه منها للنشر وفير ، فازاء هذا الواقع نرجو من حضرات الشعراء والأدباء ألا يفترؤا التأخير الاضطرارى المؤقت في نشر ما تجمع لدينا من ذخائر أدبهم تفسيراً يخالف تهديرنا لمواهبهم وعرفاننا لعنايتهم بمؤازرتنا .



ذِكْرِي شَوْقِي

فِي رُبِّي الخلد

فَفِي رُبِّي الخُلْدِ وَاهْتَفِ بِاسْمِ شَاعِرِهِ
وَامْسَحْ جَبِينَكَ بِالْكَرْنِ الَّذِي أَنْبَلَجَتْ
إِلَهَتُهُ الشَّعْرَ قَامَتْ عَنْ مَيَامِنِهِ
وَالْخُورُ قَعَمَتْ مُشْذُورًا مِنْ غَدَائِرِهَا
أَتَرَابُ سَمَرَتِهِمْ نَلَهَوْ فِي خَمَائِلِهِ
وَالْمَلْهَمُونَ بَنَوْهُ مِوَمِيَةً مَا تَزَكُوا

فَسِدْرُهُ الْمُتَنَهَى أَدْنَى مَنَائِرِهِ
أَشْعَةُ الْوَحْيِ شِعْرًا مِنْ مَنَائِرِهِ
وَرَبِّهُ النُّثْرَ قَامَتْ عَنْ مَيَامِينِهِ
وَأَرْسَلَتْهَا بِدِيلًا مِنْ سَتَائِرِهِ
وَرَهْطُهُ جَبْرِيلُ يُحِبُّ فِي مَقَاصِرِهِ
لَمَّا أَهْلًا لَهُمْ سَجْعًا لَطَائِرِهِ

قَالَ الْمَلَائِكَةُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ لَهُمْ:
هَذَا الَّذِي لَمَسَ الْأَرْوَاحَ فَانْتَضَمَتْ
هَذَا الَّذِي رَفَعَ الْأَهْرَامَ مِنْ أَدْبَرِهِ
هَذَا الَّذِي لَمَسَ الْأَسْلَامَ فَابْتَسَمَتْ
كَمْ فِي ثَمُورِ الْعَذَاذِيِّ مِنْ بَوَارِقِهِ

هَذَا هَوَى الشَّرْقِ، هَذَا ضَوْؤُهُ نَاطِرِهِ
عَقْدًا مِنَ الْحُبِّ، سَلَكْتُ مِنْ خَوَاطِرِهِ
وَكَانَ فِي تَلْجَاهِ أَعْلَى جَوَاهِرِهِ
جَرَّاحُهَا ثُمَّ ذَابَتْ فِي سَحَابِجِرِهِ
وَفِي مُجْفُونِ الْبِتَامِيِّ مِنْ مَوَاطِرِهِ!

سَلَّ جَنَّةُ الْخُلْدِ كَمْ وَدَّتْ أَزَاهِرُهَا
وَصَادَحَ الطَّيْرُ لَوْ سَالَتْ حَنَاجِرُهَا
وَالزَّهْرُ لَوْ كُنَّ أَزْدَادًا مُفْقَضَةً

لَوْ اسْتَحَالَتْ عِيبَرًا فِي تَجَامُرِهِ
مَعَ الصَّبَاحِ نَشِيدًا فِي مَزَامِرِهِ
عَلَى الذَّبُولِ الصُّوْفَى مِنْ مَآزِرِهِ!

شَوْقِي... سَلِّ الْأَفَقَ هَلْ ثَارَتْ سَحَابَتُهُ
شَوْقِي... سَلِّ الْبَحْرَ هَلْ جَنَّتْ عَوَاصِفُهُ
شَوْقِي... سَلِّ الْبَلِيلَ هَلْ كَانَتْ كَوَاكِبُهُ

لَمَّا قَوَى الْمُتَنَبِّي فِي سَحَابَتِهِ
لَمَّا كَبَا بَابُنْ سَيْنَا جَدَّ طَائِرِهِ
لَمَّا قَضَى غَيْرَ شَوْكِهِ فِي نَوَاطِرِهِ!

في مآتم الشعر والاقلام مطرقةً فان ارادته فُصِّت في محابره ا

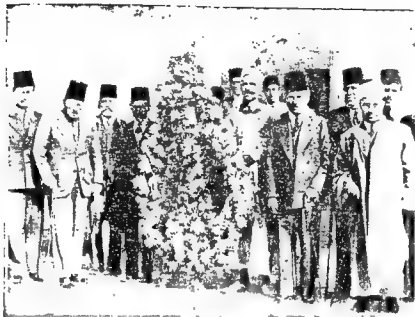
ما بلدة سعدت بالنهر يغمرها بكل ازهر حال العود ناضره
بالبلبل المتغنى في ملاعبه والسنبيل المتنتى في غدائره
بالحقل رعى به القبطان هائلة والنحل يرضع من كدني ازهره



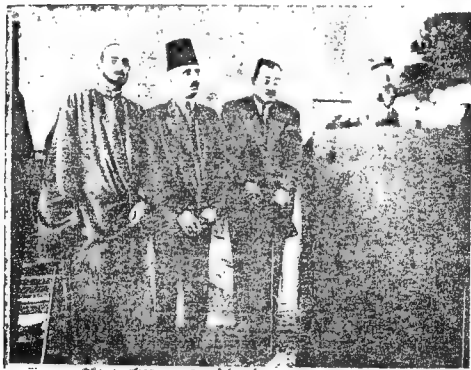
بشارة الخوري
(صاحب « البرق »)

يستقبل الفجر أهلها بفقرته
ناموا على ممرر الاعراس ، وانتبهوا
على مآتم من طير ومن شجر
بالرزية ... غالى النهر غائله
فلا الصباح صحوك في شواطئه
وأسلم الزهر أجباداً مننصرة
والناس في غمرق عمياه لا وتر
ما اغطب بالنهر مجرى الروح في بلد
كاغطب يذوى له كون بجملته

ويفرقون اليبال في سرائره
على صباح بكى الطرف غائره
خرساء كالتفير غرق في دياجره
وغار في لهوات من هواجره
ولا المساء تموب في جزائره
للشوك جفت على دامي أظافره
لناشديه ، ولا كيم لسامره
فرد رفيق حواشي الذكر دائره
إذا أصاب الردى شغباً بشاعره



﴿ اكيل العالم العربي ﴾
يضعه مندوبوه على قبر شوقي



﴿ على قبر شوقي ﴾
مندوبوا لبنان (ابراهيم سليم نجار وبشارة الخوري)
ومعهما السيد محمد الغنيمي التفتازاني

ما للعلايب في لُبَنانٍ مُقْفَرَةٍ
وللأذن في التَّيْهَامِ كاسِفَةٍ
وللأصائل والأسحار أُنْحَنَها
وللجداول أناتٍ مُجَرَّحَةٍ
وللندى في التري جَبْشٌ ووَسْوَسةٌ
أودى التريضُ فللاًحزانٍ ما لبستُ
وللنائل مُعْطَلًا من حرائرِهِ
كفاشعِ التَّروِ في داجي مقابرِهِ
عاتٍ من الريح إرْهاقًا بِمُحارِرِهِ
كأنها حَمَلٌ في كَفٍّ ناعِرِهِ
كأنها هَمَسَاتٌ في ضَمائرِهِ
على سليلِ الدارِى من عَباقرِهِ

* * *

تَغَرَّبَ الحُسْنُ والاحسانُ فالتما
لا يستوى المجدُّ الا في مفارقةِ
ما غادرا بلداً الآ الى بلدٍ
حتى أطلَّ على مصرٍ فراعهما
فألْقيا بعضا الترحالِ واعتصما
فأطعِمَ الجودُ من كفى قساوِرِهِ
وجهاً من الأرض هَشاشاً لرائرِهِ
ولا يَصْنُقُ الا في ضفائرِهِ
والحرُّ يُلبِّ من خدِّي مُسافرِهِ
ما زخرَفَ النيلُ من إبداعِ ساحرِهِ
بضغْبِهِ وهاما في حواضرِهِ
وأغْرَبَ الحُسْنُ من عَيْنى جادِرِهِ

* * *

يا مصرُ ما افتتحت عينٌ على حَسَنِ
ولا تفتتُ الأفكارُ عن أدبِ
لبنانٍ يا مصرُ مصرُ في ما تمه
هل كان قلبك الآ في جواهرِهِ
أو كان منببتُ مصرٍ غيرَ منببتهِ
الا وأطلعتِ ألفاً من نظائرِهِ
الا وأنبئتِ روضاً من بواكرِهِ
كما علمتِ ، ومصرُ في بشائرِهِ
أو كان دمك الآ في عجايرِهِ
أو كان شاعرُ مصرٍ غيرَ شاعرِهِ ؟

* * *

شوقى ! أتذكرُ إذ « حاله » موعِداً
وإذ طلعت علينا أصفراً وجلاً
ومحنٌ حولك مُكَافٌ على صنمِ
وأنت تحت يد الآسى ورافتهِ
ولا بتسامتك الصفراء رَجَفَتْها
سائلتيه رفاةً ... خذهُ من كبدى !
نمنا وما نامَ دهرُهُ عن مقاديرِهِ
كالنجمِ خَلَفَ دقيقٍ من ستائرِهِ
في الجاهليَّةِ ماضى البطشِ قاهرِهِ
وبين كل ضعيف القلبِ خائِرِهِ
في مثلها من كليل الطرفِ حائرِهِ ؟
لا يؤخِذُ الشئُ إلا من مصادِرِهِ

* * *

في إشارة النيل لكم غشيت قافية
لو عاد فرعون كانت من ذنائبه
لكن ربك لم يؤثر بها أحداً
إرتت لغاروق صان الله مهبته
في مسمع الدهر ممرها وخاطر
أو حتم الخلد كانت في خناصره
سوى (فؤاد) عماد الملك ناصر
وطائر كم حكى عن سعد طائره

بشارة الخوري

(الاضطال الصغير)



شاعر الدنيا

لا الأمل يسلبك الخلود ولا الغد
تجدد الدنيا وقلبك وحده
لك من خيالك عالم متناسق
أما البسطة فهي فيه خيلة
وسكنت في الانغام قلبك دمة
خلع الحياة على البلى فكانه
فيس وليلى بعد طول كراها
بشا كمدما القديم فن رأى
هيات انت على الزمان غلڈ
دنيا تميد شبابها وتجدد
بهج تنمق خلقه وتجوّد
ولع الربيع بها ورحت تغرد
لا كالدموع ورحمة تقتهد
البعث من قبل الأوائ يمد
نفر يرفه ووجنة تتورد
تلك الميون يحول فيها الأعدا

في كل قافية حياة تمجّلى
صور الجزيرة ما جالت من العلا
الحب والخيم المنيفة والقرى
وسكنية الصحراء الآ هازجا
ومنى تضوع وزفرة تتردّد
والحسن لا ما أولته الحسد
ولبانة عند الكتيب وموعد
طرباً يعيد حذاه ويردّد

يا شاعر الدنيا لقد أسكرتها
خفت بزيتها اليك مشوقة
وجلّت على الشعراء قبلك حسنها
نظروا الى خير الوجود وحسنه
الزاهدين بها ولو كشفت لهم
أطريت فتنها فدع في غيه
العبرية شعلة من نارها
والشعر والنغم الشهي ورحمة
يا فتنة الدنيا يذمك معشر
أهلب نبوغك بالحياة وحبا
الكنز بين يديك فأنثر دره

ماذا تغنيها وماذا تنشد ؟
سكرى تداعب كأسها وتعيد
لكن أراك شهدت ما لم يشهدوا
شزراً كما نظر الضياء الأرمد
سر الحياة المشتى لم يزهوا
من راح يعذل حسنها وفند
حمراء ناضرة اللظى تتوقد
تسع الوجود وتقمع تتوعد
والخير كل الخير في أن يمدوا
وأنا الضمين بأنه لا يحمد
أني أراه يزيد حين مبيد ؟

يا شاعر الدنيا نديك حافل
يتنظرون السحر من جباره
يشكى اليك وانت رهن منية
ولقد يرحى السيف وهو مثل
فاذهب كما ذهب الريح على الربي
ولك الامارة في البيان يقرها
على ابو الفاروق من بليانها

والجمع مصغ والمواكب حشد
هيات دون السحر باب موصد
وتزار في غنت الخطوب وتقصد
ولقد يهاب الليث وهو مصند
منه يد وعلى النفوس له يد
امس الزمان ولا يغنيق بها القد
ويصون عرة ملكها ويؤيد

محمد سليمان الاسمر
(بدوي الجبل)



الفلسفة في شعر شوقي

للدكتور منصور فهمي

استاذ الفلسفة في الجامعة المصرية



حرصت الفلسفة في مختلف ادوارها ونواحيها على ذلك المعنى السامي الذي اصماه شوقي « عبقرية الطبيعة » واراد به الجمال . وقد تغفل هذا المعنى في شعره منذ تغنى به الى ان نزل بشاعرا القضاة المحتوم .

فند القديم عنيت الفلسفة بجمال الأفكار ونسقاها، وعنيت بجمال العمل وخبريته ، وعنيت بتذوق الجمال في الوجود الظاهر ، وعنيت بدقائق الحركة النفسية ورشاقة النفس في تحمُّمها وتركزها وامتدادها وانبساطها لتتصل بالباطن والظاهر ، ولتشرف تارة على روعة الغيب وتارة أخرى على جمال النواميس .

ومنذ القديم حرصت الفلسفة على ان تلم باشتات العلم ، وان تلمس مختلف المعارف لترد ذلك المجموع الى اصول محصر وكليات تمتلك . وقد يكون في ذلك الحرص دليل على ان الافهام تتطلع الى تخليص معاني الوحدة المضيئة من غيوم الكثرة المتلبدة .

ولقد كان شوقي حريصاً على أن يجمع في شعره الحكيم الكليات السامية التي كانت تخلص له من جزئيات العلم ، وتحقيقات التاريخ ، وعبر الحياة الاجتماعية ودقائق حوال النفس . فكان يقول : « ان الشعر ابن ابوين - التاريخ والطبيعة » وكان يقول :

والشعر ما لم يكن ذكرى وطاعةً أو حكمةً فهو تقطيعٌ واوزانٌ

وعلى اساس الزعة الفلسفية من التوجه الى الكليات ، وعلى هذا النحو من تحديده الشعر ، بث شوقي في تشبيهه ، ووصفه ، واجتماعياته ، وزهادته ، وتدينه ، وتأثره ، كل الاصول التي تتكشف عن المجال في روعته ، والحكمة في سلطانها ، والفلسفة في روحها ، — والشواهد على ذلك كثيرة .

ومنذ القديم راضت الفلسفة اهلها على مادات من التواضع العلمى له اساليبه
حتى ان الجزم والقطع اكره الى اكثرهم من التردد والحيرة ، وبخاصة اذا استطالت
اذهانهم الى اعقد المسائل : كالنفس ، والموت ، والحياة ، والحقيقة ، والحكم على
قيم الأمور .



الدكتور منصور فهمى

وقد يبدو ذلك التواضع العلمى ويلوح ذلك التحير العقلى فى شعر شوقى عن
هذه المسائل فيقدر مشاق البحث ويعلم العجز عن الوصول الى ادراك تلك
الاسرار . ويظهر ذلك فى مخاطبته للنفس إذ يقول :

صنّى قناعك يا سعاداً او ارفعى هذى الحاسن ما خلقتن لبرقع
الضاحيات الضاحكات ودونها ستر الجلال ويحدّ شأو المطلع

ذهب « ابن سينا » لم يفز بك ساعة وتولت الحكماء لم تتمتع
هذا مقام كل عز دونه خمس النهار بمنله لم تطمع
ما بال « احمد » تحى عنك بيانه بل ما « لعيسى » لم يقل او يدّع

وإذا مست عبقريته مسألة الموت تحتضن الحيرة شعره وترضعه روعة ووداعة
وتسلياً فيقول :

في الموت ما أعيا وفي أسبابه كلٌ امرئٍ رهن بطي كتابه
وكذلك يقول :

يا صاحب العصر الخالي ألا خبرٌ عن عالم الموت يرويه الألباء ؟
أما الحياة فأمر قد وصفت لنا فهل لما بعد تمثيل وإدناء ؟
عن أماتك قل لي : كيف ججمة غبراء في ظلمات الأرض جوفاء ؟
وعند ما يتحدث عن سر الحياة فيما قرأ له من ثرأو شعر تتحدث معه الحيرة
الفلسفية في قلق وصفاء فيقول في الحياة : « قل لمن أطال التفكير ، وبالغ في التكبر ،
وكذب باله ، ومد ببلاله ، واحترق احتراق اللبالة :

خل اهتمامك ناهية وخذ الحياة كما هيبة ! »

كذلك يقول : « الحق أن افتئات الفلسفة على ضنائن الله سفه . وإن علم الحياة
عند الذي يهبها ويستردّها ، والذي يقصرها ويمدّها ، والذي يخلقها ويستجدّها ،
والذي كل حي سواه يموت ، وكل شيء ما خلاه يفوت » .

ويقول عند ما يفكر في كنه الحقيقة : « أتينا العناصر من عنصرها ، وردد
الجواهر إلى جوهرها . اطرحنّا فاسترحنا ، وسلعنا فسلمنا ، وآمنا فأمنا . وما الفرق
بيننا وبينك إلا أنك قد عجّزت فقلت : سر من الاسرار ، وعجّزنا نحن فقلنا : الله
وداه كل ستار ! »

وإذا نظر شوق إلى مسافة تقدير القيم وهي من أهم مسائل الفلسفة الحديثة
يبدو تحيره فيها تواضع الناس على رفع قيمته حتى أن عواطفه وتفكيره قد تشكّكه
أحياناً في قيمة العلم ومظاهره فيقول :

فأفتر على العلم الذي تدّعون إذا كان في علم النفوس رداها !

ويقول : « لو طلب إلى الناس أن يحذفوا اللهو وفصول القول من كلامهم
لكاد السكوت في مجالسهم يحل محل الكلام ! ولو طلب إليهم أن ينقوا مكاتبتهم من
تافه الكتب وعقيمها ، وألا يدخروا فيها إلا القيم العبقري من الاسفار ، لما بقي لهم
من كل ألف ريق إلا ريق ! »

على أن لا هل الفلسفة أكثر من أسلوب في استعراض مسائل الكون والحياة وفهما : فمنهم من يستخدم عقله الخالص في شدته وعنفوانه لينظر الى الأمور من جهة الواقع المستقل عن العقل ووجوده . ومنهم من يستخدم قوى نفسه جميعاً بما تشمله نفسه من حدة الحساسية ودقة التفكير ولطف الوجدان لينظر الى الأمور نظرة تنطبع عليها مسحة النفسية ويربط بين ادراك الأمور وبين حدة حساسيته ولطف وجدانه . وقد يبدو للناظر أن هذا الصنف من النظر موضع التناقض ، ولكن لو أنصف الناظر لرأى أن للعقل الخالص الجبار أسلوبه الخاص الصالح ، والنفس الحساسة أسلوبها المميز الكريم : فتنطق العقل الخالص يتحاشى التناقض ومظاهره ، وأما منطق النفس والعاطفة فيسير مترجماً طروباً ويبدو مضطرباً ولكنه بالرغم من مظاهر الاضطراب فنصيبه التوفيق والصواب . وفلاسفة هذا الأسلوب الثاني انما يدركون الحياة وآثارها النفسية في صورها المتغيرة بتغير شؤونها وثقافتها وحضاراتها .

وكان شوقي كهؤلاء الفلاسفة يحسّ بهمال الوجود والحياة المنبت في نواحي متقابلة فيخيل للرائي أن ثم تناقضاً حيث لا تناقض .

فقد تسببه يترنم بنغمة المسالم المستسلم الذي يدع الأمور لتصاريف الزمان فيقول :

فدع كل طافية للوما ن فإن الزمان يقيم الصغر
وقد تسمعه في نغمة المستأسد فيقول :

يا طير والامثال متف	سرب لليبب الامثل
دنياك من عاداتها	الأ تكون لاعزل
جعلت الحرس يبتلى	في ذى الحياة ويتلى
يؤمى ويرمى في جه	د العيش غير مغفل
مستجمع كالبيت إن	يجهل عليه يجهل

وقد نجد شوقي لا يترقب عن ينكرون قديمهم فيقول :

لا تحذو حذو عصاية مقتونة يجدون كل قديم شئ منكرا
ولو استطاعوا في الجامع انكروا من مات من آباءهم او عمرا
ثم يقول من ناحية أخرى ليحضر بشئ الاساليب على السبق الى التجديد :
قل للشباب زمانكم متحرك هل تأخذون القسط من دورانه ؟

ويقول :

مصرته تمجد مجدّها . بنائها المتجددات
النوافرات من الجو دكانه شح المات

وشوق يجهر بلذائذ الحياة ونعيمها فيقول :

روحو القلب بلذات الصبا فكفى الشيب بحالا للكدر
فصبا لظلم كثيره دائم وصبا الدنيا عزيز مختصر

ويلشد للزهادة والصد عن الدنيا فيقول :

لبت شعري الى م تقتل لنا من على ذى الدنيّة الفسنة
مالم قتلّب واحلام خلق يتبارى غباوة وفضلانة

ويقول على قبر نابليون :

يا كثير الصيد للصيد العلا قم تأمل كيف صادتك المنون
قم تر الدنيا كما قادرتها منزل القدر وماء الخادعين

وشوق يمجّد المال ويعلّي شأنه فيقول :

بالعلم والمال بيني الناس ملكهم لم يمين ملك على جهل واقلال
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا رأيا رأى ، ومتقالا لمنقال

ثم يعارض ذلك بقوله :

ولم أر مثل جمع المال داء ولا مثل البخيل به مصابا
فلا تقتلك شهوته وزنها كما تزن الطعام أو الشرايا

وقد يترنم الشاعر الكبير بجمال القوة فيقول :

ولكن على الجيش ترقى البلاد وبالعلم تنشد اركائها

وقد يفرد للسلام فيقول :

« جبريل » أنت هدى السما وانت برهان العناية
أبسط جناحيك التيمنها الطهارة والهداية
وزد « الحلال » من الكرام « الصليب » من الرعايه
فهما ربك راية والحرب للشيطان رايه

يتبين جلياً مما قدمنا ان نفس شوقي الشاعر كانت تنوَّب الى كل ما في الوجود من متوَّع المعاني ، وكان يستفزها معنى الجمال حيث كان في ايَّها ، ومهما تعددت لديها سبله فقرارها عند الجمال ومرجعها اليه .

ومثل الشاعر في ذلك مثل الفيلسوف الذي ينفسح له افق الفروض والآراء فينسع صدره لتختلف المذاهب وهو يشخص دائماً الى الحقيقة ، وكلامها يحيره نسق الجمال ونسق الحق ، وكلامها يرنو الوجود من أنبل ناحيته أو من ناحية واحدة : من ناحية ذلك النسق الواسع الابدي الازل ، من ناحية الله .

إذن كان شوقي يشجى من كل نعمة : يشجى اذا هو انشد للزهد ، ويشجى اذا انشد للنومة . يشجى اذا هو تمنى للحرب ، واذا هو تمنى للسلام . يشجى اذا هو حيا الغابر ، ويشجى اذا هو حيا الحاضر .

على اننا اذا ذكرنا موجزين عدة نواحي من شعر شوقي يبدو فيها معنى الجمال وزعانه الفلسفية ، فن الحق ان نغير اشارة خاصة الى شعره الذي تبدو فيه معاني الذكريات ، تلك المعاني التي تسمى عند الفلاسفة بالزمن النفسى . ولعل لا أسرف اذا قلت ان ما يتجلى منها في شعر شوقي انما هو صفوة من الشعر الانبائى يهتز له القلب لانه يفصح عن اخطر ما يضر الزمان وعن اصنى ما يمتك من التاريخ :

فمناجى جلق وانشد رسم من بانوا مشى على الرمم احداث واُزمان
هذا الاديم كتاب لا كفاه له رث الصحائف باق منه عنوان

مررت بالمسجد المحزون اسأله : هل فى المصلى أو المحراب مروان ؟
تغير المسجد المحزون واختلقت على المنابر أحرار وعبدان
فلا الأذان اذان فى منارته اذا تملأ ، ولا الاذان آذان !

فى ذمة الخلد انت ايها المفتى بالجمال ! وفى ذمة الله يا شاعر الطبيعة والوصف والوجد والذكريات ! نذكرك ولبت لنا مواهبك فى احياء الذكرى . نذكرك ذكر من قدرك واحبب بك وتذوق ودك الجميل وكان خليقاً بأن يقابل ذلك الود بتحية صادقة . نذكرك ونحن نوقن أن ما تركت من الذخائر الأدبية الخالدة ستظل متاعاً عزيزاً وأنساً للأجيال ومفخرة من مفاخر الشرق العربى ، فعلى روحك السلام !

شاعر الكون

شاعر الكون عزّ فيك عزائي
انت أحرسي بأن تُؤدّي لك الرثو
يا بنات القريض قد مات شوقي
وأطْلَنَ البكاء دهرًا طويلًا
كم أعزّ القريض إذ حَمَلَ الرا
كيف مثلي يَفِيكَ حقّ الرثاء ؟
حُ فداءً إن صحَّ معنى القدام
فَمَنْ فاندُبْنِ نكبه الأديب
ذا أوانُ النحيب والشبراح
يه فاعترّ جانبُ الشعراء

« ٠ »

يا أميرَ البيانَ نَظْمًا ونشراً
لك روحٌ كم حَلَقَتْ في مُعلاها
لك وصفٌ يَدَقُّ عن كل وصف
ومَعَانٍ كأنها الوحي تولى
في فصيحِ الألفاظ تنظم كالدرّ
وأناشيدٌ في المحافل سارت
كم تَفَنَّى بها (محمد) ^(١) حتى
وأفاصيعُ المسارح تَبْقَى
في سبيل الخلود (شوقي) وقد كُنْ
كم نفحتَ العَظِيمَ منك رثاء
روحٌ عيسى في روحك الحى تبدو
وسرى الخيال خلفَ المرآة
وصلت بيننا وبين السماء
دونه الرّممُ غاية في الجلاء
لرسول من نخبة الأنبياء
فيبدو القصيدُ جمّ الرواء
كسِرَ الرّياح في الأجواء
لقبوه بها أميرَ الفناء
أبدَ الدهر مُبْتَغَى كلّ راء
تَ بحق مَخْلَدِ العطاء
فقدنا بالرثاء في الأحياء
فتردّ الحياة بالإعلاء !

« ٠ »

أيها الشرقُ مات (شوقي) فرجّع
مات قلبٌ عليك فاضّ حينئذٍ
لك يا مصرُ كلّ يومٍ مُصابٌ
ما فرغنا من يوم (حافظ) حتى
نَمّ الحزن واحتفلَ بالبكاء
فانظمَ الدمعُ آيةً للوفا
فتى يأذن الأسمى باتهام ؟
مات (شوقي) ... فياهول القضاء !
هاشم عبر الحى

نبي الشعر

جلّ الآله (أبولو) في مراقبه
وقدّست حكمة في الشعر مرسله
له التصرف في وجداننا وله
إن شاء يطربنا غنى قلبنا
أو شاء يحزننا فالعود في يده
فليس يلحقه عتب على عمل

وجلّ من جبل (الأولمب^(١)) كريمه
جاءت منظمة كالدر من فيه
حق التصرف أنى شاء يزجيه
روح من الوجد أو روح من التيه
يبدل النغم أو يرخي أواخيه^(٢)
بانت مشيته في الخلق تجريه

بالأمس خصّ نبي^(٣) الشعر صرته
قد جاء من وطن الإلهام يُبلغنا
ويتمّ (النيل) فاستوحى الحسام به
وبث في الزهر أنفاساً يرددها
وهب للبحر يعلّى ما يردده
وفي جناح الدجى أرمى سكيلته

واليوم يرفعه عنا ويملئه
رسالة الشعر في أصمى معانيه
روح الحياة على شدي يفتيه
عند الصباح وحسناً فيه ما فيه
وأرسل الريح تروى عن أواخيه^(٤)
وعلم العنن صوتاً في تنليه

تلك جنود الهوى توفى مسخرة
الحب باطنها ، والشعر مظهرها

ما كان يودعه فيها ويؤليه
والكون مسرحها أو ما تاجها

واليوم أكل ما أوحى الآله به
من الحياة إذا غاضت بفجرها ؟
(أبولو) أنت الذى وليته علماً
هى الحياة تبدت في دجنّتها

وتلك دعوته فرض يوديه
من الشعور إذا مات نحبه ؟
فكيف تأخذ منه ما تؤليه ؟
وضاع في الكون صوت لا يؤاتيه

محمد عثمان محجوب

الخرطوم — (كلية غوردون)

(١) جبل أوليموس في بلاد اليونان ، وكان يعتقد قديماً أن قته الجبلية بالسحب مسكن الآلهة

(٢) أولاده . (٣) شوقي . (٤) أمواجه .



﴿ قبر فقيد الغناء والتمثيل ﴾

المرحوم الشيخ سلامه حجازى

الذى أنشأه صريده ، وهو مثال نبيل لما ينبغي عمله لشوق وحافظ
ولغيرهما من أعلام الفن والأدب والعلم فى مصر





احمد سوقي بك
صورة المستوحى الشارد اللب

امير البيان

إحتفى التاريخ بالسفر الجليل
وارتقى الراحل شأواً خالداً
يا أمير الشعر هل يأسى الذى
إنما الروعة فىنا والآسى
مرجع الآداب من جيل لجيل
قد بنى منزله قبل الرحيل؟
سام الأبطال فى المجد الأثيل؟
مالنا نحو التأسى من سبيل

« • »

بصكت الضاد ، فهل بارقة
أم مضى العهد ودالت للبل
إنه الموت محدى لغة
قلعاً للموت مما آدنا
منك تهديا الى الصبر الجليل
قوة أوحى بيانا لرسول؟
فى صميم القلب بالكلم الويل
ورثا لبيان مستحيل

« • »

مبدع القصة فى الشعر وما
نهضة أجدت علينا مسرحاً
زدهى الآداب فى باقته
كان فى النصيح لها ضوء قتل
عربي اللفظ والروح النبيل
بذلك فيها ازدهاراً بذبول

■ • ■

ذى (كلوبترا) وما أروعها
أنصف التاريخ فيها وامتحت
قد تلا فى سناها أفق
صورة من مصر فى نشوتها
شاهدها الشمس والنيل ، وما
زهت الأولى على عرش (منا)
مجد العزة فيها والهوى
وترى الملكة فيها لباة
(الحياة الحث) من ألحائها
لحة الماضى وترجيع الهديل
لوقت الدام وارجاف الدخيل
زاهر المجد على العهد الطويل
تبعث الأيام من واد ظليل
أصدق الأشهد من شمس ونيل
وجرى الثانى بعام سلسيل
والجنان التثبت فى الخطب المهيل
تفتدى الوادى بأبنار الأقول
ممتعة النفس وتأسا الخليل

وَذُو (مجنون) ليلي أثر
 رام (قيس) قرب (ليلي) ومضى
 يتلقى الوحي عن شيطانه
 يذكر (الليل) وما أمتعه
 علاً البيد بها مقتحماً
 وهي تجزيه عن الحب هوى
 لكن العرف وما أتجه
 منعها قرب (قيس) وقضت
 قطعة رائعة في فنها
 قد تلتها درر منضودة

« • »

والأغاني التي هدتها
 عزف موسيقى وسحر عجب
 يسلك (الليل) بها سيرته
 ها هنا شجوه وفي الدوح أسى
 وعيون ساهدات في الهوى
 يلمح الفجر على هدتها
 فتوازي لوعة الليل الى

« • »

وترى (البلبل حيران) به
 أسكرته منه أنفاس الرضا
 يلعب الليل به من قنن
 مال نحو الورد ما نبت
 هام بالقرب ففنى طرباً

« • »

خطوات خالدة قد نعت
 عن نواحي الفكر أبواب الخلود

وفنونهم صعد الشعر بها وأصابته منك إرواء الغليل

« • »

تلك (شوقي) قلعة من كثرة
ثروة حافلة أودعها
انتقيت الدر في جواهرها
فاسترح في جنوة راضية
وضئيل عُدَّ من أدب جليل
حكمة الدهر واصحاح النقول
وخلقت التبت في الأرض المحول
بجوار الحق مكفول القبول

محرر فريد عبر القادر



عمره يتقدم

نزل عرش التقيض من أركانه
وطوى الموت دولة من بيات
أيها الموت ! من نعت ؟ رويداً !
حين قالوا : قضى أمير القوافي
وتخلى كمره عن إيوانه
لم يشدها الشيد في بغداده
كاد قلبي يكف عن خفقانه !
حل يوم الحساب قبل أوانه !
لا روى النيل بعد شوقي حزينا
قلبه لا يسيل من أخفانه !

■ • ■

فجيع الشعر بعده في ابن حجر
لا لعمري ، ما بات ينصف شوقي
إن شوقي عنوان خير زمان
ما وني في خطاه يل سار يقفو
وأصيب البيان في سحابة
من يرى السابقين من أقرانه
فاستبينوا الكتاب من عنوانه
عصره وهو آخذ بعنانه
وكذا الشاعر الأريب تراه
صورة حية لأهل زمانه

« • »

أهمّ الشرق أرهفت أذنيها تستعيد الغناء من كروانه
قلّ لهم: قد رماه سهم المنايا وهو يشدو قال عن غصن بانه
بعد أن جاب شعره كل أفق وسرى كالنسيم في مريانه
ربّ ركبٍ حدا به، ربّ خدر دار فيه على لسان حسانه



محمود غنم

ربّ تلميذ قد أكسب عليه مثل اكبابه على قرآنه
هو نجوى الخلى إذ يتغنى وهو سلوى الحزين في أحزانه
هو ينبوع تستقى الوعظ منه مثلما تستقيه من لقمانه

« • »

جاء شوقي فوجّه الشعر أنى شاء كالفلك في يدي ربّانه
فكانّ التريض كان عيباً وهو قد حلّ عقده من لسانه
ربّ حاكٍ أمدّه بأغانٍ هي مثل الخير في جريانه
كلما مرّت الشباة عليها حنّ قلبي فذاب في تحنانه
فكانّ الفؤاد إذ ذاك طير ذوجنا حين ضل عن أغصانه
أتراه أقام في كل قلب فرأى ما استكنّ من أشجانه؟!
كم نمانٍ أعاده بعد مطر فسكّاني أعيش في أبانه

لكاني بخيل قبيز جاءت
وبقيس أسمى بهم بليلي
وكاني بقيصر الروم صباً
وكاني أرى الممالك حولي
فأذلت فرعون في طغيانه
مع وحش القلابة في قبيعانه
لاهيأ بالغرام عن سلطانه
وفتى عبس فوق ظهر حصانه

« . »

ياحبطاً طفئ على واصفيه
قسماً ما توغلو فيه لكن
مثلوا ساحليه للناس لكن
ليت شيطانه أفاض عليهم
فلقد كل حين يرثي دفيناً
رباً نجم هوى فلما رثاه
فكان المسيح ينفخ فيه
قد تحدى المصورين بما لم
يبين يصور الصمت والصو
ويراع لو كان في عهد موسى
وخيال الى عطارد يسمو
ويجوب المحيط شرقاً وغرباً
ويزيح الستار عن كل صدر
شاعر لم يقف بيباب أمير
لايقول القريض زلي، ولكن
لارعى الله من يتاجر بالشعر
إن حرص التقي على فنه من
فانشوا غارقين في طوفانه
هو بحر مشوا على شطآنه
لم يفوصوا على يتم جانه
بعض إعجازه وسحر بيانه
كاد يسرى الصدى الى آذانه
عاد من فوره الى دورانه
فتمود الحياة في جثانه
يستطعه مصوّر بيانه
ت وضوء الشهاب في لمعانه
خاف من سحره على ثعبانه
فيقمن الأخبار عن سكانه
ثم يروى للناس عن حبيته
فيرى ما انطوى على كتمان
أملاً أن يصيب من إحسانه
هو من يؤتى الى فثانه
ر ويرضى بالبئس من أثمانه
بعض حرص التقي على إيمانه

« . »

مات شوقي في سبيل المعالي
ليس شعراً ما ليس ينحته الشا
كل بيت لشاعر قطرة من
مات شوقي وخلده القوافي
محنة قد أسأها في بيانه
عر تحتاً من قلبه وجثانه
دمه قد تدفقت من لسانه
فأطلوا عليه من ديوانه
محمود غنيم

الفجعة المخزية

أَحْتَارَمِي المَوْتَ فِي مِصْرَ (شوقي)
لَقَدْ حُرِّمَ الشَّعْرُ قَرِيَّةً
فَمَنْ مُبْلِغُ الشَّمْسِ أَنْ ضَحَاها
وَمَنْ مُبْلِغُ الزَّهْرِ أَنْ سَنَاها
إِذَا كَبِدَتْ فِي غَدِ قِطْعَةٍ
لَقَدْ كَانَ (شوقي) يَصُوغُ ضِيَاها
وَيَسْجُجُ أَرْوَاحَهُ مِنْ سَنَاها
وَكَمْ شَادَ (شوقي) عَنِ الطَّيْرِ شِعْرًا
وَكَمْ صَاغَ شَوْقِي مِنَ الزَّهْرِ نَظْمًا
يَرَى فِي الطَّبِيعَةِ وَجْهَ جَمَالِهِ
وَيَنْظُرُ فِي الْكَوْنِ مَنْظَرَ حُكْمِهِ
وَيَبْحَثُ فِي مِصْرَ هَمًّا اجْتِلَاها
فَأَمَّا عَنِ الْخُلُقِ فَهُوَ رَسُولُهُ
فَكَمْ صَاغَ فِي مِصْرَ (شوقي) وَنَادَى
وَحَثَّ عَلَى الْعِلْمِ فَهُوَ سِرَاجُهُ
وَأَحْيَا لَشَبَابُهَا نَهْضَةً
وَعَدَى عَلَى الشَّعْرِ أَلْبَابَهُمْ
فَإِنْ ذَكَرَ الشَّعْرُ أَلْقَيْتَ (شوقي)
فَكَمْ لِلْأَمِيرِ فَرَاثِدُ عَيْنٍ
تَقَعُّ حَيَاةَ الْأَوَاخِرِ شِعْرًا
يُشَاطِرُ (هُومِرَ) نَظْمَ الْحَيَاةِ
صَدَى لَهْمِ الدَّهْرِ فِي الشَّرْقِ يَنْمَى
فَرَاثِدُ لَمَّا يَسْمَعُ سَوَى أَنْ
لِعَمْرِكَ مَا إِنْ وَفَيْتُ بِشَيْءٍ
فَرَمَاتِ عِبْرَ الْخَالِ

فَرُوِّعَ مِنْ مَوْتِهِ كُلُّ شَرَفِي ؟
فَأَظْلَمَ مِنْ نُورِهِ كُلُّ أَفْقِي
تَوَى فِي سَوَادِ الثَّرَى طَيَّ شَقِي ؟
عَرَفْتُ يَدَ الْمَوْتِ رَهْنًا بِحَقِّي ؟
مِنْ اللَّيْلِ تَوَى عَلَيْهَا بِحَقِّي
وَيُخَلِّجُنِي بِهِ كُلَّ وَجْهِ وَعَنْقِي
تَفْضِي عَلَى لَابِسٍ مُسْتَحَقِّ
وَعَنْ رِزْهِرٍ وَمِثَالِهِ « رَقِي »
يَهْبُ أَرْجَاؤِي عَلَى كُلِّ أَفْقِي
فَيَذْكُرُ عَلَى خُسْنِهِ قَلْبَ عَشْقِي
فَيُخْرِجُ مِنْ صَبْغَتِهَا آتَى نَظْمِي
وَعَمَّا ابْتَلَاها ، فَيَنْمَى ، وَيُثْقِي
إِلَى الْخُلُقِ يَصْلُحُهُ أَوْ يُرَفِّي
بِأَنَّ مُعْلَاهَا عَلَى رُكْنِ خُلُقِي
وَقَادَ إِلَيْهِ الشَّبَابُ بِعَيْدِي
وَرَبَى عَلَيْهَا الطَّبِيعُ بِرَفْقِي
فَكَانُوا لِنَهْضَتِهَا لُثْمٌ صَدَقِي
أَمِيرَ الْقَوَائِي جَدِيرًا بِسَبْقِي
تَفْضِي بِحُكْمِ وَفْنٍ وَذَوْقِي
وَتَحْكِي سَطُورَ الْأَوَالِ بِسَمْعِي
فَهَذَا بِشَقِيَّ وَذَاكَ بِشَقِيَّ
وَيَقْضِي فَيُثْقِي ، وَيُطْرَى فَيُثْقِي
أَشِيرَ إِلَيْهَا ، وَذَاكَ طَوْقِي
فَلَمْ يَوْفِ (شوقي) سَوَى شِعْرِ (شوقي) !

السمر الفني في نظم شوقي بك

يقول الفاضل على محمد البحراوى سكرتير (جاعة الأدب المصرى) فى مقاله هذا المنشور فى العدد الخاص من « أبولو » صفحة ٣٩٨ : « وأذكر أن صديقاً من الأدباء الممتازين كان واضح الإعجاب بالمعنى الذى تضمنه البيت الآتى الذى نظمته شوقي على لسان قيس فى رواية مجنون ليلى :

كَيْلَى ، منادٍ دما ليلى نغفٍ له نشوانٌ فى جنباتِ الصدر عريدهُ !

وكان الصديق يلتى البيت إلقاءً بديعاً فذكره لشوقي وسأله عن ظروف نظم هذا المعنى الرائع . فاهتزَّ شوقي للبيت لدى سماعه اهتزازنا له وفاض فى لجّة من التفكير أذهله عن سؤال الصديق لحظةً .. فلما انتبه وذكر السؤال بإدرالى الجواب ولم يكن إلا كلمة واحدة : لا أدرى ! « قال الكاتب : « وهذا حقٌّ » ، فإن شوقي لم يكن يدرى كيف هبط هذا المعنى عليه ، فهو وحى المبقرية !

ثم أشار الكاتب الى مقال الذى نشره « المقتطف » عن شوقي رحمه الله وزعم أنى وثقت فى هذا المقال الى حيزٍ لم يكن يُنتظر من أحد شعراء المدرسة القديمة... قال : « ولكن ثمة مسألة جديرة بالبحث : تلك هى إعجابه ببراعة شوقي فى استخراج المعانى وتوليدها من معانى غيره من الشعراء المتقدمين أو أخذه على شوقي عدم توفيقه الى ذلك » . ثم تفضل علينا حضرته ببناء عظيم هو أن نصينا من الروح الفنية محدودٍ فى رأى حضرته ، وكان يستطيع أن يقول إنه لا نصيب لنا من هذه الروح . ثم زعم أن الشعر الفنى لا يجرى عليه ما يجرى على سائر المنظوم من أقيسة التوليد والاستخراج ، الخ .

وكان للكاتب يذهب الى مناقضتنا ويحتج ببيت شوقي الذى هبط عليه وحى المبقرية ، لأن هذا الوحى فى رأيه يجعل المواقف متشابهة فى الحياة . وأظنه لو سئل مثلاً على ذلك لقال : كما يتشابه الناس فى الأكل والمضغ بأسنانهم وأضراسهم الطبيعية أو الصناعية ... فلا يقال إن أحداً قلّد أحداً فى ذلك !

ولكن ماذا يرى الكاتب إذا قلت له إن شوقي لم يصدق فى قوله : « لا أدرى !

وإن الكاتب نفسه لم يصدق في قوله : « وهذا حق » فإن شوقي لم يكن يدري الخ...؟
 أن شوقي كان يدري نفع سائله ، وإنك أنت لم تدر نفع قراءك ، لأن ذلك
 المعنى الذى تقول إنه رائع وأنه وحى العبقريّة وهو قول شوقي :
 كَيْلَى ، منادٍ دعا ليلي نغفَّ له نشوانٌ في جنباتِ الصدرِ عريداً
 هو بعينه قول المجنون :

دعا باسم ليلي غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدرى
 ويبت المجنون أشد امتلاءً بالحسن وأبدع تصويراً للمعنى وأسلم في عباراته من
 التكلف وأبعد عن التلفيق الذى يجعل القلب نشوان عريداً كأنه ليس في أضلاع
 صاحبه بل في حانة بولاناكى...!

وفى بيت شوقي غلطة نحوية يجب أن لا نلحق على أيّ أدب

مصطفى صادق الرافعى

(سننشر مختارات أخرى من المراتى والدراسات فى العدد الآتى)

حمد



النأي المحترق



كم مرقٍ يا حبيبي والليلُ يَغشى البرايا
 أهدم وحدي وما في الـ ظلام شاكٍ سوايا
 أصيرُ النعمَ لحناً وأجعل الشعر نايا
 ما أنعم النأي بين الـ حتى وبين المنايا !
 أظنُّ أطلب منه سلوى تبلّ صدايا !
 وهل يلجئُ حطامُ أشعلته بمجوايا
 النارُ توغل فيه والريحُ تنرو البقايا
 ما زال يشدو حزناً مرجعاً شكوايا
 مستعطفاً من طوينا على هواه الطوايا
 حتى مرى لي خيالاً عرفته في صبايا
 أدنو إليه وتدنو لشفره شفتاي
 إذا بحلم كذوب واستيقظت عينايا
 ودحتُ أصنئ وأصنئ لم ألف إلا صدايا !

إبراهيم ناجي



الامل الطامح

أيها الهاوى الى وادى الفناء املى الممول فى واديك طامح
شدت صرحاً من تمنى ورجاه فاذا صرحى تذروه الرياح

كيف بالعيش اذا ضاع الأمل ؟ اسبحى يا نفس فى لُحج الغيال
لا تقول «ليس» بل قولى «لعل» وتعالى ندد اليأس تعالى

لكأننى قت أجتاح الجبال أو تملقت بأسباب القمر
أو طلبت الدفء فى قطب الشمال وافقدت الشمس فى وقت السحر

لا لعمري ! أنا ما رمت محالاً غير أن الناس فى الدنيا طباع
كلفتى بسطة العيش ابتذالاً وأديم الوجه فال لا يباع

ليس أغلى من إياى فى يدباً فليمد الدهر الباقي يدب
أنا لا أطلب غير القوت شيئاً وإذا ما عز لا أبكى عليه

ها هو العالم من عيني قريب غير أنى لى دين وهو دين
فكأنى فى الودى خلق غريب أثرانى لست من ما هو وطن

محمد رغبهم

قمره العين

يَهْلُ الوليدُ مَهْلُ القمرِ
لَقَدْ كَانَ فِي الْغَيْبِ رَبِّبَ أَبِيهِ
وَقَدْ كَانَ فِي الْقَلْبِ حَلَوَ رَجَاهِ
تَحْيِشِ الْأَمَانِي عَلَى ذِكْرِهِ
إِذَا صَاحَ فِي الْبَيْتِ هَزَّ صَدَاهِ
كَأَنَّ صَدَاهُ صَدَى الْعَنْدَلِيبِ
مُبَهَّرَجٍ مِنْ غَيْرِ مَا كَلَفَهُ
فِيَجْعَلُ مِنْ بَيْتِهِ مَسْرَحًا
فَتَلَهُو بِهِ الْأُمُّ حِينَ الْفَرَاغِ
فَلَوْلَاهُ كَانَ الْفَرَاغُ مَرَدًّا
يُرْوَحُ أَبُوهُ وَفِي جِيدِهِ
فَا هُوَ إِلَّا عُنَاقٌ لَذِيذِ
تَذَوُّبِ الْمَهْمُومِ عَلَى قَبْلَةٍ
وَتَصْفُو الْحَيَاةَ عَلَى بَسْمَةٍ
وَتَذْكُو الْمَحَبَّةَ فِي نَظَرَةٍ
وَلَكِنْ — سَبْحَانَ رَبِّي — إِذَا
فَهَذَا الَّذِي يَسْتَدِرُّ النِّعَمَ
إِذَا صَحَّ طَفْلُكَ أَصْبَحَ نَعْمًا
فَأَنْتَ الَّذِي دُونَهُ قَدْ غَدَا
إِلَى أَنْ يُبْلَ " فَأَنْتَ عَلِيلٌ
تَوَدُّ لَوْ أَنَّ الَّذِي سَاءَ
وَيَا رِمَا كُنْتَ ذَا شَقْوَةٍ
وَتَوَزَّرَ بِالَّذِي كُنْتَ قَدْ
تَمَوْتُ لِيَجِيءَ ، وَلَتَشْقَى لِيَبْقَى
تَرِيدُ الْخُلُودَ بِرُغْمِ الْبَدَى

فِيَجْلُو سَنَاهُ ضِيَاءَ الْبَصَرِ
فَا يَبِينُ أُنْثَى وَيَبِينُ ذَكَرُ
فَأَصْبَحَ فِي الْعَيْنِ يَجْلُو النَّظَرُ
وَيَحْلُو عَلَى شَفْتَيْهِ السَّمَرُ
جَوَانِبُهُ كَاهْتِزَازِ الشَّجَرِ
إِذَا الْعَنْدَلِيبُ شَدَا فِي السَّحَرِ
فِيضْحَكُهُ غَيْرُ الثُّغُورِ الْحَجَرِ
فَقَبْلَهُ «الْكُومِيْدِيَا» وَفِيهِ الْعُورُ» (١)
كَكْسَهُ الْوَلِيدُ بِضَرْبِ الْأَكْرِ
وَكَانَتْ حَيَاةُ الْبُيُوتِ أَمْرًا
حِبَالُ الْوَزَايَا عَلَيْهِ تَزُرُّ
يَحُلُّ عَرَاهَا كَحُلِّ الْقَمَرِ
مَنْ الْقَمِ حَلَوَ الْعَمَى وَالْأَشْرُ
تَضَى دَجَى النَّفْسِ إِذْ تَعْتَكُرُ
مَنْ الْعَيْنِ نَاسِنَاهَا وَالْحَوَرُ
حَبَا الشَّهْدِ فِي النَّحْلِ أُعْطِيَ الْإِبْرُ
لَأَهْلِيهِ يُوْرِي لَهْمَ بِالْشَّرِّ
وَإِنْ هُوَ مُضَرٌّ فَذَلِكَ الضَّرُّ
عَلِيلًا إِذَا اعْتَلَّ مِنْهُ طَفْرُ
وَحَتَّى يَنَامَ فَأَنْتَ السَّهْرُ
يَسُوْؤُكَ وَهُوَ صَبِيحُ مُسَرِّ
وَطَفْلُكَ لَا يَسْتَبِينُ الْخَبْرُ
تَضَنَّ بِهِ عَنْ جَمِيعِ الْبَشَرِ
سَعِيدَ الْفُؤَادِ قَرِيرَ الْبَصَرِ
فِيَحْمِلُ طَفْلُكَ مِنْكَ الْإِثْرُ

فَرَمَاتٍ عِبْرَ الْحَالِي

(١) يريد الصور المتحركة أي الحياة . السينا .

الآمال الخادعة

إني أرى الآمالَ لوحةً راسمة
زبدٌ من الأمواج يعلو في الدنيا
هاتِ الكؤوسَ نَعْبُ بِمَا خَبَأَتْ
فأصوغ مما أحسسى شعرَ الأملِ
وأَسِحْ بالسمعِ الخَبِيرِ، وليس لي
أملٌ سوى أملٍ يزيد سقامي !
من محمد محمود

محمد محمود



في القرية

أو

أبناء الطبيعة

رونق شعاع في النرى وعلى الروضة لطف من السما مسكوب
ما أرق الأصيلَ سال بشفاً في شعاع منه القضاة الرحيب !
كلُّ شيء تحت السماء بلون شفقٍ مورّد مخضوب
وكان الآفاق تحتضن الأثر من بأصالها اطار ذهب
متنع العين ! ان حسناً تراه آل من بعد برهة منهوب
والذي يخلع الأصيل على الأثر من بكف الدجى أخيد سليب

منظر الحقول إذ تشرق الشمس
ولقد هرتني مسيلٌ غدير
يظهر الشيء ضدّه وتجاري
وكذاك المرعى الغصيب يجلب

سُجَيْلٌ وإذ يحين الغروب
وعلى جانيه روضٌ عشب
بسواها محاسنٌ وغيوب
ه إلى الناظرين مرعى جديد

• • •

ثم دب المساء تقدمه الأطيا
وغنلا يتلو غنلا ورعيا
يحبس العين لانتشار الدياجي
شفق رائع رويداً رويداً
وترى السحب طية تلوا أخرى
وزاها وشعلة الشفق الآه
كرماد خلاه وانزاح عنه
رُمرعوبةً وريح جنوب
نُ بقطمانهم تضيق الدروب
في السما منظرٌ لطيف مهيب
تحت جنح من الظلام يذوب
قد أجيد التلسيق والترتيب
حر تبدو اثناعها وتغيب
قبس وسط غابة مشبوب ا

• • •

ثم ساء الأفق البخائل تعالى
انه يبعث الفراهة والآن
يعرف الثمة الهنيئة في اليـ
برهة ربما انقضى عمره فق
واستقل السرى أو حرمة القـ
سكنت كل ناقة واستقرت
واحتواهم كالموت نوم عميق
ولقد تحرق المسوء شويبات
أو نداءات حارس وهو في الـ
أو صدى طليقة بنت علها

• • •

ترك الزارع المزارع للكلب فأتى خلاصاً محبوباً
شامخاً كالذي ينط به الحكم ، له جثة بها وذهب ا
ان " جهه الفلاح خفف عنه جهده فهو مستكن اديب

وهو في الليل غيره الصبح وحش
فاحش فطره ونابه، أحلى
انه عن رعاية الحقل مشو
وكثيراً ما سره انه را
يرى السيد الذي تاب عنه
ولصكلا يرى مسامحة منه
هانج ضيق الفؤاد غضوب
ما لديه اظفاره والنيوب
ل في ترك أمره معتوب
ح جريحاً ورأسه مشجوب
ان حيوانه شجاع اريب
فيختار غيره وفيب!

« ٠ »

للقريات عالم مستقل
يتساوى غروبهم وركود النفس منهم وفجرهم والمحبوب
كطير الساء همهم الاو
يلحظون الأفق أنا فأننا
أزى الجو هادئاً أم عصفوا
ان يوم الفلاح مهما اكتسبنا
وهو بالقيم يخفق الأفق والقلب جميل في عينه محبوب
القرى روعة والقرويين اذا صاب ارضهم شؤبوب
تبصر الكل ثم حتى الصبايا فوق سيام هنالا ونيب
يفرح البيت انه سوف تمسى بقرات فيه وعتره حلوب
ويرى الطفل ان حصته إذ يغصب الوالدان ثوب قشيب
اذ كياه عيونهم تسبق الالسن عما ترومه ونحيب
والذي يستمد من عالم القرية وجباً وعيشة لليب
مطمئنون يحملون بأن ال خير والشر كله مكتوب
لا يطربون من سرور ولا حز نو شعاعاً لانه محسوب

محمد مهدي الجواهري



وصف ممثل

مثل الوجد بيننا والشجوننا وأرانا من الحيق فنونا
ودعانا ونحن شئ فسوت آية منه بيننا أجمعينا
فاذا الكل هادئاً أو صخوباً وإذا الكل ضاحكاً أو حزيناً
صورت للزمان جدد منها فاستعارت من فنننا تلوننا



محمد طاهر الجيلادى
(ربة الفنان صلاح الدين طاهر)

ومعانٍ له تمثّل فيها لم تغادر شعورنا المكنونا
لست تدري أمسرحُ يستبيننا أم حياة في مسرحٍ محتوننا
وقصائره له تملكت اللبّ حسينا الخيال فيها يقينا

إيه يا منطق التنون شهدنا يدعاً منك لم تزل تفجينا

ووعينا خلاصا ودروسا
فكان الأيام بين يدينا
وكان القلوب ألقت قيادا
صرخة المستجير في الروع كدنا
وأنين أخذت فيه علينا
ذلك الشعر غير أني أراه
رائحا غاديا على مسرح والفن
تغلا النفس روعة وحنينا
ماتلات أحداثها والسنيانا
لك في ذلك المجال مكينا
تترامى وراءها منجدينا
سبل الحسن فاستطبنا الأئينا
غلا السمع روحه والعيونا
بيث الحياة كالسحر فينا
محمد طاهر الجبوري



سينا

(كما رأيت)

جبله ثائر يطل على البحر
قد رأيناه يستضيء من الفجر
تترامى خلاله لمعات
قد جلوانه في الصباح جيلا
عبرت مائه « لا مارتين » تمشى
سر كنسر يطل من عليائه
سر فيلقى عليه بعض ضيائه
كالشعاع الهشيم حين استوائه
كيف يبدو لنا جلال مسائه
في هدوء الخليج لا ضوضائية

• • •

هي دنيا من الحياة وعيش
قد أتيت لنا حظوظ فكنا
جبل شامخ أطل على الأثر
يتعالى على البسيطة كبرا
أدركتني على السفين حظوظ
وصفا جوؤه فكان كقلبي
قد ظفرتنا بحسنه وروائه
أسبق الركب في مرآكب مائه
من وقاض الغمام فوق سمائه
كتعالى العظيم في كبريائه
من سنا صبحه وطيب هواه
في تقاء الهوى وحسن صفائه

أعكسر — انجترا

محمد عبد الغني حسن



القلب الرهائم

ياموحي الشعر جمع من شوارده
ووقعتها على أوتارها نغمًا
ومرت السمان الهائم به
على الرحي فلأن الجو آذانا !

« »

ياموحي الشعر ، قلبي طاف في كل
هي الحياة التي أرسلتها نفسًا
فهل من الصعب أن يرتد لي نفسي ؟
عولما ، فتلفت منه أوزانا
يتلو سواه ... وكل ذاب أشجانا
أو أن يجمع قلبي مثلنا كانا !

« »

قلبي تفتح في عهد الربيع ولم
صحا على الحب ... ثم اهتز مضطربًا
وعاد يرسل شجواً من مشاعره
وصل عن نفسه في عالم جمعت
هجان ، يبحث عن شيء يجاذبه ..
على جناحي خيال ظل مرتفعًا
تفرّد القلب في أجوائه مُمدّدًا
فهل يعود وفيه من عولمها
وهل يعود ولم تملئه رَحَلَتُهُ

يفمض ليطبق منه اليأس أجفانا
ساعات حزن ، ولكن طار جدلانا
آنا ... ويرسل شجواً مطرباً آنا
أطرافه من نواحي الأرض أوطانا
حتى يآوحي يبق القلب هجانا !
في الجو يحمل من دنياه ألوانا
ولم أزل أنا فوق الأرض حيرانا !
ما بملا النفس إيماناً وسلوانا ؟
بعضاً من الوتر الحساس وجدانا ؟

« »

يا مؤرجى الشعر، تاجر القلب ان له
لداذة تتجلى فيه تيبانا
بلذته ان تناديه وتشدّه
ما كان يسمع في الأحلام أحياناً
مسبه لأمم العبراني



مناجاة

يا مَنْ أثنى طيفه في المنام
لكننى آلمته باللام
الله في صب غدا للسلام
أبنت عهد للهوى والوداد
ألقاك في الأحلام رغم البعاد
يا من أراه دائماً في الخيال
حتى اذا طلبته بالوصال
ومن غدت لقاء عين الحال
هل من لقاء بعد هذا الجفاء
هل اغتدى في الهجر رهن الشقاء
يا من له في عقل الباطن
لا تحفنى في عيش الآمن
يا حبذا لو صح يا فاتنى
ان كنت لا ألقاك يا هاجرى
هيهات أن أنساك من خاطرى
يا من له في القلب حب صيق
ومن له كالرمح قد رشيق
ومن له قلب رقيق شفيق
يا ما لك قلباً غدا في التباغ
إن كنت لا تبغى سوى الاقطار

يبدى لي الاعذار عن بعده
إذ زاد طول النأى عن حده
نبهاً وطال السهد في وجده
يا هاجرى في بؤسه النأى؟
فصيح بوصل منك الرأى
معلقاً في وده الصافي
ازداد هجراً رغم إلحافى
ولم يرم في النأى انصافى
فالنأى سيف حده مرهف
وأنت نعم المشفق المنصف
طيف أراه دائماً في المنام
ولا تكن لي كالسحاب الجهام
حلى وأضحى الود رمز السلام
في يقطى فالنأى صعب اليم
وطيفك الم محبوب باذر مقيم
ومن له في الحمن وجه جميل
ومن له طبع كريم نبيل
هل من لقاء أو وصال قليل
ولا بأساً تاجر الهوى والعفاف
عنى لحي ليس فيه المحراف

منولى نجيب

الحب

يا مهد الحب أيا مهد
 وغدوت لذكراه طفلا
 أقفرت من الآمال ومن
 وجري عمرى فى الحزن فا
 وشبابى جذوته خدت
 يا مهد الحب أيا مهد
 هل ترجع أيام سلفت
 وحبى يصدقنى وعدة
 والزهر يفتح عن طرب
 ونسيم الصبح وبهجة
 أين الاحباب فانهمو
 ومضت أيام وفؤادى
 وجرت دنياى بصحبته
 ودفنت الحب وأحزنتى
 ونسيت الحب وبهجة
 لا بد لمن ينساه العمر
 ويئسنا من تلك الدنيا
 وعرفناها إن أبصرنا
 متناقضة لا يأمنها

أصبحت على زمن لحدة
 يجرى دمعى أبداً عنده
 نور كم أذكرنى عهده
 أستطيع وقد ولّى ردة
 لا كابت من شيبى برده
 لم تبق لنفرتنا جدّة
 أم هى ليست بالمرتدة
 فيها أو يخلفنى وعده
 فالتحل جنى منه شهده
 وغروب الشمس وما بعده
 تركوا من يهواهم وحده
 ما ذاق بها الا وجده
 فلها خيل ولها عده
 يوم ابصرت به لحدة
 يا مهد الحب أيا مهد
 له من يأمن لا بدّة
 من لين فيها او شدة
 خيراً أبصرناها ضدّة
 إلا من سلبها رُشدّة

عنوان علمى



سراب الامل^(١)

قد بكينا على هوى وأمان
وأرى طالق الرجاء بكفى (م) هباء ، لم أنل منه شيئا
أو ... لو تفسل الدموع جراحا
أو ... لو ينفع البكاء شجيا
لنفسها الدهر في حنادس يأس
لا أرى للشئ بصيصا مغييا



توفيق أحمد البكري

وأمد الكفين ، أحسب أني
واخلد الأشباح تجري أمامي
ظلمات مجحبن وهم خيالي
ان يرى بينها طريقا سوتا
أين ... - لا أين - لليقين سبيل
قد ضللت الصواب شكاً وعيا

(١) الى صديقي الاديب محمد رشاد رشدي القصي الثاني. والناقد المحدث فهو اعرف الناس بطروف
علمه القصيدة .

وهوائى الطهور لم يَعدْ تسمى شاباً من خيبة الصدور فتياً
والأمانى الحسان كالنغم الحاد ———— إذا ضاع فى الرياح ذريعاً !

« • »

فاملئى كأسك الدهاق وهاتينى ———— ، أروى بها فؤاداً صدياً
وانزكى فى قرارها قلات خالدة بردهن فى شفتياً !
فاذا الموت ضمنى فى فناء رحمة ما لقيت رَوْحاً ورياً
كلما رمتُ للهواه شراباً سقطت كأسُ نشوتي من يدباً !

نوفيس الصحر البكرى



حب وأمل

أعندك أنى لى قلباً يذوبُ وأنى دغم ذلك لا أتوبُ ؟
وأنى قد دعوتُ ونُح صوتى وأنك لا ترق ولا تعجب ؟

« • »

فؤادى — لا رأيت جوى فؤادى — جريح ، ظامى ، عاذر ، سليب
يشيب بعض ما ألقى البرايا فهل أغراك أنى لا أشيب ؟
طبيى أنت ياسر اعتلالى ومن عجب يؤرقنى الطبيب !
كتمت ما يلاقيه فؤادى خدثت من تألمه الوجيب
فكنت إذا كبت جاح شعرى رأيت الدمع عن شعرى ينوب
إذا أخفيت ما بالقلب حيناً اذاع لمب مهجى اللهب
فواقبله من قلبى وعينى يصيب من الدواهى ما يصيب !

« • »

ذنوبى أنى قد ذبتُ وجداً وهل جيبك يروحى ذنوبُ ؟

فكم حركتُ أشعاري فطاشت سهامٌ تسبني وهو النسيب
سهامي وهي ألقاظ جفاء وسهيك وهو قتال مصيب



طاهر محمد أبو فاشا

تغيب وأنت ثاور في فؤادي حبي من يغيب ولا يغيب
يقدمني له حبيبٌ صدوقٌ ويفرني به أملٌ كذوبٌ
طاهر محمد أبو فاشا

الامل في الازهومة

آذنتني بنواها ونمادت
ليتها حين أتاحت لي هواها ما أتاحت

« ٠ »

ما دعا البليلَ يعتاضُ عن الأيكِ مكاناً ؟
ما فني العصفورَ عن وكر يري فيه الأماناً ؟

ما نهي النحلة عن زهر دوت فيه زمانا ؟

ما عسى راب ملاكي
العل كنت أدعو لهلاك
في وثائي ؟
بولائي ؟

« • »

اذكري الليل ونحوانا عن العهد المتيد
اذكري النجم وممرانا الى وادي الخلود
اذكري الورد وما أدت رسالات الورود

اذكري حلو الاماني
اذكري وصفك في عذب الافاني
اذكريني !
وارحميني !

« • »

هل تجددين فتمحين من القلب الرجاء ؟
أو تمودين تمدين الى النفس الصفاء ؟
أحفظت العهد أم صرت من الحب خلاء ؟

ألقى دمع عيوني
واسمعي في زفرة القلب أنيني
برضائك !
من جوائك !

« • »

لكأنني قد تناسيت مع الحب الدلالة
إن الدل من الإذلال بالهجر تكالاً
فمساها الأك تسقيل بالنأي وصلاً

وكفاهنا !
ليت آمالي تداعت أو تظلت
وكفاني ما تجنت !
في جمها !

محمد فريد عبر لفار



زهرة في عريقة

زهرة من فئات البشر
أولت بلبي جنى الزهر
هل شمتنا من شذاها
وهي ملء العين ملء الفكر ؟

طالعت في زهرها صورتها
ما ترى الزهر علا وجنتها
فعدت في الروض من انضرو
فتنة في الكون ما أثبتها !

هي تبني من زهور وورد
ومنا في ورد بالغود
منمتنا سطوة الحسن جناها
أكذلك العدل يزين الوجود ؟

أنت كالروضة والروض كريم
ينفخ العطر شفاء للقيم
فليكن بأحسن جوده وسفاه
لحبيب في هي الحسن يقيم !

نحن جُذنا بقلوب ودموع
قدمت الحسن قربان الخسوع

غير أنت الحسن ما قد زهنا
رحمة الله لقرآنٍ بضيعا

رأفة بالقلب ، يكفى ضجرى
وارحمه مثل ذاوى الزهر
عطفتك السامى وما أنبله
أنعش الزهر يبعث النظر !

محمد أحمد محبوب

لم درمان — السودان



قصر معطل

لمن القصر فارقا في الظلام
بين دوح يحال أشباح جن
يصدم الريح في سراها فأتته
ونباح الكلاب تمحيه ليلا
هى مكانه وقد نزع السكا
ما ترى فيه من سراج وإن كا
كسفين رست ببحر طامى ؟
فأثمت بين الثرى والفهام
مع الا أنينها المترامى
حبذا الكلب فى الدجى من حامى
نم عنه فى غابر الأيام
ن من النجم فى سراج سامى

بين تلك الدروب والآكام :
وهذى منازل المخذّام
وبروج الحمام دون حمام
هأزّ قبل الاوان فى إرغام
يتبيّن منه للاستحمام
ح أقبمت عليه فى إحكام
فى أريك الغلو فى الأحلام
ربّته الشعر بالخيل النامى
بين وصى الورد والآكام
وزاها جديرة بالسلام
ف كما دار مابده بالمقام
معجزات من ريشة الرسام
وكانت ملاعب الآكام
وحشة الدور شيدت من عظام
م ، سجيناً هنا بلا أجرام
بالذى يشتهون من أوهام
بينما بعضه ممنى أقوام ؟
والكوخ مستخّم بزحام ؟
عنه فى غير حصره ومّلام ؟
للتاع عخلل أو حرام
بأ يراها خليفة بالدوام
ت به غير لحظة كالنّام
ميتقى بالقصور والآكام
م أسير له وفرح النّعام
بخطام : اكبرت شأن الخطام
لضمير فى راحته وسلام
أو بثوب القصاب والقمام
محمود عمار

قال لى صاحبي وكان دليلى
ها هنا مربط الخيول ولا خيل
وعرينّ لسمع لا سجع فيه
ثم هذى حظائره تطلّيع الاز
وهنا كان للغواى غديره
وانبات اليه فوق أراجيه
قلت حسبي الذى أرى قال بل دة
ثم أمرى بنا الى حيث تسري
فى عراش من الكروم دوان
وتمايل بحسب الروح فيها
وقباب يدور من حولها الما
وخدور جلا النّقاب عليها
غرفه اصبحت ملاعب للجن
خلع الليل والخراب عليها
قلت هذا النّعيم اجمع يا قو
أفرجوا عنه ينظر الناس منه
كيف يمضى هذا النّعيم هباء
أفبقى معطلا مثل هذا القصر
من ترى ربّه وكيف تولّى
قيل هذا المترف قد بناه
جامعاً فيه للسعادة أسبا
ثم زالت نعماء عنه فلم يلب
قلت : إن الشقاء أحنق من أن
وهو إن يؤمّع الاغارة فالنس
قل لمن يحسب السعادة رهنّا
انما هذى السعادة حق
غاب هذا الضمير فى ثوب ممالك

عاصفة في سكون الليل

أشرق كالصبح غراء الجبين^(١) وأنشري نورك^(٢) يهدي العالمين^(٣)
 وأطلعي في ليل حزن كوكبا^(٤) تعصني من ضلال العاشقين^(٥)
 وأطرحي في قفر عمرى زهرة^(٦) علها تنمو وتزكو بعد حين^(٧)
 وإبسي تبسم لنا بفض النسي^(٨) واضحكي تضحك لنا غرة السنين^(٩)
 واهتني تستيقظ الروح التي^(١٠) طالما غنتك بالحن الحزين^(١١)

« ٠ »

ها هو الليل كما كان بدا يحمل الحزن قلبي والحنين^(١٢)
 هيكل الأحزان^(١٣) في مذبحه قرب العشاق قربان العيون^(١٤)
 رتل الشمس^(١٥) فيه لحنه وصدى ترتيله هذى الشجون^(١٦)
 عطره^(١٧) أحزان أزهار الربا^(١٨) ونداه عبرات^(١٩) البائسين^(٢٠)
 ومسرى^(٢١) التسم في أحشائه مهب ذابت وأرواح فنسين^(٢٢)
 كل شيء هان في شرع الهوى يملأني ، والهوى ليس يهون^(٢٣)

« ٠ »

لم ير الليل سوى بنت هوى قرأت^(٢٤) ما استعاني في الجبين^(٢٥)
 لبست في بدنه ثوب الهوى وبأخراه ثياب^(٢٦) النادمين^(٢٧)

« ٠ »

وعيد بات مطوي^(٢٨) الحشا في سكون الليل مبجوح^(٢٩) الأئين^(٣٠)
 قام فيه مثل طيف غابر وكأن الليل عراب^(٣١) القرون^(٣٢)

« ٠ »

ومغن غلب الحزن على وتر^(٣٣) اللهو لديه والمجون^(٣٤)
 ليس يدري فكره ما لحنه وهو رجع السحر من ماض شطون^(٣٥)

« ٠ »

(١) الهيكل المعبد والمراد بذلك الليل . (٢) قربان العيون الدموع والنوم . (٣) المراد بالشمس هنا الموت . (٤) أي المطر الذي يلفه الليل هو أحزان الأزهار .

والبقي سامر الليل على ذكر عهد من عهود الغائبين
كلهم خفا... ولم تبق سوى ذكريات أرعشت أفق الجفون

« • »

أيها الليل أتينا نشكى فاستمع شكوى الحزائي المتعبين
هذان الحزن ، وأضنانا الأسمى ويرانا الوجد في دنيا الشجون
قد شكوناك وجئنا نشكى لك شيئاً في خيال الذاهلين

« • »



محمد عبد الحلبي المصري

انني يا ليل أحكي غنوةً فنيت فيك على مرّ السنين
واستعالت في البلى قبرة تتغنى في دجى وادي المنون
إنني يا ليل أحكي حزمة من شعاع في سماه الخالمين^(١)
ضمتها لمحوك فكره هائل أزعج الأرباب بين الثائرين

(١) لأن الاحلام ترسم الاشياء لاجل من حقيقها .

واستحالت عندها من غضبٍ زهرةٌ في عالمٍ غيرِ مبین
تنفخ الموت ... وتبدل عودها نحو أشباح النایا العابرین !

« . »

إنّی عاطفةٌ قد غالطتُ منك فکرم طیه الموت دفين
حاولت تعرف أسرار الأسمى منك یا لیلُ وأسرار الأثین
فاستحالت جدولاً تعبته فزعات الموت لیلاً فی سفین^(١) !

« . »

هذه أغنیتی رثلتُها لك یا دنیايَ فی دیر السكون^(٢) !
لحنها أنتِ ، وحزنی وقعها ونذیر الموت بعض السامعین !
لا تلومي ما بها من حزن إنما الأحزان موسیقی الحزن
أعذب الألحان لحن أفرغت فيه أنات الأسمى طیّ الحنین
عائقتی فی الدجی ... اقتربی ! إنّی أفزع ممّا تفزعین
قرّبی خدك ... ضمینی إلى صدرك الحانی ... الخی هذا الجین !
أتركبني فیک أفنی مثلاً فنیت فی الله روح الناسکین !

« . »

إنما نحن کרכبٍ ضلّ فی تیر صحراء بقومٍ تائهین
قد نسینا کل ما کان لنا وتركنا فی غدر ما سیکون !

م.ع. السهمري

کلیة الادب بالجامعة المصرية



(١) المراد بهذه التشبيهات تفسير ما تلاقيه روح الشاعر من حزن وألم في الحياة .

(٢) دیر السكون هو الليل .



﴿ صفاته وميزاته ﴾

يمتاز الشعر الغنائي بكونه سهل الميزان سلس الأسلوب قوى المعنى يمكن فهمه بسهولة . ويجب أن يكون هذا الشعر خالواً من كل تعقيد لفظي أو معنوي حتى يمكن فهمه بمجرد سماعه .

ولا يجب أن تكثر في الشعر الغنائي الجمل الاعتراضية ، فقد تكون هذه الجمل جميلة في الشعر غير الغنائي إذا وضعت في موضع حسن إلا أنها في الشعر الغنائي كثيراً ما تكون سبباً في عدم فهم المعنى وخصوصاً إذا لم يكن للملحن أن يتحاشى ذلك أثناء تلحينه .

وإن الاكثار من الاقتباس والاستشهاد بالحكم هو من أصعب الأمور على الملحن — إذا أراد إبراز المعنى — وقد سئل الموسيقي برنارد عما يصعب عليه تلحينه من معاني الشعر، فقال إن معاني الشعر عنده كلها سواء ، أما ما يصعب إظهار معناه في التلحين فهو استشهاد الشاعر بقول مأثور .

وأحسن الشعر الغنائي ما كان طويلاً المد قصير المقاطع حتى يسهل للملحن أن يطيل في النغم من غير أن يضطر إلى تجزئة الجمل فلا يضيع المعنى .

وقد كتب أحد الشعراء في المجلة الموسيقية التركية في السنة الماضية نبذة عن الشعر الغنائي ذكر فيها أنه لا يمكن تلحين أي شعر إلا إذا كان غنائياً . وقد حكم هذا الشاعر على الشعر غير الغنائي حكماً قاسياً — وأنه لمن الأسف أن نسمع مثل ذلك من كثير من الموسيقيين المصريين في العصر الحاضر — فليس معنى كون الشعر غير غنائي أنه لا يمكن تلحينه . فوسيقى الألفاظ موجودة في كل شعر، ويدلنا على ذلك ما نسمعه في كل يوم في المسارح والابهاء من الأشعار الملحنة التي لا تمت إلى الشعر الغنائي بأية صلة . ففي مقدور الملحن أن يجعل من الشعر غير الغنائي أغنية

جيلة . وقد لحن الموسيقار محمد عبد الوهاب عدة قصائد غير غنائية ومع ذلك فقد أخرجها إخراجاً بديعاً . وليس الشعر فقط هو الممكن تلحينه بل قد يلحن النثر أيضاً، وقد لحن الموسيقار حسين صالح قطعة نثرية تلحيناً يفكر عليه . وليس الموسيقار حمين صالح بأول من وضع لحناً لنثر بل ان المرحوم جاليو الموسيقى الهندي وضع لحناً لقطعة حماسية نثرية سنة ١٩٢٥ فكان أول لحن لنثر بعد العصر العباسي ، إذ كان في ذلك العصر كثير من الألحان الموضوعة لقطع نثرية .

ويظن البعض الآن أن الشعر الغنائي يجب أن يكون غزلاً أو ما يشابه ذلك ، غير أن هذا الرأي لم يكن معمولاً به الا بعد أيام المهاليك ، بل وليس معمولاً به الآن الا في مصر ، أما في الخارج فتوضع الألحان لكل معاني الشعر ويوضع الشعر الغنائي في جميع الأغراض .

وليس في مصر للشعر الغنائي منزلة عظيمة لتفتق العامية ولاستعمال الرجل في معظم الأغاني المصرية

محمود طه

(رئيس لجنة التأليف والنشر الموسيقية)

القاهرة :



ما أعظم الهم !

(أغنية للشاعر توماس هاردي)

ما أعظم الهم في عمرى وأكثره
وما أقل مسراتى وأفراحى !
من يوم أن حُمَّ للعينين أن سقعا
على جبين كقرن الشمس وضاح !

أكلت هذى الليالى فى تباطئها لما تبتين لك يا همى بايضاح :
« ما أعظمَ الهمَّ فى عمرى وأكثره وما أقلُّ مسراتى وأفراحى »
أما أعادت لك الذكرى مُصوَّرة تلك الليالى التى مرت كأشباح ؟



احمد كامل عبد السلام

ألم يساعفك عطفٌ منك يرحمنى فتسمى من لسانٍ منه مفصاح :
« ما أعظمَ الهمَّ فى عمرى وأكثره وما أقلُّ مسراتى وأفراحى »
« من يوم أن حُمَّ للعينين أن تقعَا على جبينِ كقرون الشمس وضاح »

احمد كامل عبد السلام



الطفل النائم

مترجمة عن فيكتور هوجو من ديوانه (أوراق الخريف)

ورى شقيقاته أكثر جلالاً	فى الغرفة المظلمة ،
والده بجوارهن	بجانب مذبح صغير ،
والدته ذات أجنحة	ينام الطفل فى ظل
مثل الطيور .	فراش والدته .
***	بينما هو نائم
إنه يرى ألف شيء	فتح جفنه الوردى
أكثر جلالاً أيضاً ،	من جانب الأرض الكثيفة
يرى زنبقاً وورداً	إلى السماء .
يملاً الدوحة	***
ويركاً وبحيرات	كان يرى أحلاماً كثيرة ،
يتلقى فيها السمك	يرى فى هذه اللحظة
ويرى الموجة تجري	رمالاً من الآكام
الى قصب من الذهب .	مملوءة بالماس ،
***	يرى ثموساً ملتفة
بدون عناية وبدون اجتهاد	وسيدات جيلات
أنت تنام فى الطريق ،	تحمل أرواحاً
وإن المصوم	بين أذرعها القاتنة .
— بيدها الباردة	***
وبظفرها اليابس	رؤيا مسخرة ..
على جبهتك الساذجة	إنه يرى قنوات من الماء
التي ليس بها أى تمجيد —	يخرج من قاراتها
لا تكتب : الدد !	صوت يعنى

ولكن الملاك لمسه	***
وبينا بهزّ فراشه	إنه ينام برّيقاً !
وضبع إحدى يديه على فمه	وإن الملائكة الأبرار
***	الذين يعرفون تقدم
والأخرى تجاه السماء	النوع الانساني ،
ومع ذلك فإن أمه	عند ما رأوه أعزلّ
أسرعت عند هزّ الفراش	وبدون خوف وبدون حيلة
معتقدة أن وحشاً وهمياً	قبلا - وعيونهم دامعة -
كان يضغط عليه ،	يديه الصغيرتين .
دهشت متباهية	***
لما سمعته يتنهد	وسمت شفاههم
وجعلته يتبسم	شفتيه الشهيدتين
بقبلة منها .	والطفل يراهم كأنهم يكون
	وهو ينادى : جبرائيل !
اقبال مراراً	مكبة الحفوق — الجامعة المصرية



أغنية لفكتور هيجو

وإني غفرتك الزهراء مقفول	ما لذت نائمةً والفجر قد ولدا
فاستيقظي إني بلحبّ متبول ..	وكيف تغفين والورد الجليل صفا
واصنعي لحيوبك	يا فتنتي اتبهي
يشدو بلحن الغرام	
يبكي الضنى والسقام ..	
فالفجر قال : أنا نور النهار بدا	الكل بطرق باب السحر في فرح
وقال قلبي : أنا الحب الذي عهدا	والطير قالت : أنا الألحان أجمعها
واصنعي لحيوبك	يا فتنتي اتبهي

يشدو بلحن الغرام
يبكى الضنى والسقام ...



مختار الوكيل

إني لأعبدُ فيك الحسنَ يا أملي ولست أدري أخوذتُ أنتِ أم حورمُ ؟
ربي الذي ضمَّ روحينا بقوته يا ممنيقي، صاغ طرفي وهو مسحورا
يا فتنتي انتبهي واصنعي لمحبيك

يشدو بلحن الغرام
يبكى الضنى والسقام ...

مختار الوكيل





الشمس والمكونه بين الشروق والغروب

أشْرَقَتْ في حياه ذات سوار
أَلْفَتْ الكونَ موحشاً ومُسْجَى
صَبَّحَهَا شَفْهُ النوى ، وراه
وانثنى في ارتقابها بمزاح
قد بدا المجدُّ والجلالُ عليها
ساعماً يبعث الشكاةَ اليها
موقفُ البينِ والوداعِ لديها
أنَّه أمسِ قام بين يديها !



محمد رزكى ابراهيم

روعة اللذ والمُليام وتلقيا الصــــبُّ يُغْنَوِ الأُمى : أثار هواها
أرسلت دمعها يسبح من النور عليه ليستين رضاها

فانبرى يبدأ الحياة كما كانت حياة بشجوها وهناها
والتنلى الوجد في فؤادها بعمد: ختمت دموعها من شجائها

لم يزع بعد ، أويراع عهوداً من صميم الجبال والامعان
فانثنت عنه ، لا تمير ، وجرت ذيلها في القضا بكل مكان
واعتلاها الوجوم ، واصطبغ الافسق بما في الجلال من ألوان
يعجز المرة أن يقص حديثاً فيه تبدو صناعة الرحمن

وهوى خلقها لينار منها لؤم دنياك وهو أسود جون
هو ذا الليل ... إيه يا أيها الليل أجبنى : أليس في ذلك مبن
ثم في لمح ، ودون وداع غاب ركب ، وقام يسخر حين
ركب منور ، تلاءه ركب ظلام هل لدنيا تسوق ذلك أمن ١٩

كل لؤم من الغروب تراه من حديث السماء يُنشر نفرا
ليس فيه تقافتنا ، ومن الصمت مقال بيت كالقول سرا
إف في هذه الجبال من النور أو النار إن تبيت أمر
إن في هذه البحار من الرو عك كترأ ولللفتن ذخرا

محمد زكي إبراهيم

الى القمر

لنا في الجو أجنحة تطير فتزع عند رؤيتها النور
قد اجتزنا الهواء ، فليت شعري أبحلنا إلى تلك الأثير ١٩
كأن في الأزمان وقد دنا من يد المتناول القمر المنير
وصار الكوكبان على اتصال لكل عند صاحبه سفير
فان نحن اجتزنا الأرض يوماً يجذب بنا إلى القمر المسير

سليل الأرض مالك غير بر
أيكفى الأرض نورك من بعيد
وهل فى شرعة الانصاف ألا
أتأس بالضيوف اذا ألموا
بأساك أم يزيد بك النفور
فأملك آدها اللسل الكثير

« ٠ »

أمان كن أحلام الأولي
زمان أدت الوجناء فيه
رأى ابن العاص أن البحر خلق
فقال له أبو الخطاب أميك
فهل من يبلغ المعبرين أنا
وأنا فوق سطح البحر تطفو
تعالى الله ! إن العلم أسمى
وليس وراءه شئ عسير

محمد غنيم



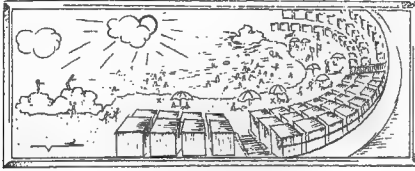
شاطيء الأحلام

خليج استائلى — رمل الاسكندرية

ردّوا شعاع الشمس حيث تطلّ
الطالعات من النياب أجلّها
من كل لونه للأزاهر صبغة
فى ممتزج البحر وثاب به
والموج يعبث بالصغور كأنها
(فينوس) (١) تمزج فيه بين مقائير
ودعوا الحسن مكانها تحتلّه
واللابسات الحسن وهو أجلّه
فيه وإن ملكة البيان الثلّة
مثل العواطف يعتلى ويزلّه
مهمج بحارها الهوى فتدلّه
وتلى (كيوبيد) (٢) العزيز (أبولو) (٣)

(١) التمه الجمال . (٢) الله الحب . (٣) الله الشعر .

وَلَطَنُ الْأَلُوهُ فِي الْحَيَاةِ بِمَا وَعَدَ
لَا تَسْقِي الْحَرَّ الْمَعْتَقَةَ الْمُنَى حِينَ الْعَبُونُ تَشَوْقُنَا وَقَدِيلُ
مَحَلُّهُ فَلَكَ كُلُّ دَمْعٍ لِلنَّعِيمِ مَحَلُّهُ



(خلیج استانبول)

هذه الكائنات الانيقة كانتها حلقة الاولياء والبحر ملعبها ، وهذه هي عرائس البحر وجنيات البحر - الصاري

حِينَ السَّوَاعِدُ فِي الشَّهْرِ إِسْمَرَةً
الْحُسْنُ لَمْ يُعْبَدَ طَهْرًا طَارِيًا
وَاللَّهُوُ لَمْ يُعْتَمَ بِرِيًا حَالِيًا
فَرَحَتْ بِهِ الْأُمُّ الطَّبِيعَةُ مَثَلًا
كَرَّمَتْ حَيَاةَ الشَّعْرِ مِنْ أَوْزَانِهِ
وَمُنَى مِنَ الْأَحْلَامِ تَرْفَعُ حَوْلَنَا
كَرَّمَتْ فَلَكَ كُلُّ نَاهِلٍ مِنْ طَلَبِهَا
أَشْهَى الْكَؤُوسِ نَذْوَهَا وَنَعْلَهُ
بِأَحَبِّ مِنْ هَذَا الَّذِي يَنْتَلُهُ
بَارِقٌ مِنْ صَقُورٍ عَلَيْهِ نُطْلُغُهُ
لَا قَى الْوَصَالِ الْعَاشِقُ الْمُعْتَلُهُ
وَيَعُودُ لِلْكَثَارِ فِيهِ مُمْقِلُهُ
وَمِنْ الْحَقِيقَةِ مَا حَكَاهُ الظِّلُّ
وَقَسَتْ فَأَيُّ مَدَى مُهْنَاكَ مُيَسَّلُهُ

أحمد زكي البوشادي





ابن زيدون

﴿ أولية ابن زيدون ﴾

زل بمدينة قرطبة رهط من بنى غزوم من جهات المغرب فيمن نزح إليها من القبائل وكان بيت بنى زيدون من أكبر بيوتاتهم جاهاً وثقافة وأدباً وكان صاحب الترجمة أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون أحد أغصان هذه الشجرة المباركة . ولد بقرطبة سنة ٣٩٤ هـ . في الوقت الذي تضرعت فيه الحكومة المروانية فاقسم المسلمون على انقسامهم وتحاذلوا واستعانوا بالأجنبي وصاروا شيعاً متعادين متعاندين .

وتقسموا ألقاب الخلافة فكان منهم المعتضد والمعتمد والمستعين والمقتدر والمعتصم والمؤمن ... الخ ، ينسبون في ذلك بملوك المصارقة :

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالمهر يحكي إتفاخاً صولة الأمد
فلا عجب إذا كثرا الوزراء ، ولا عجب إذا سمعت بقلب ذي الوزارتين يتشابه الكثير
والناس على دين ملوكهم — في هذا الجو الغائم الواهن المتخاذل المرجف
نفأ ابن زيدون .

﴿ مبلغ شهرة ابن زيدون ﴾

لقد أعجب رجال الأدب في مختلف أقطار العالم بأدب ابن زيدون فاعترفوا له بترائه العريض ومادته الخصبية وترائه الذي خلقه منخورة للعرب والعربية . أدرك قومه خطورة شأنه فأحلوه في السويداء من قلوبهم وترجع منهم في الصدور قبل أن يحل صدور المجالس ، وعاش بينهم موئلاً للقاصد وركن الأدب الركين .

وكان من المحتم أن نسمع بهافت الأدباء والمؤرخين على أدبه يدرسونه ، وشعره يعارضونه، وثره يحاكونه، وتاريخه يترجمونه ، امثال ابن خاقان في كتابه قلائد العقيان وابن نباتة المصري في كتاب سرح العيون وصاحب النخيرة وابن غداري المراكشي في البيان المغرب والصفدي في تمام المتون وابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار وغير هؤلاء .

وما كان الغرب في حقله بالرجل وبأدبه دون العرب ثقة : فقد وقف كثير من رجالهم أنفسهم على درس كتابته وشعره لما بلغهم عنه من ذبوع الشهرة وخلود الأثر ، حتى اذا جاسوا خلال خائله واستروحوا عير أزاهره ذخروا منه لبلادهم فترجم له منهم : هندرك الهولاندى المختص بالعلوم اللاهوتية عن صاحب قلائد العقيان وكتبته لهذه الترجمة شروح والبحاث وطبعت في لندن سنة ١٨٣١ م . ، والعلامة دوزي تلميذ هندرك صاحب تاريخ مسلمي الأندلس ذكر أدب ابن زيدون في كتابه وأكبر فيه نبأته ، والمستشرق إستورن الذى ترجم الرسالة الجديدية إلى اللاتينية وبدأها بترجمة حياة ابن زيدون .

❖ بيثة ابن زيدون ❖

للبلاد الأندلسية فضلا عن موقعها الجغرافى ميزتها على غيرها من الأقاليم بوفرة الخيرات وانتشار الصناعات وتعاقب الدول ذات الحضارة والشأن عليها حتى صح فيها قول القائل :

في أرض أندلس تلتذ نعام ولا يفارق فيها القلب سرا
وكيف لا يسبح الأبصار رؤيتها وكل روض بها فى الوشى صنعاء
أنهارها فضة ، والمسك تربتها والخمر روضتها ، والدر حصاء
فدميزت من جهات الأرض حين بدت فريدة وتولّى ميزها الماء

ناهيك بجانب مريع يخضب العقل ، وبماتين زاهية زاهرة تفتق الدهن وتنضج القرائح ، وعمارة مترامية الاطراف تبعث فى النفس الخيال البعيد ، وأنهار سلسالة تصفو لها انطاوط وتذهب فى أوديتها الأفكار ، وحضارة ومدنية ينفسح لها مراد البلاغة وتسمو بصورها المعانى الشعرية . وارتباط الوشائج وخلاط الناس وما يتطلبه

العمران من اجتماع وسياسة كل أولئك مناهل للشاعر والنثر لا يكاد يعم فيها حتى يجد فسحة في القول فتواتيه الحكم والامثال ويُنقِصُ بـدِرسـته الحضريـة فيخرج إليك بألوان متغايرة لمنازع الناس المتباينة، وتجد ذلك النوع من القول المشرق قد خلع عذاره وتجرد من قيوده في الاندلس لأنه رأى حياة أمتع وتقوساً أروع، وتجد الوصف الذي تناولته مختلف الشعراء منذ الجاهلي إلى أن يقع في العباسي قد أصبح جديد الشباب في بلاد الاندلس، وحلبة الغواة العاكفين على الدعابة واللهو التي كان لا يخفون غمارها إلا الخليج الماجن من الشباب الشرق الطائش أصبحت في بلاد الاندلس أضيافاً من لهاميم العرب يتصايح فيها الأمير قبل الحقير .

من أجل ذلك ألفت نابتة أندلسية تتعشق للجمال وتغرم بالوصف وتبدع في الخيال وتصف بحال الأنس والشراب وتأتي على ضروب السرور والنشوة بمالم يتلاحق بهم غيرهم في هذا المضمار .

مع هذه النابتة وبين هذا الشباب وفي هذه المدرسة ثبت ابن زيدون في بيت رفيع الفماد لديه من الثراء والجاه ما يمكنه من استبطان اللفة ومن تقرب الناس إليه واختلاطهم به فكان زعيم الأدباء وأديب الزعماء

﴿ منزلة ابن زيدون الأدبية ﴾

اشتغل بالأدب ناشئاً فبرع فيه وبلغ الغاية في النظم والنثر ولقد أطبق معاصروه على فواقه عليهم وسلموا إليه قياد الأدب بدولتيه ، ولا أدل على ذلك من قول ابن إسحاق : « كان أبو الوليد غاية منشور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني مخزوم . فاق الأتنام طراً ، ووسع البيان نظماً ونثراً ، إلى أدب ليس للبحر تدفقه ، ولا للبدر تألقه ، وشعر ليس للسحر يباه ، ولا للنجوم ازهر اقتارانه ، وخط من النثر غريب المباني ، شعري الألفاظ والمعاني » . يحكى من سعة بيانه أن ابنته توفيت فوقف للناس عند منصرفهم من المجازة ليتشكروا لهم فاعاد عبارة قالها لأحد . وهذا عجيب ، ولا سيما من محزون فقد قطعة من كبده .

﴿ حياته ﴾

قضى ابن زيدون شعر حياته الأول في قرطبة مولعاً بالأدب عاكفاً على الاطلاع ، فسماه به أدبه إلى مقام كان فيه مضرب المثل في البلاغة . فكان يرجع إليه

في كتابة أعمال العظماء وعلامات ذوى الحاجات الى الولاة ، ومن ثم نبه ذكره الى أن اتصل بالوزير ابن جهور ولقب بذي الوزارتين ، وما كان ليتسامى الى مقامه إلا لتسامى أدبه حتى دعاه أدباء قومه بـ *بيحترى* الأندلس تشبيهاً له بـ *بيحترى* المشرق .

ولقد هام بحب ولادة بنت المستكفي الخليفة الأموي وكانت بركة أدبية شاعرة صمرت طويلاً ولم تتزوج . وقد ابتذل حجابها بعد موت أبيها فتحجب إليها الأمراء والكتاب وكانت على خلق جميل يشهد لها بالعبق المورخون كلهم .

وكان من صراها ابن زيدون ولها معه طرف وملح ، لانه كان حظيها قبل غيره . وكانت تقوم المنافسة بين عشاقها أدبية علمية ، كل يكد خاطره ويهذب قوله ليكون حظيها . وقد أفلح ابن زيدون في استئثارها إليه أو بالحري أفلح أدبه في أن يأخذ عليها إعجابها قبل غيره ولا سيما معارضه في حبها الوزير أبو عامر بن عبدوس الملقب (بالفاخر) ، إذ تمكن ابن زيدون من إقصاء خصمه بقارس قوله وزاجر شعره فكانت تشمس منه كلما تسقط القرب منها وتدل عليه وتهزأ به . ولقد صرت عليه وهو في حالة من حاشيته أمام داره يتنادرون ويسمرون وكانت قرابة داره بركة آسنة المياه فنادته باسمه فتطلق وجهه ونهض يحياها فأثدته قول أبي نواس وهي تشير الى البركة :

أنت الخصيب وهذه مصرٌ فتدققاً فكلالاً بحراً

ولقد قدمنا لك أن ابن زيدون نشأ في جو الانحلال السياسي - الجو المغرض المتعلق الذي لا تستب دولته الا على النفاق والملااة . من أجل هذا كان الرجل محسوداً على منزلته فزجته السعاية به الى غيابات السجون مفضوياً عليه من مولاة ابن جهور ، وعبتاً حاول التنصل مما ألحق به ولم يغن عنه الاعتذار والاستتابة وضرب الامثال والحكم من غضب ابن جهور شيئاً . حتى اذا أمضى بضع سنين في السجن تحين الفرصة وخرج من السجن هارباً وتحفى مدة كان في خلالها يحاول الاتصال بحاكم اشبيلية المعتضد وذلك بعد أن ريس من استرضاه ابن جهور واستعابه ببلداته وخاصة . وحين مهد لنفسه اتصاله بابن المعتضد رحل الى اشبيلية وأقام هناك وزيراً شعره الثاني من حياته شاغلاً مثل مقامه السياسي والادبي في وطنه الاول . وكان يحن الى مسقط رأسه الفينة بعد الفينة ويتذكر أيامه الميامين الغر مع ولادة فتنفص نفسه بفرائد الادب وتظهر فيها اللوعة والحسرة على ما فقد حتى وافته منيته وهو سفير المعتمد سنة ٤٦٣ هـ .

﴿ كتابته ﴾

كان ابن زيدون رجل ثقافة مضطرباً بمختلف العلوم متأدباً متهدباً وهو مع غزارة علمه وأدبه وصفاء قريحته وقوة سليقته يعيل إلى التأني والروية فلم تكن كتابته عفوية الخاطر ولا مبثغاً للوجدان النائر . والبديهة البادئة انما كان لباب مصاص التأنيق والتمسك ، ووليد الذوق السليم والطبع الحصيف . وإذا علمت كيف كان ابن زيدون مليئاً بالعلوم ، واقفاً عند عامة الحوادث قديمها وحديثها ، أخذاً من كل فن بطرف ، امكنك أن تقدر للرجل بعض قدره وأن تدرك سر اجادته ونخبه للحوادث التاريخية يضمها كلامه ويوشى بها عباراته فتلتهم وتتألف حتى لتُحس أنما سيقت هذه الحوادث وتلك الامثال وهاتيك الحكم ليمثل بها ابن زيدون في كلامه بداعة . يظهر ذلك بوضوح حين تقرأ له من رسالته الجديدة ما يستعطف به ابن جهور وهو سجين مغضوب عليه ، وهو :

« حنانك قد بلغ السيل الزبي ، ونالني ما حسبي به وكفى . وما أدنى لو أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت ، وقال لي نوح اركب معنا فقلت سأوى إلى جبل يعصمني من الماء ، وأمرت ببناء صرح لعل أطلع إلى إله موسى ، وعكفت على المعجل ، واعتديت في السبت ... » حتى اذا أتى على آخر ما ذكر من حوادث قال : « لكان في ما جرى علي ما يحتمل أن يكون نكالا ، ويُدعى ولو على الجواز عقابا » .

﴿ ابن زيدون الناقل ﴾

على أن الدارس لكتابة ابن زيدون يرى ميزة قلما ينهجها غيره . فاحتسبت من حسناته . ذلك أنه لكثرة حفظه ودرسه كان يأتي بمعظم قوله منقولا بمناه أو بمعناه عن غيره بغير أن يتكلف النقل ولكنك لا تحس إلا أن هذا قد تناول كلام غيره فلفه في ديباجة من بلاغته ، وحلاه ونممه بقريحته الصناع ، فأخرجه للناس في طراز مبتكر جديد . ومن الغيرة لكتاب كابن زيدون واهتمام لحقه أن يقال إنه كان ثقلة لغيره دون أن يعول على نفسه فيما يقول ، بل إن مثله ليحفل بالعلمي يواتيه في مقام فيملكه استمطاً وقللاً ثم هو بعد يرتاح الى نفسه حين يشعر أنه صائغ ماهر .

وكم كان يأتي بالمبدع نادر المثال بما عدّه الأدب من تراثه وحده فله من تراثه رسالته الجديدة يمدح ابن جهور :

« وهل ليس الصباح إلا يرداً طرّزته بفضائك ، وتقلدت الجوزاء إلا عقداً فصلته بأكثرك ، واستملى الربيع إلا ثناء ملأته من محاسنك ... »

﴿ عناية بالازدواج ﴾

وإذ كان الرجل أندلسياً رقيقاً مجيداً في الوصف كسائر معاصريه كان لا يعني بالسجع بل بالازدواج بحيث يمثل المعنى المفرد بعبارة متباعدة متنوعة متفاضلة في الجودة وقوة السبك وشدة الأثر فتراه يقول :

« إن سلبتى أعزك الله لباس نعمائك وعطلتنى من حلى إيناسك وأظلماتنى إلى برود إسمافك وتفضت بى كف حياطتك وغضضت عنى طرف حمايتك بمقد أن نظر الأعمى إلى تأملى لك وسمع الأصم ثنائى عليك وأحس الجاد باستناذى إليك فلا غرو قد يغص الماء شاربهُ ويقتل الدواء المستشفى به ... »

﴿ ابن زيدون صفوح بنفسى الاساءة ﴾

وكم عملاً تفسك إعجاباً بكتابة الرجل واحكباراً لأخلاقه حيث تراه صفوحاً ناسياً اساءة ابن جهور اليه وهو يخاطب صديقاً له :

« رب مجتهد ماخاب إلا لانه جاهد ، والله لقد أظهرت مدحه وأضمرت نصحه ، وتممت على الصاغية له ، وجريت ملء العنان الى الاعتلاق به ، أسقيه السائغ من مياه ودى وأكسبه السابغ من برود مهدى ، وأجنيه الغض من ثمرات شكري ، واهدى اليه العطر من تفحات ذكرى ، لا يفيد منى التحبب اليه الا ضياعاً لديه ، ولا يزيدنى التقرب منه الا بعداً عنه ... »

وإذ قد وقتت على تمكن ابن زيدون من نثره الجسدى وبلوغه الغاية في جميع نواحى القول التى طرقها فلا تنسى الى جانب ذلك أنه كان حديد اللسان بذئبه سبق ابن عبدوس فأخضعه برسائله الهزلية التى طبقت المشرقين وتناقلتها العصور الأدبية وهى شديدة الخפל بها وبقائلها توضح غامضها مرة وترجها أخرى.

ومنها :

« إنك راسلتنى مستهدياً من صلتى ما صرفت منه أيدى أمثالك ، متصدياً من

خلى لما قرعت دونه أنوف أشكالك ، مرسل خليلتك مرثاة ، مستعملاً عشيقتك
قوادة ... »

ومنها :

« أن قارون أصاب بعض ما كنزت ، والنطف عثر على فضل ما كنزت ، وكسرى حمل
غاشيتك ، وقبصر رعى ما شيتك ، والاسكندر قتل داراً في طاعتك ، واذشيرجاهد
ملوك الطوائف بخروجهم عن طاعتك ، والضحاك استدعى مسالتك ، وجذيتك
الأبرش تمنى منادمتك » إلى أن قال : « وأنت المقول فيك كل الصبيد في جوف القرا
وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد »

﴿ شعره ﴾

قد يذهب بك الحدس الى أن ابن زيدون كان ملحه استنفد وقته في المدارس
والبحث ولم يجد من الفراغ واللهو والمجانة ألوان الحياة ما ينمى به شاعريته . ولكن
حدثاً غريباً قد فتح مفلق قلب ابن زيدون واستدماه فأجاب داعيه : ذلك هو حب
ولادة له وخلطها به ومنافسته غيره من الأدباء والشعراء له في حبها . كل أولئك
عوامل جعلت من الرجل الضليع في النثر ضليعاً في الشعر ، ذلك بأن عادته إنما
أغرمت بأدبه قبل أن تغرم بدله وشكله ، ولذلك حبه دون غيره من رصفائه بقربها
منه ، فكان عند ظنها به رقيقاً في شعره سلساً في عبارته مجيداً في قوله : إذا نسب
خلته صاحب بئنة ، وإذا مدح أربى على شاعر مزينة ، فكأنما صبغ شعره من التبر ،
وقضل في نضارته الزهر ، وكلامه على الجملة يشهد له بجودة الطبع وإتقان الصنعة
فتراه يقول :

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع
يا بائعاً حظّه مني ولو بذلت
سرت إذا ذاعت الأسرار لم يذعر
لي الحياة بحظي منه لم أبعر
تبه أحتمل واستطل أصبر وعزّ أهـ
وولّ أقبل وقل اسمع ومثّر أطـ

﴿ غزله ﴾

قدمنا لك أن بائعاً خطيراً كان أكبر العوامل على إخصاب شاعرية ابن زيدون
وانساح مجال القول له : ذلك هو هيامه بولادة وذوبه في حبها وإرساله الشعر الذي
يختلط بالروح رقة وإلهواء لطفاً يستديم عهدها . فكانت العاطفة تملأ عليه ، فيكتب
خلجات نفسه ، ويبعث إليها بأفلاذ قلبه ، ومن قوله إذ ذاك :

أخذتَ ثلثَ الهوى غصباً ولي ثلث
تألفه لو حلف العشاقُ أنهم
قوم إذا هجروا من بعد ما وصلوا
والمحبين فيها بينهم ثلث

ومن قوله حين ودع ولادة ذات يوم مرتجلاً :

ودَّع الصبرَ محبٌ ودَّعكُ
يقرع السن على أن لم يكن
يا أبا البدر سناً وصناً
إن يطل بعدك ليلى فلکم

ومن لرجلات الشعر الفزلي أن يأتوا بمثل نونية ابن زيدون التي تهافت كبار
الأدب على معارضتها في حياته وبعد مماته أمثال أبي بكر بن الملح والصفدي وصدر
الدين بن الوكيل وغيرهم فأتلاحق بركابه شاعر ، ومنها :

أضحى الثنائي بديلاً من تدانينا
إن الزمان الذي مازال يضحكننا
غيظ الذي من نساقتنا الهوى فنعوا
فالمحل ما كان معقوداً بأنفسنا
بقيم وبناً فما ابتلت جواحننا
حالت لفقدكم إيلامنا فغدت
كأننا لم نبت والوصل فالتنا
ميران في خاطر الظلماء تسكتنا

وناب عن طيب لقينا نجا
أنساً بقربكم قد عاد يُبكي
بأن نغمس فقال الدهر : أمينا
وانبت ما كان موصولاً بأيدينا
شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
سوداً وكانت بكم ييضاً ليالينا
والسعد قد غص من أجفاننا واشينا
حتى يكاد لسان الصبح يشينا

﴿ عتبه ﴾

ورى الشاب ابن زيدون حتى يسأله ابن عبدوس حباً ولادة يعتب عليه
منازعة له قلب محبوبته ولكن في عظمة وغر فتراه يقول له :

أزرتَ هزيرَ الشرى إذ ريشٌ ونهته إذ هذا فاقتمضُ
أبا عامر أين ذاك الوفاء إذ الدهر وستان والعيش غشُ
حذارٍ احذارٍ فإن الكريم (م) إذا سيم خسفاً أبى فاقتمضُ
على أنك ترى له لو أن آخر في عتبه حين ضمضته الحوادث وهدمته غيابة السجن

فاذلت من كبريائه وطامنت من نفسه ... تراه في حاله هذه يعتب في خضوع وخضوع
على ابن جهور في اسلوب من الاستعطاف والاسترحام يقول له :

أي هذا الوزير هأنا أشكو والعصى بده قرعها للعلم
وثواء الحمام بالجفن يثنى منه بعد المضاء والتصميم
أقصير مئين خمس من الأيسام ، ناهيك من عذاب ألم ؟
ثم ترى له شذرات من قصيدة في هذا المعنى بعث بها الى مولاه في ذيل رسالته
الجديّة :

وإني لتنهائي نهائى عن التى أشار بها الواشى ويصقلنى عقلى
أأقتض فيك المدح من بعد قوة فلا اقتدى إلا بناقضة الغزل
هى النعل زلت بى فهل أنت مكذب لقليل الأماضى انها زلة الحسل ؟
ألا إن ظنى بين فعليك واقف وقوف الهوى بين القطيعة والوصل
﴿ التصبر وادخال السوى على نفسه وترقب الفرج ﴾

وما كان ذلك العقل الوفير والنفس العظيمة والعلم العليم ليعدم في محنته عزاء
له فكان خياله يرقه عنه في بلواه ، وكان بصره بمواقع الخطوب والمأثم بحوادث
ازمن يواسيانه في محنته ، فيتمنى ويتشكى ويذكر الامثال التى تبعث من نفس كليمه
مرزومة ثم يرجع على نفسه يواسيها وتعلل بالأمل :

إن قسا الدهر فللمسا من الصغر انبجاس
ولشئ أمسيت محبو سا فللغيث احتباس
ويشت المسك فى البتر ب فيوطا وئداس

وما ألفت وصفه لنفسه ووشاته حين يقول :
كان الوشاة وقد منيت بانفسكم أسباط يعقوب وكنت الديبا
وما أحكمه حين يقول :

ما على ظنى بأس يجرح الدهر ويأشو
ولقد ينجليك إغفا لئ ورديك أحتراسا

﴿ وثوق الرجل من نفسه ومعرفته لقيمه الادبية ﴾
ولقد يغتر الكاتب الغرّ بقوته فيتمطق بنفس ذهابه عن قدرته ويذهب الناس
على أثره في تنقصه . أما ابن زيدون فما أحراه بعد أن فرغ من معرفة أقدار الناس

ومنازلهم أن يتحدث عن نفسه حديث الواثق منها المتطامن لبلغ اجادتها إذ يقول :
 أحين رفّ على الأفاق من أدبي غرس له من جنه يانع الثمر
 وسيلة سبباً إلا تكف سبباً فهو الوداد صفاء غير ما كدر
 وكأنه رأى أنه نال من قيمته الأدبية فأزها دون منزلتها فتحدث الى التاريخ
 يستوحيه أن يحفظ بترائه والى أهل الأدب ان يمنوا به فقال :
 سيمنى بما ضيعت منى حافظ . ويعلم أرخصت من خطرى مغلّى
 ﴿ هجاء ﴾

أما هجاءه فكان مرّاً لا ذعاً، يدلك على مبلغه فوق ما تقدم ذكره في رسالته الهزلية
 ما تراه له يخاطب به ابن جهور قائلاً :
 لا تخش لأمتي بما قد جتته من ذاك فيّ ولا توقّ عقابي
 لم تحط في أمرى الصواب موقفاً هذا جزاء الشاعر الكذاب !
 وتراه في ذمه لابن عبدوس (النار) يعمن في هجائه ويدفع التهمة عن نفسه بقوله :
 غيرتمونا بأن قد صار يخلطنا فيمن نحبّ وما في ذاك من عار
 اكلم شئاً أصبنا من أطايبه بعضاً، وبعضاً صفحنا عنه للعار !
 ﴿ حسن الاعتذار ﴾

وما إن تقف لهذا الشاعر العالم المطلع على اعتذاره حتى تؤخذ لتصرفه وتمكنه
 وحسن تخلصه من الحوازب :
 وهلا جنيت الأئس من وحشة النوى وهوّل السرى بين المطية والرحل ؟
 وأين جوابك منك ترضى به العلا إذا سألتني عنك السنة الخفل ؟
 ولقد تعترف للرجل بمكانته السامية وتكبر من خطره حين يخرج بك من
 اللوم عليه الى كبل المدح والثناء له حيث يقول مادحاً المعتمد بن عباد بعد ان
 مدح ابن جهور قبله :

مهما امتدحت سواك قبل فإنيما مدّحي الى مدّحي لك استطراد
 يفضي الياديين القوارس حِقْبَةً صكيا يعلمها الزوال طراد
 تنظر كيف كان منه هذا التنصل الحسن إذ وقف نفسه على المدح فرن فيه حتى
 إذا أجاد أهدى ثمرة مدّحه الى الممدوح ؟



في الحب

وقفتُ تُناجِي (الشمس) حين تجاهلتُ
نظقتُ بروح الشمس واستوحتُ بها
وَمِنَ الرموزِ حقائقٌ ودقائقُ
وقفتُ نَحْنُ لها الضحايا مثلاً
في الميكلِ المُضغِي إليها رهبةً
وترى النقوشَ تَمُصُّ أشكالها
وكأنما العمدُ التي رَفَعَتْ مَدَى
وَإِذْ القُدُورُ تَضُمُّ أنفاسها
والشمسُ تبسمُ روعةً وتألها

أَنْ الشُّمُوسَ بِحُبِّها تتلألا
معنى يَبُوحُ به الآلهُ تعالى
حتى نكاد زى الأصيلِ مثلاً
حَنٌّ بِخُورٍ تَجَاهُها إقبالاً
حتى الظلالُ بِوِ وَقَفْنَ ظلالاً
أُمُّ تَطْلُ ولا تُريدُ زوالاً
هذي القنُونُ يزهوها تتعالى
بالحبِّ من أنفاسها^(١) يتوالى
لِمَ لا وقد عشقَ الجمالُ جمالاً؟

هذي حياةُ النيلِ رَبَّةُ عرشِهِ
وقفتُ تصلى والصَّفوفُ ورائها
رَفَعَتْ يَدًا بِالزَّهْرِ وهو شقيقها
والخُورُ والولدانُ من أتباعها
وَإِذَا بِأَخْناتُونٍ يُنصتُ غارقاً
وهبَ السَّلامَ إلى القلوبِ مؤاسياً

ومنى (أنون) رشاقة وجلالاً
كالدهرِ يجمعُ نحوها الآمالاً
وَعَمْدُ أخرى في ابتهاجِ طالاً
حتى الخيالُ لهنَّ ليس خيالاً
في الحُلُمِ يرقبُ حوله الأجيالُ
ورأى الحروبَ سفاهةً وضلالاً

(١) يشير إلى تفریق زوجة عامل مصر اخناتون وهي المرتبة في موقف الصلاة والابتهاج .

ومخالفاً^(١) والشمس فيما اشرفت
وكأنما هذى الأشعة لم تزل
نطقت بها الذرات لو يُصنَع إلى
والفن ينظم القرون فانه
بهما ضياء خالداً وكمالاً
من ذلك الأمل العظيم مقالاً
ما حُلت منه تقاولاً وسؤالاً
روح الزمان فإيهاباً محالاً
أهمركى أبوساى



الصائدة المتجرّدة

حواله أم جنيّة البحر
خأمت ولكن فى حى هيف
ولقد أعدت فوق هاميتها
إن فوجيت مرسلة سائرة،
كنموذج الفنان هياها
ملا الشباب إهابها فقة
خمر الحياق فن ترسّمها
قامت على رمل غدا تبرأ
فقدت وكل الحسن فى شطر
فكأنها بلبقيس فى ساء
نهزت رياضتها على طول
فى الصبيد أم نصت من الحر ١٢
قد لقسها بالزفر فى ستر
نوباً لبثتها من الشعر
خير المثال لناجت الصخر
مستلها من سبطها النضر
فقرت قلوب الناس بالبهير
لم يعن بالآمال والمفر
ومنت على حصبة كالدر
وجمع خلق الله فى شطر
فى معزلة إلا عن الظنير
للسوس مملك الحسن فى طول

يا بنت مومى أنت واقفة
السر ضمت أبوك عصى
حملتك أمواه مرققة
فوق الميام ولست فى مذعر ١
لكن عيونك مبعث السخر
لا ذات ألواح ولا دمر

(١) اختاؤون وتقرينى .



الصائدة المتجردة

﴿ دراسة الفنان ج. ل. أربولو ﴾

والموج من دهن على دعة
وخطوت فوق الماء لا عجباً
فنجوت منه ، وإنما عجبته
للماء حيث وقفت جرجرة
إن تسخري فالناس سخرية
إن يستروا ستروا على شر
ياليستهم حاكوك تعرية
صيدى أو السهم لهنو محفظ
والخلق طلاب لما جهلوا

ما الصيد للاممالي تسلية
فاغسر الرياض فانت للزهر
قد كان هذا البحر مضطرباً
روضته كالوحش قر ، فسا
إن الذين رأوك قد وقفوا
وبدا جبين الماء من فرقى
وداع من زانت حواشيه
والموجة المزبدة طرحت

ولديك كل الصيد في البر ١٢
مخلوقة ، والحسن للزهر
ولكم أبادت ثورة البحر
تخمينه للتاب والظفر
أترى وحتى اليم في الأثر
خوف اقضاض لقاعة العصر
متعصنا كالعائيق المذرى
تجشرو لدى قدميك في العبر

اسماعيل سرى الرهشاه





الشعر

﴿ ومنزلته في الآداب العربية في مصر والشرق ﴾

قرأتُ في مجلة « أبولو » (عدد أكتوبر الماضي) مقالا ممتعا لصديقي الدكتور محمد بك حسين هيكل محرر « السياسة » ، عرض فيه للشعر العصري في اللغة العربية ومنزلته في الآداب العصرية فذهب في مقاله مذهبا أخذ يذيعه منذ زمان مضى على صفحات « السياسة الاسبوعية » حيناً وفي كتبه حيناً آخر . على أننا لا نزيد أن نورط الدكتور هيكل بك فندعو ما كتب مذهبا جديداً في الادب ، لأن ما كتب في هذا الموضوع لا يتعدى حد أنه فكرة حاول من طريقها أن يصور حالة الادب العربي ليقول إن الشعر العصري قد فاتته النثر بمراحل واسعة ، في حين أن الشعر كان من الواجب أن يتصدّر زعامة الأدب العربي . وجاء في مقاله ذلك ما يلي :

« ... أحس منذ زمان بعيد ومنذ اطلعت على آثار شعراء الغرب أن الشعر العربي لم يفتح كثيراً من ميادين الشعر الخاصة به . والناقدون يفسرون هذا بأن نشأة الشعر في البداية من شبه جزيرة العرب قد ضيقت نطاقه وحدثت من دائرته . وهذه حجة غير مقنعة في رأيي . فبني أن يحتمل لا يمكن أن تعتبر غلا في عنى الشعر بعد أن امتد سلطان الحضارة الاسلامية الى بلاد غنية بأساليب الشعر وفنونه وبالميادين التي اقتحمها . ولست أرى كذلك أن الدين قد كان سبب هذا القصور الذي قعد بالشعر عن اقتحامه الميادين جميعاً . فالدين يفتح أمام الشعر ميادين كثيرة جداً ويشجع عليها ، ومع ذلك قعد الشعر عن اقتحامها . فلا بد إذن من التماس الاسباب لهذا النقص في أطوار الامم التي تتكلم العربية من نواحيها التاريخية والاجتماعية والسياسية . وربما ظن بعضهم وجوب التماس هذه الاسباب كذلك في ناحية الجفنية

وهل كانت السامية التي ينتمى إليها أكثر المتكلمين بالعربية سبباً في هذا النقص أو لم تكنه .

وهذه الفكرة في بحث الدكتور هيكل بك قضية تتبعها قضية أخرى هي أن الشعر العصري جارى الشعر القديم فلم يستطع أن يقتحم ميادين الحياة جميعها . فقصّر عن اللحاق ببقية صور الأدب في العصر الحديث . أما السبب الذي يعزوله الدكتور هذه الظاهرة فينحصر في قوله : « أن لا سبيل الى اقتحام الشعر ميادين جديدة والى اندفاعه في تيار النهضة بالقوة الواجب أن يندفع بها ، الا اذا اقتحم رافعوا لواء الشعر هذه الميادين بروح جديدة : روح غير روح الانانية التي تمصرهم أكثر الامر في دائرة ضيقة من عواطفهم الوقتية او تفكيراتهم السطحية أو أخيلتهم القليلة الارتفاع » فكانه يريد أن يقول إن الشعر العصري قد ورث عن الشعر القديم ضيق الخيال وسطحية التفكير وفراغ الأخيلة ، وأنه لهذا انحصر دائرته وحددت ميادينه بمحدود الانانية التي غزت الروح العربي وأثرت في كل الشعوب التي ورثت العرب في أدبهم وصور ثقافتهم جميعاً .

ومحصل الفكرة التي نحول في رأس الدكتور ينحصر في أن الأدب العربي لم يقتحم ميادين الحياة جميعها وأن الأدب العصري ورث هذه الظاهرة ، وأنه لا سبيل الى التخلص من آثار هذا النقص إلا بأن يقتحم الشعراء المحدثون ميادين الشعر بروح جديدة أما الأسباب التي قعدت بالعرب عن اقتحام ميادين الحياة مشبوبة في الشعر والأسباب التي قعدت بالمعاصرين عن التخلص من آثار الوراثة التي ورثناها عن العرب وكيف نستطيع أن نحقق ذلك الروح الجديد الذي يمكن الشعراء من اقتحام ميادين الحياة كلها ، فأمر لم يمرض لها الدكتور هيكل بك فيما كتب في « أبولو » ولا في غيرها من الصحف

على اننى لست أدري بادية بدء لماذا لا يكون للروح الدينية أثر في صد روح الشعر عن الانبعاث في ميادين جديدة واقتحام ميادين الحياة برمتها ؟ قد يقولون بأن روح الدين لم تصد أدباء أوروبا وشعراها عن ذلك ، غير أنهم في ذلك انما يغفلون عن حقيقة تضع فارقاً عظيماً بين الأثر الذي خلقه الدين النصراني في أوروبا والدين الاسلامي في الشرق . على أن هذا الفارق لم يكن راجعاً الى طبيعة الدينين ، بل الى طبيعة البيئة والنشأة التي نشأت فيها شعوب الشرق وشعوب الغرب . فكان من

أثر هذا أن تكونت في الشرق حضارة قامت على الدين ، أما في الغرب فقد تكونت عقيدة دينية قامت على الحضارة .

نعم لا ننكر أن عيسى عليه السلام قد بلغ شغاف روما وفي يد انصاره كتاب منزله تكونت أجزاءه من روح النسك الاسيوية . ولكن الحقيقة ان الحضارة الرومانية ابتلعت هذه الروح وظلت طليقة من آثار الاسيويات بكل صورها ، فظلت كل صور الثقافة طليقة من الأفكار التي قد تقمع العقل والمشاعر ان تسبح حيث أرادت وأينا شاعت ، حتى لقد امتدّ خيال ملتن الى الفردوس المفقود وخيال دانتي الى الكوميديا . فدخل كلاهما الميدان بشعور غير مفسد بالتقاليد وخيال غير مقيّد بالقدسيّات ، الى الحد الذي يصد الروح الأدبية عن الانبعاث في سبيلها المرسوم . وعلى الضد من هذا كان الشرق : فان القرآن قد أدعى رسالته وحصر اعجازه في البلاغة والإيجاز . وقال بصريح العبارة « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » ثم « وما فرطنا في الكتاب من شيء » . فالشعر غير مبتغى في ذاته ، والكتاب حوى كل شيء . فاذا تذكرنا ان هذه النصوص المقدسة تقيد ضامراً المسلمين كما تقيدها قواعد الدين الأصلية من صيام وصلاة وزكاة وحج ، أفلا يكون من المنطق الصحيح ان تصدّ هذه الروح القدسية أخيلة الشعر عن الانبعاث في اقتحام ميادين جديدة في الحياة تتناول صور الحياة على حقيقتها ؟ ثم من الشعراء يحاول بعد نزول القرآن ان يقتحم ميادين الحياة بعد ان انتقلت الحياة العربية بكل صورها من الدنيا الى الآخرة . وبعد أن اعجز القرآن العرب من طريق البلاغة وصور لهم ان هذه الحياة طريق الآخرة وخادمتها ، وساعد روح النسك الاسيوية على أن تتمكن هذه الفكرة من أهل الشرق الاسلامي فتصغير أخيلتهم عصرهم ومجدها تمجيداً ؟ لهذا نجد ان كل صور الأدب العربي قد نزلت الى خدمة الأغراض الآخروية دون الأغراض الدنيوية ، لقد ردت كل صور الثقافة ومنها الشعر فأعجزته عن اقتحام ميادين جديدة في الحياة أو في طرف واحد من أطرافها الفتية ، ولقد أصبح الشعر بعد ذلك أداة لمجندم الأغراض الآخروية كسكل أدوات الثقافة الأخرى : كالنثر والفلسفة والكلام . وإذن يكون الشعر قد قيده الدين وأثر فيه فصدّه عن اقتحام الميادين التي ينبغي الدكتور هيكل بك على الشعراء المحدثين عجزهم عن اقتحامها . وإذن يكون النواء الوحيد هو تحرير الأفكار وفك الضامر من أسارها القديم ، وحلّ الأخيلة عن خدمة الأغراض الدنيوية .

بعد هذا تتساءل: هل تحررت الأفكار في الشرق بحيث تستطيع أن تفك أغلال الماضي وتفتح ميادين جديدة في الشعر والحياة ؟ اللهم كلا !

من رأى الدكتور هيكل بك أن النثر قد اقتحم ميادين جديدة لم يقتحمها الشعر وأنا أوافق على هذه الفكرة ، ولكن هل استطاع النثر أن يقتحم طريقه إلى النقد التاريخي في أشياء تتناول الاخرويات أو القدسيات ؟ هل استطاع أن يتناول البحث النقدي الأدبي في علاقته بالأدب الديني ؟ وهل ينكر أحد أن علاقة الأدب العربي بميادين الدين وثيقة إلى درجة أن الفصل بين الطرفين مستحيل ، وأن تجريد الأدب من النقد يحرم الأدب من كل المبررات التي تحيز لنا أن ندعو الأدب العربي أدباً على إطلاق القول ؟ هل اتصل الأدب النثري بالعلم ؟ وهل اقتحم طريق الفلسفة ؟ هل استطاع أن يبت فينا روح العلم والفلسفة كما بشها فولتير وبابل وهوربول وداروين وغيرهم من عظماء الغرب ؟ لم يستطع النثر أن يصل إلى شيء من هذا ، وعلى هذا يكون النثر أيضاً في حاجة إلى اقتحام ميادين جديدة في الحياة يأخذ عدته لها من روح جديدة . وإذا كان يكون كلا عنصرى النهضة الأدبية في احتياج إلى روح جديدة فتفتح لهما ميادين يقتحمها .

هذا شأن النثر الذي يعتقد الدكتور هيكل بك أنه يزّ الشعر وتقدمه في ميادين الحياة . فهل يصح لنا أن ننسى على الشعر محزه عن اقتحام ميادين الحياة جميعاً ، في حين أن النثر قد عجز بالفعل عن اقتحام باب واحد من تلك الأبواب التي أكل مصاريها الصدا ولا تزال مغلفة اغلاقاً محكماً ؟ ثم ألا ترى معي أن الميادين التي اقتحمها الناثرون لا تزال محصورة في الانانية التي « تحصرهم أكثر الأمر في دائرة ضيقة من عواطفهم الوقتية أو تفكيراتهم السطحية أو أخيلتهم القليلة الارتفاع » كما يقول الدكتور هيكل بك في الشعر والشعراء . على أن النثر أيسر من الشعر طريقاً وأسلي قياداً وأبين سبيلاً . وعلى هذا يكون عذر النثر في المعجز عن اقتحام أكثر ميادين الحياة غير مبين تماماً ، ما لم نعد بالبحث إلى نشأة النثر والشعر إلى أصولها والمؤثرات التي أثرت فيها منذ قيام الاسلام إلى اليوم .

نعوذ بعد هذا إلى السبب الثاني الذي ذكره الدكتور هيكل بك وشك في أن يكون سبباً في صد الشعر عن اقتحام ميادين الحياة جميعاً ، وهو « الناحية الجنسية » التي يبدى شكها فيها بقوله « وهل كانت السامية التي يلتقي إليها أكثر المتكلمين بالعربية سبباً في هذا النقص أو لم تكنه » .

ولا شك مطلقاً في أن الروح الدينية قد صدّت كل المختكين بها في الشرق عن الانبعاث في سبيل اقتحام ميادين الحياة . فالقرس وهم من أصل آري ، لا من أصل سامي ، لا يتزلون عن العرب تقيّداً بهذه الروح لا في العصر الحاضر ولا فيما سبق من العصور . ولكن لماذا لا يكون لنشأة الساميين وبيئتهم أثر في كل هذا ؟ فالساميون الذين يمثلهم في العصر القديم ملوك الرعاة الذين غزوا مصر واليهود الذين يعتد تاريخهم الى أبعد العصور ولا يزالون الى اليوم خير من يمثل السامية ، كلهم قبائل رحل نشؤوا في الصحراء وتأثرت عقولهم وأخيلتهم بفكرة الوحدة والاطراد التي غرستها في نفوسهم طبيعة البسالة التي نشؤوا فيها . فهم والعرب شرع في حكم التأثر ببيئة واحدة وبأخيلة بعينها . ولقد كان أثر الدين الموسوي فيهم كبيراً لا يقل عن أثر الدين الاسلامي في العرب والذين وقعوا تحت سلطانهم . والمصريون كما ثبت اخيراً لا يمتّون للسامية بنسب ، بل هم سلالة من سلالات البحر الأبيض المتوسط لاعلاقة لهم بآسيا على اطلاق القول ، كما أثبتت البحوث العلمية الجديدة في نشأة الشعوب . فلماذا يكون الأدب في شمال البحر الأبيض المتوسط غيره في شاطئه الجنوبي ، والدم واحد والاخيلة واحدة ؟ ان أثر النشأة والبيئة وأثر العقائد والتربية كل هذا له نتائج في فرع الفكر والخيال ، واذن تكون النتيجة ان السامية ، لدى الظاهر ، لا تحمل مسؤولية النشأة يبدو على الادب الحديث وعدم قدرته على اقتحام ميادين الحياة . ولكن اذا أردنا ان نصل الى الحقيقة لا إلى الظاهر ، وجب علينا ان نسأل : ماهي البيئة ؟ أليست هي مجمل الظواهر التي تبدو على جماعة من الجماعات منتزعة من طبائعهم وغرائزهم ؟ واذا صح هذا وقبلناه راجعين به الى حقيقة العلم لا إلى المنطق فحسب ، استطعنا ان نحمل السامية بروحها الأخروية - التي هي صورة من صور الطبع الرئيس من الساميين - كثيراً مما يبدو على الأدب الحديث من العجز عن اقتحام ميادين الحياة ، واستطعنا ان نحمل أثر هذا الطبع في تصوير العقائد وتحديد ميولها وزعاتها بينما في التأثير الذي يدل على الشعوب التي غزتها السامية بأفكارها وعقائدها . ولهذا وجب علينا ان نربط بين النقد الأدبي وبين نشأة الشعوب التي نققد آدابها ، وأن نتغلغل في صميم تاريخها وندرس عقائدها وأخيلتها والانهجيات التي تنبع منها أقيستها المنطقية على الأخص ، وإلا فانا ولا شك نعجز عن أن نحمل للنقد أثره الأقوم في توجيه الأدب ، لأن النقد لدى الواقع هو هذه الأداة التي توجه الآداب في أية طريق يختار . على اننا بعد كل هذا نتفق والدكتور هيكل بك على اننا نحتاج الى روح جديدة

نستطيع من طريقها ان نفتتح للآداب الجديدة ميادين جديدة في الحياة . غير اننا محتاج الى هذه الروح في النثر والنقد كما محتاج اليها في الشعر . وما هي هذه الروح ؟ عندى انها روح التحرر من التقاليد وفك العقول والاخيلة من اسارها القديم ، والفصل بين الدنيا والآخرة ، وبالأحرى بين الحياة والموت .

إن النثر والشعر صورتان من صور الادب العالى لهما في كل لغة من لغات العالم الحية قديماً وحديثاً اثرهما وشأنهما الاعلا . غير ان النقد ، وهو عنوان هذا العصر ، لا يمكن ان يتركهما من غير ان يتحداهما بسلطانه الذى قال فيه إدورد كيرد انه سلطان لم يفلت منه الدين مستوياً على عرش القداسة ، ولا القانون مستوياً على القوة والسلطة .

ولكن لا بة صودة من صور النقد محتاج لى تفلح في ان نفتتح للنثر والشعر ميادين جديدة يقتحمها الى صميم الحياة ؟ لاشك في اننا محتاج الى النقد الحر الذى لا يفلت منه الدين في علاقته بالآداب ، ولا القانون في علاقته بالأنظمة الاجتماعية . أما الى غير هذا من صور النقد فلا حاجة لنا .

جعلت الحياة حرة طليقة ، وعلى هذا شاعت الطبيعة الحياة ان تكون . واذن فلا يستطيع ان يقتحم ميادين الحياة إلا الأحرار . أما غيرهم فلا نصيب لهم في الحياة بل نصيبهم الموت والفناء ؟

اسماعيل مظهر

حائراً !

قبل أن أعرج على هذه القطعة الشعرية من الناحية الفنية ، أو أتكلم عن قيمتها الأدبية ، أقف هنيهة عند عنوانها « حائر ! » : ذلك اللفظ الذى يشعر حقيقة بالاضطراب وعدم الاستقرار .

يشعر الانسان أحياناً شعوراً غير اعتيادى ، يملك عليه كل حواسه ومشاعره ، شعوراً عميقاً لا يدري كنهه ولا مأتاه ، ولا يعرف عنه إلا أنه سبب له انقباضاً ،

إن كان شعوراً بألم ، أو انبساطاً ، إن كان شعوراً مسحوراً ببلدة أو مرور . وقد يصل به الانقباض إلى درجة السآمة والضجر ، فتبدو عليه الكتابة ، ويستولى عليه الحزن واليأس ، ثم هو يحاول أن يخلص نفسه من هذه الحال المظنية ، التي يقاسى ألمها ، فلا يجد ثمة طريقاً إلى الخلاص ويزيد في انقباضه تفكيره في الخلاص منها ، ثم لا يلبث أن يستسلم لليأس ، ويفغره الحزن ، وتثور فائزته ، فلا تهدأ إلا بعد أن يطفئها بقليل من العبرات التي تجود بها عيناه .



عبد العزيز محمد غلية

هكذا كان الشاعر سيد قطب عند ما بدأ بتسليط هذه المقطوعة ، وهذه هي الحال التي يعانيها كثير منا ، إلا أنه كان أقدر على التعبير عنها وطاوعه بيانه ، وطاوعته شاعريته على إبرازها صورة واضحة جليلة لا تدل إلا على الحيرة ، ولا تعبر إلا عن عدم الاطمئنان ، وتقننا على ما كان يخالج في صدره من شعور واحساس . وكلما كان الشاعر قادراً على التعبير عما يحيش في صدره من المواقف النفسية المختلفة كان واضح الشاعرية ، وسما مركزه بين الشعراء كشاعر .

مقدمة لأبد منها للحديث عن هذه القطعة « حائر ! »

ونعود بعد ذلك إلى الكلمة فنجد أن الشاعر قد انتحى فيها ناحية فلسفية حينما اتخذ من فؤاده طريقاً شريداً هائماً على وجهه في الإودية يبحث عن مأوى يسكن إليه ، ويجد فيه شيئاً من اليقين الذي ينشده ويتمناه ، وهو عند ما يقول :

اطباء الليل إلا من فؤاد خافق يرفف كالطير الدبج
مستطار هائم في كل وادٍ ألفا آن له أن يستريح !؟

انه يحيا كما يحيا الطيرد باحثاً في الأرض عن مأوى أمين
حيرة لجت على هذا الشريد ليته يلقي شعاعاً من يقين !

كان يشعر بالحيرة التي كان يعانها فؤاده ، وهل الفلسفة إلا ذلك ؟ خصوصاً وأن هذه الحيرة لم تكن لأمر من الأمور التي تدعو للحيرة عادة في الحياة اليومية المعروفة فلم تكن حيرة «ماضٍ قد ذهب ، ولا مستقبل ضاع هباء» ولكنها كانت حيرة نفس فائرة غير مطمئنة ، وفؤاد مضطرب غير مستقر . أما عن النقطة الثانية (مزايأ أسلوبها ودلالاته بالنسبة لنفاثي التعبير) فقد يكون في مقدمة كلمتي هذه ما يصلح عنها جواباً .

ويدل على عصرية هذه المقطوعة بعدها عن الأغراض التي اعتاد الشعراء سابقاً السير على نهجها وعدم الحيدة عنها والتي هوت بالشعر العربي إلى درجة غير محمود ، فقد حملوا الشعر ما لم يخلق له وجعلوه خاضعاً لأحكام الظروف والمناسبات الرخيصة ، فلم يكن أملاً من شعورهم وترجماناً لعواطفهم ، و امرأة لأحاسيسهم ومشاعرهم .

ننظر بعد ذلك إلى الكلمة في ألفاظها وما حملته من معاني : لبعض الألفاظ دون بعض نفمة موسيقية خاصة تجعلها عذبة محبوبة تطمئن الأذان لسماعها ، وترتاح النفس عند قراءتها ، وهذه الألفاظ كثيراً ما يحتاج إليها الشاعر ليعبر بها عن المعاني النفسية الدقيقة الحساسة التي يريد أن يقولها ، وهذه الميزة تبدو ظاهرة في تلك القطعة ، ولعل هذه أوضح مميزات الشعر المصري . وإذا أضيف إلى هذا ما ذكرته من وضوح التعبير فيها ، والغرض الذي قبلت فيه ، وموسيقية ألفاظها كانت هذه أهم مظاهر التجديد فيها .

أما الإجابة عما إذا كان لهذه القطعة نظائر في شعرنا « الكلاسيكي » فتبدو عسيرة متشعبة النواحي يضيق المجال هنا عن شرحها بالدقة المطلوبة ، لأن هذا الموضوع يحتاج إلى مقال خاص . فكثيراً ما يوجد في الشعر « الكلاسيكي »

شئ من هذه الروح ولكن ينقصها الترتيب والدقة والاتجاه ، وهذه الناحية في الشعر — وإن وجدت — في شعرنا الكلاسيكي قديماً وحديثاً إلا أنها لم تتخذ لها اتجاهات مقصوداً وإنما كانت تأتي في الشاعر عفواً وفي ثنايا شعره .

أما أمارات شاعريتها القوية فهذا أمر يشعر به السامع ولكنه لا يستطيع التعبير عما أحسّه من قوة وجمال ، وكل ما يعلمه أنه شعر عند سماعها باطمئنان ، وأنها صادفت عنده قبولاً . ولكن لماذا ؟ لا يدري !

ونحن إذا راعينا سنّ الشاعر ولون ثقافته وجدنا أنه قد وصل إلى مرتبة في الشعر ، وإلى اتجاه خاص ، يصح أن يقال فيه : أنه ليس الاتجاه الذي كان يتجه عادة من هو في سنه وفي مثل ثقافته من الشعراء .

وبعد ، فقد يعزّ على إنسان يعجب بقطعة من الشعر أن يحسّ فيها عيوباً ، وقد يكون غير مصيب في هذا ، إلا أن إعجابه بها قد يعميه عن نواحي الضعف فيها ؟

عبر العزير عمر عطية



الزعم

ومخرق عنه القمص نخله بين البيوت من الحياة سقيا
حتى إذا رُفِعَ اللؤلؤ رأيتَه تحت اللؤلؤ على الخيس زعيا

أما أن هذين البيتين رائعان ، وأما أن الشاعر قد أجاد في إرسالهما أو جاوز حدّ الاجادة فذلك ما نسلم به ويملّم به معنا القراء . ولكن الذي يزيد أن نتحدث عنه هو موضع الروعة ومحل الإعجاز وسر الجمال فيهما . ولعل موضع الإعجاز في هذين البيتين هو أنهما يصوران لك النفس العالقة في صورتين مختلفتين ، صورة هادئة وادعة لا تود أن تعلن عن نفسها أو تشعّر من حولها بوجودها ، وصورة متوقّبة عاملة تتضاقل النفوس بمجانبتها وتتجلى فيها البطولة والتضحية . وهما يمثلان على وجازتهما أمام ناظرينا فصلين من فصول الخيّالة : يترأى لك في الأول مخلوقاً ضليلاً يتمرّ بين المنازل في أسماحه البالية ، ويتوارى عن العيون حياة وخجلاً حتى

لتحبسه هزيراً مريضاً ويسدل عليه الستار ، وأنت أشد ما تكون إشفاقاً عليه ورحمة به . ثم يرفع الستار في البيت الثاني عن ذلك المخلوق الضئيل وقد تُفخ في بوق الجهاد ونادى منادى الحرب فترغم قومه وكان من جيشه في الطليعة ، ثم يسدل عليه الستار وأنت أشد ما تكون إعجاباً به وسروراً . بل إن في هذين البيتين من سرعة الانتقال التي تكاد تجمع بها في ذاكرتك بين الصورتين وتقرن بين الحالتين ما لا تستطيع أن تتظفر به من الخيالة .

وإخالك بعد ذلك قد فهمت أن سرّ الإبداع في هذين البيتين ليس هو دقة التصوير وخشب ، فإن ذلك موجود في الشعر العربي بكثرة ، بل إن هذا المعنى نفسه قد سبق الشاعر إليه كثير من الشعراء ، يحضرنى منهم الآن العباس بن مرداس إذ يقول :

ترى الرجلَ النحيف فتزدريه وفي أثوابه أسدٌ سرورٌ
ولكن موضع الإبداع إنما هو في سرعة الانتقال والجمع بين الحالتين متناقضتين كل منهما في ناحية تقريباً .

ولحن لا تزال نعتقد — حتى يأتينا القراء بغير ما نعتقد — أن حفظ هذا النوع البديع من الشعر العربي ولا سيما الجاهلي منه كان ضئيلاً . ولقد كان الشاعر يجهد لغرضه بمشقة أبيات أو تزيد ثم لا تراه بعد ذلك يجيد الانتقال ... وها هو زهير ابن أبي سلمى زعيم الشعراء في هذا العصر لا يستطيع أن يتخلص إلى مدح هرم ابن سنان بعد أن ذكر في وصف الديار والاطلال أكثر من خمسة عشر بيتاً إلا بهذا البيت الذي لا علاقة له بكل الغرضين (الوصف والمدح) :

دَعْ عَنْكَ ذَا وَعْدِ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ خَيْرَ الْبُذَاهِ وَسَيِّدَ الْمُحْضَرِ
ولعل أبداع ما نعلمه في هذا قول الشاعر العربي يصف ديَار أهله بعد اغتراب طال مداه :

بِالْأُمْسِ كَانَ بِكَ الظُّبَاءُ أَوَانَسًا وَالْيَوْمَ فِي عَرَصَاتِكَ الْغُرَبَانُ
فقد استطاع الشاعر في هذا البيت وحده أن ينتقل بفكره مسرعاً من حال إلى حال تخالفهما .

وأحسب أن شاعرنا عند إرساله هذين البيتين كان متأثراً إلى حد كبير بقول عنتره العبسي مخاطب عبلة :

ضحكتُ مُعْبِلَةً إِذْ رَأَيْتُنِي مَارِياً خَلَقَ الْقَمِيصَ وَسَاعَدَنِي تَحْدُوشُ
لَا تَضْحَكِي مِنِّي مُعْبِلَةً وَأَعْجَبَنِي مِنِّي إِذَا التَفَعْتُ عَلَى جَبُوشِ
وَرَأَيْتِ رُوحِي فِي الْقُلُوبِ عَحْكَاً وَعَلَى مِنْ فَيْضِ الدَّمَاءِ مُتَقُوشِ

فهو كما ترى يصور لحبيته منظرين : رفع الستار عن الأول فإذا به خلق الثياب جريح الدراعين ، وفي المنظر الثاني كشف لها عن بطولته واقدامه وصبره على لقاء أعدائه . وحول ذلك صورة من الضرب والطمع والكرّ والفرّ : والموقف واحد تقريباً وإن كان شاعرنا قد أجمله في بيتين بحسب .

وإذا كان هذا الانتقال الخبرى رائماً وجميلاً كما رأيتَ فإنه في باب الانشاء أدروع وأبدع ، بل يكاد يكون من أرق الأشياء الى شعراء المسرح ، كما ترى في النماذج العالمية الممتازة ؟

طلبة محمد عبده



اثنا عشر عاماً

في محبة أمير الشعراء

تأليف أحمد عبد الوهاب أبو العزّ سكرتير المرحوم أحمد شوقي بك، ١٩٢ صفحة،
١٢ سم. X ١٥ 1/4 سم. الثمن ٥٠ ملياً . مطبعة مصر بالقاهرة .

لا نبالغ إذا قلنا إن هذا الكتاب الصغير الحجم الكبير الدلالة مما لا يستغنى عنه أيُّ أديبٍ يعني بحياة شوقي واقتباس الشواهد من عاداته الخاصة وطباعه لتفسير نزعاته الفنية ومرامي شعره ، وإن كنا نتمنى على حضرة المؤلف إصدار جزء ثانٍ يضمّنه الكثير من البيانات التي لم تسمح العجلة بشرها في هذا الجزء . وقد استهله

مؤلفه الوفيّ الفاضل بمقدمة بليغة أتبعها بسيرة الفقيه العظيم ثم بفصل ممتع عنونه « كيف كان ينظم الشعر » وبصور من أدقّ أخلاقه كبره بوالده ووالدته وأخته ومعاملاته لآكل بيته ولخدمه ورأيه في النقد وفي بعض المجالس واجتماعه بسعد باشا ونوادير زيارته لسورية وآرائه في بعض معاصريه وعطفه على المرضى واشفاقه على المريض ، وأشقّ الساعات في حياته ، ثم بفذلكة تاريخية عن أدوار حياته ومؤلفاته وعاداته ووطنيته وقوة ذاكرته وعن حياته البتية وتفاصيلها . وقد أعقب ذلك بنبد مما ظهر في الصحف على أثر وفاة الفقيه من ذكريات وتأئين . وهذه مجموعة خليقة بأن يستهدي بها كل مؤرخ وأديب ناقد ، وحرية بشكرنا لمؤلفها الغيور ، متمنين أن يوفق قريباً إلى إعداد الجزء الثاني من هذه المذكرات للطبع ، فليس بيننا من هو أقدر منه لإداء هذا الواجب . وسيكون من حظنا في المستقبل التعليق في هذه المجلة على جانب من هذه المذكرات القيمة التي لا تنسب هفواتها الانشائية والمطبعة إلاّ لسرعة النشر ، لا سيما ومؤلفها الغيور أديب فاضل وشاعر متصوّف دقيق التعبير .



المثالث والمثاني

نظم حليم دثوس ، جزآن في ٥٤٨ صفحة ، ١٧ ½ سم . X ٢٤ ¼ سم .

تخلله صورٌ عديدة

تلقينا هذا المعر الضخم من زميلنا الفاضل صاحب جريدة (الأعلام) فشقنا الاطلاع عليه لأنه فريد في طرازه ، واتهينا من ذلك الى أنه كشكول ذكريات اجتماعية وتاريخية وشخصية بجانب ما فيه من شعر فني وإن كان هذا الأخير هو أقل ما فيه . فكتاب مثل هذا يرتاح اليه العديون ممن تربطهم بهذه الذكريات وشائج خاصة ويندر أن يرتاح اليه القارئ المنقب عن الشعر الفني الخالص .

فأما عن هذه الذكريات الشائقة فثال لها زيارة المرحوم حافظ إبراهيم بك للبنان (من ٢٤٠ - ٢٥٠ من الجزء الثاني) ولكن معظم هذه الذكريات سورية ولبنانية الصبغة ، وكنا نتمنى لو أن هذه الذكريات الشخصية وشعر المساسيات الخاصة جُمع في كتاب مستقل لمن يعينهم واقتصر الديوان على الشعر الخالص أو ما يقرب

منه مثل قصيدة « الرائد » (ص ١٩٧ من الجزء الثاني) التي تعدّ من أحسن شعر
حليم دموس وفيها يقول :



حليم دموس

يكاد يزججُ الستَرُ عن كلِّ غامضٍ
يطالعُ سفرَ الكونِ حتى إذا انثنى
فيرشفُ الورادُ من قطراته
وينظمُ للأجيالِ خيرَ قصيدةٍ
وينشدُها السَّمَارُ في هداةِ الدُّجى
وما العمرُ إلاَّ رحلةٌ إثرَ رحلةٍ
فن عاش عيشَ الظافرين تبسّمتْ
ومن مات موتَ الرائدِ من مفاصراً
وفتتحُ الأفلاكُ في غزواته
أضاف على المكتوب من صفحاته
ويقتطفُ الرُّؤادُ من ثمراته
يدوِّبها التاريخُ في حسناته
ويذكرها الطيّارُ في رحلاته
يكابدها الإنسانُ قبلَ كمناته
له صفحاتُ الكونِ في خلواته
فدنى العلمُ كان الموتُ بدءَ حياته

ومن المتأدبين من يتطلع خطأً الى الدولوين الضخمة في حين أن ما يمتلئنا هو
الشعر الثقي القديم ، فما كان يضير حليم دموس لو أفرد لشعره الثقي ديواناً خاصاً
حتى ولو جاء صغير الحجم ، فهذا هو الشعر المقدّر له أن يعيش . وخطأ آخر
يقع فيه كثيرون هو المباهاة بسرعة النظم حينما الأجدي اتقانُ الاثر الثقي
بغضِّ النظر عن الزمن الذي يستدعيه هذا الاتقان .

وما دمنّا قد نبّهنا الى حسنات شاعرنا فيجب أن نذكر منها في الجزء الأول
« الدنيا أم » ص ٧ ، و « هل تعلمون ؟ » ص ٧٤ ، و « تمنيات طفل » ص ٨٤ ،

و « الحقّ للحق » من ١٤٦ ، و « حكمة الصفار » من ١٥٥ ، و « سلوى » من ١٧٦ ، و « همسة الطفل » من ١٨٢ ، وفي الجزء الثاني « بين عامين » من ١ ، و « الأمومة » من ١٨ ، و « أمواج الدهر » من ٢٥ ، و « مناجاة طيف » من ٢٩ ، و « الأم ورضيعها » من ٣٣ ، و « قبل ذلك » من ٣٨ ، و « مشهد الفجر » من ٤٤ ، و « في غاب بيروت » من ٥٦ ، و « الشاعر والجراح » من ٩٩

وقد خاطب المرحوم شوقي بك صاحب الديوان بقوله (ص ١٥٣ من الجزء الثاني): « الشاعر الأرقّ الأذقّ » يشير الى رقة تعابيره ودقّة أسلوبه الذي يميل فيه الى السهولة والى الموسيقى التقليدية في معظم الأحوال ، وهو ما يتزع اليه معظم الشعراء المصريين خلافاً للشعراء اللبنانيين الذين يستهويهم الخيال الشعري الجامح في معظم الأحوال أكثر من غيره من العناصر الشعرية .



مجلة الضياء

لمنشئها مسعود عالم الندوى ، العدد ٤٠ صفحة ١٥٣ مم . X ٢٤٣ مم .
شُررنا بهذه المجلة المفيدة التي تلقينا منها حتى الآن ستة أعداد آخرها ما جاءنا به البريد بتاريخ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ، وهي مُنتشرة شهرياً من مدينة لكنو بالهند واشتراكها السنوى خارج الهند ٧ شلنات . وهي موصوفة بأنها مجلة علمية أدبية تعليمية ، ولذلك نجدها متناولة من الموضوعات أمثال : علم الجغرافيا والعرب ، والاسلام في أوروبا ، وتأثير الاسلام في الشعر العربي ، والعلّة الثانية من علل المدارس العربية ، والمصرة ما هي ؟ الخ . وعنوانها :

AL - DHIA, Lucknow, India.

ولا بدّ أن يتّضح كلّ مطلع على هذه المجلة الممتازة برسالتها لخدمة الأدب العربي في الاقطار الهندية الشاسعة ، وهي من أجل ذلك جديرة بكلّ تعضيد من أنصار الضاد أينما كانوا ، وسيجد محبو الشعر مقالات شائقة خاصة بالشعر بين مختلف مجوئها مثل مقالات تأثير الاسلام في الشعر العربي ، فضلاً عن نماذج من الشعر العربي من نظم أدباء الهندود . وهي مكتوبة باليد بقلم واضح ومطبوعة بالحجر طبعاً نظيفاً سليماً .

توزيع أُولو

بيان بأسماء المتعهدين والعلماء والمكاتب

(١) التمهره

في القاهرة

المعلم على حسن الفهاوى بشارع قصر النيل بالقاهرة (تليفون ٥٩٠٩٣)

في الاسكندرية والوجه البحرى

ماهر افندى حسن فرّاج سيدى عبدالرزاق الوفاى نمرة ١٢ بالاسكندرية

(تليفون ١٣٥)

في الوجه القبلى

المعلم محمد على سراج يبنى سوف

(٢) الصمراء والمطاب

في محطات السكة الحديد

مكاتب أقاتس

في شين الكوم

الشيخ عبد المنعم محمد سراج

في بورسعيد

الشيخ محمود جمعة حلبة صاحب مطبعة المؤدب بشارع الأزهر

في الاسكندرية

بطرس افندى ميخائيل بشارع المسلة رقم ٣٨

في المنيا

مطبعة صادق (تليفون ١٨٠ و ٢٦٠)

في الفيوم

ادارة جريدة (الفيوم)

في اسيوط

عبد المجيد افندى داود صاحب (الدليل الاسيوطى).

في القاهرة

بالمكاتب الآتية : الوفد ، النهضة المصرية ، الانجلو ، هندية ، الانجليزية ، الهلال ، الأهلية ، المصرية ، سعد مصر ، كوكب الشرق ، كرامة ، بيت الأمانة ، فنك ، العباسية ، الاقتصادية ، النظامية ، المحمدية ، التلاميذ ، الجمالية ، مجدى ، اليوسفية ، السعيدية ، سوق عكاظ ، الجامعة ، الآداب ، المؤيد ، الأهرام ، التجارية الكبرى ، النهضة الحديثة ، الاستقلال ، مصر الحديثة ، الرياضية ، اللواء ، باب الشعرية ، الفجالة المصرية ، القمر ، سعد زغلول ، الجمالية ، فاروق ، مصر الحديثة ، الاستقلال الجديدة ، المعرض الفني ، الخانكي ، التأليف ، الفؤادية ، صبور .
وبالمجلات التجارية الآتية : محمد نظير ، عبد العزيز راغب ، محمود حسين ، محمد محمود عمر ، حافظ احمد ، عبد الرحمن بهلول ، مصيلحي ابراهيم ، أحمد إمام ، زكي شرف ، علي عفيفي العقاد ، زكي عبد الحيد ، أمين العروسي ، محمود اسماعيل ، سيد أحمد .

في المنصورة

مكتبة الشعب — المكتبة الحديثة — المكتبة التجارية

في سوريا ولبنان والعراق

من المكاتب الشهيرة بواسطة شركة مصاييف لبنان أو من الادارة مباشرة .

في تونس

مكتبة حسن سيالة ، مكتبة الاستقامة ، المكتبة العلمية بتونس — والمكتبة الشرقية بصفاقس .

في المغرب الأقصى

مكتبة لمحم السعادة برباط

في السودان

مكتبة حامد البدوي ، المكتبة العربية ، الخواجة عطا الله جبرة بأم درمان .
مكتبة الباراز السوداني ، زكي جرجس بطليموس بالخرطوم .



تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٥٨	١٠	يومه بجنتنا	نومه بيتنا
٤٦٠	١٩	أسرت	مرت
٤٦٣	١٥	اعتناء	عناء
٥١٧	١٩	عرة	عزة
٥٢٠	١٥	وردد	ورددنا
٥٢١	١٦	للزمان	للزمان
٥٢٢	١٢	وماء	وماوى
٥٢٣	١١	حبا	حبى
٥٢٥	٣	مرسله	مرسله
٥٢٥	٩	مرتبه	مرتبه
٥٢٦	٢	سلامه	سلامه
٥٢٩	٧	المعرف	المعرف
٥٣٦	١	المحرق	المحترق
٥٤٠	١٩	استقر	استغفر
٥٥٠	١٩	لقادر	القادر
٥٤٣	٧	والقن	القن
٥٥٣	٣	ويروج	ويروج



مشمس

سنة
٥١٠

كلمة المحرر

ذكرى شوقي

في ربي الخلد
شاعر الدنيا
الفلسفة في شعر شوقي
شاعر الكون
نبي الشعر
أمير البيان
عرش يهدم
الفجيلة المحرسة
الشعر التي في نظم شوقي بك

الشعر الوجداني

الناي المحترق
الأمل الطامح
قوة العين
الآمال الخادعة

الشعر الوصفي

في القرية
وصف مثل
مسينا

شعر الحب

القلب الهائم
مناجاة
لحد الحب
سراب الأمل
حب وأمل

- ١٢ نظم بشارة الخوري
- ١٦ محمد سليمان الأحمد
- ١٨ بقلم الدكتور منصور فهمي
- ٢٤ نظم هاشم عبد الحفي
- ٢٥ محمد عثمان محبوب
- ٢٨ محمد فريد عبد القادر
- ٣٠ محمود غنيم
- ٣٣ فرحات عبد الخالق
- ٣٤ بقلم مصطفى صادق الرافعي

- ٣٦ نظم الدكتور ابراهيم ناجي
- ٣٧ محمود غنيم
- ٣٨ فرحات عبد الخالق
- ٣٩ حسن محمد محمود

- ٣٩ محمد مهدي الجواهري
- ٤٢ محمد طاهر الجبلاوي
- ٤٣ محمد عبد الغني حسن

- ٤٤ حسن كامل الصيرفي
- ٤٥ متولي نجيب
- ٤٦ عيتان حلمي
- ٤٧ توفيق احمد البكري
- ٤٨ طاهر محمد أبو ظا

صفحة	
نظم محمد فريد عبد القادر ٥٤٩	الامل في الأرجوحة
» محمد احمد محبوب ٥٥١	زهرة في حديقة
	<u>الشعر الفلسفي</u>
نظم محمود عماد ٥٥٢	قصر معطل
» م.ع. الممشري ٥٥٤	خاصة في سكون الليل
	<u>الشعر الفنائى</u>
بقلم محمود حلمى ٥٥٧	صفاته وميزاته
	<u>عالم الشعر</u>
ترجمة احمد كامل عبدالسلام ٥٥٨	ما أعظم ألم
» الأنة اقبال بدران ٥٦٠	الطفل النائم
» مختار الوكيل ٥٦١	أغنية لفيكتور هيجو
	<u>وحى الطبيعة</u>
نظم محمد زكى ابراهيم ٥٦٣	الشمس والكون
» محمود غنيم ٥٦٤	الى القمر
» احمد زكى ابو شادى ٥٦٥	شاطىء الاحلام
	<u>أعلام الشعر</u>
بقلم محمد زكى الدهشان ٥٦٧	ابن زيدون
	<u>شعر التصوير</u>
نظم احمد زكى ابو شادى ٥٧٧	فى المبدع
» اسماعيل سرى الدهشان ٥٧٨	الصائدة المتجردة
	<u>النقد الادبى</u>
بقلم اسماعيل مظهر ٥٨١	الشعر ومزله فى الآداب
بقلم عبد العزيز محمد عطية ٥٨٦	المرية فى مصر والشرق
» طلبة محمد عبده ٥٨٩	حائر
	الزعيم
	<u>نحو المطابع</u>
٥٩١	اثنا عشر عاماً فى صحبة أمير الشعراء
٥٩٢	المثالث والمثنائى
٥٩٤	مجلة الضياء

سيصدر قريباً



(ديوان شعر للدكتور أبو شادي)

لِيَا إِلَى الْفَيْدِيَّةِ مَوْسِيَّةٌ

الترجمة الشعرية الكاملة للدعشان

محفقة رائعة من الأدب المصري

العدد ٣ من أبولو . يُطلب من جميع المكاتب أو من الإدارة مباشرة

الثمن ٣٠ ملياً فقط

ورشة حفر وزنكوغراف

توروس

تتولى عمل رواشم الصور الملوّنة التي تظهر في هذه المجلة

. شارع الأمير السككدار بكري قصر النيل ، تليفون ٤٥٧٥٧



المجلد
الاول

العدد
السادس

أبُولُو

لُجَّةُ الدِّينِ لِلْمَدِينَةِ الْقُدْسِيَّةِ

لسان حال جبهة أبولو

تصدر مرة في كل شهر

فبراير سنة ١٩٣٣

•••••

صاحب الامتياز { أحمد زكي أبوشادي
ورئيس التحرير

الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩
بضاحية المطرية بمصر

التليفون { ١١١٦ ديتون
و ٤٠٨٥٦



مطبعة النبلون





تفضلت صحيفة (البلاغ) المصرية في عدد ٢٩ ديسمبر الماضى بالسطور الآتية من قلم حضرة ناقدنا الأدبى :

« صدرت مجلة (أبولو) للشهر القادم فسبقت ميعادها ودلت بذلك على همه القائمين بتحريرها . ومعظم المجالات الاوربية الأدبية والعلمية تسبق ميعاد صدورها بأسبوعين أو ثلاثة . ويمكن التارىء أن يجد الآن فى المكاتب أعداد شهر يناير لعدة مجلات أوربية .

« وقد عيب على المجلة اتخاذها اسماً اغريقياً وهى خاصة بالشعر العربى واقترح عليها أن تسمى « عكاظ » أو « عطارد » ولكن الذين ذكروا هاتين اللفظتين قد نسوا أن « عكاظ » اغريقية أيضاً وهى تمرب « هيكات » ولسنا نظن أن عطارد عربية .

« ولكن لماذا لم يكتب (أبولو) كما كتبه الطبرى مثلاً فانه ذكره فى تاريخه باسم أبولون .

« ولسنا نظن أن مجلة تختص بالشعر لا تمجد عندنا الجمهور الذى تستحقه ، ولكننا نظن مثل (أبولو) لو اختصت بالفنون الجميلة لانسعت دائرتها وزادت فائدتها . وخاصة اذا علمنا أن هذه الفنون لا يزال الجهل بها أكبر من الجهل بالشعر . وعندنا الآن مدارس للفنون الجميلة لو ان طلبتها وجدوا مجلة شهرية تمينهم على فهم دروسهم أو على التوسع فيها لكان من ذلك فائدة لهم وللجمهور . »

ونحن لا نردّد هذه السطور زهواً بتقدير الزميلة الكريمة ، وانما لنعطى صورة كاملة من رأى حضرة الناقد الفاضل ثم لننتخلص من ذلك الى الاعتبارات الآتية :

(١) يسرنا أن نسجل غير مرة عطف الصحافة على (أبولو) ، فانها الى جانب فائدتها الثقافية الملموسة لا تنافس أية صحيفة أو مجلة لا فى مصر وحدها بل فى العالم العربى بأسره ، وهى بوجودها تسدّ فراغاً محسوساً فى أدبياتنا وتقوم بخدمة بارزة لآبناء العربية . ومن ثمّة كان لها أن تتطلّع الى معاضدة كلّ غيور على

نهضة الأدب الشعري ولا سيما رجال الجامعتين الأزهرية والمصرية ورجال دارالعلوم فضلاً عن رجال الكليات والمعاهد العربية في العالم العربي بأسره وأفاضل المستشرقين . فالشعركان وما يزال ديوان النفس العربية الخالصة ، وذخائر هذا الشعر النفيس جديرة بالاعزاز والتقدير حيثما نطق بالضاد . ولهذا نسجل مفتطين مناصرة الصحافة الشيورة لنا وأخذها بيد هذه المجلة المتعاونة الودودة الى أخواتها جميعاً .

(٢) لقد كان الرائد في تسمية هذه المجلة اعتباراً فرداً : هو أن تحمل اسماً فنياً طلياً يلائم صبغتها ، فلم نر أجلاً ولا أنسب من (أبولو) . وهذه الصياغة أخف ظلاً من (أبولون) ، وليس فيها أى شئ يمس كرامة العربية التي استوعبت في تطورها الكثير من مختار الألفاظ الأجنبية حتى أن كلمة « استاذ » التي يرددها الكثيرون باعجاب يونانية الاصل بل والصياغة ، ولا غبار على ذلك فالثقافة الانسانية مشتركة والعبرة بمبتكرات الفكر الانساني وبجمال النطق الفني . وهذه المجلة لم تلتأ الا لخدمة الأدب العربي فهي أولى من غيرها بالحرص على كرامة لغتنا الشريفة .

(٣) ليس الغرض من هذه المجلة ولا من شقيقتها صحيفة (الامام) الأدبية أن تكونا فرديتين ، وكذلك حال المجالات الاخرى المسؤول عنها محرر هذه المجلة ، بل أمنيتنا تدعيمها جميعاً على أساس تعاوني حتى لا تكون حياتها مرتبطة بحياة مؤسسها ، إذ لم يقتل معظم الاعمال في الشرق غير الروح الفردية ، وهكذا تمّ وتستمر فائدتها . والنية متجهة الى تأسيس هيأتين تعاونيتين : احدهما (مكتب النشر الزراعى) ليتولى الخدمة الزراعية العلمية ، والاخرى (ندوة الثقافة) لتتولى الخدمة الادبية الفنية ، مع توثيق عرى التعاون بين الهيأتين ما دام الغرض المشترك بينهما خدمة الثقافة العامة على أساس شعبي . ومتى تحققت هذه الأمنية استكملنا هذا البرنامج فلن يشق على الهيئة التعاونية المتخصصة للخدمة الأدبية الفنية إخراج مجلة مستقلة أو أكثر لخدمة الفنون الجميلة غير الكلامية كالموسيقى والنحت والتصوير الخ . اذا لم يتم غيرنا بهذا الواجب .

(٤) ان تقدير الجمهور حتى المنقف للصحافة الفنية محدود مع الأسف ، ولا يسعنا الا الاعتماد على مؤازرة الزميلات لتتور الاذهان حتى لا يستمر مقياسه الغريب للمجلات على أنها كمية ووزن وعدد دون اعتبار الجوهر وبنات الافكار ونحن من جانبنا نبذل أقصى ما في وسعنا لاجراء هذه المجلة في أرقى مستوى مستطاع يتفق ومواردها المالية ، وكلما زادها القراء والهيئات الادبية اقبالاً زادنا تحسناً غير معقولين .

ذِكْرِي شَوْقِي

موت الشاعر

آه ما أجملها كانت حياتي انها ملأى بأشتات الفنون
آه! إنى مبصر شمس وفانى انها الظلمة تبدو في الميوز!

أيها الكون سلام لك منى وسلام لك من قلبي المعنى
بلغني يشمس هذا الكون غنى انى فيه ومنه اليوم مضى
قد بدا بي اليوم وهن أئى وهن وبأذنى صوت هذا الموت رنا
لحنه لما تغنى شر الحنن ليته يا صاح يوماً ما تغنى!
سمعت أذنى فاهلت شئوى!

أيها الروض - وما الروض؟ نسيت!
أذكرى طيرك انى قد فنت!
يا رعى الله زماناً قد حيت!
رضى الحب، وإنى قد رضيت!
كل شيء - آه منواى الجليل!
أذكرى ففصنك! أم غنى عيل!
فيك والروح بواديك تجول!
أذكرى بعروك من بعدي الدبول!
أيها الروض يا منواى شجوى!

أيها الليل الذى عم الاناما فيك أنباتى ووجدى ومهادى!
كم عشقت البدر إذ يبدو تماماً فتولى فيك باليل رشادى!
ولكم باليل أحببت الظلاما حينما يقضى بصتير العبادى!
لبت شعري ظلمة القبر إلما! ألها صبح لئى عينين بارى!
أم ستبقى مرمداً في كل حين!



شوقى بك وأولاده

﴿ بمنزله بضاحية المطرية سنة ١٩٠٧ م. ﴾

أيها النجم! سلامٌ يا رفيقُ في الدجى والكون يعلوه السكونُ
 أيُّ عهد بيننا ؟ أيُّ صديق كنتَ لي يا نجمُ إذ تطفئ الشجونُ
 اتني ابني بتعبيرٍ دقيق منكَ لي يا نجمُ ما سوف يكونُ
 قد غُصيتُ - قبل - من دنيا يريق حيناً سألْتُ قومي ما المنونُ
 آو! مَنْ يشرحُ لي معنى المنونِ ؟

أيها الحبُّ! وداعاً وداعاً والي « لاملتي » إني أسيرُ
 قد مضتْ عني ليا ليك سراعا تسبق الطيرَ رواحاً إذ يطيرُ
 فسمعاً أيها الحب سماعاً ان خطبي اليوم يا حُبُّ خطيرُ
 أترى يا حُبُّ هل زجو اجتماعاً في ظلال الخلد أم أين المصير ؟
 أها ، أم لقضاء يدريني !

وبنفسى افتدى يا حُبُّ ظلياً ما درى حي الى يوم مماتى !
 ما كتمتُ الحبَّ عن لجواه عيياً بل لظني أن ما ابني موات !
 أمل كان بنفسى قد تهيأ ليس يدري المرء ما في الغيب آت
 أمل لي لم يكن مذ كان شيئاً ومن الخير أكاذيب الحياة !
 شكها يا صاح خيرٌ من يقين !

آو! من ينظم أشتات المعاني فيصوغ الدرّ للناس كلاماً ؟
 آو من تلهمه بمدى المعاني فاذا الالهام وَخَى لا يُسامى !
 آو من يشجوه يوماً ما شجاني فاذا بالجسم قد ذاب غراماً !
 لي شمرٌ كان كالسبع المثاني قلته ، لكن لماذا ؟ وعلاماً ؟
 اتهم يا صاح حقاً غبنوني !

وذوى الشاعرُ فالدينا على أثره تبكى وبكبه الوجودُ
 سار نحو الخلد من ساعته ولقد يحظى بمرآة الخلودُ

فإذا الدنيا خلاء مقفّر
وإذا الصمت على الكول يسود
وإذا الاحباب في ثوب الضنى
كلهم بالدمع ياصحـ يجود
كلهم بادر بآواب الحزينـ

عبر الننى الكبى



معجزة السمر

ملأ الحياة ترمماً وهديلاً
الطائر القريد خلف صمته
من أسكر الأيام حياً شدوهُ
ما زلت أسخر بالنمى معللاً
حتى رأيت بكل روض وحشة
ولحت أسراب الطيور حزينة
وشعرت بالجلى يدب دينها
صمت، وإطراق، ودمع لم يدع
وإذن فقد أقوت مغاني الشعر فى
وطوى الحمام صحيفة الأدب المنى
الساحر الفنان ينفذ سحره
والشاعر الموهوب خلّد شعره
أترام قد ذهب الزمان بخير ما
شوقى ادعوتك أن تقول، فلبنى
قد روى الدنيا رداك فعزها
لا كاد من حسى المصاب وأخذ
كم معشر كفروا بمجدهك ضلة
إف التليل إذا أحس بعزة
فأتم معجزة النهى وابت لنا

وقضى فروغها بكى وعويلاً
فى الروض إقراراً به وذبولاً
فى الموت أسكرها أسى وذهولاً
نقى، بشكى فى التى قد قبل
زكته مهصور الفصون عيلاً
خرساء، لاشدواً ولا ترتيلاً
لا خالياً أبقت ولا مأهولاً
لنفس لا شكاً ولا تأويلاً
دنيا وبات لواءه محللاً
ح به، وأحمد سيفه السلولا
بين القلوب محبباً مقبولاً
أما، وغدنى أنفساً وعقولاً
جاء الزمان؟ أجب أفصبرى عيلاً
إنى عهدتك الدماء قبولاً
فى خطبها الدامى، وعزّ النىلا
أصنى وأرهف مسمعى لتقولاً
وأنتيهم بالمعجزات دليلاً
يطنى، فترجمه الحياة ذليلاً
من شعرك المُنقى الفنك رسولاً

ليس المخلود بأن تعيش محبباً
إن المخلود كما عرفتكَ هادئاً
للناس أجمع صاحباً وخليلاً
وتقيم حولك ضجة وصلباً !

« . »

يا أيها الباكي على شوقي نكا
تبكي مصاب الشوق في الباني له
تبكي مصاب الفن في الباني له
أسدى له قصصاً يسيل سلاسة
تبكي رسول الشعب زال خياله
تبكي النبوغ هوى بشوق نجمه
ما كنت شوقى واحداً في جيلنا
فرداً، ولكن كنت وحدك جيلاً !

« . »

يا يوم شوقى المجد لك في الزمان
روعت دنيا ما يزال يروعا
قد تمدت في سبب الحياة بشعره
ما إن هوت في شاطئها أنجم
قد كان في عصر الحضارة يوشعاً
« قيس » سلى في خطبه « ليلي » وسية
ويكاد « قيز » تسيل دموعه
ن، ولا لشوقى في الزمان منيلاً
ألاً ترى عنه الحياة بديلاً
وأقام فوق جبينها إكليلاً
إلا وكان يبعثن كفيلاً
رد الشمس الهاويات أفولاً
رتها وأطلق دمه المفلولاً
شجنأ، ولم تك قبله لتسبلاً !

« . »

شوقى ! يحول الدمع في عيني وفي
ولشد ما يدمى فؤادى أننى
لا أنشد الصبر الجليل فلم يعد
أبدأ يحيني خيالك في الكرى
فأروح أسمعك الجديد ومنه أذ
أروى مصابك بالدموع سخينة
فتروح تربت منكى براحة
قلبي، ولم يزمع أسأى رحبلاً
لن أستطيع إلى المراء سببلاً
- من بعد مصرعك - الجليل جيبلاً
وأراك تطفو رقة وقبولاً
لك قد رحلت عن الحياة عجولاً !
وأراه خطباً لا يطاق جليلاً
يا طامساً أغمسها تقبيلاً !

اتصامت عن نداه الذى كان إذا ماتلى قصيدك هَلَّلَ ١٢

يا مُقْبِلَ القريض من عثرة الضعف وحامى البيان فى كلِّ مَحْفِلٍ
سوف يُبلى الترابُ جِسْمَكَ فى حين سيبقى قريضُكَ العذبُ يُنْسَلُ
ستقول الأيامُ قد عاش كازهرٍ وسمرانٍ مثله ما تحوَّلُ
ستقول الأزمانُ قد تركَ العطرَ يبانًا بالرائعاتِ تَجَلُّ
ستقول الأيامُ خِلَّدَتْ «ليلي» بقصيدٍ من نسمة الفجرِ أَجَلُ
«وكوبطرة» تمدُّ يَدَ الشكرِ (م) إلى المنصفِ العظيمِ المَبْجَلِ
قد جلاها نقيَّةً من ظنونٍ سيئاتٍ، جرى بها كلُّ مَقُولٍ
فاذا المرأةُ اللعوبُ على الزَّوَجِ حاسَمٌ مَنْ رآته ليس يُبْهَلُ ١

يا أبا الشعرِ إنَّ طفلكَ أَمْسَى خائرَ الروحِ غائباً يتماثلُ
حينما أعلنوه بالخطبِ كادتُ روحه من كيانهِ تَسْلُ
صاح: ومحي من بعد أن غاب عني مَنْ دُعاني بعطفهِ وتكفُّلِ
وغداني من سلسلٍ مستفاضٍ فصل الكونِ فى سناه وأجلِ
قدَّم الحكمةَ العجيبةَ للناسِ سُلَاقاً، وطاب منه التأمُّلُ
كنتُ فى الطوعِ إنَّ دُعاني للنظمِ ، وإطالنا هتفتُ فأقبلُ
ومح نفسى قد مات من كان يلهو بلبابِ الحياة ، إذ كان يعملُ
والذى خَصَّنِي بكلِّ حنانٍ والذى صاننى عزيزاً مُدَكَّلِ
عَفْتُ هذى الحياةَ من بعد شوقٍ كيف أحيَا ؟ ومَنْ به أتمَلُ ؟

طيبٌ رقاداً يا موقِفَ الحسِّ فى الشرقِ، فقد خَلَّفَ القريضُ وأنسلُ
أنت مامُتٌ رغم موتك إذ ليس يَمَيَّتُ مَنْ شعرة الدهرِ وتَنَلُ
أنت باقى ما دام فى الناسِ شعُرُ يَنَسَامِي وأنفسُ تَنَزَّلُ
أنت باقى فى الدوحِ والروضِ والماءِ وفى الحقِّ والهوى تتمثلُ ١

فى صميمِ الدجى نشرتَ جناحيكَ وولَّيتَ مسرماً تتعجلُ ١

مُخَارِ الوكيلِ

شوقي الشاعر

- ١ -

لم يدرب بخدي يوم كتبت بحثي عن « شوقي » في صيف العام الماضي أن سيقدّر له الظهور بعد أن يصبح الرجل في ذمة التاريخ ، بل كنت ممتكلاً أملاً ورغبة في أن أحضر وأن أدعو الراحل الكريم الى استماع محاضرتي عنه ، ولكنه الدهر والأيام تأبى على نصر الأسيفة الا أن تطوح بأفذاذها وتدعها تنديهم وتبكيهم . وإننى أرى واجباً على أن أنشر بحثي هذا راجياً أن أوفق في وقت قريب إلى دراسته دراسة مستوفاة . أما الآن فسأقتصر على بحث أسلوبه ثم نتحدث عن شعره المصرى ثم نخرج على دينه ونجديده ونختتم بذكر وصفه .

دراسة أسلوبه

من المسلم به أن شوقي قد أوتي قدرة فائقة في جودة التعبير ومثانة الاداء ، وهو يمتاز بالأسلوب الفخم والتراكيب القوية والنغمة الموسيقية الخلاقة ، حتى أنه حين يأخذ المعنى القديم بصوغه صوغاً جديداً يملؤك بالروعة والجلال ، ومحسّ كأن المعنى جديد طريف . ولا أريد أن أطيل في هذا فأعرض أمام القراء نماذج من شعره ، ولكن شيئاً واحداً أحب التحدث عنه : ذلك هو استعمال شوقي لبعض ألفاظ قديمة يجب أن يحياها ، وأن يبعثها بعد موتها ، فهل من العيب على الشاعر أو الكاتب أن يدخل في قوله تلك الألفاظ الغريبة ، التي تحتاج إلى كشف وإيضاح ؟ عند الناقدون ذلك عيباً على شوقي ، ولكننا نرى العيب كل العيب لا يكون إلا في الاكثار منها ، إذ تضع حينذاك روعة الفن وجماله تحت سماء ملبدة بالغيوم ، محجبة بألفاظ كثيرة مبهولة ، مع أن الكاتب أو الشاعر لن يجنى من وراء ذلك فائدة ما ، إذ لن يستطيع قارئه أن يحتفظ كل ما جاء به من ألفاظ جديدة غريبة ، ولا يدعه إلا أن يلقي بقوله دبر أذنه . أما أن يأتي الأديب في ثنايا شعره أو كتاباته بقليل من تلك الألفاظ ففيه الخير كل الخير ، ولا يلومه على ذلك إلا من لا يعرف معنى الفن وروعة الفن ، ونحن على هذا المقياس لا نرى غضاضة في شعر شوقي حين يطرئنا في

الحين بعد الحين بألفاظ عربية فصيحة ، مجملها ونستعمل عوضاً منها ألفاظاً عامية ،
لا ندري ماذا يقابلها من فصحي العربية ، بل إنا لنشكر هؤلاء الشعراء الذين ينبتهم
الزمن في القينة بعد القينة ، إذ يحيون اللغة ويمدونها بنوع من القوة والهاء ،
ويظهرون محاسنها وقدرتها على التعبير والاداء ، من غير أن تقف حجر عثرة في
سبيل ما يزيد .

غير أنا إذا حمدنا لشوق ذلك وهو جد محمود فأننا نريد أن نذكر تأثير طريقة
الشعراء المتقدمين فيه ، إذ أنه من المعلوم لدينا أنهم كانوا يبدأون قصائدهم بالغزل
والنسب ، وقد أخذ بذلك شوقي في بعض قصائده كقوله في مشروع ملز :

أثر عنان القلب واسلم به من رب الزمل ومن سريره
ومن تثني الغيد عن بانه مرثية الأرداف عن كسبه
ظباؤه المنكسرات الطبيا يغلبن ذا اللب على لبه
يبغض رفاق الحسن في لحظة من ناعم الدر ومن رطبه

وقوله عند إطلاق سجناء المحاكم العسكرية :

بأبي ودوحى النائمات الغيداً الباسمات عن اليتيم نضيدا
للرايات بكل أحور قاتر يذر الخيل من القلوب عميدا
الراويات من السلاف عاجراً الناهلات سوائفاً وخدودا
اللاعبات على النسيم غدائراً الراتعات مع النسيم قدودا

فانت ترى غرامه بالمتقدمين قد ألقى به إلى تقليدهم في بدء قصائده سياسية خطيرة
بمقدمات غزلية كما كان الأوائل مثل المتنبي والبحتري يفعلون .

وعلى ذكر التقليد أرى أن قصيدة شوقي التي بدأها بقوله :

اختلاف التهاد والبليل يُنسى اذكروا لي الصبا وإياماً أنسى

ليست تقليداً لقصيدة البحتري التي قالها في إيوان كسرى وإن كانت الروح التي
أملت على شوقي قصيدته هي روح الذكرى التي أملت على البحتري أيضاً .

شعره المصري

يتنازع شوقي ووطنان ، إذ هو مصري نشأ في مصر فعذته بدورها ومحرها ،
وتركي مجده وخاله ، وقومه وآله ، فلا تعجب إن أصبح يحن إلى الترك حتى المرء
إلى أصله والفصيل إلى أمه ، على أن حنينه إلى هذا الوطن القديم لم يكن فقط لاتبائه
إليه بأل أمه وإبيه ، بل لأنه قد كان في يد الترك تلك الخلافة التي تربط بين
المسلمين وتوحد من جماعتهم ، ولذلك فإنك تحس وأنت تقرأ قصيدته (انتصار
الترك في الحرب والسياسة) بروح المصريين تنطق معه بل بروح الشرق الذي كان
يهنأ ويغتبط حين يرى الخلافة قوية ناهضة . ولقد كان شوقي صادقاً يوم قال :

تحية أيها الغازي ونهضة	بآية الفتح تبقى آية الحقب
لما أتيت بيدر من مطالما	تلفت البيت في الاستار والحجب
وهتت الروضة الفيحاء ضاحكة	إلى المنورة المسكية الترب
وأرج الفتح أرجاء الحجاز ، وكـ	قضى الليالي لم ينعم ولم يطب
وازيحت أمهات الشرق واستبقت	مهاج الفتح في الموشية القصب
هزت دمشق بني أيوب فانتبهوا	يهنئون بني حمدان في حلب
ومسلموا الهند والهندوس في جنل	ومسلمو مصر والإقباط في طرب
ممالك ضمها الإسلام في رحم	وشيجة وحوها الشرق في نسب

وإذن فهو يتصل بالترك بثلاثة أسباب : نسبه وآله ثم الإسلام والجامعة الشرقية ،
ويشاركه المصريون في السببين الآخرين ، فلا غرابة إن مدح الترك أو حياهم ، على
أن شعره في مدح الترك كان يعبر عن النفس المصرية يومذاك لأنها كانت ترمق
إلاستانة بعين الإجلال والاعظام .

وتبدو لنا شرقية شوقي كذلك حين تنزل بأى ناحية من نواحي الشرق نكبة
أو كارثة أو ينال نجاحاً وخيراً ، فانه يقوم بواجب العزاء أو يرتل أناشيد الفناء ، فقد
ألقت بين الشرق جروحاً ، ووحدت قلوبه آلامه وأشجانه ، فعطينا كما عليهم فيود
وأغلال ترمق الخلاص منها بعين التماؤل وقلوب الآمال ، وحقاً كلنا في ألهم شرق .
بيد أني أريد أن أحس مصريته ببعض البسط ، بعد أن تحدثنا عن تركيته

وشرقيته ، فزرى شوقي يتحدث كلما عنت له الفرصة بمجد المصريين وحضارة
المصريين ، وهو في كل ذلك يستقي من عواطف فياضة وقلب نابض بحب مصر .
واسمعه يقول في المؤتمر الشرقي الدولي :

قلْ لباب بنى فساد فغالى لم يحجز مصر في الزمان بناءه
فاعذر الحاسدين فيها إذا لا موا ، فصعب على الحسود الثناء
زعموا أنها دعائم شيدت بيد البغي ملؤها ظلهاء
إن يكن غير ما أتوه فخار فانا منك يا غفارا بره ا

وفي الحق إن تلك القصيدة — وهى طويلة — تعتبر قبارة لتاريخ مصر ، تسمع
منها نعمة الغبطة والرضى ، والفخر والعظمة ، حين تكون مصر فى ذروة رقيها ،
وقرة مجدها ، فان داخلتها الليالى — ولليالى دهاء — سمعنا حديث النفس المصرية ،
وهى تتحفز بمجدة لاسترداد مجدها ونيل حقوقها . ثم اذا سمعت شوقي يحدثك عن
دين مصر القديم أخذ بيدنا الى حيث يفكر الانسان الأول فيعبد المظاهر
ويظل يرقى حتى وصل الفكر المصرى الى توحيد الاشياء فى (أوزيريس) التى تعتبر
بحق من مفاخر مصر الخالدة ، حتى اذا ضلت العقول ولم تهتد الى الصواب أرسل
الله رسلاهم فضاة الحقيقة وهم أئمة الهداية ، تسمع هذا وكثيرا غيره فى تلك القصيدة
الخالدة .

« شوقى » مصرى يخفق قلبه بحب مصر إن نأى عنها ، أو امتدت اليد الطائشة
فطوّحت به بعيداً عن مصره المحبوبة ، ولنستمع اليه يحدثنا عن غبطته وفرحه يوم
عاد الى وطنه بعد منفاه فتراه يقول :-

ويا وطنى لقيتْك بعد يأسٍ سكّانى قد لقيتْ بك الشباب
ولو أنى دعيت لكنت دينى عليه أقابل الحتم الهجاب
أدير إليك قبل البيت وجهى اذا فهت الشهادة والمتابا
ويقول وهو فى الغربة :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى اليه فى الخلد نفسى ا

وهو يمدّ مصر عروس الشرق وزينته ، شبت عن الطوق وهو لا يزال فى
مهده . واذا كان شوقى يحب مصر من كل قلبه فهو يدعو شباب مصر الى أن يضعوا
بكل شئ فى سبيلها ، وكل شئ فى سبيلها هيّن رخيص ، بل هو لا يتورّع أن يعمل

السكنة في قلوبنا تلك المنزلة التي نهها لأقدس شيء في الوجود، وسمعته يقول للشباب:

وجه السكنة ليس يغضب ربكم أن تحبوه كوجهه معبودا
ولمّا إليه في الدروس وجوهكم وإذا فرغتم فاعبدوه هجودا
إبن الذي قسم البلاد حبا كمو بلداً كأوطان النجوم مجيدا
قد كان - والدنيا لحدوث كلها - للعبقرية والفنون مهودا !

وهو لا يبخل بقلمه وشعره أن يكون هادياً لمصر مرشداً لها كلما رأى الوطن يناديه ، ومصر العزيزة تدعوه . فيوم نادوا بأن مصر نالت دستورها وبرلمانها أرسل صيخته الى الناحيين يرشدهم الى أماكن من يستحقون النيابة عنها ، وكم هو مصيب يوم دعا الى هؤلاء الذين يدركون صوالح الأمة ويؤثرونها بكل ما أوتوا من صحة ومال ، فليست دار النيابة موطناً للتفاخر ، ولكنها بنسأه للأيام والحقب ، ورفع للملك على أقوم الأساس ، ثم انظر الى آماله بعد ان قامت دعائهم (البرلمان) حيث يقول:

يا رب قو يدّها وشدّها وافتح لها السبل ولا تسدّها
وقس لكل خطوة ما بعدها وعن صغيرات الأمور حدها
واصرف الى جد الشئون جدّها ولا تنزع على الضحايا جهدها
واكبح هوى الانفس واكسر حقدّها واجمع على الأمم الرعوم ولعدها

ثم هو لا تقتف آماله في رفعة مصر ومجدها على البرلمان والدستور ، بل هو يدعو دائماً جاهداً الى الإقدام والجهد ، وبجسارة العصر الحاضر المليء بآيات البطولة وسمات الاقدم ، حتى ليحسب الحياة والمال سرباً خداعاً بجانب خيال المجيد والصبر في معاناة العلم والادب والصناعة . واقراء قصيدته (رحالة الشرق) لترى فيها آماله الكبيرة التي يود لو سمح الزمن بتحقيقها ، ثم انصت اليه حين يقول في قصيدة ثانية :

فاض الزمان من النبوغ فهل فتى فخر الزمان بعلمه وبيانه
أين التجارة وهي مضار الفتى أين الصناعة وهي وجه عنانه ؟
أين الجواد على العلوم بماله أين المشارك مصر في فدانه ؟
أين الزراعة في جنات تحتكم كخمائيل الفردوس أو كجنانه ؟
أنذا أصاب القطن كاسد سوقه قنا على ساق الى أمثاله ؟
الملك كان ولم يكن قطن فلم يغلب أبوستنا على عمرانه
بالقطن لم يرفع دعائهم ملكه فرعون والهرمان من بنيانه !

دار العلوم العليا
بالقاهرة

أحمد محمد بدي

(سكرتير جامعة الادب المصري الاسلامي)

شاعر الانسانية

لا تقوم ولا لدين أنت للناس أجمعين !
 أهلك الوحي والمهدي
 سررت في الارض رافعا
 فكأني بك السما
 أنت الجيل ، إنما
 للذرائع بعد حين
 الطغاة المهذمين
 للبناء المشيدين
 الملوك الخلعين
 للعبيد المتوجين
 للصماليك ، للذين
 خدروا الأسد في العرين
 للزناة المسيطرين
 للأباة المستعبدين
 أنت للشوك للورد
 للنبيين في القيود
 للبدنيين ، لليهود
 للنصارى ، للمسلمين
 لا تقوم ولا لدين أنت للناس أجمعين !

مصحف قصت الصور فيه اسطورة البشر
 كلما أسمع العلى آية شرف للذكر
 حرم الوحي لون الحسب في عذنه الصور
 فعلى كل صورة مرضع القلب والبصر
 صور غنم بالرؤوس وتجلين بالفكر
 فكأني بهن أحير من عبقر أن
 يا نفورا بزفة الشعر والحب في الوتر
 هازي القلب بالطرر ضاربا بالمي الآخر
 نسك الفن - حين قبلته - فيك والمحصر

أيها الحارس الأمين هيكَل المنطق المبين
يا أمير المشردين اخوة الشمس والقمر !

لا تقوم ولا لدين أنت للناس أجمعين !

ما الصَّبَا في تَرْجِيهِ في هَوَاهُ وفي ذَمِّهِ
وصباحُ الربيع في تَرْجِيهِ عن عاجِ مَبْسِيهِ
والمساء الوطآن يُصْغَى لهُمساتِ الحُبِّ
والإفراحُ البريء ينثُرُ أحلامَ بُرْجِيهِ
مثل سحرٍ تَذِيهِ روحُ شوقٍ بِمَرْقِيهِ
ما الهوى في تَأْلِيهِ والحبُّ في تَهْجِيهِ
والسما في انتقامها واللظى في تَضْهِمِيهِ
وصراخُ البريء في نَوْوهِ من تَطْلِيهِ
والمعزى على الورى نائراً في تَهْكِيهِ
مثل شوقٍ تشيره غنبةٌ من جَهْنَمِيهِ
ماعلى النورِ واللهبِ وعلى الزهرِ فى المُنْصَبِ
إن أنتَ شاعرُ العربِ نالِحتْ بِمَأْتَمِيهِ

بلبل الأرض والسما نافرَ النورِ فيها
ماليء الأرض حكمةً وسما الحبُّ أُنْجَمَا
يا أبا المصمدين ما كنتَ فى الناسِ معصِما
أنا البؤسُ ذقته فى فُؤادِ تَأْلَمَا
فى قفوسِ تَطْلَمْتِ وشعورِ تَطْلَمَا
عشتَ كالنورِ ملهاً وحكماني منخما
نحن الغار ما دفع تَ دُموماً ولا دما
إلى شوقٍ اِخْفاظَ كانِ أُنْشَى... وأعظما
كان يستلهم البؤسُ من وتسلهم الدمى

كنت تغفو متياً حين يغفو ميماً
عرشك الشعر والذهب عرشه الشعر والخشب
أره في دولة الادب أرى ملعين كنتما

« . »

عشت في النفي مثلاً عاش في الحرة الحبب
بين أحمى من الجلا ل وأسمى من الطرب
عشت فيه كبلبل مر في العيد واحتجب
حاملاً من جناحه رعدة الخط في الزغب
لست أنساك طائفاً في اليواقيت والذهب
في قصور الجراه تستنطق المجد في الخرب
تسأل الفن ، رافع الرأس ، عن أمرة العرب
فأرى من أمية فيك ظلاً من اللبس

« . »

نحن الفار ما دفع ت دموعاً ولا تعب
إيه شوقاً لحافظ كان في بؤسه أحب
كان يغفو متياً حين تغفو ميماً
أرى ملعين كنتما أمس في دولة الادب

الياس أبو سبكة



السامر

أرسلوا الدمع وأذرفوه سخياً واندبوا اليوم شاعراً عبقرياً
مات من جاء بالبيان لنا سحراً (م) وأهدى الأسماع لحناً شجيلاً
والذي صور الحياة لنا شعراً (م) وأبقى مدى الحياة دويلاً
والذي علم القلوب معاني الـ (م) حبه معنى ظاهراً ومعنى خفياً

لم يكن واحداً يهون ولكن
لم يكن واحداً يهون ولكن
لم يكن واحداً يحيط به القو
انما كان ملكاً من فنون
كيف أرتيك يا أمير القواني
أم بشعري؟ والشعر بعدك أضحي
ودولة الشعر بعد فقدك دالت
وإذا الدهر بعد ذلك دهر
وإذا انت بعد ذلك ذكرى

كان إذ كان واحداً أوحدياً
كان جيلاً قد انطوى أبدياً
لئلا وتبني عنه المقالة شيئاً
وشعور ما زال ينبض حباً
أبدمي؟ — والدمع ليس كفيئاً
ليس يشفي في القلب داء دويئاً
وطوى الدهر عصرها الذهبيئاً
عاش فيه رب الخيال شقيئاً
تعمر القلب غدوة وعشيئاً

ابراهيم زكي

ماتم الطبيعة

(مرثية من الشعر الحر)

أطرق الطير على هام الفصون
ودجا الكون وسجّاه السكون
وذا فيه لُهابٌ للشجون
أى خطب قد دهاه؟
أرى شام الجنان
فبكي؟

كذبيح نقرت فيه الكلام
بدثار الموت ، والموت ظلام
أخرس الشادي بشجور وغرام
وأنى أطبق فاه؟
خمدت فيها الحياة
هلمداً فوق الكعش

أم رأى ملك الكناز
ومزامير الهزاز
مثل عباد الحطاب

فاشكي؟

ومضى في جنبه سهم سديـة
وغدا يخفق كالقلب العميد

أم قرى مبعثه ظفر العقاب
فسرى فيه من الموت لعاب
في نزوع يتلهى بالنعم

صارخاً ممادها ..

من فناء وعدم ١٢
إنه يبكي ممات الشاعرية...

« . »

وخير النهر في الوادي كأنغام النواح ،
ومسيل الماء من جفن البطاح ،
أدغم الكون وعبرات الطبيعة ...
كل طير ناع فيها .. ناعياً !
كل غصن مال فيها .. رائياً !
كل سبع سال فيها .. باكياً !
عبرت بم المنايا وأعاصير الأسي ،
فالت الرنجان منها فهوت ..
نكلى على شطّ المنون .. لاهته
ترسل الأتات من قلب حزين .. هاته :
كللوا النمش برمان الغياض .. والتجود !
وادفنوه بين أزهار الرياض .. والورود !
ليضوع الطيب من أردانه فيها حياة وممات !
والشدوا والطير في حفل الرثاء ، كل صبح ومساء !
لم يمت « شوقي » وفي الشرق شعاع من سناه !
سائلوا الأيام والأحلام والدينا وماضت أفانين الحياة !
أين من قبادة للكون نشيد كان محبوبها الهناء !
واسمعوا فيها صدها !

دولة قامت على عرش الحياة من شعور وجهاد وديمه
شاعر في الأرض لم يلق مثناه فرقى يشكو لسكان السماء !
محمد من اسماعيل

السمرانقى

فى نظم شوقى بك



اطلعتُ على ما كتبه الشاعر المعروف مصطفى صادق الرافعى (ص ٥٣٤) تعليقا على بحثى، وكنت أظن أن حضرته فى غنى عن أى تأكيد عن اخلاصنا فى خدمة الأدب، فليس كاتب هذه السطور ولا «جاعة الأدب المصرى» بالذين يجدون مواهباً أحدهم فضلاً عن مواهب الرافعى سواء وافقهم أو خالفهم، وليست «أبولو» الأ مجال التحقيق الجريء والانصاف. وهذا لا يبنى توجيه النقد البرئ، فى حدود معقولة وفى موضوعات معينة. وليكن الرافعى مجدداً فيما يهوى



على محمد البهارى

(بريعة الفنان النساوى الفريد فرتاج — سنة ١٩٣٠)

ولكنى أراه شديد المحافظة والتقليد فيما أخذته عليه هنا، ولئى كل العذر فى وضعه بين شعراء المدرسة القديمة.

وأما عن بيت المرحوم شوقى بك على لسان قيس فى رواية مجنون ليلى:
لَيْلَى، مُتَنَفِّرَةً دَماً لَيْلَى نَفْثَةً لَهُ نَشْوَانٌ فى جَنَابِ الصَّدْرِ عَرِيدٌ!



مصطفى صادق الرافعي

فغروص فيه تمثيل روح قيس وشاعريته . فاعترض الراقى عليه غير وجيه ، زد على ذلك أن قول شوقي « نشوان في جنبات الصدر عريدا » فيه تصوير بارع لحالة القلب الخنوق المضطرب — وهي حالة قلب العاشق المروع . وهذا التشبيه البديع هو موضوع السؤال لأن معناه فريد وهو لب البيت السالف الذكر ، ولا أرى نكتة الراقى مما يُستساغ في هذا المقام .

وأحسب أن ما ذكرته عن تشابه المعاني الى حد ما في المواقف المتشابهة مع اختلاف الأداء الفني ليس مما يعاب على الشعراء وليس مما يدعو الى اتهام أحدهم بالتوليد والاستخراج من معاني غيره ، فكثيراً ما تتماثل العواطف الانسانية والتصوير الشعري بل ودقائق التعبير أحياناً بين شعراء ممتازين .

إن الموضوع ينحصر في أن الراقى لا يزال ينظر الى معاني الشعر على طريقته المتشعبة بقواعد التوليد والاستخراج التي حط بها من قيمة مقالة الجيد عن شوقي في مجلة « المقتطف » والتي لا يريد أن يقتنع بخطئها وإن اقتنع الشعر واقتنع المنطق . أمّا الغلطات النحوية التي يجرى الراقى ورائها في شعر شوقي فلم تكن — وإن تكون — موضوع بحثي فاني قانع بدراسة لب الشعر وبتأمل معناه ، تاركاً ما خلا ذلك لعلهاء النحو والعروض وهم قلمنا يحنلون بفن الشعر وروحانيته ؟

على محمد الجبراوي

(سكرتير جماعة الادب المصري)

(أعلنت وزارة المعارف المصرية عزمها على اصدار كتاب حافل بالمراتي والدراسات التي كتبت عن المرحوم شوقي بك فرائنا ازاء ذلك أن نكتفي بالمختارات التي نشرناها في هذه المجلة وفي شقيقتها صحيفة « الامام » ، وإن كانت صفحات المجلة ما تزال مفتوحة للدراسات الاصيلية وحدها . ولايسعنا الا شكر وزارة المعارف على حفاوتها بالشعر في شخص التقييد الكريم — المحرر)





في هدوء الليل



ها هي الشمسُ إذْ هوتْ في التضاءِ غادةً أجفَلتْ تريدُ الخباةَ
 فادةً شَبَّبتْ بني حواءِ وهي في سنٍّ كامِيرةٍ عذراءُ
 أيها الليلُ إنْ فيكَ عزائِي أنا قد مُوتُ بالتهارِ وناه
 أخفِنِي في خواطرِ الظلامِ لستُ مثلُ الفرائسِ أهوى الضياءُ!



ها هو الليلُ قد طرقَ
 يبعثُ الشكَّ والقلقَ
 بعثرَ النجمَ في السقِ
 وطلَى صَفحةَ الشفقِ
 ربِّ جفنٍ به انطَبَقَ
 وسواهُ شكَا الفرقَ
 في خشوعِ
 في الضلوعِ
 كالقطيعِ
 بالنجيعِ
 في هجوعِ
 بالدموعِ



أجفلَ الضوءُ من جيوشِ الظلامِ وتولَّى عرشَ الطبيعةِ حامٌ (١)
 فإذا الليلُ كال محيطِ الطامى رَسبتْ في قراره الأجرامُ
 وطلعتْ فوقَ سطحه المتراعى كلُّ روحٍ خَفَّتْ بها الأحلامُ
 فالتَمَسَ فيه كلُّ معنى سامٍ عجزتْ عن بلوغه الأوهامُ

(١) حلم بين نوح جد الزوج كما تقول القرافة - استعمل ونراً للمواد .

نبهوني لدى السحر	نبهوني
وخذوني الى النهر	ودعوني
انا والماء والشجر	في مكنون
املا السمع والنظر	بالفنون
ثم أفضى الى القمر	بشجوني
ليس سرى لدى البشر	بمصورنا

« . »

ها هنا أنشد الطبيعة شعري ففناء طورا وطورا أينما
أنشد الطير إن ظفرت بطير فإذا لم أجد أناجي الغصونا
كلما أوغر الخلائق صدى فتحت لي صدرا أرى حنونا
لا أذاعت أشعة الشمس سرى ليت يبنى وبينهن قرونا

« . »

ها هو الديك قد سدح	بالأذانب
وسنا الفجر قد لمح	للمعان
في وشاح من الترح	أرجواني
هزم الليل والترح	في الطعان
والندى حوله نضج	كالجنان
منظره صامت طمع	بالمعاني

محمد غنيم



مروق الشمس

ولقد قيّدت الشمس عند شروقها
 من أفق بحر الروم يسفر بعضها
 فكأنها لما تبدّى نصفها
 حورية قد حجبّت من وجهها
 جلولة تحسبها أفاق من كرى
 وكأنما قد مجدّدت وازينت
 وتطلّ من عليها بطلعها على
 ظلت كسامي في الفضا حتى اعتلى
 تتوهج الألوان فيه : فصفرة
 يرمي الفضاء سماه وعبّاه
 بينا مرقى ذهباً إذا هي فضة
 وجرى بمخضّر العباب بياضها

أكثر — أبحرنا :
 فخرى أبوالسعود





شاطئ الاعراف كيف خلقت فكرتها؟

هى ذكريات حزينة تحاول أن تحجبها أكفان سنوات أربع فتهتكها أشباح سوداء ما تزال تراهى أمام عينيّ .

كنت آنئذ فى المنصورة وقد مرّت علىّ فيها سنوات ثلاث تغيرت فى أنماطها نفسى وحالت إلى صورة باهتة من الأمل المكتئب اليأس .

ولست أدري أكان جوّ المنصورة هو الباعث على ذلك ؟ وهل كان فى أمسيات شتائها الحزين المنقبض ما بعث فى نفسى هذا الشعور المتشائم نحو الحياة ؟ أم كان ذلك على أثر خلجة .. أستغفر الله .. بل خلجات كثيرة خفق لها قلبي فى أدوار حدائة مرّت بين التاسعة والخامسة عشرة التى انتهت وما انتهت الى الثامنة عشرة من عمرى ؟

هى خلجات أنهكت قوى هذا القلب وأحالت شعاع الأمل الربيعي الضاحك الى خطافات باهتة من شفق شتاء ، وما تزال تتخفق على ضعفها فى محراب الحب .

وزادت هذه الحال فى نفسى سوءاً ، فهبطت نفسى من جراء ذلك الى قرار من الحزن سحيق لأدري سببه فلم أجد بداً من أن أترك هذا البلد الحزين حسب مشورة الأطباء إلى بلد آخر أجد فى جوّه سلاوى ، فأخترت القاهرة مقاماً .

ولكن كان ما خفت أن يكون : فقد هاجت مماء المدينة الأزلية وروحها العتيقة الناعسة الحاملة على أعتاب القدم والأبد ... أقول هاجت كل ذلك الحزن الى أبعد قراره فى نفسى ولاسيما حينما وقعت على مقربة من الجزيرة أرقب النيل من ناحية

بدا لي فيها ذلك الازل كأنه شاعر يفتى في جانب الموت أفاني تلاشت معانيها في
حواشي الألمان ١٠٠ ثم تركت القاهرة إلى « نوسا البحر » وهي قرية تتكئ على
النيل ويحيم عليها جو المنصورة أكثر ما يكون وحشة وانقباضاً .. مكنت بهذه القرية
خمس أيام كنت أختلف في أمسياتها مع قريب لي إلى مكان هادي يشرف على النيل
في مشهد رائع طالعته على مبعده أشجار باسقة من الصفصاف والديج والجزير وهائش
الغاب فكانت تكسبه روعة في الليل ضافية وكأنها بعض عباد البراهمة فبيت نفوسهم
في ذهول العباد وهم ينصتون بألف أذن إلى مزامير الآلهة ثم كانت بعد ذلك كله
نواة قصيدة « شاطئ الأعراف » : فالنيل لم يكن غير نهر الحياة والموت في هذه
الأعراف ، والظلمة المروعة التي كانت تألف نفسي إليها هي رهبة الابدية في هذه
الأعراف أيضاً .

وقد مضى الآن على هذه القصيدة سنوات أربع ونشرت منها متفرقات في
« السياسة الأسبوعية » وهانذا أعود بعد تنقيحها فأقدمها إلى قراء مجلة « أبولو »
الغراء كاملة لا ينقصها شيء .

لقد انتهت قصيدة شاطئ الأعراف ، ولكن هذه الروح العلوية التي غمرت سماه
حياتي بنور جمالها الباهت الحزين وهي تصاحبني في شاطئ الأعراف ما تنفك
تصاحبني بعد شاطئ الأعراف .

فإلى هذه الروح التي أرهفت أذني لسماع أصداؤه مواكب الأبد ، إلى هذه الروح
التي تنفث بها كل مشاعري كما تنفث الجدول بكل أمواجه ، إلى هذه الروح العالية
والبها وحدها أهدى هذه القصيدة ؟

م. ع. المهرسرى

مكتبة الآداب - الجلسة المصرية

الذكريات

عند ما خدرَ القنابُ شكاكى وسفانى كؤوسه المنجيات
بمت الشعْر من لدنه نسبا فأتج العطر طيب النعبات
هز قلنح الصبي فاقط فكري ففتت بي سفينه الذكريات
في خضم الافكار تطوى في الوقت (م) وتنفو إلى ضفاف الحياة

كلما حاولت لسن رجوفا دفتها الشجان منها الينا
رقت في شرايعها الرجح حتى حطمت حطمت دفتها
رحمة ملك يا رباح ورفقا ودعيا ومن يتوح عليها
قله في الحياة كالبرق أما له تساريف في دمي شاطيا

ترشق الشاطين من خلل الدم ع حينا فلا يكاد بين
غير نور بلوح كالومض شمت فوفة الشعب فهو فيها كين
وسنا يزدهى عليه كلون ال طيف كاب على الدحي موهون
هو حب الذين قد ذكروه وشجان بعد التراق الحنين

وتؤاتيه ضجة العيش همتا منما يسمع الجين الهزما
يتمشى صعب العواصف فيه مشبا في كرى النور تسبا
وضجيج الايام ينعم كالجز سر خفوتا يسرى إليه بهما
أبدأ ما يزال يهيس في المور ت صداها بأذنه مستديما

وخلال الاصداء صوت حنون نائه بين ضجة الأنواء
يخطى عصف الأمصير وتبا لا يبالى بهول هذا القناب
وله جنة يرجمها المو ت كنجوى من عالم الأحياء
متزهد الأذن نحوها ثم ترخي في دهل يوجب بالاغضاء

أَنَّهُ الْحُبُّ مَا يَزَالُ يُعَانِي
يُجْهِشُ الصَّخْرَ فِيهِ وَالسَّرَبَ الدَّاءِ
وَسَوَاهُ لَدَيْهِ كُلُّ عَنُوتٍ
لَيْسَ يَخْفَى اللَّجَاجُ فِي كُلِّ حِينٍ
كُلُّ هَوٍّ وَبِعِثْطَى كُلِّ صَعْبٍ
جِي وَتَطْلُو سَهْلًا خَصِيْبًا لِيَجْدِبِ
أَوْ ذَكُولٍ عَلَى طَرِيقِ الدَّرَبِ
أَوْ يَخَافُ الرَّدَى عَلَى كُلِّ سَرَبٍ

وَيْلَكَ يَا حَبِّبُ أَيْنَ تَمْضِي إِذَا مَا
وَبَعَثْتَ الْأَنْفَاسَ مَعْسُولَةً حَيْرَى
أَتَرَى يَاهَوَى سَتَقْنَحُمُ الْمَوِ
أَمْ سَتَبْقَى حَتَّى تَرَكَ صَبُودًا
نَسَجْتَ حَوْلَكَ الْمُسُونُ شِيَاكَ
إِلَيْهَا تَبْشُرُهَا شَكُوكَا
تَ وَتَلْقَى كَالنَّفْسِ مِنْهُ رَدَاكَ
فِي غِيَاضِ الْفِرْدَوْسِ تَرْمِي هُنَاكَ؟

تَنْزِعُ النَّفْسُ لِلشَّرِّ وَتَهْوِي
إِنَّمَا الشَّرُّ مَفْزَعٌ لِنَجَاهَا
وَلَهَا مِنْهُ مَسْجَعٌ وَمَطِيرٌ
وَهُوَ كَالْحَبِّ كَكُوْزَةٍ وَنَمَلٌ
هِيَ مِنْهَا عَنَاصِرٌ فِي الرُّوحِ
لَوْ خَلَّتْ مِنْ قَدَاسَةِ النَّسْجِ
مَطْمُتٌ عَلَى فِضَاءِ الْوُحِ
وَهُوَ مَرَعَى لِلرُّوحِ جَمُّ الشُّرُوحِ

أَيُّهَا الْحَبِّ أَنْتَ لِلْمَوْتِ مَوْتٌ
أَنْتَ رِصْنُ الْحَيَاةِ وَارِثَةُ الْمَوِ
سَوْفَ تَبْقَى بَعْدَ الْفَنَاءِ سَبُوحًا
تَلْحَظُ الْكَوْنُ فِي مُسَابِرِ الْمَنَآيَا
ذُو غِلَابٍ عَلَى الْبَلَى مُسْتَخْفٌ
تَ وَنُورٌ عَلَى الْآلَةِ يَرِفُ
فِي فِضَاءٍ مِنَ الْأَثِيرِ يَشْفُ
مِثْلَ رُؤْيَا تَهْوِي بِهِ وَتَدْرِفُ

(الشاعر ينتبه فجأة على ضجيج سفن الموت فيرتاع ويناجي الوقت)

وَيْلَكَ يَا وَقْتُ! أَيْنَ أَمْضَى؟
فَوْقَ مَكْسُورَةِ الْجَسَاحِ دَهْنُهَا
فِي خَضَمٍ تَدْوِي الْعَوَاصِفُ فِيهِ
عَاصِفَاتٍ عَلَيْهِ تَعْتَشِقُ الْمَوِ
تَأْتِيهَا فَوْقَ هَاتِهِ الْأَمْوَاجِ
عَصْفَةُ الْجَائِمَاتِ وَاللَّيْلِ دَاجٍ
نَاعِيَاتِ نَوْرِ الشُّمُوسِ السَّاجِي
جَ وَتَعْدُو لَمِيرَ مَا مِعْرَاجِ

﴿ سفن الموت ﴾

نصلت من غبارها مسفن الموت وسارت بمن تقل خفا
لثها الموت في غياهبه السو د وأمرى يطوى بها الأسدا
وبها رايته تفسير الى الشط (م) وروح يهدي له زفرافا
كلما طافها الفناء بصوت رفعت قلعتها له إرهافا

خاضت الموت مسرعات مع الرق ت تانى الحياة في ظخيا
طيس الموج خفة ثم تعلو في سما من البلى دكنا
وشع الموت جانبيها اصفراد فأدت منه ضياء المساء
في شقوقه إبريسم سباحات بشرع صرقرع من ضياء

طائرات على جناح حبارى سباحات على مطون مسماني
شتت الوقت جعمن قراحت طارات على الردى أخدانا
ينفج النيد فيه ربنا خزامى مومض حاطه الشدى إدجانا
نسب الشاطان عقب شذاها فيثواني زهرهما نغسانا

« . »

وأرى فلكي الكبير عليه يتهاذى من بينها مبهوتا
فأجأته الويلات من كل صوب خلقت من عصفها مغموتا
في ذنابي الأفلاك يهتو الى الشط (م) فيلوى به الردى مكجوتا
فاذا عادته من الشط طيف شذ من قلعه إسرائي الحوتا

« . »

ولكم مرّة اللبالي أمامي مسرعات ، يلحق مثل الظلال
وكان الساعات فيهن واليو م وكل الاوقات نور الزوال
فيك ماتت هذى السنون أيا ليل (م) وبقي الاحقاب في اضمحلال
تشر الوقت في الحياة لتطويه (م) جديدا والبعض في أممال

﴿ الشاعر والآلهة ﴾

(يستنقذ الشاعر مرة أخرى على نور ينعش الأفق فيستفسر الآلهة عن
ذلك فيجيبه)

﴿ الشاعر ﴾

أنى نور هذا الذى يهر الأفق قى ويَزْهُو مُنْقَبِحًا جَنَبَاتِهِ ؟

﴿ الآلهة ﴾

هو يا شاعرى الصغير ركابى ويشعُ الضياء من مشكاة
قد تخطى إليك كل هبوب ومُصف الشجرات فى مأجراته

« . »

وبدا فوق صفحة الأفق وأتو س^(١) « يُقلّ الأنوار فى مَرَكَبَاتِهِ »

« . »

ياله مركباً غلامه النور
اختنقه الأنوار فى ركبيها الضياء
قتراته مثل القناديل تترى
أورؤى فى كرى تراهى وضاء
قد نهادى بين الظلام كحلْم
من رؤى أول الصكرى وهى تسرى
حواله متوجتار قد حوَّاه
يُشكس السحر فوقه كل حين

و من خالصر الأثير شراشه
فى ودانى طرف الأواذى شعاعه
حوله ، فوقها يرف الخفاش
ضم أطرافها إليه فلاشه
ذهبي على جناح فضى
مسرعات من العيودر المنفرد
وهو فيها يرف مثل الوصف
فى زهى الأنطيف من كل حض

« . »

(الآلهة تنصح الشاعر أن تحمله الى الفردوس فيصر على مرافقتها)

أنت يا شاعرى تحملت صبرا
فى حياة مخوفة بالزوال
هى رؤيا حلم ويقظته المو
ت ، وفقر مماؤه من آل

(١) اله النور عند الاغريق .

تبدأ العيش في الذي تنتهي فيه في سواده على قفيرة خالي
ونهاره يغشى بساحة ليكتفي به هو العيش وهو معمره خيالي

« ٠ »

إيه يا شعري محملت صبرا في عذاب قد فاق كل عذاب
لكاني أدرك في نفوس الفكرة (م) شيكيا تفكو من الأوصاف
أرى ترتضى اصطحابي إلى الجنة مثنوي الشواذ في الأشراف
حيث كنتي ما تشبهه من الآمال في الأشراف والأصلا

« ٠ »

جنة الشعراء

تمتطي الجالس في ظل أيك رتق الطير فوقه أشرافا
يتغنى بين الثمار بلحن هل سمعت القيان غنت طرابا
من وحيته يستجانب سرورا وشجيتن يشذوان انتحبا
وجرى الماء في الغدير رحيقا وجرت فوقه الزهور حبا

« ٠ »

جنة صاغها الاله من السحر (م) ففيها صباة السعداء
نورها من وشائع من هواء فهي منه في رقة القمار
وتغنى الأطياف فيها اصطحابا ففيها من عبقرى الغناء
من خيال الأشعار قد صاغها الله (م) ففيها روائع الشعراء

« ٠ »

ستري «أفرليز» (١) تجري على العشب ونهفو إلى شراع المراكب
و «نفايس» (٢) في ضائرها الصغر (م) تغنى تحت النجوم الأشباب
و «عذارى الينبوع» تعزف موسيقى (م) ديسع فوق الضفاف الشوابع
سوف تلقى هناك كل نعيم فتقتضى فيها جميع المآرب

« ٠ »

(١) مدينة القبا الآلهة إيزيس في النيل فاستعالت إلى حورية تعابت الأمواج والشراع.

(٢) قصة حزنها مشهورة عند أهلها آلهة بابل وأشارت في بلدة نيكور.

(الشاعر)

أمطرتك الرحام ياربة الشعر (م) وجادتك فائضات اليمين ا
كنت ساواي في الحياه ، وفي الموت تـ أراك ، على دجاء خديني .
(وتترك أله الشعر في الفردوس وتهم بالمسير فيصبح الشاعر بها)
ما أرى ؟ تزعين بعد رحيلنا ؟ ربة الشعر - ولك - لا تتركني ا
أية تذهبين في ذلك الموت ؟ (م) ولكن هيا ... خذيني ... خذيني !

(آلهة الشعر)

شأن نفسي وذاك في غرام أن تلاق الخطوب والاهوالا
اقبل أنت ناعما وتفك في جنان طابت جني وظلالا
سوف آتيك بالذي قد أراه فوق شط الأعراف ، فاهداً بالا
إني سوف ألتقي بمنايا تصرع الرياح ، تنسف الأجالا

(الشاعر)

آه ! باطأنت الخيال تعالى ا وابق جني ولا تنام وحدا
كيف تلتقي الردي وأنت ضعيف وسهام المنور يقصدن قصدا
وندي الانوار يلفح وجهك والنسيم العليل ينسل شعرك
فاذا خالك القناب بسهم كيف أرضى الفردوس داراً بعدك ا؟

(آلهة الشعر)

قر نفسي فاني لا أبال بشعوب ولست أخشى الحما
أنا في روحها الكريمة روح لا تلاق المنون إلا سلا
أنا كالبارق السماوي نور لا يني في مضيه يرامى
هو يبدو من حيث يحبنا لنا س تعاوى من المنية حاملا

« . »

هالك فلكي على الدجى يترامى مستضاء . . كالكوكب اللامح
بهر الموت نورته . . فهو أعشى يتحاشى من خطفه بالراح
يومض الليل بالننا ممسطاراً في اصفرار يحكي اصفرار الاقح
صنعت آلهة الشعر كما تنطلي به شبك الرياح

« ٠ »

فاضطحيتني إذن عليه وهيباً فوقَ هولَ الفناء غضى سورياً
فلقد كطبتك رؤوا المنايا وتراها محسناً اليك صديقاً
كنت طفلاً على المشيب لعوباً مشياً على الصبا مكثيباً
تستمد الحياة من نورك البيا لى وتسهر إلى سناه شجياً

■ ٠ ■

لم تكن غير طائف من ضياء قد طواه به ظلام مجنح
حظته من حياته ماراه من تهاويل جوه وهو يسبح
فهو من ذكرها الحبيب مطاف رؤوى في ضيائه التبرز تلح
ذكرات ... يدأذهن لقاء ممتعاً في الخيال بعداً مبرح

« ٠ »

ونهر مرترق كنفته غابة بين دغليها ينساب
بسطت فوق مائه العذب ظلاً تحت عطف الأمواج لا ينجاب
حجبتة عن العيون طويلاً وهداها له الصفاء الشطاب
سحر العالمين منه رحيق فاذا هم من صفوه شراب

« ٠ »

تطلب السعد وهو منك قريب تدعى الحزن وهو عنك بعيد
قد طويت الحياة تجهد فيها لب شعري فهل جد المجهود
تنفع الناس من شذى زنبق النود وهم في كرى الحياة رقاد
قد أضعت الحيلة كل ضياع في حطام فان هو التخليد ا

« ٠ »

(الشاعر يسمع أرغن الموت على فلك الآلهة)

يا حبالى ! ماذا يطوف بقلبي يا خيال ما ذا يسارق اذنى ؟
أى شيء أحسن .. أى ديب مستلذذ .. يحذر الروح متى ؟

﴿ الآلهة ﴾

إنه أرغن الفناء يمتنى ويعيد الحيلة فى مثل لحن
جهورى الموجات تنفخ فيه مسمعات يفضن من كل فن

« . »

هاك لحن الجال .. هاك صداه
 هاك لحن الأسى .. ولحن التأسى
 هاك لحن الصبي ولحن التصابي
 هاك كل الحياة مرث كلحن
 هاك لحن الهوى ولحن التفاني
 هاك لحن الآمال .. لحن الأماني
 هاك لحن المشيب والحرام
 وصداهها يبعث في الأذان

« . »

﴿ أرغن الفناء ﴾

واها له من فناء
 في صنت وادي الفناء
 الحـائـة زفراني
 تعانق الأنداني

« . »

يتسبح في الامواج
 يزهي على الإمدلاج
 مُضطجِب الصوت
 من شفق المتون

« . »

مقبضة من دموع
 وصمتها مقطوع
 يسكبها اللحن
 ينهبه الحزن

« . »

دوى على الأصدا
 يسامر الجوزاء
 يمين في الظلما
 وتفتح الحلما

« . »

صبيجه صبا
 مهاجيم الأرواح
 كالبوق في الأذان
 من غير ما استنذان

« . »

فالكون في رجف
 خاضا من الخوف
 كالكوكب المطاق
 في منبح الآفاق

« . »

وتارة يخفت
 كالروح لو تمنت
 في غسق الليل
 في صخب الوئل

« . »

فتحجب الموحا
 يرثجها رجها
 يلعب بالارض
 وبغدها ... يضي

« »

يَعْلُو عَلَى النَجْمِ وَيَلْسُ السَّقْفَا
كَأَنَّ فِي حُلْمٍ طَيْفًا بِهِ رَفَا

« »

فَطَافَتِ الذِّكْرَى بَقْلِبِهِ النَّائِي
كَالظِّلِّ لَوْ أَسْرَى بِصَفْحَةِ الْمَاءِ

« »

فِي دُجْنَةِ الْآبَادِ تَرْعُشُ كَالْأَشْبَاحِ
كَالْجَمْرِ تَحْتَ الرَّمَادِ مِنْ فَوْقِهِ النَّدَى غَاحِ

« »

فَلَاحَ فِي اللَّيْلِ بَسَاتُهُ السَّاحِي
مُعْطَرَّ الذَّيْلِ فِي أَفْقٍ دَاجِي

« »

وَحَتَّ ظِلٌّ وَرَيْفٌ مَقْعَدُ مَنْ يَهْوَى
يُخْطِفُ فِيهِ رَقِيفٌ مِنْ السَّنَا أَضْوَى

« »

وَتَلَكَّ لَا بَلَّ هَذِي مَلَاعِبُ لَا تُحْفَى
لَيْسَ لَهَا مِنْ نَفَاذٍ قَطُّ وَلَا تُسْتَقْصَى

« »

كَمْ سَرٍّ فِيهَا رَيْعٌ وَسَرٍّ فِيهَا خَرِيفٌ
وَكَمْ مَسْحَى فِي مُخْشَوَعٍ يُنَاغِمُ الشَّادُوفُ

« »

يَلْهُو عَلَى النَّبْتِ وَيَقْطِفُ الزُّهْرَا
يُخْفِيهِ فِي صَمْتٍ لَيْسَ تَرَقُّ الطَّيْرَا

« »

﴿ صور اللحن في الصبي ﴾

وَأَبْدَلْهُ النَّعْمَا إِلَى الْعَتَمَى الْمَيِّمَانِ
فَصَوِّرْ الْعُدَمَا فِي مَنَظَرِهِ فَتَّانِ

« ٠ »

جَوٌّ من الأثيرِ مُدْهَبٌ فضى
سَمَاءُ أَيْكَ شَجِيرَ يَرْفُ في الأرضِ

« ٠ »

مُسَوَّرٌ النُّوَّانِ كَالْحَمَلِ المَعْقُوفِ
طَرَزَةٌ النُّوبَهَارِ مُفَرَّقًا مُؤَلَفِ

« ٠ »

﴿ صور الحن في المشيب ﴾

وَأَبْدَلُ النِّعْمَا إلى شحوبِ المشيبِ
فَصَوَّرَ العَدَمَا في منظرِ كَثِيبِ

« ٠ »

جَوٌّ من البردِ أَعْصَارُهُ نَجْجُ
يَذِيبُ في الجِلْدِ مُرُوحًا به النُّلُجُ

« ٠ »

وَدَغَلِ مَصَوِّحُ يَشْتَقُّ الذُّبُولِ
لَا طَائِرُ قَبْصَدَحُ به ، وَلَا خَيْلُ

﴿ صور لحن الأسمى ﴾

وَأَبْدَلُ النِّعْمَا في رَنَمَةِ الحُزْنِ
فَصَوَّرَ العَدَمَا في منظرِ مُضْنِي

« ٠ »

حَدِيقَةُ قَيْحَاةٍ في زَمَنِ ربيعِ
يَعْنِي اقْبَاضُ الشَّتَاءِ في مُحْسِنَا الوَدِيعِ

« ٠ »

﴿ صور لحن الأمانى ﴾

وَأَبْدَلُ النِّعْمَا إلى صغيرِ الأمانِ
فَصَوَّرَ العَدَمَا من أَوْهَرِ الألوانِ

« ٠ »

مُشَجَّرَةٌ غَيْثَاءُ رَشَحَرِيَّةٌ الأَزْهَارِ
تَسْلُطُ في دَكْنَاءِ من عَيْقَرِ الأَعْطَارِ

﴿ مطلع الشاطيء ﴾

(الشاعر يلتبه بمفوتاً)

إيه ربّاه ما أراه أمانى ؟ أئى نور فى أيمان أسداف ١ ؟

﴿ الآلهة ﴾

هو شطّه الأعراف ...

﴿ الشاعر ﴾

أية شطّ ذا المُسَمّى بشاطيء الأعراف ؟

﴿ الآلهة ﴾

هو منوى الألفاف بعد شتاتٍ ومقرّ الأرواح بعد طوافٍ
توقّب الموت والحياة تيرا ن على الوقت وهو كالرجاف ١

﴿ وصف الشاطيء ﴾

فى انتحاء عن العوالم قاصٍ حيث يرقى السكون مرق الفضاء
وطيور القضاء تنعب فى الموت نعيمًا يزيد هولَ الفناء
غير أن السكون ينهشه نهشاً ويمشى الحفى على الضوضاء
سرمديّ البقاء يحكم فى الموت (م) ويبقى على بقاء البقاء ١

وإذا ما استمعت هالك صمتٍ فى عويل الآزال والآباد
يستجيب الفناء وهو بعيدٌ فيلاقى منه سكّون الجاد
حلم مزعج تراه بها الأرواح ضلّ وهذا الفناء مثل الرقاد
استطارت له وحققه المدم (م) من الخوف فى المنايا العوادر ١

ليس شئ يحى المئى فيه إلا ابيضاض النواج فوق الصخور
مثل صوب العباد تلحق بالبعث (م) وتنهال فى اصطياب نكير
تطير الصخور والكهوف وتنفض (م) عليها مثل انقضاء النور
لهنّى اكل ما أرى فهو موتٌ ينذر الأرض موعداً بالنبور

يُستريحُ الزَّمانُ والموتُ فيه بعد طولِ التَّطَوُّفِ والجولانِ
وكانَ الزَّمانُ خاتَمَهُ الخلو فمُ فأضجى مع الردى في احتضانِ
وتلاشى به رويداً رويداً ثم أهوى عليه كالوَسْنانِ
فاذا بالغناء يحكمُ فرداً قَوْصَوِيّاً على جلالِ المكانِ !

هو وادٍ للموتِ يَلْتَشِرُ فيه شِبةُ دنيا تَمَتَّى وشِبةُ حياةٍ
يسطُ الوقتُ كالخضمِ لِتَطْوِيهِه ويمدو عليه كالسَّعْلَةِ
مَرَّتْ نفسها الرِّيحُ عليه داويات من فوقه مُعَوَّلَاتِ
لفظه يشبه الحياةَ بما تحوى (م) ولكنَّ خَلَوْهُ من الأصواتِ

تبصر الدَّوْحَ صاعداً فى فضاء يترامى عليه كالاشباحِ
فى كبُوسٍ من الدَّيَّاجيرِ داجٍ لَقَهَ غَيْبُهُ مُمْسِقُ الجناحِ
وترى البرقَ مومضاً يترامى فى ثنايا الاسدافِ مثل الجراحِ
أو كحربٍ على الظلامِ عوانه قام بين الاجسادِ والارواحِ

وترى الموجَ فوقه يركبُ الموجَ (م) ويملو مُهاجراً مُسْطَاسَةً
مُظلماتٍ من فوقها ظلماتٌ تُعجزُ السَّطْرَفَ فى مَداها الابانةِ
مُمدَّجِنَاتٍ .. هو اضبط .. تترامى فى اصططاب .. فى ليلة أرواناهِ
ربِّ ! أين المرقء منها وهذا شَبَّحُ الموتِ قد أطلَّ جِوانه ١٩

هى هذى السننُ تَمُضُ عَجَّالاً مُسرعاتٍ تجري على التبادِ
تتلاشى فى بعضها ثم تحي لتعيد التمثيلَ فى الاعمادِ
مُشبهاً بعضها على العمرِ بعضاً لوَحَلَتْ من تباينِ الاوطارِ
والهذا التناء ... والهواهُ ! والهذا القضاء والاقدارِ

أيتها الوقت كم أطلعت بعيشه
حيث كنا وقد تحقق فيه
كل يوم يزداد حسناً ولفناً
لم يُكدره سواه أي غيم
خضيل كان وارفة الأظلال
كل حاج من سائح الآمال
ثم تضي النسي على منوال
ومضى ناعماً بأحسن حال

« ٠ »

ومتوازيك أنته وعويل
أهي شكوى الأحلام يصرعها المو
أم هي الروح تستغيث وتبكي
أم هو الموت في الظلام يُعنى
من ظلام الكهوف والغيوان
ت وشكوى مما تقاسى الأمان
من عدو في الموت ذى شئان
أم عزيف بدوى من الميئان

« ٠ »

في الأسطة

إيه يا شعري كفاك مقاماً
ليس شط الأعراف هذا ولكن
سترى مخبأ الليالي وتلقى
حيث لا تعلم هناك يهدى
ها هنا . . فالتقاء نجم الضفاف
هو ركن من شاطئ الأعراف
مصرع الوقت في دجاء الضافي
لا ، ولا فوقه يصاح لطاق

« ٠ »

فسرى فلكها يشق الدياجي
يمخر الموج والمباب بقيدو
ثم أرمى وقد عراه رجيف
ليس رموا عليه غير ظلام
في ذميل مسيره ركاض
م شتم على الردى خواض
فوق شط من المخاف ناض
ليس حس عليه غير اقتباس

في قبر الليالي

فاذا هكل يلوخ على الأفق
قام الجو أغدق كنفته
ترسل الطرف نحوه فيلاقي
وحدة تصرع الأمان وخوف
عليه من المنايا شحوب
بلجاج من الظلام شعوب
حجته الموت فوقه فيؤوب
إر خوف على الردى محسوب

يُنْفِزُ الجَنِّ والآناسي ويُنْضِي
لو دأوه خَرُّوا لديه سَكَارَى
يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
خَلْفَهُ فِي الظُّلَامِ ثُمَّ أَمَامَةَ
تَهْبُّ الْبَرْقِ فِي الْفَسَاةِ نَهَامَةً
أَيْنَ أَلْقَى السَّعِيَاءُ فِي ظُلُمَاتِ

قِفْ تَأَمَّلْهُ وَهُوَ يَمْتَرِضُ الْمَوْتُ
هُوَ قَبْرُ الْحَيَاةِ يَقْصِدُهُ الْوَقْتُ (م)
فَإِذَا مَا احْتَوَاهُ أُرْسِلَ نَجْوَا
رِذَاذًا مِنْ خَلْفِهِ وَرَشَاشًا
هُوَ دَمْعُ الزَّمَانِ وَهُوَ «الرَّحِيمُ»
الْقَلْبُ «لَمْ يَلْقَ فِي الْحَيَاةِ الْحَيَاثَا»

﴿الآلهة تنأجى الشاعر ثانياً﴾

إِيَّاهُ بِأَشَاعِرِي أَكْفَاكَ مَقَامًا
لَيْسَ شَطُّ الْأَعْرَافِ هَذَا وَلَكِنْ
سَتَرِي مَخْبَأَ الْبَالِي وَتَلْقَى
حَيْثُ لَا مَقْلَمٌ هُنَاكَ يَهْدِي
هَاهُنَا فَالْفَنَاءُ جَمُّ الضَّغْفَارِ
هُوَ رَكْنٌ مِنْ شَامِلَةِ الْأَعْرَافِ
مَصْرَعُ الْوَقْتِ فِي دَجَاءِ الضَّاقِ
لَا، وَلَا فَوْقَهُ يُصَاخُ لَطَافِي

فَسَرَى فَلَكْهَا بِشَقِّ الدِّيَاجِي
يَغْضُرُ الْمَوْجُ وَالْمَبَابِ بِقِيدِ
فِي ذَمِيلِ مَسِيرِهِ رَكَضِ
مِ كَرِيهِ عَلَى الرُّدَى خَوَاضِ

وَإِذَا بِي أَحْسَنَ صَوْتًا حَنُونًا
يَتَهَادَى عَلَى السَّكُونِ رَخِيًا
وَهِيَ فِي الْمَوْتِ لَا تَحْسُ بْنُجَوِي
سَكَنْتُ سَكَنَةً يَمَاقُهَا الصَّمَدُ
طَائِقًا فِي الرَّدَى بِأَرْخَمِ جَرَمِي
وَيَنَاجِي الْأَرْوَاحَ فِي مَثَلِ هَمِي
مِنْ غَنَاءٍ وَلَا تَصْبِيحِ لَحْسٍ
سَتْ وَأَسْرَى بِهَا فَنَاءٌ مَغْسِي

أَخَذَ الصَّوْبُ فِي إِزْدِيَادِ «خَفَوْتِ»
مُسْتَدِيرًا عَلَى الْفُضَاءِ يَدَانِي
وَسَجَوْتِ عَلَى السَّكُونِ مَدِيدِ
طَرَفَ هَذَا الْفُضَاءِ حَدَّ الْوُجُودِ

وبدا فوق هامة الأفق نورٌ ساطعٌ الجوَّ غاطفٌ من بعيد
وإذا موكبٌ يتنه عليه مثل قصرٍ من الضياء مشيداً

هو ركبُ الحياة يمشي حينئذٍ مستخفاً إلى «ضريح الليالي»
فهو منسوى الاحقاب بعد تمام ومقرُّ الاجيال بعد اكتمال
قفْ تأملْ! فلك الحياة عليه ملكٌ في وضاعة وجلال
عبريُّ الجمال في سندسٍ خضر (م) يغنى في بهرٍ واختيالٍ

وسرت خلفه «زوارق» شتى تتراءى كأنها أحلامٌ
فترى «زورق الجمال» عليه سمعاتٌ غناؤه سلامٌ
وترى «زورق الشرور» عليه سمعاتٌ غناؤه سقامٌ
وترى خلفها زوارق شتى ملتصقاتٌ ... وكلها آثامٌ

جُبلتْ هذه الحياة على الشرِّ (م) وإن كان نامياً في الخير
وأرى الخير من عمارٍ ضارٍ وجدت خصباً أرضها في الشرِّ
إنَّ هذا التراب وهو قبيحٌ طاح من روحه أريجُ الزهر
ليس هذا النعيم غير شقاءٍ خذار.. خذار.. من أمِّ دُفَرٍ

ومضى الركبُ في الردى وتلاشى أثرُ الركب في «ضريح الليالي»
فكانت الحياة كانت مناماً وغرور الحياة طيف خيالٍ

﴿السكون الحاكم﴾

أي هذا السكونُ! يا حاكمَ الموتِ تَرِ! وصنو الأزال والأبداتِ!
كنتَ قبل الحياة تحكم في الموتِ، وها أنت حاكمٌ في الماتِ!
أيها العدم! أين أسرى حبيبي؟ أيها العدم! أين أسرت حياتي؟
أين منوى الضياء...؟ أين أراه؟ أين منوى الفناء والأصواتِ؟

أيها العدمُ! أين تستعسُ في الصمتِ تَرِ وتلقى لديه راحة جفئك؟
قفْ ودعني أبث إليك شكائي والتبايى مهمتهما في أذنك!

« . »

لم أجد في الحياة لي اذناً ته مع شكواي أو فؤاداً حنوناً
ولذا قد أثبتتُ أشكوك ما بي فلقد ترحم الكئيب الحزيناً

« . »

كان لي في الحياة قلب طروب يتغنى كالطائر الصداح
أحرق الحزن منه ريش جناحيه وأهوى به كسير الجناح أ

« . »

فتحمل منه أساه وفرد له على ذلك الفضاء شعاعاً
قبل أن يقضى الفؤاد ويمضي حاملاً معه في الفضاء التبايعاً



﴿ ساحر الوادي المغنى ﴾

(في الايات التالية يتخيل الشاعر مغنياً في وادي الموت يغنى للفانين لحناً صامتاً
وهو بعينه المغنى الذي كانت موسيقى الوجود تستمد ينابيعها منه وتفرقها على الربيع
والاطيار والمياه والنور . . . يتخيل الشاعر وقوف المغنى صامتاً بقبيلاته المحطمة
يعزف عليها فلا تساعفه الا الحان)

« . »

ساحر الموت ! طال صمتك هيا رجع الحن . . أبهذا الشاى !
قم أيا عازف المنون وغنى وابعث النسم فوق صمت الوادي

« . »

أترك الدوح والينابيع تحيا لتعيد الحزين من آهاتك
فلكم فاح نشرها وهى تسرى لتحيى الصباح فى نفثاتك
لهى ! ما أدراك تبع لحناً ! فاطبر الشعر ما دهي قيثارك ؟
سومة اليك التى عطشها ! وعفت فى غناها أو تارك !

« . »

هاك موجّ التناه يقذفه البأ سُّ على شاطئ السكونِ الرّهيِّبِ
يستجيب الأصداء وهي تعانِي ما يعانِي .. فإلها من مجيب !

« . »

وأرى روحك الشحوب دفوفاً نشتكي للسكونِ من ألتانك
غنها من سمها فنشك لحناً فلتقد تستفيق من أحزانك

« . »

كان إنشادك المبارك خجراً مستهلاً وضئ نور الحياة
ليت شعري فأين أذوى وأينت قد أقرت الحنان ذي الأغنيات
لهني ما أراك تبعث لحناً فخير الشعر ما دهي قينارك ١٩
سوء ليد التي عطلتها وعنت في غنائها أوتارك ١

- * * *

شرح وتعليق

الأعراف كما فسرهما المفسرون مكان بين الجنة والنار، واطلقت هنا على شاطئ خيال يقع وراء عالم الحياة ويشرف على عالم الموت .

بعد أن مات الشاعر حملته آلهة الشعر على زورقها السحري في بحر الوقت وأرست به على هذا الشاطئ ...

والشاعر يصف لنا كل ما رآه في ملول رحلته من عجائب الموت التي تحلم بها كل شاعرية تسلم زمامها إلى الخيال المطلق !

وعند ما يصل الشاعر إلى شاطئ الأعراف يصف لنا هذا الشاطئ ثم يروعه بحر هائج مصطخب يشرف عليه شاطئ الأعراف فيصفه لنا : هذا البحر هو « بحر الوقت » !

وبعترض هذا البحر على صفة الأفق هيكل قصر خرب به فتحات مظلمة تنساب في خلالها مياه بحر الوقت وتضي في أحشاء المجهول والعدم : هذا الهيكل المهلك هو « قبر الليالي » التي كانت تدفن أشلاءها فيه أثناء الحياة .

وبينما كان الشاعر يرمي ذلك طلع عليه موكب نغم من زوارق سحرية يتقدمها فلك عليه خيال ملاك يعزف على قينارته ...

هذا الملاك هو الحياة تقود عناصر الوجود من الجمال والشر ... الخ . في زوارقها ، ومرّ ذلك الموكب في بحر الوقت واختفى في غياهب هذا القصر الذي هو قبر الليالي ، ثم أرحى على العالم ستار العدم والصمت !



الشريعة

تذكرت الماضي فهاجت شجونها وحننت إلى الذكرى ففاضت شجونها
وألقت يد الألام كرهاً برأسها على كف حيرى لم تجد من يمينها
ورامت خلاص النفس من لجة الأسي فرت بها الذكرى لحن جنونها

« • »

فتاة سقاها الدهر كاسات سخطة وزادت على مر الليالي شجونها
تسير بمحراء الحياة شريدة تمزق ساقبها عناء حزونها
وتنفو بها الذكرى حيناً فتحنى وتسبح في ساجي الدموع جفونها
وتلهب داجي الليل من زفراتها بنيران آلام تمجيش أتونها
يُسيل دموع العين حرّاً بكائها ويصير حبات القلوب حنينا

« • »

تناجى شاباً أذبلته يد الأسي وأيام عزّ ناضرات غصونها
وعهداً تولى كان ربّان صافياً أفاض عليها كل معنى يزنها
وحباً طهوراً لم يندس عفاقه وليداً أحاطته بعزّ يصونها

« • »

تولى ولم يترك لها غير آهة يقطع أوصال الفؤاد رنينها
وقسماً من الأحزان باتت كثية ووجها جرى فيه شحوب يشينها
أناخ عليها الدهر في ميعة الصبا وأسلمها للبين دهر يحونها
تبدل بالنعمى شقاء ملازم وبالشدو في ظل الأمان أينها
فبالت شمرى هل يبدّد سقمها ويصفو من الأكداد دهر يمينها ؟

عبد العزيز محمد عطية



السير وولتر سكوت

ان الذي يعيننا من حياة السير وولتر سكوت شيثان : الاول اثر الدرس المنظم في العقل الموهوب ، والثاني البطولة الادبية الممتازة ، والانتاج الهائل الذي أنتجه وولتر سكوت ولم يكن له نظير غير أنتوني تالوب ، وشتان بين الاثنين في العمق والعبقرية



السير وولتر سكوت

ولد وولتر سكوت في أغسطس سنة ١٧٧١ م . من عائلة عريقة في المجد ، تمتد نسبها الى امراء اسكوتلاند وابطالها ، وكان ابوه محامياً وأمه ابنة طبيب كبير .
وقد أصيب وولتر بالمرض في سن الطفولة ولازمه المرض طول حياته ، وفي هذا شبه بينه وبين بيرون . وقد قضى جزءاً كبيراً من طفولته في قصر جده ، وفي هذا

القصر المحاط بجبال الطبيعة وأدوع صورها تشربت نفس الطفل بما ظهر بعد في
الاديب الخالد !

دخل مدرسة أدنبرة العالية ، فتميز بين أقرانه بحيله المفرط الى الادب والشعر
وقراءته الواسعة في غير الدروس ، وغرامه بالتاريخ وبخاصة بتاريخ اسكتولاندة
وآثارها ، ومهارته في بحث الاوراق القديمة الخاصة بتلك الآثار . ومما
يذكر له على سبيل المثال انه في الخامسة عشرة حضر الشاعر بيرز بيتين من الشعر قرأها
أدنبرة واحتفى به اعلام الادباء فيها ، فأعجب الشاعر بيرز بيتين من الشعر قرأها
تحت صورة ، ولم يدر مصدرهما في ذلك الجمع من الادباء والاعلام غير سكوت .
وفي جامعة أدنبرة درس المحاماة وتخرج محامياً ، واشتغل في مكتب أبيه ، ولكن
ميله الى الادب كان أقوى من ميله الى المحاماة ، وما كان أشد فرحه عند ما عُين في
سنة ١٧٩٩ م . عمدة لبلدة سلكركشير ، وأعطى مرتب ٣٠٠ جنيه في العام ، فتم له
بذلك ما يريد من التفرغ ومن الانكباب على الادب والشعر . ولم يكن درسه للادب
والشعر والتاريخ درس لهو واستمتاع ، شأن غيره من الشباب ، ولكنه كان درساً
منظماً عميقاً جاداً ، وكان بحثاً مستفيضاً قوياً ، وكان كلما أنس باباً للاستزادة طرقة ،
فانه أعجب بالادب الألماني فدرسه ، وترجم أفاني بورجر ، وما لبث أن
تزوج بسيدة غنية ، وجمع أفاني في سنة ١٨٠٢ م . ثم طبعها .

وسكن بعد ذلك بلدة اشستيل على نهر التويد ، ومرت حياته إذ ذاك على وتيرة
واحدة : يستيقظ من الساعة الخامسة صباحاً ، ويوقد ناره بيده ثم يخرج ليرى
خيله وكلابه ، ثم يعود فيكتب حتى الفطور ، ويعاود الكتابة بعد الفطور ، ثم يمضي
الى تأدية أعماله اليومية حوالى الظهر .

وفي سنة ١٨٠٥ م . كتب قصيدة «السيد الاخير» فرفعت الى الصف الاول من شعراء
الانكليز ، وأتبعها بأخرى في نفس العظمة والجلال ، كاردبون ، وسيدة البهيرة ،
وقد صادف نجاحاً هائلاً كان نفسه لا يتوقعه . وانهمر عليه المال فاشتري ضيعة
كارلتى ، وبني فيها قصراً صكصور ألف ليلة وليلة ، على جانب النهر .

وكان قد كتب قصة وافرى منذ سنين ، ولكنه أطلع صديقاً عليها فلم يرض
عنها ، ولم ينصحها بالاستمرار فيها ، فتركها جانباً ، وأخذ ينشر أعمال غيره كدريدن
وسوفت ، ثم خطر له أخيراً أن يعاود وافرى ، وكان قد اشترك في عمل مطبعي
تجارى هائل كلفه مالا طائلاً ، ولم يكن سكوت بكل ثروته وانتاجه الوافر كمنزلاً

لذلك الأسراف ، وكان مدير الشركة صديقاً له دالة عليه . فكان يذهب الى الرجل الطيب فيأخذ قسطاً بعد قسط فيعطيه ، ولكنه فرغ صبره ذات يوم وصاح بصاحبه : « ناشدتك الله ألا ما علمتني كإنسان لا كبقرة حلوب ! » وكانت حالة الشركة تمضي من سيء الى أسوأ ، وتكدست فيها الكتب التي لا تباع . فأخذ سكوت يكتب قصة وافرنى وكان يكتبها بدون ان يضع اسمه عليها ، فلقبت بحاجاً لا نظير له ، وقام العالم يتساءل عن « العظيم المجهول » ! والمدهش انه كان يبدأ القصة وينتهي منها في أربعة أسابيع خلاف ما كان يحرره من مقالات وقصص صغيرة وأشعار ، والمدهش أيضاً أنه اتخذ الحيلة الكاملة حتى لا يُعرف أنه مؤلف وافرنى . وكان القصص مفتوحاً للضيوف والاصدقاء ، ولم يكن يخاطر ببال أحد ان هذا السيد الذي يجد وقتاً لا كرام ضيوفه والتنادر معهم ، هو نفس العظيم المجهول الذي ينتج ذلك الانتاج الضخم المتقطع النظير . وتمَّ الحمد والشهرة له . وكان يشعر انه عثر على منجم ذهب ، فاندفع في البذخ ، يبنى ويزين ويشترى ، ومدير الشركة يكتم عنه الافلاس المحدث به والكارثة المقبلة ، وأخيراً وقعت الواقعة وعلم سكوت ذات يوم انه لم يفلس فقط ، بل ان عليه ديناً يبلغ ١١٧ و ٠٠٠ جنيه ! وهنا البطولة الممتازة والشهامة الحارقة ، فانه أتى ان يعطف عليه دائئوه ، ولكنه طلب مهلة فقط ، وأخذ يؤلف ويكتب ، ليهدد ذلك الدين العظيم وحده بلا مساعد ! ولكن ذلك الجهد الجبار كان فوق ما تحتمل الصحة وما تقوم به العافية ، فأخذت أعراض الضعف والوهن تبدو عليه ، ولم يكن يبالي ويقول إنه لن يمتنع عن العمل حتى يموت !

وأخيراً ذلك الجبل ، فقد أصابته نوبة شلل في غرفته وهو يكتب ، فعولج منها ولكنه لم يمد يوماً ما وولتر سكوت القديم . نعم كتب وألف كثيراً بعد إصابته بالشلل ، ولكنها اعمال عليها أثر السقم والاضلال .

وسافر الى إيطاليا وغيرها يستشفى . وعاد معافى قليلاً ، فاستأنف اعماله ، ولكنه ما كاد يمسك القلم حتى هوى من يده ، فبكى بكاء مريراً .

وأخيراً ماودته نوبة أخرى فأت بين أهله وذويه وكلابه .

مات وقد ترك تراثاً هائلاً خالداً . وبكته اسكوت لاندت التي مجدها وفقن الناس بحسنها وعظيم آثارها وبطولة أبنائها ، وبكاه العالم الذي قرأ وافرنى بين الاعجاب والدهشة :

وماذا يمرؤ منتقدوه أن يقولوا ؟ قالوا هو غير فنان ، وأنه رجل تاريخ يقصّ قصة اعتيادية مجيد حبكها . أين هو من جين أوستن التي تكتب قنبذع في الوصف الدقيق والتحليل المعجب ؟

..وان ردنا على ناقديه هو أنه كان يخلق لك المدينة العظيمة بناسها وشوارعها وقصورها واسواقها ، وينزلك للطواف فيها : فأمالك المدينة التي تضج ضجيجا وتزدحم بمختلف الاشياء ، فإذا لم ترقك وانت عند بابها تسمع ضجة الزحام فليس الذنب ذنب سكوت ولا المدينة ولكن ذنبك أنت لانك لم تتغلغل في أحشائها لتعثر على الجليل المتع والبديع الساحر !

تحية واجلالاً لولتر سكوت وشعره الدافق الجليل ، ورواياته القوية ، وأدبه الخالد ؟

ابراهيم ناهي



جون كيتس

(١٧٩٥ - ١٨٢١ م)

بقلم الألسة إقبال بدران

بكلية الحقوق - بالجامعة المصرية

وُلد كيتس والقرن الثامن عشر يحتضر ومات في أوائل القرن التاسع عشر ، فلم ينم بالوجود في هذه الدنيا ومضى في زهرة الشباب وفي ربيع العمر في منتصف العقد الثالث . وحكاية حياته في حد ذاتها قصة مؤلمة وفاجعة شديدة ، والذي يعجب له المرء أن يخلف هذا الشاب الصغير أعمالاً خالدة وضعته في مرتبة العباقرة من الشعراء العالمين .

كان كيتس على كيفي « بيرون » و « ورد سورث » و « شيلي » و « كوليردج » لا يعنى بالمسائل الانسانية الهامة من الحرية والمساواة والاخاء ، تلك التي أثّرت عقب ظهور الثورة الفرنسية ، لأنه كان قد وهب شاعريته وقلبه للعجال ، فراح يتغنى به في كل قصائده ، وينشده في كل المواطن . وله كلمة خالدة في الجلال ننقلها في هذه الذكرى ، وهي :

« الجمال هو الحق ، والحق هو الجمال — هذا هو كل ما نعرفه على الأرض وكل ما نحتاج الى معرفته » .

فلا بدع ولا غرابة إذا قلنا إن مقصد كبتس من الحياة كان يتلخص في كلمة واحدة هي « الجمال » : فإذا قرأت له شيئاً ، وجدت كيف يذهب بعيداً عن أهل زمانه ويحتل بنفسه يتحدث إلى أشباح الناس الذين مضت على موتهم دهور سحيقة فيخرج لك من آلهة الاغريق وابطالهم صوراً ومواضيع رائعة الجمال ...

وقد كان يحتذى شعراء عصر العصابات وعلى الأخص « سبنسر » ، ثم أحيا فن المصور الوسطى الرومانطى ، كما أكثر من تقليد اليونان .

واطول قصائده « انديميون » قصصاً علينا في أسلوب حديث حكاية غرام ديانا والفتى انديميون القديمة . ويظهر أحيائه فن القرون الوسطى جلياً في قصيدته إيزابيلا ، حواء سنت إيجنز ، وهذا الضرب من الشعر وجه العقول والافكار ترجيحاً جديداً . وتبعه في ذلك الفن « تينيسون » و « روزيتى » ولكنه ظل البارز المتفوق في ذلك المضمار .

وشعره الفنائى هو بلا شك أجل ما فى اللغة الانجليزية ، ويكفى المرء أن يقرأ « أنفودة الى العندليب » أو « إلى الخريف » فيعرف كيف بلغ كبتس القمة في هذا الضرب من الشعر ، إذ لا جدال أنه كان من أبرع الشعراء في رسم الصور الذهبية وجعل الكلمات المجردة ذات قوة روحية غريبة .

يكفى المرء أن يقول إنه كتب سحراً لا شعراً ، وأنه لم يكن شاعراً فحسب ، وهو في الحقيقة يعدّ مقياساً للذوق الشعرى لدى كل انسان : فمن فهم كبتس وقدره قدّره فقد فهم الشعر وقدره ...

مات هذا الشاعر الخالد في روما الخالدة التى راح يتفنى بها كثيراً . مات قبل الأوان في سن الخامسة والعشرين ، ولا يعلم سوى الله ماذا كان يحدث لو مدّ له الأجل ، ورغم هذا فقد خلد اسمه في النابغين وهو كما يقول أرنولد عنه « مع شكسبير » .

كتبت هذه الاثارة منوّهة بعقيدة يأسها كل من قرأ الشعر الانجليزى ، فان كنت أطمع في شئ جديد فأنا هو رغبتى الى المختصين من أدباء العربية الذين درسوا الشاعر أن يعملوا على نقل أشعاره الخالدة إلى لغة الضاد .



زيوس ويوروبا

ZEUS & EUROPA

(كبير الآلهة ونموذج الجلال)

شاقه الحُسنُ ولم شاقَ الجلالُ كلّ ما في الكونِ بل ما في الخيَالِ
ليس بدعاً من إلهٍ قادرٍ أن ينال الحُسنُ منه الابتِهالُ
أو مُحالاً من جمالٍ مُعْجِزٍ أن ترى للألوفِ منه كالحُبالِ ١
« • »

خطرتْ بنتُ الملكِ السافرةِ في رُبى الشاطئِ تلهو ساجرةِ
والمروجُ الخضِرُ تزهو حَوْلَها بين ثُورٍ ومَعانٍ ناضرةِ
وبدا الشاطئُ في رُوحِ الصَّبى وأمانٍ الحبُّ فيه طائِرةِ
« • »

ورآها دُمَيَّةُ الفنِّ (زيوس) وغنى الدنيا وأحلامَ الكؤوسِ
فاشتهأها وهو أسمى منزلاً وهى أسمى منه فى حُسنِ يسوسِ
وأبى استهواها الا على صورةِ الفنِّ تستهوى النفوسِ
« • »

فترأى فى خيالِ الحيوانِ الأليفِ الطبعِ والجَمِّ العَنانِ
صورةَ الثورِ البهيمِ المنظرِ الخفيفِ الظلِّ ترضاه الحسانِ
واكتسى من لونه الصافى حُلّى فاذا المَرَجُ بمِراءٍ يُرآنِ ١
« • »

وَدَنَا مِنْ رَبِّهِ الْحَسَنِ الَّتِي قَدْ تَجَلَّتْ فِي مَصْفَى الْأَلَمَةِ
فِي دُمَائِهَا يُحْيِيهَا بِهَا كَتَحِيَّاتِ الْقُلُوبِ الْوَالِمَةِ
الْقَتِ الْخُوفَ وَنَاجَتْهُ كَمَا دَامَ الْفُلُّ الدَّهْمَى الْمُسْتَأْمَةُ

« . »

وَأَتَتْ بِالْهَرَمِ إِكْلِيلًا لَهُ ثُمَّ عَقْدًا شَاقِبًا فِي جِيدِهِ
فَازْدَهَى فِي نَشْوَةِ الْحُبِّ كَمَا يَزْدَهَى الْمُعْتَرِ مِنْ تَأْيِيدِهِ
وَانْتَهَتْ تَرْكِبُهُ فِي خِفَّةٍ فَاتَمَّتْ حَظَّتُهُ فِي عِبْدِهِ

« . »

وَمَضَى فِي الْيَمِّ يَجْرِي سَابِحًا فَاتَمَّ مَثَلًا فَرِيدًا رَاجِعًا
وَجَالًا عَبْرَتًا بَيْنَا كَانَ هَذَا الْكُونُ يَرْنُو سَادِحًا
وَنَوْلَى يَحْمِلُ الْحَسَنَ إِلَى حَيْثُ يَلْقَى الْحُسْنَ عَرْشًا صَالِحًا

« . »

وَتَجَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فِي صُورَتِهِ حِينَ (يُورُونَا) بَدَتْ فِي دُنْيَتِهِ
وَارْتَفَعَتْ بَعْدَ لَايٍ زَوْجَهَا حِينَ عَدَّ الْكُونُ مَرَّأَى زَوْجَتِهِ
كَمْ كَبِيرٍ بِصَغِيرٍ يَمْتَتِلِي وَصَغِيرٍ بِكَبِيرٍ لَمْ يَنْتِهَ

أحمد زكي أبو شادي





لو كان..!

(أغنية مترجمة عن الشاعر الفرنسي الفحل (هيجو) من ديوانه
« أفاني العشق »)

لو كان عشبٌ ناضرٌ يروى حديقته السماء
طولَ الفصولِ مُنَوَّرٌ بعضُ الزهور به وضاء
يُجَنِّتُنِي ملءُ اليدين زنبقٌ أو ياسمين
جعلتُ ثمَّ طريقها تخفى عليه كما تهاه

لو كان قلبٌ مغرمٌ للمجد يخي والملاء
يُعطي الحياة وييسم ويُنمحي دوماً في سقاء
لو يُرَى - في ذا القواد حَفَقُهُ أسمى المراد
جعلتُ ذاك وسادةً لجبينها ذات البهاء

لو كان حلمٌ في الهوى مُتَعَطَّرٌ فيه الهواء
في كل يومٍ قد نوى فيه رؤى فيها الهناء
حُلماً فيه الآلهة مَزَجَ الروحين ... آة ١
جعلتُ وَهْجاً تَقْدُ بك يا مُنْأَى والرجاء

• مخرج المترجم في هذه القصيدة مجزوء الكامل بمجزوء الرجز ومجزوء الرمل معاً ومع ذلك فإن موسيقى القصيدة مرعبة وإن بدا لأول وهلة أن مجزوء الرمل يتنافر مع باقي الأبيات ولكن عند قراءتها للمرة الثانية نلاحظ المراد الموسيقية .

« . »

(قطعتان مترجمتان عن الشاعر الانجليزي اللورد بيرون)

مجد الشاب

لا تَحْكُدْنِ عَن عَظِيمٍ مَجْدُهُ فِي الدَّهْرِ سَاوٍ
إِنَّ أَيْامَ صَبَانَا هِيَ أَيْامُ الْقَضَاءِ
عَبْنَا

عَبْنَا أَكْثَرُ فَخَلَّنِي أَقْصَى وَغُورِي مُورِقُ
عِشْرٌ مِثْلَنَا أَنَا مَائِشٌ وَاعْشَقْ كَمَا أَنَا مَائِشٌ
فَالِي التَّرَائِبِ الْمُنْتَهَى وَمِنَ التَّرَابِ الْمَخْلُقُ
وَعَلَى الْيَسِيرِ إِذْ فَوَّاهَا دَى ظِلٍّ حِينَا يَخْفِقُ
أحمد طاهر عبد السلام

الى الحرب

(أوحى إلى الشاعرة بهذه القصيدة قصيدة المجلد للشاعر الأمريكي Alan Seegar كتبها قبل ذهابه مجاهداً في الحرب العظمى حيث مات سنة ١٩١٦ م . وعنوانها :

I Have a Rendez-vous With Death

وهي على لسان جندي ذاهب للحرب)

نظم الأتمة شهير قلمواى بكلية الآداب بالجامعة المصرية

قد وعدتُ الموتَ أن ألقاه ليلاً عند سَفْحِ التِّلِّ في فصل الربيعِ
يَوْمَ دَوَّيْ مَدْفَعُ الأَعْدَاءِ لَيْلًا مِنْذَرًا بِالْمَوْتِ وَالْقَتْلِ الدَّبِيعِ

صرخة الموت في أعماق قلبي
داعي الموت أتدعو في شبابي
إيه يا داعي ! أتدعوني لأني
إنما الموت يناديني وحنناً
سأوافي الموت في الميعاد ليلاً
عند سفح التل في فصل الربيع

يعلم الله لكم تحلو الحياة
تلك حالي الآن . لكن كيف أخشى
كم أحب العيش في فصل الربيع
كم أحب العيش رباه ، ولكن
بل .. أوافي الموت في الميعاد ليلاً
عند سفح التل في فصل الربيع

عند ما أسمع الروح ديباً
عند ما أنفق أنفاس الربيع
عند ما يحلو لشباب وشبابي
لن أرى زهراً ولن أسمع طيراً
بل .. أوافي الموت في الميعاد ليلاً
عند سفح التل في فصل الربيع

ها هي الأيام ولت لم أبرّد
وإذا هذا الذي أصبو إليه
لن أراه زهراً جهدي وعناي
بل هنا في صمت ذا الوادي الرهيب
إذ أوافي الموت في الميعاد ليلاً
عند سفح التل في فصل الربيع

أنت يا من لا تذوق
أبدًا ما فاتك الفجر
إصعدي ثم اصعدي يا
أنت يا قُبْرَةَ الجـ
من الكرى إلا اضطربنا
سرُّ على صمتٍ وأبنا
طائرًا شبَّ شبابنا
وإصعدي واغشي السحابا

« ٠ »

واذن من فوق دَوَّح
أو من القنَّة تسمو
أو بأجواء سماء
أو من الافق المنقوصي
تُبصرون الآن صَحْبِي
أو جواداً لاهثاً من
مُرجعاً عندي حبيبي
أو بأسوار الرخام
فوق أطوار جِسام
تتجلى بالصَّرام
بين أطراف الغمام
ريشة من ذا الحمام
عدوه صفَّ اللجام
فهو لي كلَّ الأنام

اسماعيل سرى الرهسانه

الزمن والهـب

(لشكسبير)

لما أرى أيدي الزمان العاتية
تمحو المنائر والقصور العاتية
وأرى الهبط بموجه يتدفق
والارض تملو بعد ما هي تُعرق
وأرى التحول بالممالك يلعب
أجد الحام معلماً لا يكذب
فأخاف أفقد من رعته محبتي
تسطو على دُور العصور الخالية
تبلى النحاس فاله من باقية
فوق الاديم وبعد ذا يتفرق
طوراً تغور ومرة تنفوق
حتى الممالك نفسها قد تعطب
فلسوف يسلبني هواي ويذهب
ونفيض دمي ، والمدامح حيلتي

سير على مسامح



نظائر صورة

(نظمها الشاعر عن صورة أخذت له وصديق أدب فوق أصل شجرة عظيمة قد نشرت فبقى أصلها كقاعدة تمثال ، فكوّننا التمثال في جاستهما ، وقد ظهر صاحبه في الصورة متجههم الوجه حزين النفس في حين تجلت أسارير الشاعر ضاحكة فرحة ، فقال هذه القصيدة محاولاً تخليد هذه الصورة الفريدة)

جمعتنا ، فأحسنت ، بالخيال صورةً ضمّنت جميعَ الجلال
مجلسٌ مثل أيكَة مرصودٍ لرجال الفنون كالتمثال
قد جلسنا به ، فأنت عبوسٌ وأنا واضح البشاشة خالي
لست أدري من مثل الحق فينا أنا أم أنت يا حبيد الخصال ؟
بل أنا الكاذبُ البشاشة والبشر ، المُعسّى من الموممِ النقال !

« • »

وَتَرَى أَنْتَ يَا فَنَى تَرْعَمُ الْجِدَّ (م) لنبدو مُمقطباً في الخيال ؟
فيقال التقي المفكرُ والتدبُّ وربُّ الجلال والاجلال ؟
أَتَرَى أَنْتَ لِلتظاهر عبداً ؟ كنت أحجوك خادماً للعالي !
أنت يا مَنْ هضمت للفن والشعر وللحق والهوى ، لا تمثالي
نحن في مجلسٍ براه من الريف ملهى بحال الحُسْنِ حالى !
نحن في جنة « الجزيرة » فانهض وانض إن شئتْ عنك ثوب الملال

« • »

قد جلسنا أمامنا النيلُ يجري في ابتهاج ، وخلفنا الدوحُ عالي
ودنت من منيبتها الشمسُ في الغرب ، فسارت مليشةً بالدلال
هبطت فوق قمة الهرم الأكبر ترتاح من ضنى وكلال

ومشت بين ضجة وعويل
لم تصخ للنواح ردده الطير
طمست والسحاب فيه كثير
ورجعنا وفي القوافر لبيب
وتوات في روعه وجلال
وراحت غريقة في الظلال
من سناها وفيه جل الجلال
زاد من ناره دنو الهلال
نثار الوكيل



ديكى

رأى في الليل ملهمة فصاحا
وردد في سكون الليل صوتا
وصفق في سرور وانشراح
وجاوبه على بُعد رفيق
وما زالا على النفثات تشجى
فقامت من مضاجعها أناس
وسادوا ينهبون الأرض نهبا
لهم بالله والدين اعتصام
وما خاب امرؤ يسمى لرزق
وهز على جوانبه الجناحا
فأسمع الروابي والبطاحا
وداعب بالجنحين الرياحا
وأسمع الصبابة والنواحا
إلى أن أطلع النور الصباحا
رأوا في الصبح آمالا فسا
وقد لبسوا البشاشة والسما
ومن يركن الى الله استراحا
ولكن خاب من ألقى السلاحا

« • »

عجيب أن ترى ديكى المفدى
ينادى : الله اكبر كل شئ
يقول الصدق والحق الصرا
فسبحه خلوا أو رواحا

« • »

فياديكى لقد أرسلت صوتا
لقيت به الهداية والقلاحا
نحر الصخر برسف



وصف موقف

ولما التفتينا بعد هجر وأقبلت
وقفت أديها الصبر أكذب ما يرى
وكيف وما في الناس مني هائم
كذبنا بميلنا سؤالا ورد
فأوحى قلبي أن يشور غائراً
فلم تك إلا غصن نور قد اكتسى
وجن غرامى واغتندت بين أذرى

تحاذر أن تذنو ، وتدنو تحاذر ...
على عاشق من غير صبر يصار
أعود وما في الناس مني هاجر
وكل بكلة هازي القلب ساخر
إليها هوى في قلبها لا يحاطر
عناقاً وتقيل عليه أزاره
كان قمص فيه تحبب طائر ...

مصطفى صادق الرافعي

اجعلني حليماً

عند ما يغمض الكرى عينيك
اجعلني حليماً يطوف ويشتري
أميك الحب من جميع نواحي
اجعلني حليماً لذيذاً شبيهاً

وتطوف الأحلام ولنهي عليك
من قلوب الورى الى شفقتك
في نقياً بهو اشتياقاً إليك
منها يحلم الفقير بملك

الطيور التي تسابق في الرؤ
ترسل السحر طاوياً كل أفق
هي تدرى يا روح أتك صوت
والزهود التي تفضيخ دوماً
ما شذاها إلا هدية صب
والنسيم العليل يربت مني
والمدعو إعجابهم بك جما
اجعلني حليماً فأجمع منهم

من ، وتشدو حلو الغناء بأنيك
كي يصب الأنعام ، في أذنيك
عشوى الأنعام ، إليك تحكي
من شذاها الجو الجليل بمسك
بللتها عين الندى وهي تبكي
في حنان الهوى على خديك
ينثرون الإعجاب زهراً عليك
شمل حب يفيض طيف شريك

مس لامل العسبرني

هنا

هنا منذ خمسة كرت
على هذا الغدير وفي
وقد سحت مفردة
وجاءت نسمة تسمى
ومن كالعام في الكر
حنايا الشجر النضر
طيور البر والبحر
بما في الروض من عطر

« . »

هنا والغرب متزلق
دمى بشراره شجبا
وضاع لها على الدنيا
به قرص من الجمر
فصرن حرائق تجري
ذخا لونه يعرى

« . »

هنا والدهر بسم
وقف أنا وحوالي
وتقطف ما يجتنا
ولا حية ترعنا
فن شقة إلى خدر
ومس ذاب في الانفا
وتعبير وتفسير
وأمال وأحلام
وعشر الحب في يسر
نعد الموج في الزهر
من الأوراق والزهر
ولا الشيطان ذو المكر
هفت ويد إلى خصر
س من صدر إلى صدر
لما ندرى وما ندرى
فرضناها على الدهر

« . »

هنا منذ خمسة فرت
تلقى آدم حوا
ومن كالعام في الكر
وافترقا على أمر

« . »

وها آدم قد ما
ولم تصعبه حوا
نم ابل لا اغوا
ذالى الجنة في حذر
فهل تأتى على الأثر
تقيم اليوم في القبر

محمد عماد

سامر

بين زهور الخيال

ذَكَرْتُكَ بِكَ الرِّياضُ النواضرُ وَأَعادَتْ الِى ماضِ الخواطرُ
جَرَّيَانُ الغديرِ يُعْجِزُ دموعى ومسيلُ الدموعِ يدمى المهاجرُ
مَلَأَ الصَّبْرُ من جمالكِ سَجْراً شَفَقُ الخدِّ تحت ليلِ الغداثِ
فوقِ صبحٍ من الحياءِ صَبُوحُ يَكشِفُ السَّترَ عن ظلامِ الدِّياجِرِ
يَماثِلُ الجِمالَ من «أفرديتى» (١) ومِثالُ الصَّدودِ من كلِّ كاسِرِ
ما جنى الصَّبْرُ من غرامكِ إلّا ما جنى قيسُ من بَيْتَةِ عاصِرِ

* * *

فى سكونِ الظلامِ — فى وحشةِ الليلِ وضوءِ النهارِ بينِ المقابرِ
نَقَلْتَنى الى حدائقِ نُضْرٍ من رِياضِ الخيالِ مِهْرُ المِياثِرِ (٢)
بينَ تلكِ الرِّياضِ زَهْرَةٌ رَنَدٍ كم نَفَتِ بَليلًا وأودتِ بَطائِرُ
نَمَتُ فى ليلِها — وَيَشْهَدُ جَفْنى — أنْجى الشَّعرَ من رقيقِ المِشاعِرِ
لَوْهَا كانَ فى الجِمالِ يَتِياً حَمَكْتَ حُسْنَهُ حِسانُ الأَزارِ
سَأَلْتُ: يا سَعادُ نَفسِ رِياها أَى رَوْضٍ أرى؟ لاى المِعاشرِ؟
أَى وادٍ لَقِيتُ حَتّى كَأَنَّى لَبِى عَذْرَةَ (٣) هَدَتْنى المِقادِرِ؟
فانْتَلْتُ زَهْرَتى وَقالتِ بِمُطَفٍ: دولَةُ الحُبِّ والجِمالِ السَّاحِرِ
دِينِها الذِّلُّ — من يَشاءُ لِنِها عِزَّةُ النَفْسِ فى الهوى فِهو كَافِرُ
وأنا فى الرِّياضِ طيفُ سَعادِ وأنا الوَحى فى هوى كُلِّ شاعِرِ
قُلْتُ: يا زَهْرَتى أرى الحُبَّ يَقسو فاجعِلى للهوى بِحُفَكَ آخِرُ
فانْتَنى عودِها وَقالتِ: فِؤادى مِسْهَمٌ وشَوْقُهُ مُتَكَاثِرُ
قُلْتُ: والعَهدُ هَلْ سَلاهُ؟ فَقالتِ: انا حافِظُ لِمَهدِكَ ذاكِرُ
قُلْتُ: والنَّومُ فَدَجَفانى؟ فَقالتِ: إِنْ تَصَفَّاهُ! انْ طَرَفِ ساهِرُ
قُلْتُ: والدَمْعُ لا يَمِيفُ؟ فَقالتِ: «فِيضُ دُمعى مِنَ البِعادِ كَواثِرُ»

(١) إِلَهَةُ الحُبِّ والجِمالِ عِندَ الأَفرِيقِ (٢) المِياثِرُ: الجِرمِ من مِراكِبِ مَلوكِ

الفرسِ القَدِماءِ (٣) بَنى عَذْرَةَ: قَبيلَةُ كانتِ تَعيشُ فى بِلادِ العَرَبِ، ويَروى

أنَّهُم كانوا إذا أَحَبُّوا اِشتَدَّ بِهِمُ الحُبُّ حَتّى الجُنونَ .

غير أني أخاف من طاذلينا لو يذيعون ما وراء الستائر »
وكثيره عواذلي في هواها قوتل الناس من وحوش كواسر !

* * *

سامره في الخيال أشربت فيه من بنات الدنانير بنت المهاجره (١)
صالح مهردت



ربيع طحريف

هو الربيع... ولكن أين بهجنه ؟ وأين ما كنت ألقى في مغانيه ؟
هو الربيع... ولكن لا أحس به ولست أشعر شيئاً من معانيه !
هو الربيع ، نعم.. في غرف دائره من الزمان ، ستمضي بعد تطويه
لكنه في اعتقادي صورة وضعت عن الطريف بترويق وتمويه
ماكل فصل تبدى زهره ألقا هو الربيع أمير الزهو والتبويه
أوكل فصل تفرى فيه أخضره هو الطريف كما تخفى لسمويه
فرما وجدت نفس منعمه ربيعها في خريف الناس مخفيه
وليس لشعر نفس حسن مطمحا إلا إذا اندجت أحلامها فيه

* * *

هو الربيع... ولكن عند مبتهج هو الربيع... ولكن عند أهليه
لكنني في خريفي بت منتظرا سقوط أوراق صمري في تلاشي !
مسن طامل الصبر في

(١) بنت المهاجر كناية عن الدموع .

ألمى

التنامى ليس يُبلى
قلتُ أسلو بالتأبى
خلصاً يومى كأسمى
ويح قلبي كم يعانى
إن أفلّ قلبي تعانى
كاد بودى بي حنيني
كم زرعْتُ الودَّ لكن
أبى الجرحى ترفق
في خضمّ الشك سيري
رمتُ فهمَ الناس لكن
نوقد المصباح والحق (م)
اصفحى يا نفس وانسى
كيف أنسى رمزَ أنسى ١٢
والنوى فاشتد بؤسى
أو أوارى تحت رمسى
ليت من غير حى ١
عادت الذكري بنكس
منلما أودى بقبس
لم بين في الناس غرسى
ليس لي جسم للنس ١
ليقتى الحبو وأرسي
لم أفز حتى برسى
سما عن ضوء شمس
لم تغير الدنيا لأنسى ١

سير على مدار



القلب السارد

أسدلّ الليل دُجاء
واعتلى همّ الحياة
كلّ ما في الكون رقائق تمخّج
غير قلبي فهو مكلوم جريح
تارة يشدو وأطواراً بنوح
وهو أحياناً مع الليل يهيم ١

« . »

رَفَّ في دوح الشجون شاداً ينفى مُناه
 إنَّ لي فيه عيونَ لترى ما لا تراه
 وشدا الأطلان في هذا السكون
 بنواجر خافت يحكي الانين
 قائلًا: ما لي سوى الليل خدين
 مُستغفر في ثوبه الهمم الأليم

« . »



المريض الوكيل

رددَ الدَّوحُ صداهُ في اهتزازات الغصون
 وبُكاهُ لبُكاهُ بندى مله العيون

المريض الوكيل



ضيف ثقيل

(يشكو الشاعر من خطرة استولت على ذهنه وطردت سواها من الخواطر)

هبطتْ بالنفس في الليلِ البهيمِ واستقرتْ من فؤادي في الصميمِ
خطرةٌ ما كان أشقاني بها صيرتْ ذهني مجالاً للهمومِ

بعد ما كان مراحاً للنعمِ ١
قدمتْ كالضيف فاستقبلتها بابتسامٍ مُشرقٍ عند اللقاءِ
وأعرتْ القلبَ ساعاتِ لها فتوتْ واستمرأتْ فيه النواهِ

فتأها يا ترى عنه تريمِ ١٢
أنا في الجِدِّ وفي اللهُمِ بها جدُّ مشغولٌ أغانى كالعليلِ
لازمتني يا لها من صاحب لي وفي قد فدا جدُّ ثقيلِ
ونزيلٍ أرتجى ألا يُقيمِ ١

أيها الخطرةُ قلبي مستباحٌ ما على النازل فيه من جُباحِ
أفسحِ صدركِ لا تخفى سوى صولةِ الفكرِ إذا ما الفكرُ طاحِ
من عترةِ فبك أوقهره أليمِ ١

طلبة محمد عبده





الملكات والسمر

- ١ -

يستطيع من يلم بتاريخ الأدب العربي أن يقف على كثير من الظواهر التي ترد في العصور المختلفة وتتكور في آثار الأشخاص مع ما لمنتجات الأدباء في كل عصر من صبغة خاصة واتجاه معين . ويستطيع الباحث في تاريخ الأفراد سواء أكان ذلك التاريخ أدبياً أم سياسياً أن يقرر نزعة خاصة تسود الفرد وتغلب عليه حتى يعرف بتلك النزعة وبعد من أبطاها ومن اشتد تعلقهم بها . وربما كانت له ألوان أخرى من النزعات ولكنها لم تصل إلى درجة من القوة والظهور بحيث يتيسر لها أن تزامم النزعة الغالبة وأن تكون لها مكانتها من تلك القوة وذلك الظهور — وليس ينزع واحد من الأدباء في أن ابن خلدون كان بصيراً باللغة العربية متفهماً في أصول الفقه خاصة وفي العلوم الدينية عامة ولكن تنازع الملكية قد أثر تأثيراً قوياً في معرفة الناس له وفي تقدير الباحثين حتى صار اسمه مقروناً بفقه التاريخ وعبد ابن خلدون في سائر الدوائر الأدبية وعند الباحثين مؤرخاً قبل أن يعد لغوياً أو فقهياً أو غير ذلك مما بلغ فيه ابن خلدون درجة يعتد بها ، وكذلك الشأن في حال الجاحظ فقد كان بصيراً بالدين متمذهباً بالاعتدال مبرزاً في فنون النصائف عارفاً بمصنوعون اللسان العربي . ولكننا نعتبره أدبياً ظريفاً فيه رقة وسلوة وفكاهة قبل أن نعدّه من الفقهاء أو المحدثين أو اللغويين أو نظار المتكلمين .

- ٢ -

فليس من شك إذن في أن تزامم الملكات أمر ثابت مقرر ، وأنه لا بد من أن يغلب على المرء في خاص من فنون المعرفة . ويصل فيه إلى درجة يعتبر من أجلها إماماً ومرجعاً في هذا الفن ، وأن الملكات في فنون مختلفة لا تنتمي لفرد ما ولا يمكن أن يكون هذا الفرد كاتباً جيد الكتابة ، وأن يكون في الوقت نفسه شاعراً

جيد الشعر كما لا يمكن أن توجد ممن يشتغلون بمسائل المعرفة من يعتبر عمدة في القانون وإماماً مع ذلك في التاريخ ، وإنما يدرس النابغون على أن بعضهم كاتب أو شاعر أو فيلسوف أو مؤرخ ، وربما يدرس بعض الأدياء على أنه موفق في أسلوب خاص من أنواع الأساليب وأنه لم يتيسر له أن يحذق أساليب الكلام جملة وأن يجعل أسلوبه في كل مقام مرئياً ملائماً لما يكتب فيه موضوعات العلوم والآداب — ولهذا التراحم في الملكات لا يرضينا أن يقصد الشاعر إلى دراسة ما تغاير ملكته ملكة



محمد قاييل

الشعر، إذ يقع التراحم بين الملكتين وليس من نتيجة لذلك إلا أن تضعف الملكة الثانية وإن كانت غالبية في هذا التراحم . فلا يصير الشاعر إلى ما كان ينتظر له لو لم يقصد إلى توفّر على ذلك الفن الذي زاحم الملكة ووصل في تلك المزاوجة إلى حد التعجيز لها والاضعاف . وقد يكون هذا التراحم نفسه علة قضاء على الملكة الشعرية فيحرم الوجود شاعراً ، والمجتمع الانساني شديد التطلع للشعراء لما ينفسون من أعباء الحياة ويرفعون من أعباء الجسد ، ولأن التحلل من الحقائق والخلاص من قيودها مريح ، ولأن الشعراء عمدتهم الخيال والشعر عماده العواطف وفي ذلك منتهى لهُو النفوس وعبث الميول وتلشيط الأهواء وتغذية العواطف — أريد أن أقول إن معالجة مسائل الفلسفة ونظريات الاجتماع ومواد القانون وقوانين الطبيعة والكيمياء وغير ذلك مما تعمق الشاعر عن الوصول إلى ما يستطيع أن يصل

اليه من رقة في الاسلوب ودمانة في اللفظ وروعة في الخيال وتحليل للعاطفة ، وتعمي
بآثار الشعور لما ينشأ عن مزاجية حقائق العلوم وملسكتها للملكة الشعر ، فيلحق
بها الوهن وينتطرق إليها الضعف وتأخذ سبيلها الى التقلص والدبول .

— ٣ —

وليس أدلّ على ما سبقته في هذا الحديث مما نجده في غير موضع من أمثلة الشعراء
الذين لم يحظوا بإحراز المنزلة الأولى في باب المفاضلة عند الناقدين ، وأسفر النظر
في منتجاتهم من الشعر عن اعتباره من الأمثلة التي لا توجه إليها عناية ولا تستحق
من المراء استظهاراً — فهذا بديع الزمان الهمداني كان شاعراً وقد جمع شعره في
ديوان ، وقاما يعني به الشعراء في الشعر ، وقاما يحفظ منه الأديب لمنفعته في
الأدب ، ذلك لأن شعره لتأثير ملكة الكتابة لم يصل الى درجة من الجزالة
والروعة وتضمن المعاني السامية أو الحكمة الصادقة أو الصور المستطرفة أو العاطفة
النائرة ، وانما كان سهلاً لا يمتدح فيه أكثر من المداعبة المقبولة والتظرف المعقول
والملاح التي تعلق عن ظرف البديع وميله إلى ما قد يشبه الخلعة أو يجالس المجون
نم مارغب في التعمية به من الالغاز والأحاجي ومحسنات البديع — وهذه نماذج
من شعره يقف منها القاري على ما نلحه من ضعف واقتار في باب الاختراع وغير
ذلك مما يعتبر علة لتراحم الملوكات . قال البديع :

قسا لقد نسج الحيا	خلع الربا فأجاد نسجا
وشجاك لحن العنديل	ب ونعمة القمري أشجى
واذا المروج مرجت في	أطرافهن الطرف مرجا
شبهت أنوار الربيـ	ح كواكباً والروض برجا

وقوله أيضاً :

ياحـــــريما على الفنى	قاعـــــدأ بالمراد
لست في سعيك الذى	خضت فيه بقاصد
إن دنياك هذه	لست فيها بمخالد
بعض هذا فانما	أنت ساعر لقاعد

— ٤ —

ولم يكن بديع الزمان الهمداني بدءاً في الادب العربي ، ولا كان وحده من بدا

فيهم تراحمُ الملكات وغلبت عليهم الكتابة فلم يصلوا الى مرتبة راقية في الشعر ، بل إن المعرى كذلك من تلك الامثلة التي تنازعها ملكات شتى من الشعر والفلسفة والفقه والنحو وغير ذلك من سائر المعارف التي زكت أيام هذا الفيلسوف . وكانت في نفسه رغبة في الالمام بذلك كله فأخذ كثيراً من مبادئ الفلسفة عن شيوخ اللاذقية وانطاكية ودرس على أهله أولاً وعلى شيوخ حلب كثيراً من معارف الملة الاسلامية التي ترجع في جللتها الى علوم اللغة والدين . وكان تطلعه الى تحقيق هذه الرغبة من أهم العوامل التي زحزحته عن منزلة البحترى والمتنبي وأضرابهم من شعراء الطبقة الأولى — ذلك بسبب تضمين الشعر لتلك المبادئ الفلسفية وما قصد اليه أبو العلاء في لزومياته من مسائل الاجتماع وما خص به في غير موضع من شعره من تصوير لكثير من الخواطر التي تخافه وحده ولا تجدد العواطف العامة فيها ما يلذ لها ويصور انتعالاتها وما يعترئها من حب أو بغض أو ألم أو فرح أو غير ذلك — ولسنا نلصق في أن عزلة المعرى قد فوّتت عليه كثيراً مما يجب أن يلاسه الشاعر ، لجاء شعره غريباً في المعنى وغريباً كذلك في اللفظ والتركيب ، وكل ذلك ولاشك مظاهر وهن في ملكة الشعر وأثر لتراحم الملكات وتنازعها . ونحن نظن — قصداً للإيجاز — أن القاري لا يحتاج إلى أن نسوق له أمثلة من شعر المعرى لتكون بمثابة استشهاد على تقرير ما نلصقه فيه من آثار إضعاف الملكة فاللزوميات كلها وغير قليل من شعره يقع فيه ما يعلن عن تخلفه عن استاذ المدرسة القديمة وحكيم الشعر (أبي الطيب المتنبي).

— ٥ —

هذا وليس يصعب على من له إلمامة بالأدب العربي عند المغاربة أن يستطلع أثر ذلك التراحم في ملكة الشعر عند الاندلسيين وظهور الصبغة الفقهية أو النحوية فيه ، إذ كان إحراز المناصب عند الاندلسيين قائماً على مبلغ الإلمام بالاديب وقدرته على حذق ألوان شتى من مسائل العلوم وفنونها . فكان شعراء الاندلسيين فقهاء ، وفقهاءهم شعراء ، وهؤلاء مع ذلك قد حذقوا مسائل النحو ووقفوا على شذوذه وممكنونه . فقسبت لتلك الملكة إن قيل بوحدها ، وتزاحمت الملكات إن قيل بتعددتها ، ووقع في شعرهم ما يدل على تأثير الملكات الأخرى من ذكر الغضب والاستيعاب في شعر محمد البطليوسي كقوله :

غضبوا الصباح قسموه خدوداً واستوعبوا غضب الاراك قدوداً

فهذا الغضب وذلك الاستيعاب كلاهما يكثر ورودُهُ وتكرُّره في باب الفقه وأصوله .
ومن أمثلة ما يُستشهد به في هذا الباب قول القسطلی :

فقد خفض الأسماء وهي سوا كن^١ ويعمل في الفعل الصريح ضمير^٢
فأنت ترى كذلك أن خفض الاسم والسوا كن وعمل العاقل والفعل والضمير
وغير ذلك مما يجري كثيراً على السنة النحاة ويكثر ورودُهُ في كتاباتهم وتضافاتهم .
والنتيجة التي أريد أن أنهي إليها أن قصد الشاعر إلى دراسة مسائل العلم ونظريات
الفلسفة مما يضعف ملكة الشعر فيه ومما يكسب شعره نحواً من التعقيد ومظهراً من
مظاهر المعاطلة . ولا تنقاد له ما ينقاد لسليم الملكة من رقة في اللفظ وروعة في
الخيال ومجديد وابتداع في باب المعاني واستحداث للصور الرائعة المحبوبة وتصوير
للانفعالات النفسية وشرح للعواطف وغير ذلك مما يحفل به الشعر والشعر
الصحيح وما يستحق أن يسمى شعراً . ولعلنا نوفق إلى ذكر ماتم به ملكة الشعر
في حديث تالور^٣

محمد فابيل



كورني والتشيل في فرنسا

(ننشر هذه المقدمة لترجمة رواية هوراس التي نقلها الى اللغة العربية الدكتور
احمد ضيف وذلك لما تحتويه من وصف عصر الشاعر كورني وما كان هناك من أثر
الحياة الاجتماعية في عالم التشيل . وسنظهر هذه الرواية في عالم الادب قريباً)

﴿ حياة كورني ﴾

ولد بيير كورني بمدينة رُوان « شمال فرنسا » في اليوم السادس من شهر يونيو

سنة ١٦٠٦ م . ، وكان أبوه من أسرة معروفة بين رجال القضاء والتشريع ، فوجهه لدراسة القانون ، وبعد أن أتم دراسته دخل في زمرة المحامين سنة ١٦٢٤ م . ، ولكنه كان خجولاً فيه شيء من العي والحصر فلم يكن قوى الحجة ولا فصيح اللسان ، وكان يميل بطبعه الى قرض الشعر ، فاندفع بهذا الميل إلى معالجته ، وكان الشعر في ذلك الوقت أظهر ما يكون في نظم الروايات التمثيلية فنظم رواية « ميليت » ومنلت وكان عمره إذ ذاك ثلاثة وعشرين عاماً . ومنذ ذلك الحين انقطع للتأليف المسرحي ،



الدكتور احمد ضيف

فبرع براعة عظيمة واشتهر بسعة الخيال وقوة الابتكار ، وألف عدة روايات ومسرحيات بأطوار مختلفة من حياته الفنية . فعمل تأليف القصص التمثيلية في مختلف أنواعها ، وكان في أول أمره يميل الى (المسئلة) وهو النوع المعروف (بالكوميك comique) وقد ألف في ذلك قصصاً تحسب من أفضل ما أخرج في هذا النوع ، ومنلت رواياته في باريس ونجحت نجاحاً عظيماً .

وفي سنة ١٦٣٦ م . أخرج قصته «السيد» التي كانت أول قصة عظيمة متميزة ظهرت على مسرح باريس ، وكانت هذه الرواية فائحة عصر جديد في تاريخ المساة

(تراجيدى tragédie) تجلت فيها عبقرية كورنى ، فأصبحت رواياته آية من آيات التمثيل فى فرنسا ، ثم ظهرت قصته « هوراس Horace » سنة ١٦٤٠ م . ولم تكن أقل من سالفها و« سنا » سنة ١٦٤٠ م. أيضاً وبولبوك وموت بومى سنة ١٦٤٣ م. وبعد أن بذل جهداً عظيماً فى رواياته التى تعد من الطراز الأول فى فن التمثيل صرت به برهة فتور أخرج فى أثنائها عدة روايات لم تصل الى منزلة رواياته الأولى وكأنها كانت حثالة خياله . فإزيم منزله أعواماً وانسحب من الميدان . ثم أراد الرجوع اليه مرة أخرى فلم يفلح وخيم على اسمه النسيان ، حتى لقد ذاع نفيه بعد موته بخمسة أيام ! وكانت وفاته فى أول يوم من شهر اكتوبر سنة ١٦٦٧ م . فكانت حياته كلها هى مؤلفاته وكانت مؤلفاته هى كل حياته .

التمثيل فى عصر كورنى

كان أثر المرأة عظيماً فى أوروبا أواسط القرن السادس عشر لا سيما عند الأمم اللاتينية ، وبالأخص فى بلاد إيطاليا ، حيث امتدّ منها ذلك الى فرنسا ، وقد استولت المرأة على الاجتماع وسيطرت على عقول كبار الناس . فانتشر فى المجتمعات تمسك المرأة والإعجاب بها ، والتقرب إليها بكل ما يمكن من أنواع الملق والتظرف (galanterie) حتى أصبح من مفاخر الرجل أن يكون عاشقاً ، ومن مفاخر المرأة والإشادة بذكرها الاستيلاء على قلب الرجل ، لكن بدون أن يأسرها غرامها فتخضع لعاطفتها خضوع الموالى لساداتهم ، كما كانت الحال عند العشاق من طامة الناس . بل كانت تقف أمام هذه القوة بكل ما لديها من ارادة وحزم ، وتظهر ما لنفسها من كرامة وإياه ، مع ما تحتفظ به لحبيبها من صدق وإخلاص . وقد سار هذا الخلق مسرى النسيم فى الاجتهادات وعند خاصة الناس ، وتحلق به كبار القوم حتى تسرب فى نفوس الفنانين والأدباء ، الذين يمثلون الاجتماع فى آفانهم الفنية . فعمد الشعراء الى رسم هذا الخلق الاجتماعى ، وانجهوا الى عرض حوادث الحب والغرام ، ذلك الحب المصبوغ بصبغة الاخلاص وكرم النفس ، ومنجوا ذلك بنوع من الحماسة فأدّى هذا الى المبالغة فى الاتصاف بالفضائل كالبسالة والتضحية بالنفس فى سبيل الفضيحة مما جعل كثيراً من هذه الصفات خيالية أكثر منها حقيقية . فكانت أشبه بما نعرفه فى حياة العرب القدماء البدوين . ولكن العربى ورث ذلك عن آبائه ، وتحلق بأخلاقهم ، وساعده عيشه ونظام الحياة لديه على الاتصاف بتلك الفضائل .

ظهر ذلك الخلق الاجتماعي على ألسنة الشعراء في فرنسا ، وكان الشعر إذ ذاك أظهر ما يكون في الروايات التمثيلية ، فتمشت هذه الحال في الشعر التمثيل ، وصار من أغراضه الدعاية إلى الانصاف بالفضيلة : من حماسة وإخلاص . ومنزع الشعراء ذلك بالتغاني في حب الوطن والدود عن الأهل ، وجعلوا هذا كله يسير بجوار عاطفة الحب ، ولم يكذب يخرج التمثيل عن هذه الحال إلا ما كان من بعض الروايات الفكاهية أو (المسلاة) المسماة (بالكوميدي) التي كانت الغرض منها الترويح عن النفس . أما غير ذلك فكان كله من نوع المساة (تراجيدى) .

﴿ كورنى وقصصه التمثيلية ﴾

في هذا الموقف ووسط هذا الاجتماع ظهر كورنى في عالم التمثيل « من سنة ١٦٢٥ م. إلى سنة ١٦٥٠ م. » فرأى أن موضوع المساة يجب أن يكون نبيلاً عاماً ، أو حادثاً من الحوادث العظيمة ، أو أسطورة حماسة تملأ نفس الجمهور وتبهج عواطفه . فأخذ موضوعات رواياته من الحوادث التاريخية وبعض الأساطير المقتبسة من التاريخ ، كي يدعو الجمهور إلى الاقتناع بها ، ويتناسى ما فيها من المبالغة . ورأى أن المساة التي لا يكون موضوعها رائعاً إنما هي مسلاة « كوميدي » ، وأن الفرق بين المساة والمسلاة أن الحب في المساة يدفع بالإنسان إلى الدمار ، ويلقى به إلى التهلكة ، وتذوق أنواع المصائب ، بخلافه في المسلاة . وكان يرى أن للمساة حرمة تقتضى أن يكون ما فيها من حوادث أعظم من العشق ، حتى تتبين هم النفوس العظيمة ، وتظهر كبار آمال الشعوب ، بما لحقتها القومية من كرامة وبسالة وانتقام من الأعداء وأن تكون المصائب التي يلاقها الإنسان في سبيل ذلك أشد مصائب الحب ، وأن تكون خسارته أعظم من خسارة حبيبة أو عشيقة .

﴿ أشخاص كورنى في قصصه ﴾

هكذا بنى كورنى رواياته على الصراع بين الأهواء النفسية وأداء الواجب ، أو بين سلطان الأهواء ورفعة المقاصد وعلو النفس . فجعل رجال قصصه من الشجعان البسالة وأظهر أمام الجمهور أنبل ماعرف الناس من النفوس ، وأدعى ما يكون من ذلك إلى الإعجاب . فوصف النفوس البشرية كما يجب أن تكون لا كما هي عليه في الحياة ، وجعلهم يضحون بكل شيء في سبيل الواجب عليهم والمحافظة على شرفهم . فكان كورنى أول من عمل على عرض صور الحياة على خير ما تكون وعلى أفضل

حال ، لاسيما ما كان خاصاً منها بالناحية الخلقية وعاطفة الحب ، والواجب على الانسان لوطنه وأهله . فعرض النفوس القوية القاهرة ممثلة في كبار الناس وغول الرجال كالمملوك والقواد وأهل الارادة والحزم الذين تحملهم كرامتهم على أن يقهروا أهواءهم ويسيطروا على نفوسهم ، وجعل من هؤلاء المثل الأعلى لبنى الانسان . ولقد تجسم في نفسه ذلك المعنى النبيل فيما يجب أن يكون عليه الانسان من أخلاق فاضلة : فمثل لك الصراع بين العاطفة والواجب ، إذ يعرض عليك فتى في موقف النزاع بين أبيه وحبيبته أو بين شرف أسرته وسلطان غرامه ، ويجعلك تعتقد أن كلا الأمرين حق ، وكلا المتنازعين على صواب . يريك الفتاة تقف بين أبيها وحبيبها ، وتجد نفسها أمام واجب عليها أن تقوم به ، لأن في ذلك تأييداً لقومها ورفعاً لمجد أهلها ، كما تمجدها أيضاً أمام أهوائها بملسها الحب ومعللاً نفسها الغرام لانسان هو عدو لبلادها « كما هي حال كاميل مع كورياس في قصة هوراس » فيجب عليها في آن واحد أن تعزب شرفها وشرف قومها ، وأن تعمل على ارضاء نفسها في وجوب الاخلاص لحييها . فإذا عسى أن يكون أمرها وهي في موقف تحاف فيه أن يتقلب قلبها على عقلها ؟ من هنا كانت روايات سكورنى ترمى إلى عرض حياة الانسان النفسية بما فيها من عظمة وجلال وجلال ، وقوة وإرادة ومجد ، وشقاء وآلام وأسقام ؟

أحمد ضيف



الوصايا العشرة الصحية

مقيم باكراً مقيم باكراً
واقطع نهائك في العمل
واستشفج الجو النقي وداد بالشمس العليل

وعليك بالحقيقة إكسبير الحياة لمن أكل
والجسم كالآلات إن نظمت علوت الأجل
والنوم وسط، فهو شر — ر العسر إن طال وقيل
والنوب رحب، إن ضيق التوريل جسم شلل
واسكن فسيحاً ذا ه — وآية الله في أكتمل
ويعمل للشهوات من محرم الرياضة عن كمل
في الانسراح سلامة والعقل في جيم البطل
فاعد إلى الاعضاء ت — تطبيق العلوم على العمل

اسماعيل سري الرهسان



غن

يا حبيبي غنني غن
أب حبي لك مثلها
غن من معنى الهوى غن
غن من حبي لي غن
يا رفيقاً في قمايله
غن لي ما عشت من لحن
ثم دع لي سكرتي وحدي

عثمان علي



لونه مه الأدب

(أبو نواس — عمر الخيام — حافظ الشيرازي — أبو العلاء)

وقف التقيّة يلقى على صبيان مكتبه الحكاية التالية :

أهسى الخليفة هارون الرشيد عقداً لجاريته المحبوبة خالصة فذهب أبو نواس
وكتب على باب مقصورتها :

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع عقدتي على خالصة !

ولما قرأت الجارية هذا البيت ذهبت غاضبة إلى الخليفة وأخبرته بذلك ، وشعر
أبو نواس فأصرع إلى باب المقصورة ومحا الجزء الاسفل من العين ولما كان الجزء الاعلى
يشابه الهمزة تماماً صار البيت بعد ذلك :

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع عقدتي على خالصة !

وحضر الخليفة فلم يجد في البيت ما يوجب العقاب .

هذه هي المرة الأولى التي التقيت فيها بأبي نواس . ومضى بعد ذلك ردى من
الزمن وأنا لا ألتقي به إلا في الحكايات الخرافية التي تجعله هو وجهاً في صف
واحد ، وكثيراً ما تجمع الحكايات الخرافية المضحكة بينهما في مجلس الخليفة الرشيد
كل منهما يسابق الآخر في التهريج والتندر ، وقلما يفرق العامة وأشباه العامة
بين الرجلين !

ضاعت الصورة القديمة التي طُبعت في ذهني حين قرأت شعر أبي نواس وحل
محل صديقه القديم عندي عمر الخيام وحافظ الشيرازي وأبو العلاء المعري إذ فلسفة

الجميع في الحياة تلتقي عند نقطة واحدة وهي الفناء ، فان فلسفة الثلاثة الأول تتلخص فيما يلي : إذا كانت الدنيا لا قيمة لها وكل ما فيها مآله للفناء (واللييب اللييب من ليس يفتري يكون مصيره للنفاذ)^(١) فما أجدرنا أن نسرع الى اقتناص اللذات قبل فوات الوقت . وقد أجمع ثلاثهم على هذا الرأي اجماعاً يكاد يكون تاماً ، فقال أبو نواس :

غدوتُ على اللذات منهتك السمر وأفضت بنات الشر مني إلى الجهر
وهان على الناس فيما أريده بما جئت فاستغنيت عن طلب العذر
رأيت الليالي مرصديات لمدني فبادرت لئلا أني مبادرة الدهر
رضيت من الدنيا بكأس وشاذر تحير في تفضيله فطن الفصكر
مدام ربت في حجر نوح يديرها على ثقيل الرذاف مضطمر الخصر
صحيح مريض الجفن مدني مباعد يبيت ويحي بالوصال وبالطجر
كأن ضياء الشمس نيط بوجهه ويدر الدجى بين الترائب والنحر
إذا ما بدت أزوار جيب قميصه تطلع منها صورة القمر البدر
فأحسن من ركضه الى حومة الوغى وأحسن عندي من خروج الى النحر
فلا خير في قوم تدور عليهم كؤوس المنايا بالثقفة السمر
محباتهم في كل يوم وليلة ظي المشرفيات المزرة للقبر

وقال أيضاً :

جريت مع الصبا طلق الجموح وهان على مأثور القبيح
وجدت الله عارية الليالي قران النغم بالوتر الفصيح
ومسمة اذا ما شئت غنت : « متى كان الخيام بذى طلاح »

تمتع من شباب ليس يبتى وصل بدرى الفبوق عرى الصبح
وخذها من معتقة كمت تنزل درة الرجل الفصيح
تحيرها لكسرى رائدوه لها حظان من طعم وريح

الم ترفى أبحت الراح عرضى وعضن مرشفت الطي المليح
وانى عالم أن سوف تنأى مسافة بين جسمانى وروحى

وقال عمر الخيام :

انما الفلک قصده كل سوء بكليتنا مبدأ روحينا
فارقاً المشب واشرب الخمر واغنم قبل يوم ينمو على ترابي

سوف أصفو على الحيا الجميل ما استطعت النعيم في قتر زهر
حيث زهره وخمره أحسبها مثل عهد مضى وعهد سيجرى

انا لا استطيع عيشاً بعبء هو جسمى بغير راح تشيع
ما الله لا وان اذ يقبل الساقى بكأس أخرى فلا استطيع

نال سمى فى الحان خجراً منادى يا ظريفاً بنا المدلة امسى
فم وبادد للكأس ملا فتحتلى قبل من يصنعون طينك كأساً

اغنم الوقت حيث سوف تولى لك روح خلف الستار الآسمى
واشرب الخمر حينما لست تدري لك مبدأ ولا مآل التناهى

أقمضى الحياة كالعايد النفس وفى الفكر فى شؤون الحياة
اشرب الخمر طالحية إلى الموت فدعها فى السكر أو فى الشبات

مادت الشجب فى بكاء على العشب وفى الخمر ما يرد شجانا
ذاك مراعى لنا، فياليت شعرى حينما نغتديه من ذا يرانا

« • »

كنت في حانة سألت عن الماضين شيخاً مستغرقاً في الشراب
قال: دعهم واشرب! فكم من أناس مثلنا قد مضوا لغير مآب

« • »

أسمعده النفس أي هذا الحبيب واشرب الخمر في ضياء البدر
ليس من ضامن غداً، وكثيراً سوف يبدو لكن بناليس يدري

« • »

ذاك سير الحياة ، قافلة العمر عجيب ، فأغنى حيوراً بأرض
ياندعي! ماذا تخاف من البعث؟! ألا هاتها! فذا الليل يمضي!

« • »

لا تسأل عن شؤون عهد سيأتي لا ، ولا عن مصابه فهو فان
فأغنى الساعة التي أنت فيها واركض الفكر في بعيد ودان

« • »

وقال حافظ الشيرازي :

يمضي والسلاف يفتنى النهر فنفي طي الكؤوس المموم
إن وقت الحياة أيامها العشر كورد في البشر لا في الوجوم

« • »

الصبا منبع السلاف الشمي فاشربوا مفرق ذل الصبا
انما الكون هزه خراب وخراب الأدياب يتلو خراب

« • »

حدثنني : اني لك العمر طوع ففجع ومن هواك بحلم
آه اما القلب ؟ قال صوت حكيم : كتلة من دم حوت ألف م

« • »

منحتني في البدء كأس غرامي وهو أسرى ، وبعد كأس عذابي
 ثم لما احترقت روحاً وجسماً وهبتي للريح مثل التراب !

« • »

حول صون الحياة تصخب أموا ينقب ، والمثّر هن السكابر
 وقريباً سيقدف الدهر يا صا ح متاع الحياة من كسر باب !

« • »

إث واجلس والحب وافتح من الوردة قلباً ، والظمر فيض الاناة !
 أيها العاشق الجريح الذي ينشد (م) يرهأ سل مبضعاً عن شفاء !

« • »

ولكن ابر نواس يمتاز عن هؤلاء بأنه كان مسلماً معتقداً أو متظاهراً بالاعتقاد ، وإن لم يمنعه ذلك من أن يطلق لنفسه العنان في افتتاص الذات في غير حياد ولا خجل ، وهو لم يقف عند الغاية التي وصل إليها عمر الخطايا والشرار بل لم يخطأ إلى أعنف وأفظع درجات الذات الشاذة وضروبها المشروعة وغير المشروعة . ولما لم يستطع أن يوفق بين ذلك ومعتقده الديني لجأ إلى حيلة طريفة ليلقي بها عن كاهله كل تبعة دينية كانت أم خائفة فابتدع له مذهباً يقرر فيه في صراحة وثقة أن عفو الله وغفرانه أوسع من أن يضيقاً بذنب مذنب أو باساءة مسمى ! بل تمادى في غوايته فراح يزين للناس المعاصي طمعاً في سعة عفو الله ويؤكد لهم أنهم سيندمون على ترك جرائمهم حين يتجلى عفو الله في الآخرة ! فيقول :

تكشّر ما استطعت من الخطايا فانك بالبح رباً غفورا
 ستبصر إن قدمت عليه عفواً وتلقي سيداً ملكاً كبيراً
 نعض ندامة كفيك بما زكت مخافة النار الشرورا !

وقال :

رداً على الكأس انكما لاتدريان الكأس ما تمجدي
 خوفاً فاني الله ربكما وكخيفتيه رجاءه عندي
 لاتعدلا في الراح انكما في غفلة عن كنه ماتدي
 لولنا ما نلت ما مزجت الا بدمعك من الوجد

هاتما بمثل الراح معرفة بلطافة التأليف والود
 مامثل نعمها اذا اشتمات الا اشتال فمر على خد
 إن كنتما لا تشربان معي خوف العقاب شربتها وحدي
 ولا كذلك ابى العلاء المعرى الذى لا يستطيع أحد أن يقول إنه كان متعصباً
 لدينه أولغيره من الاديان بل كان موقفه من جميع الاديان واحداً لا يفضل ديناً على الآخر.
 وكان كثيراً ما يعيب على الناس بانهم متدينون لغاية إما طمعاً فى الجنة او خوفاً
 من النار ، ولذلك كان ينادى دائماً :

توخى جيلاً واقعليه لحسنه ولا تحكى أن المليك به يجزى
 فذاك اليه إن أراد فلسكه عظيم والا فالحام لنا مجزى
 فان الذى تهوين من رتبة الرضا يسير لدى ما تتقين من الرجزا
 وعلى الرغم من هذا فانك اذا تفصّيت سيرته الخاصة فى حياته لم تجد حرجاً فى
 أن تقول إنه كان زاهداً فى الدنيا زهداً قلما يجاريه فيه أحد.

ومن العجيب أن الفكرة التى جعلت من الدنيا جنة ينعم بها أبو نواس وعمر
 الخيام وحافظ الشيرازى هى بعينها التى جعلت من الدنيا سجناً لأبى العلاء واضطرتّه
 إلى أن يسجن نفسه باختياره ويعزف عن ضروب اللذات وأفانين النعيم طائعاً مختاراً
 زاهداً فى كل ألوان الحياة الناعمة ثم يتخذ من ذلك مذهباً مستوثقاً راضياً يقول :

اذا كان علم الناس ليس بنافع ولا دافع فاعلموا للعلماء
 قضى الله فينا بالذى هو كائن فصحت حكمة الحكماء
 وهل يأتى الانسان من ملك دبه فخرج من أرض له وسماه
 سنتيع آثار الذين تحمّلوا على ساقه من أعشى وامام
 لقد طال فى هذا الانام تعجبي فيا لرواه قوبلوا بنظام
 أرامى ففشوى من أعاديه أسهمى وما صاف غنى سهمه بزواه
 وهل أعظم إلا غصون وريقة وهل مآؤها الا جنى دماه
 وقد بان أن النحس ليس بغافل له عمل فى أنجم التهام
 نهاب أموراً ثم تركب هوها على عنت من صافرين قمام
 يقولون إن الدهر قد خان موته ولم يسبق فى الأيام غير ذمام
 وقد كذبوا، ما يعرفون انعضاده فلا تسمعوا من كاذب الزمام
 وكيف أقضى ساعة بمصرة وأعلم أن الموت من غرمانى ١٢

خذوا حذرا من أقرين وجانبير ولا تذهلوا عن سيرة الخزماء

ضحكتنا وكان الضحك منا سفاهةً وحقاً لسكان البسيطة أن يبكوا
يحطمننا ريبُ الإيمان كأننا زجاجٌ ولكن لا يعاد له سبك !

أعني باكياً لآلج في حزنه وصل ضاحك القوم ممّا ابتهج !
سير ابراهيم



رواية سعاد

(يقع هذا المشهد في ختام الفصل الثالث بعد شكوى حارة من سعاد ،
لعمها الكبير الذي يحبها ويعطف عليها ، فيعدها بأن ينقذها من
الزوجة المهيبة لها مادامت غير راضية عنها ، حتى إذا أتى بيت أخيه
والد سعاد — وشربا القهوة أخذوا يتحادثان)

عم سعاد (لأخيه) :
ألا إنني غير راضٍ عليك ولست أدراك شقيقاً ليّة !
والد سعاد : لماذا ؟

عما : لانك لم تسمع الى الرشد في حكمتي الهادية
وغرك ماترجى من غنى فأوقعت بنتك في الهاوية !
والدها : تمهل أخى وابن ماتريدا

عما . إذن سأجيبك عما بيته
لقد جئتني مرة زائرا ونفست جذلانه هاتيه
وقلت : ألتافى يرجو (د) غنى ومن أسرة راقية
وما كان إلا مئينا فضى زمان الفتوة والعافية



محمد فريد عين شوكه

وقد صغفتمته حياة السقا
فرجله الى القبر ممدودة
خياله كاسطورة المازلين
وقلت بأنك شاورتها
ولو صبح أن الرضى كالأباه
وخادعنى بأرق الحديد
وبمعنى الخداع يقود الخا
م وكانت على نفسه قاضيه
وأخرى بمقد الى الهاوية
أو الطيف من حفرة خاليه
فكانت بخطبته راضيه
فذلك رضى مهجور آبيه
ث ، ولكنها خدعة وأهيه
دع حتما الى عثرة قاسيه

فقد جاءت البتة تفكو إلى اعتسافك في لوعة باكية
ولو انصفت مصنتك المفقوت واثرت على روحك الطاغية
والدها (في دهشة):
أحقاً تقول؟

عما : وهل أفترى عليك؟ وهل ذاك من شائبه؟
والدها : كذلك حال

عما (في نهك) : اتحسب ثميدى عليك خداعك لي ثانية؟
(ثم ينادى سعاداً من وراء الباب حيث كانت منصتة للحديث هي وأختها الكبرى)
تعالى سعادى لنسمع منك الحقيقة واللفظة الشافية
(فتأتى سعاد وتجلس بميدة عنهما وقريبة من الباب الذى خرجت
منه فيسألها عما)

سعاد : أرضين هذا الزواج؟ (فتنظر سعاد إلى أبيها ثم تلبث صامتة)
عما (يشجعها على الكلام) :
أدلى برأبك في مصيرك وأعلى
سعاد : ماذا أقول وأتأ أدري بما
عما : بل صارحينا بالذى تبغيه
سعاد (وقد تجرأت بعطف عما) :
أنا لست راضية به

عما (مخاطب أبها) : اسمع أخى
والدها (في لطف) :

أسماعى مهلاً! ذا خطيبك سيّد
من أغنياء المالكين ، وعيظه
فارضى بحكمى ، إننى لك ناصح
سعاد : أبى حنانك! إننى لا أرضى
شهم له بين الرجال وقار
رغد وعز دائم ويسار
واسقى لراى ليس فيه ضرار
شيخاً يكاد قوامه نهاراً

عنها (إلى والدها) :

ماذا تقول أخى ؟

والدها (فى غف) : أقول مهذباً لا بد أن ترضى بمن أختارته !
أنتكون أمةً وتلك بُنيّتى ؟

(تحتاج أخت سعاد هياج أيها فتعنفها من وراء الباب)

أسعادهُ انتك لم تراعى حرمةً لأبيك أو تبدى التأذّب فى الجدل
وعصيته فيما أراد وما ارتضى ولو أنه لك خادمٌ لم يحتمل
حقاً لقد أخطأت كل خطيئة فتجيبها سعاد باكية :

أنا لست مخطئة ولست عصية بل ذاك حق فى الحباة ونظرتى ا
فيثور والدها فى غضبه صائحاً :

بل أنت فاشحة ا (فيهم أخوه ويمسك به ويمسكه)
عنها : لا تعجلن بالسخط إن الحق شرٌ بليّة
أشفق على هذى الفتاة فانها فى القول لم تخطئ ولم تمنع
بل حقها رضى لانك بعثتها بيع السوائم دون أية رغبة !
والدها (فى هياج وغضب) :

واقه لن أَرْضى بأهولو لها !

(تسمع سعاد ذلك فتقوم باكية منتحبة ويهمم بها بالخروج غاضباً ويقول مخاطباً أخاه)
إذن لاخير فى قولى ونصحى وما لى عند مثلك من رجليه
وما دام الغنى ما تبغيه فما ميجديك نصيحى أو ولائى
ولكن سوف تندم حين تلقى جزاء الدهر فى يوم الجزاء !
(ثم يخرج غاضباً لا يلقى على شيء)

— سار —

محرر برعين سرور

دار العلوم العليا





ديوان عتيق

الجزء الأول

نظم عبد العزيز عتيق ، الجزء الأول في ١٦٠ صفحة

١٣٤ سم . X ١٩ 1/4 سم . مع مقدمة بقلم سيد قطب

نحن في هذا العصر شديدو التطلع لما ينتجه الشباب ، شعراً أو غير شعر ، ونستدل بذلك الانتاج على المستقبل ، لاننا نؤمن ان النهضة المقبلة تقوم على اكتشاف الشباب وحده ، ونحن في النظر الى مجهود الشباب فريقان : فريق يقسو عليه ويوده كاملاً ، ولا يسمح بنقص ولا ضعف ، فاذا آتس فيه هنة ولو صغيرة هدمه هدماً ، وأعمل فيه معوله بلا شفقة ، والفريق الآخر أوسع رحمة ، واكثر تقديراً للظروف ، والبيئة ، وما الى ذلك . ونحن من الفريق الأخير : لا نسرع الى الهدم ، ولا نحبه ولا ندعو اليه ، ولكن نبحت في الرماد الخرابي ولو عن قس ، وفي الليل الحالك ولو عن شعاع ، فاذا ظفرنا بما يبشرنا ولو ببعض البشري ، فرحنا به وشجعناه ، واطهرناه للناس . نحن تنوخي المحاسن ، ونغوص على الدرر ولو في أعماق اللجة ، ننشر النبوغ الدفين في هذا البلد ، وما أكثر المغمور المنسى منه !

ولذلك حين ظهر ديوان عتيق أفرغنا له وقتاً ، ودرسناه قصيدة قصيدة ، وقصدنا أن نستبين أموراً عدة : أولاً أثر القديم في هذا الشعر الجديد، وثانياً مجهود الشاعر المعصرى في التجديد ومداه وعمقه ، وثالثاً احاطته بالحياة وفهمه لها ، ورابعاً أثر المحاكاة والتقليد ، وهل للشاعر نزعة استقلالية وطابع خاص ؟

كنت أراعى في تقديري له ظروفه الخاصة ، فهو ما يزال في عهد الدراسة ، ثم انه لا يزال غض السن ، غض التجربة ، وإن كان النبوغ لا يقاس بسن ولا زمن ، فان كبتس تألق بحبه وهو في سن عتيق ، وشاكسبير كتب دراماته الخالدة في عمر فوق ذلك بقليل ! ولكن يجب ان نذكر أننا في مصر ، وأن مدارسنا ما تزال

تسقيننا الأدب الغث البالي السخيف ، تنقشه في عقولنا ، وتطبعه في صفحات
خواطرنا ، ونحن في عهد يؤثر فيه كل التأثير ذلك الذي يسقوننا إياه !
وَمَنْ منا ينسى مواضيع الانشاء السخيفة التي كنا نكتبها ، ولم تكن تعنى فيها
بغير اللفظ الجميل المرصوف ، وأما المعنى والدراسة العميقة والبحث الدقيق
فلم تكن نعرفها ولا انظارنا متوجّه إليها .



عبد العزيز عتيق

أضف! الى ذلك الاطلاع المحصور الضيق في عهد الدراسة ، ولا أدري هل الشاعر
عتيق قرأ كثيراً من الشعر الغربي ، فان الاقتصار على دراسة الأدب العربي وحده
لا تكفي لاتقان الشعر ، ولا لتجديده ، وإن كان الشاعر الموهوب غير محتاج لشيء ،
فان هومير لم يكن يعرف غير لغة قومه حين كتب الإلياذة ، وشاكسبير لم يكن
يعرف غير الإنجليزية !

الجيد في شعر عتيق انه يستلهم احساسه ، ويُلقي العنان لتصوراته ، يرسلها
محلقة كما تحلق الطيور أسراباً أسراباً ، شادية أو ناثقة ، تستقبل الصبح أم تودع
الشمس الغاربة ، هي على كل حال جوع من الطير ، تضرب بأجنحتها في عرض
القضاء !

وقد يؤخذ عليه أنه كثير التشاؤم ، غاضب على الدنيا ، ساخط على الحب ، يرى قتاما فوق قتام . وهذه النزعة الباكية ، نزعة السخط والتمرد والثورة ، تراها في الشعر الحديث كله ، فهل الشباب اليوم لا يجد في الحياة شيئا جديلا ؟ أين النور والحسن ، والصبا ، والسماء والبحر ؟ أين السحر المتغلغل في كل شيء ؟ لو نصحت الشاعر عتيق بشيء لنصحت له بقراءة شعر روبرت بروك ، فإنه كان في مثل عمره ، ولكنه كان يحب الحياة ، يحبها حباً مستفيضاً . وكان وهو في وسط القتال في الدردنيل يدعو الله أنه إذا قدر عليه الموت ، فلا يبخل عليه بعد الموت بركن في الآخرة ، وجبة يحمل فيها ما كان يعزه في الحياة ، من وجه ولون وزهر وسماء ، فيخلو خلوته ليستعرض ما في الجعبة بما كان يحبه ، فيقابه ويشمه ، ويقابه ، وينظر الى كل ذلك نظرة الأم الحانية على طفلها المعبود :

وأحسن ما في ديوان عتيق الرحمة والصفح : أنه يغضب ، ويسخط ، ويشور ثم يغفر ، ويسط لأحبابه قلباً نقياً ، فياضاً بالمعطف والحب والرضى .
على أن القصيدة التي تفردت بالحسن هي القصيدة التالية : فإن فيها تمجيداً ، ونزعة استقلالية ، وروحاً غريبة ، في لفظ عربي صاف :

(عهد جديد)

وكألا مل المحبوب وجهك حينما تطالمني منه العيون النواعس
هو الصبحُ ألوان بالصبح حاجة الى شاعر تهفو اليه العرائس
أحبُّ فيسموني العفاف الى الذرى ويرفعني أنى على الحسن حارس
أظنُّ به أشدو وما كنت شادياً ولكنني من ذلك النور قابس

والآن ما أثر المحاكاة في شعر عتيق ؟

اقرأ مثلاً قصيدة « حواطر » (صفحة ١٣٤) تمجد طيف العقاد يطالعك من ورائها .

أنا لا أذمَّ العقاد ، ولا أطعن في شعره ، ولكنني أقول للشاعر عتيق : دع العقاد جانباً ، فإن له طابعه الخاص ، وحاذر أن تقلد العقاد أو غيره فإن هذا ما يسمى بالانجليزية Maunorism . وأذكر أن الشباب في عهد ما كانوا يحلقون رهوسهم عند حلاق لطفي بك السيد ويطلقون سوا الفهم كما كان يطلقها ، وعند ذلك كانوا يزعمون أنهم جميعاً أصبحوا لطفي السيد أدباً وفلسفة !

يا صديقي الشاعر ! أطلق العنان لمجيتك ، واستمر في استلهامك نفسك ،
واعمل كما يقول جيتة : من الداخل الى الخارج ! إنا نرى نبحك في سماء المستقبل !
واخيراً تحية إعجاب وتشجيع

ابراهيم ناهي

وحى الاربعين

قصائد ومقطوعات نظم عباس محمود العقاد في ١٧٦ صفحة

١٢٢ مم . X ١٦ مم . الثمن ٥٠ ملياً . مطبعة مصر بالقاهرة

لصاحب هذا الديوان فضلٌ على الأدب المصري كناقيد حصيف وشاعرٍ
حكيم وقف في طليعة المحاربين عبادة الالفاظ التي أساءت الى الشعر العربي أساءة بالغة
في عصور متوالية .

والمتصفح المنصف لديوانه الجديد الانيق لا يسهه إلا الاغتراب بمقدمته عن الشعر
المصري . وقد أصاب كل الاصابة في تذكره الادباء بأن الشعر هو التعبير الجليل عن
الشعور الصادق ، وانه عالمٌ لا ينحصر في قالب ولا يتقيد بمثال ، وأن النظر الى الدنيا
لن يتسع ولن يصح ولن يكمل إلا بالخيال كبير ، وأن من يريد أن يحصر الشعر في
تعريف محدود لكن يريد أن يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود . وهو يسائل
باهتمام : أين غرائب الاحساس التي تختلف الى غير نهاية في كل طور من أطوار النفوس ؟
وبعد هذا السؤال يقدم لنا العقاد نماذج شتى من غرائب هذا الاحساس ، وهي لب
ديوانه الجديد .

يقع هذا الديوان في ثمانية أبواب ومقدمة ، وتشمل الابواب : تأملات في الحياة ،
وخواطر في شؤون الناس ، وقصص وأمثال ، ووصف وتصوير ، وغزل ومناجاة ،
وقوميات واجتماعيات ، وفكاهة ، ومتفرقات . وتتجلى فيها جميعاً الروح التي أشرنا
اليها ، كما تزدهم في صفحاتها رواثع شتى على معظمها سمة التفكير والفلسفة ، وعلى
القليل منها مسحة الماطقة الخالصة .

يقول العقاد في صفحة متوالية من ديوانه :

إذا الدهر لم يعرف لذى الحق حقاً فلدهر متى موطن السعل والقصد

إذا جاز بيعُ الذكر في شرع أمةٍ فلا كان من ذكره ولا كانت الاممُ
وهذا شعار الابن، وصرتُ نبيل له نظائره في صفحات الديوان من حكم
صادقة جدية بأن يستظهرها الشباب وغير الشباب من الميورين على سلامة الاخلاق
في أمتهم ومن المهيين بها الى المثل الاعلى، وذلك مثل قوله :

أنصفتَ مظلوماً فأنصفَ ظالماً في ذلك المظلومِ عذراً الظالمِ
وقوله :

فما محمد العنان كلُّ بشاشةٍ ولا كلُّ وجهٍ عابسٍ بذمير
قطوبٍ كريمٍ غاب في الناس سعيه أحب من البشرى بفوز لثيم

وقوله :

أقلُّ من الصخر امرؤ ضمَّ جسمه أمانةً روح لم يصنعها لمأرب
وقوله :

لا يستقلُّ القوم في آمالهم إلا استقلوا بعثد في الافعال
وتطالعك من أول صفحة في الديوان ألوان من «غرائب الاحساس» التي يعنى بها
العقاد والتي يحيل البناء لا يود أن يسجل له من الشعر سواها، فيفاحك بقوله :

صحَّ جسماً فشاقت الارض عيبه جالا وفتنة وضياء
صحَّ نفساً فشاهت الناس حتى كره الارض حوله والسماء

ومن بدائع هذا الديوان مقطوعاته وقصائده عن سحر الدنيا، وانذار الغضب الى
الحق المحتجب، وعلى بحر الحياة، وما فوق الحياة، وعلى الشاطئ، ولاضيف في الخان،
وضلال الخلود، والشمس، وعدل الموازين، وعم صباحاً — عم مساءً — وتكاليف
العظمة، وعيد ميلاد في الجحيم، ومباراة، والقبلة، والجسم الضاحك، والى الفرق،
وزهرة لا تذبل، وأيمشون؟ وعلى ضريح سعد — وما كل هذه الحسنات بالقليلة
في كتاب هو خامس أجزاء ديوانه الخافل .

وبينا نرى العقاد مالكا ناصية اللغة جزل التعبير قويه في مواضع كثيرة اذا به
أحياناً يتمتع في تمايره بنمير موجب، ونحال ذلك راجعاً الى اعتداده بنفسه وسخطه
على القدامى للمعادين للصورة الكلامية وللالفاظ الجوفاء . مثال ذلك قوله : يوم عصب
(ص ٦٧) وكانت له ندحة عن استعمال هذا اللفظ النافر، وقوله (ص ٤٥) :

دليله على أن ان للكمال محرمٌ أناث مُخلقنا بيننا وذكرنا .
فضعف التعبير في هذا البيت ظاهر ، وقوله (ص ٤٦) :

أسمى ظنونك لكن مكرهاً أبداً كمن يظن ببعض الآل والحرم .
وقوله (ص ٥٢) :

حتى الافاضل عرضة لهوى الهنات البادرة

وقوله (ص ٨٢) :

إذا قلت زوراً فهو من صدق شيعتي ومن يصف الدنيا يصف خيم ختال
يريد طبع ختال ، والشعر العصري في غنى عن أن يتخيم بلفظة خيم ، ومثل قوله
(ص ٩٢) عند وصف خليج ستاني :

سَلْ مُعْصِيَةٌ سَكَنْتَ « جَنِبَ ف » تَكَلَّفْتُ بِكَ أَمْ كَلَفْتُ ١٢ .
فإن هذه الالفاظ ليست بما يتفق والمستوى الفني لشعر العقاد ، ومثل قوله (ص ٩٥) :

حيّ الجمال كما بدا أولاً فدونك والجيف ١
فلفظ « الجيف » مما يندب استعماله في مثل ذلك القصيد الوصفي لمعرض جال حينما
ذلك المشهد كفيلاً بأن يُنسب الشاعر كل صورة قبيحة ويجعله يتعاشى مثل هذه
الاشارة ، وتخيل البناء المقاد لم ينظم هذه القصيدة تحت سلطان ذلك الوحي .
كذلك قوله (ص ١٠٧) :

عيد الشباب فلا كلا م ، ولا ملام ولا خرف

وقوله (ص ١٠٧) :

وإذا الجدول نأفى نفسه فهي أصدائك من غير كلام .
وقوله :

والذي أربهه وا أسفاً هجرك المدعو بالموت الزوام

وقوله (ص ١٠٨) :

هذه الروعة هل تجمعها في مدى يوم لحوم وعظام ٢

وقوله (ص ١٢٩) :

عين يا عين لا نظري ٣ هاهنا ؟ هاهنا الخطر ١

وقوله (ص ١٧٢) :

كلنا صائره كما صرتَ يوما والذي قد صنعتَ ليس بفنانٍ

فإن هذه التعابير الضعيفة الركيكة لا تليق بشعر العقاد .

وكذلك نرى العقاد أحياناً شديد التركيز في أسلوبه حتى يكاد لا يبين عن مراميهِ كما هو ملحوظ في قصيدته « فلسفة حياة » (ص ١٧) ونلمح في بعض قصائده خواطر سابقة كما في قصيدة ضلال الخلود (ص ٣٥) فهي تذكرنا بقصيدة الشاعر البابلّي لعبد الرحمن شكري .

وبعد ، فهنئ صاحب الديوان والشعر المصري بهذا الأثر الجديد الذي نضمه الى ذخائر أدبياتنا ، ونقول إن ثروتنا الشعرية تتألف من فرائد شتى عالية وأن شعر العقاد من بين نماذجها المختارة لانه في مجمله يمثل لوناً مستقلاً من الشعر الفلسفي الذي لن نستغنى عنه . ولما كانت هذه المجلة و« جمعية أبولو » لاتدينان بمبادئ الافراد وإنما يعنهما تعجيد المثل العليا والكشف عن نواحي الجبال الثنى في الشعر العربي قديمه وحديثه ، فلذلك يسرنا التنويه بهذا الديوان الجديد للعقاد على هذا الاعتبار وحده ، راجين أن يتناوله حضرات النقاد بهذا الروح الخالص من شائبة التحامل المتباد على كل رجل جدير ، فإن هذا التحامل المزدول وذلك التأليه الاعمى سيان في نظر الناقد الفنى الفيور على خدمة الأدب وحده .



شوقي

شاعريته وعمراتها

بقلم أنطون الجبيل بك ، ٩٥ صفحة ، مجلد ١٣٢ سم . ١٩٢٢ سم . الثمن ٥٠ ملياً .
مطبعة المعارف بإشراف الفجالة بالقاهرة .

يكاد ينقسم نقاد الأدب والشعر خاصة في العالم العربي (ونسميهم نقاداً آمن باب التجوز) الى فريقين : فريق يمنح الى التأليه والتقديس ، وآخر ينزع الى التحامل البغيض ، وكلاهما بعيد في محاولاته عن الأصول الفنية . وقد أشار الى الفريق الأخير الكاتب المعروف كامل كيلاني سكرتير « رابطة الأدب الجديد » في محاضراته التمهيدية عن موازين النقد الأدبي . وأما الفريق المعتدل المنصف الذي يفقه النقد

وتطبيقه فهو ضعيف الحول يكاد لا يشعر بوجوده وإن كان المستقبل له . وفي سبيل اعلاء كلمة الانصاف الأدبي كان مجهودنا في نشر هذه المجلة وفي نشر صحيفة « الامام » ، ومثال بارز لذلك إصدار العدد الخاص بذكرى المرحوم شوقي بك في ديسمبر الماضي ..

ولا نعدّ الكتاب الطريف الذي أصدره الجميل بك جامعاً لبحوثه عن شوقي من هذه الضروب النقدية ، وانما نعدّه لوناً من الدفاع البارع ومن تصوير الجمال أو تخيله أحياناً . وهل ثمة أجل من البحث عن الجمال أو تصويره وعرضه على الألباب بصورة فنية خلابة كما فعل الجميل بك ؟ ولعل أصلح عنوان لكتابه أن يدعى « حسنات شوقي » فقد كان بارعاً في استخلاص كل جميل رائع من مئات الايات التي تزدهم بها دواوين المرحوم شوقي بك وفي اظهارها بأدع صورة وتحبيها الى نفوسنا أيّما تحبيب ، وكأننا الجميل بك كان ناظراً في مرآة نفسه الصافية لا باحثاً منقباً في نفسه غيره بما لها وما عليها ، وهذا التنقيب وحده هو النقد فاذا التمدت الموازنة والفحص والاستقصاء تبع ذلك انعدام النقد الصحيح .

وخلاصة رأي الجميل بك في شوقي من الوجهة الفنية « انه لم يشد الى قيئارة الشعر وتركاً جديداً ، ولكنه استخرج من الأوتار التي ضرب عليها غيره من الشعراء أنعاماً مستجدة عذبة المستمع : وكثيراً ما أصبح القديم جديداً بفضل ما أكسبه من جمال اللفظ والتركيب وروعة المعنى الذي ظهر بمظهر التجديد . ولعل أغلبية الادباء تعز هذا الرأي الناضج وتشكر معنا للجميل بك جهده الطيب ، ولا يسعنا الا أن نحتّ جمهرة الادباء وطلبة المعاهد الدراسية بصفة خاصة على اقتناء هذا الكتاب الممتع .



صديقي رينان

قصة اجتماعية مصوّرة تأليف حسين شوقي مؤلف « رواية ابن الأحمر » و « رسائل في الحضارة المصرية القديمة » ، ٦٢ صفحة بحجم ١٦ سم . × ١٥ سم . على ورق فني سميك . مطبعة مصر بالقاهرة . الثمن خمسون ملياً .

كلّ مقدّر لأدب شوقي لا بد وأن يفتبط بقراءة هذا الكتاب الطريف الممتع لانه من قلم مجله الاديب الشاعر الفاضل حسين شوقي التي ورث عن والده

مواهبه الادبية وإن كان جميع أولاد المرحوم شوقي بك قد تسكلوا بجمال الذوق واللفظ الذي اشتهر به والدهم العظيم . وقد اشتركت أيضاً في هذه الوراثة الانسية المهذبة خديجة العلايلي حفيدة الفقيه الكريم ولها شعر وسيم باللغة الفرنسية وصور فنية قيمة .



حسين شوقي

قرأنا هذا الكتاب فوجدنا هذه الصفات متجلية فيه : (١) عرض قصة الحب الاول ووفاء له في أسلوب رشيق جذاب مؤثر ، (٢) إنحاف القارئ بمشاهد حية من المجتمعات الاوربية الليلية لطبقات مختلفة ، (٣) دراسات نفسية متنوعة صبغتها ريشة منقطة دقيقة ، (٤) طرف أدبية وتاريخية منشورة في تضاعيف الكتاب . فهذا الكتاب إذن قصة صغيرة ومذكرات سياحة ومحدث أدبي كلها مجتمعة في تصنيف واحد ومكتوبة بأسلوب شعري خلاب . وهذا مادعانا الى استعراضه دون غيره من تأليف كاتبه الفاضل المولع بالتاريخ المصري القديم وبالحضارة العربية وبالميثولوجيا عامة .

قرأنا الكتاب في نحو ساعة من الزمن وعلقنا على هوامشه ، وكنا نود اقتباس بعض فقراته للدلالة على شاعرية مؤلفه لولا ضيق فراغ المجلة ، ولهذا نكتفي بالتنويه به ، وما نلصق في أن أى قارئ منقف سيستمتع به استمتاعاً . وأما عن لغة الكتاب فسهلة وسليمة ، ولم نعر به الا على القليل من الاخطاء المطبعية ونحوها كذكر « شيقة » في معنى « شائقة » و « حماس » بدل « حماسة » و « الحرمان من الشيء »

بدل «حرمانه» و«قليل الغاية به» في معنى «قليل العناية به» و«العجز» في معنى «العتيق» و«مرحاً مصطنعاً» (ص ١١) حيناً يريد «مرحاً طبيعياً» الخ .
وهي هفوات لا تنقص من قدر الكتاب وليست مما تسلم منه المطبوعات في مصر برغم كل عناية مبذولة . ومن رأينا أن المؤلف كان يستطيع أن يستغنى عن الجملة الأخيرة في الصفحة الختامية لأنها مما يضعف الأثر الدرامي المقصود إليه بهذه الخاتمة الحزينة .
فنهى المؤلف الأديب بذوقه الأدبي وبشاعريته الرشيدة وتطلع بحجة وسرور إلى آثاره المقبلة ، ولعلنا نظفر بينها بطرف من شمره الثمين المنظوم .



الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون لصاحبها ورئيس تحريرها احمد حسن الزيات ، ويشترك في تحريرها الدكتور طه حسين وأعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، صفحات العدد ٤٢ ، بحجم ٢٣ سم . ٢٩٨٠ م .
نمن العدد عشرة ملجأت .

لاحتاج لاي تمهيد في التنويه بهذه المجلة القيمة التي يجدر بمصر الناهضة أن تستكثر من طرازها بين صحفها الاسبوعية ، فان من العيب الفاضح أن يضيع الأدب الجدي الناضج وأن يسخر الصحفيون من عقول الشباب . ومهما قلنا في نقد البيئة المصرية فلا مشاحة في أن الشعب المصري مطواع الرشيد الحصيف الأمين ، فخير رجال الصحافة المصرية أن يستغلوا هذا الميل الطيب فيه وأن يغذوه بنقائس الأدب الحى . فاذا شكرنا لناشري هذه المجلة المهذبة المفيدة مجهودهم فأما نعتبر عن عقيدتنا وتمتدح ماندين به بل ما يدين به كل أديب مصلح في هذا البلد المسكين . وما يزيدنا غبطة أن الشعر الجيد لم يحرم جانباً من هذه المجلة النفيسة التي تمنى لها الحياة المتواصلة والنجاح الأكيد .



النهضة الحضرمية

مجلة أدبية اصلاحية مصوّرة ، تصدر في أول كل شهر عربي ، لمحررها السيد طه بن أبي بكر بن طه السقاف . تصدر في ٣٦ صفحة بحجم ٢٣ سم . ٣٠ سم .
بدل اشتراكها السنوي ١٢½ شلناً ، وعنوانها رقم ٨-١٠٩ بسنغافورة .
عرُفَ الحضارمُ بتأثرهم بالأدب المصري المصري بصفة خاصة كما عرُفوا بمطعمهم على العالم العربي الذي قدّوا أنفسهم شطراً منه ، ولهم صحف معروفة تبادلتها جرائدنا مطبوعاتها ، ولكن لم تُعرف لهم حتى الآن مجلة أدبية ممتازة .
لذلك لا يسمنّا إلا الترحيب بهذه المجلة التي ظهرت في أول يناير الماضي لظهور الأدب الحضرمي ثراً ونظماً . وقد تضمن العدد الأول تأييناً للمرحوم شوقي بك ومقطوعات من شعراء حضرموت خليفة بالعناية والدرس .



تصويبات

صفحة	سطر	خطاً	مواهب
٥٤٥	١٧	الودّ	الورد
٥٥٣	٢٣	الأكام	الآطام
٦١٢	٩	رب	درب
٦١٦	٧	الطفاة	الطفاة
٦١٩	٧	ودولة	دولة
٦٢٣	١١	مقالة	مقاله
٦٣٧	١٧	المصبي	المصبي
٦٤٤	١٣	غني	غني
٦٤٤	١٧	أوتارك	أوتارك
٦٤٦	٣	يد	يد
٦٥٤	٩	يحيي	يحيي
٦٧٧	١٥	مقنين	مقنين
٦٨٧	١٩	تنقل كلمة « وما » الى الشطر الثاني	

٦٥٨ نظم سيد علي حسان

٦٥٩ نظم مختار الوكيل

٦٦٠ » محمد احمد يوسف

٦٦١ نظم مصطفى صادق الرافعي

٦٦١ » حسن كامل الصيرفي

٦٦٢ » محمود عماد

٦٦٣ » صالح جودت

٦٦٤ نظم حسن كامل الصيرفي

٦٦٥ » سيد علي حسان

٦٦٥ » العوضي الوكيل

٦٦٧ » طلبة محمد عبده

٦٦٨ بقلم محمد قابيل

٦٧٢ بقلم الدكتور أحمد ضيف

٦٧٦ نظم اسماعيل مري الدهشان

٦٧٧ نظم عثمان حلمي

٦٧٨ بقلم سيد ابراهيم

٦٨٤ نظم محمد فريد عين شوكه

٦٨٨ بقلم الدكتور ابراهيم ناجي

٦٩١ » بحرر المجلة

٦٩٤ » » »

٦٩٥ » » »

٦٩٧ » » »

الزمن والحب

الشعر الوصفي

تذكار صورة

ديكي

شعر الحب

وصف موقف

اجعلني حليماً

هنا

سامر بين زهور الخيال

الشعر الوجداني

ربيع كالخريف

آلامي

القلب الشارد

ضيف ثقيل

النقد الأدبي

الملكات والشعر

تراجم ودراسات

كورني والتمثيل في فرنسا

شعر الاطفال

الوصايا العشرة الصحية

الشعر الفنائي

غزل

خواطر وسوانح

لون من الادب

الشعر التمثيلي

رواية سعاد - مشهدها منها

نمار المطابع

ديوان عتيق

وحى الاربعين

شوقي - شاعريته وميزاتها

صديق رينان

الرسالة

